

# العرب

## دراسات في اللغة والدiction والأساليب

تأليف

يوهان فك  
مع تعليقات المستشرق الألماني شيشالر

ترجم وقدم له ملحوظ عليه وصنف فهراسه  
الدكتور رمضان عبد النوايب  
أستاذ العلوم الملغوية بكلية التربية البدروية  
جامعة عين شمس

الناشر

مكتبة أطناجي برصير  
١٤٠٠ - ١٩٨٠



# العربيون

دراسات في اللغة وال-literatur و الأسلوب

تأليف  
يوهان فكر  
مع تعليقات لمستشرق الألماني شينالر

ترجمة وتقديم ولعله عليه وصنف فهرسه  
الدكتور رمضان عبد الواب  
أستاذ العلوم المغربية بكلية الآداب  
جامعة عين شمس



الناشر  
مكتبة اطناخي عصمر  
١٤٠٠ - ١٩٨٠م

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)  
Biblioteca Alexandrina



# بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة المترجم

عرفت هذا الكتاب في أصله الألماني ، وأنا أحضر للدكتوراه في ميونخ ، حينما أهداني مؤلفه نسخة منه ، أعتز باقتناها ، وكنت عقدت العزم على ترجمته إلى العربية ، بعد الفراغ من الدراسة ، وعلمت بعد ذلك أن المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ، قد سبقني إلى تولى هذا العمل العظيم ، وانتشرت ترجمته ، وأفاد منها قراء العربية في الشرق والغرب .

وعند ما نفدت نسخ تلك الترجمة ، وفك الأستاذ الفاصلنجي الحانجى في إعادة طبع الكتاب ، عرضت عليه أن أعيد ترجمته من جديد ، مضيفاً إليه تعليقات أستاذى ، شيخ المستشرقين في الوقت الحاضر ، بروفسور «شبيتالر» رئيس معهد اللغات السامية بجامعة ميونخ ، وما تجمع لدى من ملاحظات على مادة الكتاب وقضاياها ، وتصحيح شيء من التصحيح والتحرير وبعض الأخطاء التي وقعت في ترجمته ، فرحب بالفكرة ترحيباً بالغاً . وكان لتشجيعه وغيره العظيمة على العربية وتراثها ، أكبر الأثر في ظهور هذا الكتاب ، بالصورة التي هو عليه الآن ، فله الشكر على ما قدم ويقدم ، في سبيل خدمة العربية ، لغة الكتاب الكريم .

والكتاب دائرة معارف واسعة ، يحتاج من مترجمه إلى الكثير من الصبر والجهد ، ومراجعة الكثير من المصادر ، لتحقيق هذا النص أو ذاك ، من نصوصه الكثيرة ، الممتدة عبر عصور العربية الخالدة . ولقد التزمت الدقة في التعبير بما أراده المؤلف ، وحاولت البحث عن المصطلح العربي المناسب ، لترجمة المصطلحات الإفرنجية ، التي عالج بها المؤلف قضايا العربية وتطورها .  
وكان المترجم الأول ، قد ترك شيئاً غير قليل من هوامش النص بلا ترجمة ،

- ٤ -

إذ كان يراه غير مهم للقارئ العربي ، كما كان ياخضن هذه المهامش أحياناً ، تلخيصاً شديداً . ولكنني آثرت ترجمة هذه المهامش المترولة ، إلا ما ندر ، وفاءً لحق المؤلف على قارئ كتابه . ولا شك أنني أفادت كثيراً من بعض الصياغة البارعة ، والعبارات الطلية ، التي تغلب بها المرحوم الدكتور النجاش ، على جفاف الأسلوب الألماني وجله المعقدة .

أما تعليقات بروفسور «شبيتالر» ، فإن قسماً منها يختص النظرية ، التي بني عليها «فلك» كتابه ، وهذه ترجمتها ووضعتها عقب هذه المقدمة . كما أن قسماً آخر منها ، يختص قضائياً جزئية في الكتاب ، وهذه ترجمتها وجعلتها في أماكنها من المواشي ، معزوة إليه .

وبعد ، فهذه ترجمة أخرى جديدة ، مزيدة ومحفقة ، لعمل رائد من أعمال المستشرقين الألمان ، الذين امتازوا بالصبر والدقة في الدراسات اللغوية ، ترجمة شد من أزرى في التصديق لها ، ذكرى الصداقية الوفية ، التي كانت بيني وبين المؤلف ، حتى قضى نحبه .

ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك  
أنت الوهاب .

د . رمضان عبد التواب

## تعليقات المستشرق الألماني

أنطون شيبنالر<sup>(٢)</sup>

قدم «فلك» بكتابه : «العربية» إلى المتخصصين في علم العربية ، عملاً لم يقدم مثله من قبل . وإذا كان العنوان الفرعى للكتاب هو : «دراسات في اللغة والأساليب العربية» ، كما أن فصوله الأربع عشر (بالإضافة إلى الملحق الذى يتضمن دراسة معجمية دلالية لكلمة «لحن» واشتقاقاتها) تعد بصورة أو أخرى عملاً رائداً في حقيقة الأمر ؛ فإن الكتاب في مجموعه ليس في الواقع إلا نوعاً من تاريخ التطور للغة العربية ، أو على وجه الدقة ، للغة المولدة ، إذا أخذنا بما قاله «فلك» من أن العربية المولدة بدأت «حينما انتقلت العربية ، بعد وفاة الرسول (عليه الصلاة والسلام) مباشرة ، عن طريق الغزوات الكبرى ، في العهد الإسلامي الأول ، إلى خارج حدودها القديمة ، في مواطن لغوية أجنبية» .

وقد تعقب «فلك» تاريخ العربية ، ابتداءً من العصر الأموي والعباسى ، وانتهاءً بعصور السلاجقة والسائل المغولى الذي «أكمل حلقة اختتام في مراحل الانحلال اللغوى» ، التي بدأت بظهور السلاجقة ، لكنه يشير في «نظرة خاطفة» إلى الطريق الذى سلكه تطور العربية الأدبية ، في القرنين التاليين حتى العصر الحاضر .

ولأنه من غير الممكن ، التحدث بالتفصيل ، عن كيفية استيفاء «فلك» لجوانب الموضوع ، فقد استطاع المؤلف بالقراءة الواسعة المستفيضة ، التي ربما لم تتوفر في الوقت الحاضر ، إلا لقلة من المتخصصين ،<sup>(٢)</sup> وبالشواهد التي لا تُحصى من المصادر العربية الأصلية التي لم تجمع إلا بجهد سنوات — أن يقدم إلينا عرضًا حيًّا مثيرًا ، يشوق القارئ دائمًا ، للأحوال والظروف التي

(١) نشرها في الجزء العاشر من مجلة : Bibliotheca Orientalis ٤/٣ (مايو / يوليه ١٩٥٣) ص ١٠٠ - ١٤٤ .

(٢) قائمة مصادر الكتاب تحتوى على أكثر من ٢٥٠ كتاباً معظمها بالعربية .

— ٦ —

تقلبت فيها اللغة العربية والتاريخ الإسلامي ، وكذلك للتأثيرات المتعددة للبيئات المجاورة المتغيرة دأبًا ، على اللغة والأدب ؛ فلن تخطي طرحت تاريخي للحضارة ، إلى بحوث معجمية ، وتحليلات أدبية وأسلوبية ، مختلط بلاحظات إعرابية ، ونصوص غير مجهولة لنا تعرض في سياق جديد ، ومادة غير معروفة من قبل ، تساق للبرهنة في أصلها .

وإن نظرة على الفهارس المتنوعة (للأشخاص والمواضيع والكلمات والآيات القرآنية) التي ألحقت بالكتاب ، والتي تجعل منه بالتأكيد مرجعاً عربياً ، لتعطى صورة تقريرية عن اتساع المادة التي عالجها المؤلف فيه .

والكتاب مهدى إلى أستاذ العربية القديم ، المستشرق الألماني « أو جست فيشر ». وكاتب هذه التعليقات ، مدين للكتاب بالكثير من الفوائد ، والعديد من التوجيهات ، التي خرج بها من قراءته ، مع الشكر .

ول إنه لم المتوقع مع كثرة المواضيع المعالجة في الكتاب ، أن نجد من القراء من يخالف رأي المؤلف في بعض الأحيان ، وهذا أمر لا يمكن تجنبه ، في ميدان يندر أن تتفق فيه الآراء ، رغم البحوث الكثيرة القيمة التي تناولته .

ولأنني أسمح لنفسي بمناقشة بعض النقط الأساسية ، التي لا تتفق فيها مع المؤلف ، فإن له رأياً في مشكلة الإعراب التي تناقض كثيراً ، أعلنه في الفصل الأول ، وفي مواضع أخرى من كتابه ، فهو يرى أن التصرف الإعرابي كان حياً في عقواته لدى البدو ، في القرن الرابع المجري/ العاشر الميلادي . وقد اعتمد في ذلك على الأخبار التي روتها العرب في هذا الشأن ، وعلى البقايا المتجمدة من هذا التصرف الإعرابي في لهجات البدو المعاصرة .

ولكنني لا أتفق في صدق هذه الأخبار على الإطلاق ؛ فإنه بصرف النظر عن أن ملاحظة لهجات البدو المعاصرة ، لا تؤدي إلى الخروج بهذه النتيجة<sup>(١)</sup>

(١) المادة الموجودة عندنا من لهجات البدو ، تعد قليلة ، وغير متكافئة القيمة في نظرى ، فلاد تكون أساساً ثابتاً للبحث ، بالإشارة إلى أن مثل هذا البحث ، لم يقم به أحد - فيها أعلم - حتى الآن .

## - ٧ -

فإن الأخبار العربية التي يعتمد «فك» عليها ، لا يمكن في نظرى أن تؤخذ على معناها الحقيقى<sup>(١)</sup> ؛ فإنتى لا أميل إلى القول بأن العربية ، كما نعرفها من الشعر العربى القديم ، تساوى تماماً فى كل شيء لغة البدو على الإطلاق<sup>(٢)</sup> ، وهذا يعني ببساطة أن هذه الأخيرة لا تحتاج إلا إلى الإيقاع والوزن ، لكنه تصبح شعراً .

بل على العكس من ذلك ، أنا مقتنع بأن العربية في عصور حقيقة قبل العصور التي نعرفها فيها ، قد أصابها ذلك التغير الذى نلاحظه بوضوح في العصر الإسلامي ، كلما تقادم به العهد ، والذى يتضح لكل واحد في اللهجات المعاصرة ؛ فإنه لا شيء في اللهجات الحديثة ، على الأقل في ميدان الأصوات والبنية ، إلا وله أصل مباشر أو غير مباشر ، في العصر الإسلامي المبكر ، بقدر ما نراه في الخط ، أو في عبارات المعاصرين من الرواية . وهذا يعني أن اللهجات في فترة تمتد أكثر من ١٢٠٠ عام ، لم يظهر فيها تطور ملحوظ في أية مسألة من تلك المسائل المهمة ، كترك التصرف الإعرابي في الاسم والفعل . فليس هناك ما يمنع ، بل على العكس من ذلك ، كل شيء يدل على إمكان أن يكون الوضع اللغوى في القرن الأول الإسلامي ، قد نشأ بطريقة مماثلة قبل ذلك بكثير . وإن العثور على دلائل مادية من هذا العصر القديم ، هو أصعب بكثير من أدلة العصور المتأخرة؛ لأنه ليس بين أيدينا من الأخبار اللغوية عن هذا العصر ، شيء خالص لا يشترك في أمر تقييمه وتهذيبه.

ثم إن ما نستطيع استخلاصه بأنفسنا من القرآن الكريم والشعر العربي ، وما أخبرنا به اللغويون العرب عن لهجات البدو أحياناً ، إذا ما عاجلناه بالقدر اللازم من الحرص والحدى ، يمكن لرسم صورة عن اللهجات العربية القديمة ، تذكرنا - كما يقول فوللرز «في كثير من النقط الجوهيرية بلهجات الخطاب العربية ، المعروفة لنا في العصور المتعاقبة والعصر الحاضر<sup>(٣)</sup>» .

(١) ما يلى لا يعرض من تصورى إلا إطاره العام ، ولا يمكن في هذا الحيز الضيق أن يشرح التفاصيل . وإن لا أرجو أن أتناول المشكلة كلها بالتفصيل في مكان آخر .

(٢) انظر مثلاً : مقالات في علم اللغات السامية لنولدكه ١٤/٢ BSS

(٣) في كتابه : «اللهجات الشعيبة واللغة الأدبية» ١٧٧ وإنني أوفق فوللرز على الموم في كثير من النقط ، غير أنني أختلف معه أساساً في نظرته إلى العربية ولغة القرآن .

- ٨ -

وإذا صدر المرء عن الرأى الحماسى القائل بأن اللهجات العربية القديمة ، تتفق في كل شيء مع العربية الفصحى ، فإنه يجب عليه بالطبع أن يجتهد في تأويل النصوص التي لا تلائم هذا الرأى ، أو يحكم بشذوها . غير أنه إذا حاول أن يستبين الموقف ، دون اللجوء إلى هذا الرأى المبني على الظن ، فإنه يجب عليه أن ينظر إلى مثل هذه النصوص على اعتبار أنها بقايا لهجات حقيقة ، كانت تعيش إلى جانب العربية<sup>(١)</sup> .

أما هذه العربية نفسها ، فهي تلك اللغة القديمة الحقيقة ، التي تعود إلى ما قبل التاريخ<sup>(٢)</sup> ، والتي ترتفع عن لهجات الخطاب منذ زمن ، ورويت لنا كابرًا عن كابر ، في نصوص محددة تماماً . هي تلك اللغة التي يمكن أن تعرف بقول الباقلاني : أشعار أهل الجاهلية ، وكلام الفصحاء والحكماء من العرب . . . . كلام الكهان ، وأهل الرجز والسجع ، وغير ذلك من أنواع بلاغتهم ، وصنوف فصاحتهم<sup>(٣)</sup> .

وعلى هذا النحو تنزل اللهجات والعربية ، بحسب قيمة كل منها ، منزلتين مختلفتين تماماً ، وتمثلان طاقتين لغويتين مختلفتين ، وتعد إحداهما بالنسبة للأخرى بمنزلة العامية ولغة الحياة العامة ، من الفصحى أو اللغة الأدبية على نحو ما . ولكنها ليست كما يزعم « جاير »<sup>(٤)</sup> Geyer . « العامية التي يتكلمها السوق ، بإزاء لغة الخاصة والطبقات الراقية ، والمتقدرين ، ولغة الأدب » .

(١) يمثل هذا ما كتبه هارتمان عن الموضع ٢١٦ - ٢١٧ وبعده في نقد نولكه .

(٢) هذا التعبير يؤخذ كما هو . وينذهب فيشير إلى جعل مجلة معينة أساساً للغة القديمة ( انظر مجلة ZDMG ٥٩/٦٦٢ - ٦٦٤ سنة ١٩٠٥ وتكلمة ديريش حسبما أخبر فك في مجلة ZDMG ١٠٢/١٥٨ سنة ١٩٥٢ ) وهو صواب كذلك من حيث المبدأ . غير أنه يدل على من العسير جداً ، تحديد مكان هذه اللهجة ، بل يكاد تحديد زمانها يكون أمراً مستحيلاً ، كما أنه من الحال معرفة متى تم استقلالها عن لهجات الخطاب اليومية ؟ وعلى أيّة صورة حدث هذا ؟ وفي أي زمان اعتبرت بها اللهجات الأخرى ، وصار من اللازم في ظروف معينة استعمالها لغة فصحى .

(٣) إعجاز القرآن ، على هامش الإتقان للسيوطى ( القاهرة ١٣٤٣ ) ١/٣١ .

(٤) في مجلة : Göttingische Gelehrte Anzeigen ( سنة ١٩٠٩ ) ٩/١٦ . Vollers في نقده لكتاب فولرز .

— ٩ —

حقاً ، يمكن للمرء بشيء من التأمل أن يقول بالفرق في طريقة الكلام تبعاً للوضع الاجتماعي للمتكلم ، غير أن هذه التفرقة لا تكون عامة ، وهذا يعني أن أحد النبلاء ، يمكن أن يتقن اللغة الفصحى ، تماماً كما يتقنها أحد العامة . وكان تعلم هذه اللغة حسب قواعدها ، والتحدث بها ، أمراً راجحاً إلى الاستعداد الطبيعي لالتقاط الحاسة السمعية ، للخصائص التي تفرق اللغة الشعرية عن لغة الحديث اليومي . وهذا الاستعداد يمكن أن يوجد لدى العامة والخاصة على السواء<sup>(١)</sup> .

وهذه اللغة الفصحى تعد - كما يقول « بريتوريوس<sup>(٢)</sup> » لغة فنية خالصة ، وتعلوها من طبيعة مميزة على كل اللهجات . غير أنها إذ تجري على ألسنة المتحدثين بهذه اللهجات ، فإنها لم تخلي من تأثير تلك اللهجات فيها باستمرار ، ولعلها اختلفت من جهة إلى أخرى تبعاً لذلك . غير أن الجهد المنظم ، والعاملة على طرد القاعدة ، للغويين المتأخرین ، استطاعت طمس هذه الاختلافات تماماً .

ولنعد مرة أخرى إلى نقطة البداية ، فإنه إذا كان الغويون العرب في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادى ، لا يزالون يذهبون إلى البدو ليدرسوها لغتهم ، فإن هذا يعني بالطبع أنهم يبحثون هناك عمما يفتقدونه في المدن . وهو « العربية ». والمقصود بها في هذه الحالة ، هو لغة الشعر العربي القديم على الأنصح ، التي ظلت حية تروى عن هؤلاء البدو أبداً طويلاً . غير أن هذا فيما يبدو ، لا يعني أن تلك « العربية » تساوى لغة التخاطب عند البدو ، فإن الغويين العرب لم يكتروا بهذه اللغة الأخيرة ؛ لأنهم كانوا يرمون إلى غرض آخر مختلف ، فلقد كان الشيء الوحيد المستثار بجهود الغويين العرب

(١) ولا يعارض هذا أن سادة القول : الكاهن والخطيب والشاعر ، من خاصة القوم في النابل . ومن لهم جدأ ملاحظة ابن جنی - وإن كانت في سياق مختلف - عن الاستعداد الغوى الطبيعي عند البدو على الإطلاق . انظر اقتباس المزهر ( طبعة القاهرة ١٢٨٢ ) ٢٤٩/٢ عن الخصائص : « أرأه ( أي البدوي ) لا يحسن بطبيعة وقوته نفسه ولطف حسه هذا القدر ؟ » وبعده في السطر التاسع من أسفل الصفحة : « قوة حسن هؤلاء القوم ، وأنهم قد يلاحظون بالمرة والطبع ، مالا نلاحظه نحن على طول المباحثة والسامع » .

(٢) في مجلة LCBL ( سنة ١٨٩٩ ) ١٤٠٤ وانظر كذلك تاريخ الأدب العربي لبروكليمان .

دائماً هو العربية الفصحى<sup>(١)</sup>. وإذا حدث هذا فلا عجب أن يمجد اللغويون الإعراب عند البدو حقاً ، ولكن أن يستخلص من ذلك أنه لا وجود للغة بلا إعراب عند البدو على الإطلاق ، فذلك أمر غير مقبول وحجة واهية<sup>(٢)</sup> .

ومن غير المقبول عندي كذلك ، بناء على كل ما سبق ، أن تكون لغة البدو المشتركة الناشئة في أماكن مختلفة ، بسبب اجتماع القبائل والعشائر المتباينة في حياة مشتركة ومجتمعات مغلقة – أساساً خرجت منه عربية القرون المتأخرة الفصحى ، ولا أستطيع الربط بين هجاجتهم وما وضعه النحاة المتأخرون من قواعد العربية .

ويرى « فلك » بعد ذلك أن القرآن الكريم معرب لإعراضاً كاملاً ، ويؤيد كلامه بأمثلة من القرآن ، يراها شواهد مؤكدة على ذلك ، وهي ما يلاحظ فيه من جمل مفرداتها حرفة الحركة ، وذلك لا يحدث إلا في لغة معربة . وإنه لا يشك على الإطلاق ، في أن محمدآ صلى الله عليه وسلم ، قد قرأ القرآن الكريم بالإعراب ، ولكن الدليل على ذلك ليس هو حرفة حركة المفردات في داخل الجملة ، وإنما يمكن الدليل في أن القرآن ليس أقل في الدرجة من أقوال الشعراء والخطباء والكهان ، وهي أقوال لم تصنف بالهجاجات الخطاب العامية ، بل صيغت بالعربية الفصحى<sup>(٣)</sup> .

(١) وكذلك الكتب المؤلفة في « لحن العامة » إنما هي وسيلة إلى غرض هو إثبات الصحة التقوية ، وليس غرضاً مستقلاً ، كما أن هذه الكتب ، لا تروي لنا شيئاً عن لهجة البدو . غير أنه من البديهي باللحاظة على آية حال ، حديث اللغويين عن « السليقية » ، وهي عبارة عن اللغة التي يسترسل فيها المتكلم على سليقه من غير تعمد إعراب ، ولا تتجنب لحن» (اللسان ٢٧/١٢) ولا يعني هذا عنيه إلا أن العربية بلا إعراب كانت موجودة أحياناً لدى البدو كذلك . وانظر أيضاً (اللسان ٢٧/١٢) : « السليق من الكلام ما تكلم به البدوى بطبعه ولغته » . ويشير « فلك » إلى هذا الموضوع ، غير أنه يفهمه بمعنى آخر .

(٢) ومثل ذلك عنيه من التناقض المضلل كذلك ، استشهاد نولذكه (BSS آخر الصفحة الرابعة) برواية سيبويه عن الأعراب ، لأن هذا النثر المروي يبدو أنه من « لغة الحياة اليومية العادمة » . ويبدو أن هذه الجمل قد صيغت للاختبار ، ثم حللت على من سئل في هذا الاختبار (انظر مثلاً التصريف : مررت بـ ١٦٧ من ١٨ الذي أقبسه نولذكه) .

(٣) لم يخطيء « هارتمان » Hartmann في مقاله عن الموضع ٢١٧/١ حين تحدث عن « لغة الشعر المقدسة » ، وكذلك يرى جاير (في المراجع السابق ص ١٨) أنه من المستحيل أن يكون القرآن الكريم ، قد نزل باللهجة الشعبية ، لأسباب مائلة . وانظر كذلك : « صيغة الوقف في العربية القديمة » لبركلاند Berkland من ١٩ السطر التاسع من أسفل .

وأنا لا أعتقد في أن حرية الكلمات في داخل الجملة ، تدل بالتأكيد على وجود الإعراب ، ولتذكرة أنه يوجد عموماً في كل لغة نظام مألف من ترتيب الكلمات في الجملة ، غير أنه يتلزم في حدود معينة ، في أحوال كثيرة لا يرتبط هذا إلا بأهمية كل جزء من أجزاء الجملة على حدة ، فيتحرك بناء على تلك الأهمية في داخل الجملة<sup>(١)</sup> . ويمكن للنهايات الإعرابية في ظروف معينة ، أن تساعده على الفهم السريع للمعنى الذي يفيده السياق والنبر الناتج عن هذا السياق ، غير أنها ليست ضرورية أو فيصلان في ذلك<sup>(٢)</sup> .

وهكذا لا يصح أيضاً في هذا العموم ، أن يعزى « فلك » إلى وضع الكلمات في داخل الجملة ، وظيفة إعرابية ، في مقابل النهايات الإعرابية . صحيح أن اللغة الأدبية ، مع بعض الكلمات والأبنية ، التي تعبّر بطريقة إعرابية تختلف عنها مع الإعراب بالحركات (مثل : أبو / أبي / أبا ، ومثل : ون / ين في نهايات جمع المذكر ) ، بدأ تخلط الحالات الإعرابية ، غير أن هذا لا يعني إلا أن اللغة أصبحت ذات حالة إعرابية واحدة غير متغيرة ، ولا تفهم كما لو كانت صيغة مختلفة في لغة حية غير متصرفة ، بل ليست إلا صيغة واحدة ثابتة .

وإذا قرأ المرء أو سمع إلى جانب ذلك صيغة إعرابية قديمة في استعمال خطأه ، فإن ذلك لا يكون إلا حذلقة صياغية ، نشأت من اعتقاد أن الصيغة ليست حية في اللهجات ، وهذا تعد غريبة على الإحساس اللغوي الطبيعي ، ولكنها بنيت على نمط صيغة أدبية معروفة .

(١) ومع ذلك تخرج بالطبع تلك الحالات التي لا يتلزم فيها الترتيب العادي إلا بسبب الوزن أو القافية . ولا يجوز مطلقاً أن يستخدم الشعر للإشارة إلى الترتيب غير المألف بالمعنى السابق ، وهذا مبدأ لا يمكن أن يؤكده بصورة قاطعة بالنسبة إلى العربية . وكل شروحنا التحول العربي تميز بصورة أو بأخرى ، بعلم مراعاة هذا المبدأ ، وإن كان السبب في ذلك مبررًا بوضوح ، وهو استخدام الشواهد القديمة قدر الإمكان ، وهذه الشواهد ليست إلا شواهد شعرية .

(٢) يصدر المرء في الحكم على هذه المشكلة بمسؤوله عن التراث المكتوب الذي يحتوى على علامات ظاهرة ، كالنهايات الإعرابية ، ترغب وتقدر كثيراً . وفي اللغات الميتة لا يعتمد المرء في الحقيقة : إلا على التراث المروي وحده ، غير أنه في اللغات الحية التي يمكن أن تدرس بالكلام والحديث ، تلعب العوامل السمعية المختلفة دوراً . والخبرات التي يكتسبها المرء ، يجب أن تراعي مع اللغات الميتة ، في دائرة أكثر اتساعاً من ذي قبل ، عند الحكم على ظروفها وأحوالها .

- ١٢ -

أما المثال الذي ساقه «فلك» للتدليل على أهمية الإعراب ، وهو قوله تعالى : «إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى» (سورة النساء ٤ / ٨) ، فإنه ليس مثلاً صالحاً ؛ لأن «أولو» ليس من ناحية الصيغة إلا حالة رفع ، فلا يحوض إذن في وظيفته الإعرابية .

وأما المثال الآخر الذي ساقه «فلك» في هذه المناسبة كذلك ، كما ذكره ابن الأثير في المثل السائر<sup>(١)</sup> ، وهو قوله تعالى : «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (سورة فاطر ٣٥ / ٢٨) ، فإنه يمكن أن يضبط برفع «الله» ونصب «العلماء» غير أنه ينافي العقل . بيد أن الفهم الصحيح لا يتيسر بترتيب آخر للكلمات ؛ فإنه لا بد من وضع كلمة : «العلماء» في نهاية الجملة ، إذا أريد الاحتفاظ بالمعنى المقصود ، الذي يجعل النبر على هذه الكلمة ، فإذا جعلت الجملة : «إِنَّمَا يَخْشَى الْعَلَمَاءُ اللَّهُ» كانت من قصر الفاعل على المفعول . ووضع الفاعل في آخر الجملة إِنَّمَا يَخْشَى بالضرورة من أصل وضع تركيب «إنما» ؛ إذ المعنى : جزء الناس الذي يخشى الله هو العلماء .

ونرجع في هذا المقام على استخدام غير المتكلمين بالعربية للعربية ، من الأقوام الذين خضعوا للإسلام ، في عصر المتوحات الإسلامية الأولى ؛ فإن «فلك» يفسر نطق غير العرب للعربية بلا إعراب ، بأنهم لم يألفوا في لغاتهم ظاهرة التصرف الإعرابي ، فتركوا الحركات الأخيرة ، لصعوبتها عليهم ؛ غير أن ذلك يفترض قدرة على التجريد ، تعتمد على اطلاع لغوی على بناء المورفيمات العربية الخاصة بذلك ، وهو أمر لم يكن متوفراً لدى هؤلاء .

وأسهل من هذا تفسير هذه الظاهرة ، بسماع تلك الشعوب للعربية في صورة غير معرفة ؛ ولذلك لم يكن أمامهم صور أخرى يماكونها ، ولم يكن عند هؤلاء قدرة على التفرقة بين العامية والفصحي . وبعد القرآن الكريم هو المفوج الأول والوحيد لفترة طويلة لهذه اللغة الفصحي ، ويعرفه هؤلاء المسلمين الجدد معرفة جيدة ، ويقرءونه على نمط هذه اللغة .

(١) طبعة القاهرة ١٣١٢ ، صفحة ١٧٥

# تَمِسْكٌ

---

لم يحدث حادث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثراً في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام . ففي ذلك العهد – قبل أكثر من ١٣٠٠ عام – عند ما رتل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن على بني وطنه بسان عربي مبين ، تأكّدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد ، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة . ولا ينحصر هذا في الدور الذي لعبته العربية منذ ذلك الوقت في العالم الإسلامي كافية ، من حيث صارت لغة الدين والحضارة على الإطلاق ، بل يتجاوزه بعدها بأعظام إلى النتائج التي تركتها غزوات الفتح على أيدي البدو تحت راية الإسلام في لغتهم . وبذلك صارت العربية لغة الطبقات السائدة الموجّهة في دولة سرعان ما امتدت رقعتها . في أوج اتساعها وانتشارها بعد سنة ٧٠٠ م – من إسبانيا غرباً ، إلى أواسط آسيا نحو الشرق . وقد زحفت العربية مع الفاتحين البدو فاستقرت في بعض أقاليم الدولة العربية الفتية ، وأضطررت إلى الانسحاب بأخرّة من بعض آخر ؛ كما كانت هناك مناطق استعراض سكانها الأصليون من العربية إحياء ما بلي من هجاتهم على مر الزمن ، وأخيراً أخرى بقيت فيها العربية لغة العلم المعتمدة فحسب . ولم يؤثر سقوط الدولة العربية (الأموية) سنة ٧٥٠ م في مكانة اللغة العربية ؛ بل لقد شهد عصر الازدهار في أوائل الدولة العباسية أقصى درجات العناية بالقواعد العربية ، ثم شهد ، على أثر ذلك مباشرة ، العصر الذهبي للأدب العربي ؛ كما أن انحلال الدولة العباسية إلى دويلات عديدة مستقلة ، ذلك الانحلال الذي أخذ نهايته في حوالي سنة ٩٣٥ م ، لم يزعزع من مكانة العربية ، التي ربطت إذ ذاك جميع أقطار المدنية الإسلامية ، على أنها اللغة الأصلية للعلم والأدب ، برباط جامع وثيق . حقاً لقد رفع العصر السلجوق بشرف العالم الإسلامي من شأن اللغة الفارسية الحديثة ، فجعلها اللغة الرسمية ، لغة السياسة الدولية (الدبلوماسية) ، وترجمان الثقافة العالية ، والأدب الرفيع ؛ ولم يعترض بالعربية إلا على أنها لغة الدين والفلسفة الكلامية فحسب ؛ كما أن الأحداث

السياسية قد دفعت مصر إلى أن تتبأ مكانة الرياسة بين البلدان الناطقة بالضاد بعد الحروب الصليبية وهجوم المغول ؛ وهي مكانة عرف وادي النيل كيف يحتفظ بها إلى هذا اليوم ؟ بيد أن مقام العربية باعتبارها اللغة المعتمدة للعلم والأدب قد بقى حتى هذا العصر الحديث ثابت الأركان ، وطيد الدعائم ؛ ولم يجرؤ إلا بعض دعاة الإصلاح الإسلاميين على توجيه نقدهم اليوم — دون جدوى — إلى عقيدة اللغة العربية الفصحى .

هذه العقيدة التي جعلت من العربية الفصحى نموذجاً مفروضاً ، ومثلاً أعلى يقتفيه كل كاتب عربي ، جعلت من العسير يمكن أن نحصل على صورة واضحة للنمو والتطور الذي أصاب العربية ، ككل لغة حية ، في مدة تربو على ثلاثة وألف عام . ولقد تكفلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل ، وتضحيبة جديرة بالإعجاب ، بعرض اللغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها ، من ناحية الأصوات ، والصيغ ، وتركيب الجمل ، ومعانى المفردات على صورة محيطة شاملة ؛ بحيث بلغت القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لستزيد . ولا تزال القواعد الأساسية المذكورة تعد اللغة العربية لغة متصرفة بمعنى الكلمة ، محافظة على نهایات الإعراب والتصرفات المختلفة ، كالضمية في حالة رفع الاسم والفعل ، والكسرة في حالة خفض الاسم ، والفتحة في حالة نصب الاسم والفعل إلخ . ولما كانت علامات الإعراب هذه قد تلاشت منذ أجيال عديدة في العالم العربي كله ، سواء على لسان عامة الشعب ، في القرى والمدن ، أم في شتى أساليب الكلام المخاري على ألسنة الطبقات المثقفة ، بل في لهجات البدو أنفسهم ، فقد صار الإعراب هو الفارق الذي يميز عند المثقفين العرب بين العربية الفصحى وجميع القوالب والأساليب المولدة ، حتى اللهجات الدارجة ، واللغات العامية ، بيد أن هذا الإعراب ، أي الطريقة الخاصة التي كان ينطق عرب البداية على مقتضاهما ، هي في ذاتها سطحية ، بحيث لا تكفي وحدتها لتكون ميزة لغة الفصحى . وليس من النادر أن نجد الإعراب مجرد حلية فارغة يقصد منها إلى إعارة نوع من التعبير ، في قالب مخالف للفصحى في جوهره ، مسحة زائفة من الفصحى ، وإذن فجوهر القالب اللغوى وحقيقةه هو

الذى يميز الطابع الصحيح للعربية الفصحى . ومن هنا يصح أن نقول : إن التحرر من الإعراب قرينة أكيدة على العربية المولدة ، لا العكس ، أى أنه ليست العربية المولدة منحصرة في التحرر من الإعراب .

لقد احتفظت العربية الفصحى ، في ظاهرة التصرف الإعرابي ، بسمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية — باستثناء البابلية القديمة — قبل عصر نوها وازدهارها الأدبي . وقد احتمم النزاع حول غاية بقاء هذا التصرف الإعرابي في لغة التخاطب الحى . فأشعار عرب البايدية — قبل الإسلام وفي عصوره الأولى — ترينا علامات الإعراب مطردة كاملاً السلطان . كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحويين العرب كانوا — حتى القرن الرابع المجري والعشر الميلادى على الأقل — يختلفون إلى عرب البايدية ليدرسوا لغتهم ، تدل على أن التصرف الإعرابي كان في أوج ازدهاره آنذاك<sup>(١)</sup> . بل لا نزال حتى اليوم نجد في بعض البقايا الجامدة من لهجات العرب البداء ظواهر الإعراب . أما أن أقدم أثر من آثار النثر العربي ، وهو القرآن ، قد حافظ أيضاً على غاية التصرف الإعرابي ، فهذا أمر ، وإن لم يكن من الواضح والجلاء بدرجة الشعر ، الذي لا ترك أوزانه مجالاً للشك في إعراب كلماته ، فإن حرية الحركة في بناء جمل القرآن لا ترك أثراً للشك في إعرابه كذلك . انظر مثلاً سورة فاطر ٣٥ / ٢٨ . «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» .

وسمة التوبة ٩ / ٣ : «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ» . . .

وسمة البقرة ٢ / ١٢٤ : «إِذَا أُبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ» .

وسمة النساء ٨ / ٨ : «إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى» .

فشل موقع الكلمات في هذه الآيات (كالاستعمال اللاتيني matrem amat filia

الأُمُّ تُحِبُّ الْبَيْتُ) لا يمكن أن يكون إلا في لغة لا يزال الإعراب فيها سليماً صحيحاً . يضاف إلى ذلك شهادة القرآن نفسه ، كما في سورة النحل ١٦ / ١٠٣ : «وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ» . وتصريح من هذا أنه لم يتم عند محمد ومعشره فرق هام بين لغة القرآن ولغة العرب ، أى قبائل البدو . ولا يمنع ذلك أنه كانت هناك فروق

(١) انظر أمثلة لذلك في الفصلين السادس والتاسع من هذا الكتاب .

بين لهجة مكة ولهجات الادية ، وبين هذه الأخيرة بعضها مع بعض . فها هي ذي قواعد رسم المصحف تدل على أن مكة قد تحررت من تحقيق الممز ، كما أن لغة القرآن تختلف اختلافاً غير يسير عن لغة الشعراء ، فهي تعرض ، من حيث هي أثر لغوی ، صورة فلذة لا يدانها أثر لغوی في العربية على الإطلاق<sup>(١)</sup> .

(١) على أساس هذا الاختلاف بين كارل فولرز K. Vollers في كتابه : Volkssprache im alten Arabien, Strassburg 1906 und Schriftsprache im alten Arabien نظرته اللافتة للانتظار ، من أن القرآن كان في باديء الأمر بلسان محمد ، يعني بلهجة مكة المخالفة من ظواهر الإعراب ، وأنه يدين بأسلوبه الذي وصل إلينا ، إلى تقييم خاص مع القواعد التي اعتمدت في العربية على الأخص من حيث الإعراب . وهذه النظرية التي تناولها نولدكه Nöldeke بنقد يرفض التسليم بها في كتابه : Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissen — ٥ — I 1910 schaft, Strassburg 1910 أثار الكلام فيها من جديد باول كاله P. Kahle في كتابه : The Cairo Geniza, London 1947, p. 78 - 84 وإن كان في قالب معتدل . وقد ساق كاله هنا ، وبتفصيل وبسط في مقاله The Qur'an and the Arabiya المنشور في الكتاب التذكاري لذكرى المستشرق « جولديسبر » ، ص ١٨٢ - ١٦٣ ، عدداً من النصوص والروايات التي تحدث المسلمين عن مراعاة الإعراب في ترتيل القرآن : نعم لا تدل هذه الروايات على أن القرآن في حياة محمد قد تم في أواسط المسلمين دون إعراب ، وقد عرف النقاد المسلمون أنها موضوعة مزيفة ، وأبقوها بعيدة عن الكتب المعتمدة - ولكنها تدل على أن ترك الإعراب قد حصل في وقت متاخر ، وأن النهاية رأوا من الضروري أن يعملوا على محاربتها . وقد ساق كاله ، في كتابه السالف الذكر ، نقلة عن الفراء المتنوف سنة ٢٠٧ ، في نفس عرب يتضمن بعض هذه الروايات مع بيان طبيعة التحوى الكوفى الفضلي في موضوع بلاغة القرآن . وفي هذا يؤيد الفراء مذهب أهل السنة من أن القرآن نزل بألفاظ اللغات ، ويؤيد على بعض علماء الشرف ، ورواية الأخبار التاريخية عن عرب الادية ، الذين لا يدرون أن يتلمسوا إعجاز القرآن في قوله الله تعالى بل يرون كمال الفصاحة في لغة عرب الادية ، ثم يختلفون ( الكوفيون والبصريون والمدنيون والمسكيون ) . حول أي القائل أفصح ؟ حسب اختلاف جواد كل منهم لقبيل من العرب ، فيذهب الفراء ودائماً على جميع هؤلاء إلى أن لغة قريش أفصح أساليب العربية على الإطلاق . ومن ينكر عقيدة الإعجاز اللغوی في القرآن أهل الاعتزاز من علماء اللغة . وقد أخذ تفسير الإعجاز القرآن عند المعززة مذاهب شتى ( انظر : Goldziher, Muh. Studien 2, 401 من آخر القرن الثاني ، ب بحيث لم يعد ، كما يرى السنى المحافظ إبراهيم الحرف ، المتنوف ٢٨٥ ، غير أربعة من نحاة البصرىين الذين لا يتعلّق الشك بثقتهم وصحّة مذهبهم ( انظر تاريخ بغداد ٤١٨/١ ) وكان الفراء نفسه يميل إلى الاعتزاز ، ولكن ذلك لم يمنعه من موافقة مذهب أهل السنة في موضوع إعجاز القرآن كما ذكر . وقد روى عنه أنه أتى بشدة اللامنة على أبي عبيدة في محاولة تفسير بجاز القرآن من الوجهة اللغوية ( تاريخ بغداد ٢٥٥/١٣ ) .

- ١٧ -

القرآن ، لأول مرة في تاريخ اللغة العربية ، ينكشف الستار عن عالم فكري ، تحت شعار التوحيد ، لا تعد لغة الكهنة والعرافين الفنية المسجوعة إلا نموذجاً واهياً له ، من حيث ظاهر وسائل الأسلوب ، ومسالك المجاز في اللفظ والدلالة ، على حين أن هذا الأمر العظيم ، الذي وجد التعبير الموائم لمضمون جديد برمته ، إنما يصور مجهاً للحمد صلى الله عليه وسلم جدًّا أصيل<sup>(١)</sup> ، لا ينقص من قيمته أنَّ مُحَمَّداً نفسه كان يرى أنه وحيٌ إلهي تلقاه في أوقات الاستغراف الديني . والاستعمالات القرآنية الخاصة ، التي تحتوى هي أيضًا على مخالفات القواعد العامة ، تعد في مستوى مغاير للشذوذ المخالف المراتب ، بالنسبة للتصرف الإعرابي ، في العربية الفصحى والعربية المولدة . وقد بدأ التطور إلى العربية المولدة حينما انتقلت العربية بعد وفاة الرسول (عليه الصلاة والسلام) مباشرة عن طريق الغزوات الكبرى في العهد الإسلامي الأول ، إلى خارج حدودها القديمة ، في مواطن لغوية أجنبية .

= وقد عالج Kahle آراء الفراء مرة أخرى في مقاله : The arabic Readers of the Koran ( Jurnal of Near Eastern Studies 8, 1947, p. 65-71 ) . وأراد أن يعتبر من منكري إعجاز القرآن الغربي ، قراء القرآن الأولين في المدن الإسلامية الكبرى ، الذين رحلوا خالطة عرب البادية الخبيثين في جوارهم ، قصدًا إلى دراسة روایاتهم عن شعراء البلو ، ووضع قواعد مستنبطة من لغة الشعر لقراءة النص القرآني على مثاثلها ، وهو يفترض أن هذه الشرورات العملية هي التي أوجدت الباعث إلى جمع شعر الجاهلية وكتابته في أوائل العصر الإسلامي . وعلى أساس هذه المادة التي تم جمعها ، وضعت لغة نموذجية ، كان الإعراب من ميزاتها ، ومن ثم دخل الإعراب في قراءة القرآن . وانظر في الرد على هذا الرأي الفاسد لباول كالف : كتابنا نصول في فقه العربية ٣٣٦ - ٣٣٣ (المترجم) .

(١) هذا على ما يعتقد الفريبيون من أن القرآن كلام محمد صلى الله عليه وسلم . ولا تخفي مخالفته لهذا المقدمة الإسلام (التجار) .

(٢)

## العلاقات اللغوية

### في عهد الدولة العربية (الأموية)

٧٥٠ / ١٣٢ - ٦٣٢ / ١١

كانت هجرة القبائل العربية ، عقب وفاة محمد (صلى الله عليه وسلم) سنة ٦٣٢/١١ ، إيداناً بشروق شمس عصر جديد للغة العربية . ففي مدة بضع عشرات من السنين حلت قبائل البدية ، في غزوات الفتح ، لهجاتها نحو الشمال إلى فلسطين وسوريا وبلاد الرافدين حتى جبل طوروس وجبال أرمينية ، ونحو الشرق ، عبر العراق ، إلى إيران ، ونحو الغرب ، عبر شبه جزيرة سيناء ، إلى مصر وشمال أفريقيا ، ولم تكد تمضي مائة عام على وفاة محمد (عليه السلام) حتى امتدت الدولة إلى سفوح البرانس في المغرب ، وإلى أواسط آسيا على شواطئ نهر الهند في الشرق ؛ وهذا التغلغل الذي قامت به اللغة العربية ، إلى مناطق كانت تستوطنها لغات أخرى ، لم يكن ليحدث دون تأثير أو تغيير ، وإن اختلفت نتائج هذه العلاقات الجديدة ، حسب اختلاف الأحوال ، في مظاهرها وظواهرها . ولقد احتفظت كثیر من القبائل البدوية في البلدان المفتوحة كذلك ، بطريقة حياتها البدوية ؛ وحافظت بذلك على سلامه لهجاتها وخلوصها . ولهذا كان لا يزال ممکناً في أوائل العهد العباسى ، أن يلاقى المرء من جنوب البرتغال في الغرب ، إلى خراسان في الشرق ، قبائل عربية ، وأن يسمع من أنواهاها عربية بدوية خالصة ، لا تشوبها هجنة ولا عجمة<sup>(١)</sup> . ومن جانب آخر لقد أدى عهد الفتح إلى بث روح من القوة في صيم العربية ، وإلى توحيد لهجات البدو أنفسهم . فعلى غرار البدو من غير العرب ، كقبائل الترك مثلاً ، لم تكن لهجات القبائل البدوية بالجزيرة العربية بعيدة الاختلاف من الوجهة اللغوية بحيث لا يمكن التفاهم ، حتى بين القبائل المتبااعدة بعضها عن بعض في السكنى والجوار ؛ إذ إن أغلب الفروق – فيما يظهر – كانت في الأصوات ، والأبنية ، والمعنى ؛ أو على الأقل هذه هي الفروق التي لفتت

(١) انظر الفصلين السادس والتاسع من هذا الكتاب .

— ١٩ —

أنظار اللغويين العرب ، الذين نعتمد على أخبارهم وحدتها في معارفنا عن اللهجات البدوية<sup>(١)</sup> . ومن تلك الفروق — مثلاً — : العنونة ، أي النطق المفعم للهمزة<sup>(٢)</sup> ؛ والسكسكسة ، وشبيهها الكشكشة ، أي إيدال السين أو الشين من الكاف ؛ والتلتلة ، أي كسر حرف المضارعة ؛ [ والعجمجة ، أي ] قلب الياء المشددة جيماً في النسبة [ مثلاً ] ؛ وأخيراً الأمثلة التي لا حصر لها من استعمال لفظ عند قبيلة ، في صيغة تناقض صيغته عند أخرى ، أو يعني مختلف كذلك . فهذه الخصائص اللهجية ، قد صُرِّحَت إلى حد بعيد في عهد الفتوحات التي وَحَدَّتْ القادرین على حمل السلاح من مختلف القبائل في سبيل التعاون في الجهاد . يضاف إلى ذلك أن السياسة الواسعة الأفق التي امتاز بها الخليفة الثاني ، عمر العبرى ، المؤسس الحقيق للدولة الإسلامية الكبرى ( حكم ٦٣٥/١٣ - ٦٤٤/٢٣ ) قامت ببساط لا يستهان به في سبيل توحيد اللغة ، وإنشاء لسان مشترك بين قبائل البدو جميعاً ؛ كما حفظت العربية من الأضمحلال والانحلال . فلكل يحفظ عمر شعبه العربي من التلاشى في جاهير الشعوب المغلوبة ، التي تفوقهم بكثرة العدد حرم عليهم أن يتذكروا الضياع في الأقاليم الجلدية ، أو أن يتخلدوها لهم وطناؤ ومقاماً ؛ كما جعلتهم بعزل عن المدن الكبيرة في البلدان المفتوحة ، ما عدا سوريا التي كانت استعرت إلى حد كبير قبل الإسلام ، عن طريق القبائل العربية التي هاجرت إليها<sup>(٣)</sup> ، فأسكنتهم في معسکرات من الخيم ، كانت نواة للمدن العظمى في العالم الإسلامي ، التي نشأت في بضع عشرات من السنين ، كالبصرة والكوفة ، والقدس ، وغيرها . وبينما كانت تقيم هنا مختلف القبائل والعشائر في جوار قريب ، اكتسبت أيضاً لهجاتهم قوة وفتوا ، ونشأت لغة بدوية مشتركة وضاعت الأساس لعربية القرون المتأخرة الفصحى .

حقاً لم يكن ممكناً أن يبقى حد فاصل ، بين الفاتحين العرب والمغلوبين على أمرهم من غير العرب ، قائماً على الدوام . لقد كانت توجد في جميع الأقاليم مناطق زراعية ، لم يكن لأحد من السكان الأصليين عليها حق قانوني : الضياع

(١) يقدم كثيراً من النصوص : H. Kofler : WZKM ( Wiener Zeitschrift für Kunde des Morgenlandes ) Band 47 - 49.

(٢) ليس هذا التعبير مصرياً ، لأن العين ليست صوتاً مفعماً (شبيال) . والصواب أن يقال : أي إيدال همزة عيناً (المترجم) .

(٣) انظر لنلهوازن : Wellhausen : a ( Skizzen, 6, 51 ff. b ) Reich 83

— ٤٠ —

الملكية للأسر المغيرة من الحكم ؛ الأملالات التي انقرض ملاكها ؛ الترکات التي هرب أصحابها أو نفوا ؛ إلى غير ذلك . هذه الضياع والأملالات احتازها ولاة الأمر في العهد الجديد على صورة إقطاعيات . وهذه الطبقة السائدة ، من المالك العظام ، كانت على اتصال دائم بالسكان الوطنيين ، مهما كان هؤلاء — من حيث قلة العدد — أضعف من أن يؤثروا أثرًا ظاهرًا في تكييف العلاقات اللغوية وتغييرها . بل لقد كانت أكثر من ذلك كثيراً تلك الطائفة التي تتحقق بكل جيش عربي من غير العرب ، من العبيد ، والخدم ، والتجار ، والباعة وغيرهم ، من كانوا يقدمون الخدمات المختلفة لسادتهم الجدد ، ويخلقون بذلك مشكلة لغوية غير هينة . ومن هنا نشأت بالضرورة لغة للتتفاهم ، لا يمكن أن نصورها بسهولة كافية إذا ضربنا لها مثلاً : *Pidgin - English* ، أو *Jingua franca* أو غيرهما من اللغات المصطنعة لتقريب التفاهم عند الضرورة<sup>(١)</sup> وقد استعانت لغة التفاهم المذكورة بأبسط وسائل التعبير اللغوي ، فبسطت الحصول الصوتي ، وصوغ القوالب اللغوية ، ونظام تركيب الجملة ، ومحيط المفردات ؛ وتنازلت عن التصرف الإعرابي ، واستغفت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة وتصريفها ، كما صاحت بالفرق بين الأجناس التحوية ، واكتفت بعض القواعد القليلة الثابتة عن موقع الكلمات في الجملة ، للتعبير عن علاقات التركيب . وفي أي صورة كانت تصدر هذه اللغة الجديدة ؟ هذا ما تشير إليه قصة تاجر الدواب ، الذي باع جنود المسلمين دواب رديئة ، فاستنطقه الحجاج ، فأجابه : « شريكتنا في هوازها وشريكاتنا في مداينها وكما تجي تكون » ؛ أي أن هذه الدواب قد وصلت على ما هي عليه من رداءة من شركائه في بلادهم بالأهواز والمدائن<sup>(٢)</sup> . ولم تكن أقل من ذلك عدداً تلك الجماعات غير العربية ، التي وقعت في الأسر في أثناء حروب الفتح ، والتي دخلت معسكرات الفاتحين وبيوتهم عبيداً وإماء ، فوجدت نفسها فجأة وسط

(١) *lingua franca* اصطلاح أورب يقابل في بلاد الشرق تعبير : اللغة الإفرنجية ، وهي خليط من الكلمات الإيطالية والفرنسية واليونانية وغيرها ، يستعمله المشارقة في التفاهم مع الأوروبيين . و *Pidgin - English* اصطلاح على لهجة إنجليزية مبسطة محورة من القيود اللغوية ، يعبر التفاهم بها بين الإنجليز والأجانب ، على الأخص في بلاد الشرق الأقصى . و *Pidgin* كلمة محرة عن : *business* الإنجليزية ( التجار ) .

(٢) البيان للمباحث ٦٨/١ وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢/١٦٠

جماعة تححدث العربية ، واضطربت إلى استعمال لسان السادة ولهجتهم . وبهذا عانت العربية على لسان غير العرب من تغيرات هددت بالمسخ صورة وقها وجسرتها ، وطبيعة تكوينها وتركيبها في الصميم . وتفاصيل هذا التطور غير معلومة لنا ، بسبب انعدام أخبار المعاصرين . بيد أن المؤلفات المتأخرة عن ذلك قد حفظت لنا مقداراً كبيراً من الأخبار عن الأخطاء اللغوية ، التي وإن كان كل منها على التفصيل ليس بذى قيمة خاصة ، إلا أنها في مجموعها تؤكد نوعاً من الخصائص والسمات بصورة مستفيضة ، بحيث يجوز لنا أن نعتبرها طابعاً مميزاً لهذا التطور . وهكذا نجد أن غير العرب يستبدلون بأصوات عربية معينة ، أخرى أسهل عليهم ، بحيث كان العربي يدرك من ذلك التبدل ما إذا كان الناطق فارسياً أو نبطياً . وقبل كل شيء ، نجد التعارض مع قواعد النحو والتصرف العربي للأسماء والأفعال كثير الذكر في الأخبار ، دليلاً على أن ترك التصرف الإعرابي كان من أول السمات على الخطأ في طريقة التعبير . هذا ، ولم تكن هناك لغة واحدة بين اللغات التي التقت بها العربية في عهد الفتح ، كانت محتفظة بنظام تصريفها القديم ؛ ولهذا كان من الشاق العسير على الأجانب الذين اضطروا إذ ذلك إلى استخدام العربية ، أن يتبعوا القواعد والنظم المعقدة للجملة العربية القديمة ؛ فأثروا التصرف بواسطة أساليب التعبير التقريرية ، التي اعتادوها في لغاتهم الأصلية ، وحددوا حركات الإعراب الأخيرة . ومن المعلوم أن الروايات العربية تقرن أوائل النحو العربي بـأبي الأسود الدؤلي (المتوفى ٦٨٩/٦٩) ، الذي يقال إنه وضع أساس هذا العلم ، إما بداعم من نفسه ؛ أو بأمر من الوالى الأموى زيد بن أبيه ؛ أو بإرشاد من الخليفة على نفسه ، لحفظ لغة القرآن من الفساد ، على المسنة الداخلين حديثاً في الإسلام<sup>(١)</sup> . وعلى الرغم من أن هذه الروايات المتفرقة المتضاربة غير تاريخية بالمعنى الصحيح ، فإن فيها ما يشير إلى أن اتخاذ المسلمين الجدد لغة العرب لساناً لهم كان هو الدافع الأول للملاحظات النحوية . . . وإلى أى حد كانت صعوبات التصرف الإعرابي هي الموجهة لقواعد النحو

---

(١) طبقات ابن سلام و بإرشاد الأريب ٤/٢٨٠ و نزهة الألباء ٣-٤ والمثل السائر لابن الأثير ٥/١٢٨٢ . وقد ساق ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢/١٥٨ كلمة منسوبة لأبي الأسود في الحن .

الناشرة؟ هذا ما تدل عليه الاصطلاحات التي ترتيب الطواهر اللغوية ترتيباً سطحياً بحثاً بالنظر إلى حركات أواخر الكلمات ، بقطع النظر عن اختلاف وظيفتها النحوية فيها هو ذا الخليل بن أحمد (المتوفى ١٦٠ هـ ، أو ١٧٠ هـ) ، أقدم علماء النحو ، الذي أنقذت مصادفة سعيدة<sup>(١)</sup> اصطلاحاته ، يستعمل الرفع في الاسم المضوم المنون ، وكذلك انخفاض في الاسم المجرور المنون ، والنصب في الاسم المفتوح المنون ؛ على حين يسمى بقية الحركات العاربة من التنوين في الأحوال والصيغ المختلفة ، بأسماء الحركات العامة ، أي الضم والكسر والفتح ، كما أنه يسمى بالجزء حركة الكسر التي تربط بين آخر الصيغة الفعلية وهمة الوصل<sup>(٢)</sup> . ولا يوجد عنده ما يدل على تأثير النظرية القائلة بأن اختلاف حركات الكلمات المتصرفة متوقف على العامل النحوي ، إلا في التفرقة التي جعلها بين التوقيف ، أي عدم الحركة في أواخر الحروف وما شاكلها ، والجزم ، أي سكون الفعل المجزوم . وعند تلميذه سيبويه نجد التقسيم الثنائي إلى مغرب ومبني قد انتقل إلى المصطلحات كذلك ، فهو يطلق الرفع والجزء والنصب على النهايات الإعرابية التي تتعارض الكلمات العربية ، ويستخدم الضم والكسر والفتح للحركات وأواخر الكلمات المبنية<sup>(٣)</sup> . ولكن لا تفرقة عنده ولا عند البصريين المتأخرين<sup>(٤)</sup> بين الاسم والفعل المرفوعين ، والمتصوبيين ، في تسمية الحركة ؛ والفعل غير الثام يسمى المضارع أي المشابه للاسم في تصرفه ؛ ولا توجد عنده اصطلاحات خاصة لأحوال الاسم ، وتغيرات الفعل ، بل تصرف الاسم والفعل بوجه عام . وإن فالإعراب ، أي التعريب أو الاستعراب اللغوي ، بمعنى النطق على طريقة العرب الخلص ، يتجلّى في الدقة الثامة في مراعاة دقائق التصرف الإعرابي .

هذا ، واتخاذ العبيد والجواري لإدارة المنازل في العهد الإسلامي المبكر ، يحمل ما يشبهه فيدور الذي لعبه الرقيق من الزنوج<sup>(٥)</sup> بوجه خاص في

(١) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) عبارة مفاتيح العلوم (عن الخليل) : والجزء مأogue في أعجاز الأفعال المجزومة عند استقبال ألف الوصل ثم لم يذهب الرجل .

(٣) سيبويه (١٣١٦ هـ) ٢/١

(٤) انظر أيضاً مفاتيح العلوم ص ٢٩ .

(٥) انظر في هذا الموضوع : B, Moritz : Arabien 47

الجاهلية . فالمَثَلُ الذي نجلده في شاعر المعلقات «عنترة» وغيره من أغربة العرب <sup>(١)</sup> ، أى المتنمرين إلى آباء من العرب وأمهات من زنوج أفريقية ، يدل على أن الزنوج سرعان ما يصيغون ألسنتهم بلغة ساداتهم . ولا بد أن يكون اختلاف الألسنة في المدن التجارية ، لكثره سكانها الأخلط ، كما في مكة مثلا ، أقوى من ذلك كثيراً . وتحتوي آية سورة النحل (١٦/١٠٣) ، في الطور المكى الثالث ، على إشارة عابرة إلى اللغة الأجنبية : «لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ» ، أى الرجل الذي توهمه أعداء محمد معلمًا له . ومن أقدم حواربى الرسول بعده بلال الحبشي ، أول مؤذن في الإسلام . وهناك صاحب قديم آخر من صحابة الرسول : صَهَيْبُ بْنُ سَنَانٍ ، وهو وإن كان عربي الأصل إلا أنه اخترقه البيزنطيون في طفولته فريوه ، والمذكى كان ينطق العربية بلكتة بيزنطية <sup>(٢)</sup> . كما يروى عن معاصر ثالث للرسول : سُحَيْم المشهور بعد بنى الْمُحَسَّسَاتِ ، الشاعر المشهور ، أنه كان يرتكن لكتنه أجنبية ، ولكن نظراً إلى أنه صار في عهد مبكر بطل رواية غرامية ، لم تعد التفاصيل التي تخبر عن لكتته التوبية أو الحبشية جديرة بالثقة <sup>(٣)</sup> . وعلى الرغم من ذلك فقد كان عدد أمثال هؤلاء الأجانب من القلة بحيث لم يكن لهم تأثير في طابع العربية <sup>(٤)</sup> . ولكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة إلى أسرى الحروب في العهد الأول للفتوحات الإسلامية . فقد كان عدد هؤلاء وفيراً ، وأخذ في الازدياد ، إذ كانوا يتمتعون بحقوق النسب والمصاهرة ، وكان لهم أن يشتروا أنفسهم ،

(١) نقائض جرير والفرزدق ص ٣٧٢

(٢) الإصابة لابن حجر (١٣٢٨/٥) . ورواية الجاحظ (البيان ٣٢/١) أن صهيباً كان يقول : إنك طائن ، يريد إنك طائن ، تشير فقط إلى أن العرب قد لفت نظرهم في اللهجة الرومية إبدال اللاء هاء .

(٣) الجاحظ (البيان ٣٢/١ وانظر الكامل للبرد ١٠/٣٦٦) يروى مثلاً لذلك قوله : سعرت ، بدلاً من شرت . أغاف ٢٠/٢ ، روى عنه : أحسنت بدلاً من أحست . وعمل التقىض من ذلك روى عنه ابن قتيبة (الشعر والشعراء ص ٢٤١) وابن جن في سر الصناعة كما في خزانة الأدب ٢/٢٥٧) أحسنك ، بدلاً من أحست ، أى أنه يصوغ الضمير المتصل للمفرد المتكلم على مثال اللهجة الحبشية . انظر في هذا : Nöldeke, BSSW 21, Anm. 2.

(٤) انظر كذلك نطق أحد العبيد السود في حكاية ذكرها المفضل بن سلمة في الفاخر (رقم ١٦٣) وفيها كثير من الألفاظ التي تدل على عدم تمكّن الأجانب من العربية (شيتالر) .

— ٢٤ —

ويحرر روا رقابهم ، كما كان يعد قربة إلى الله تحريرهم بالإعتاق . وقد تألفت من هؤلاء العتّيق أو المولى ، بعد أجيال قليلة ، الطبقات الدنيا والوسطى من المجتمع الإسلامي ، وامتلكت العناصر الطاحنة من هذه الطبقات زمام اللغة التي تطّلّقها الطبقة العربية العليا ، على حين بقي السواد الأعظم عند أسلوب لغوى دارج ، ظهرت فيه ، بواسطة ترك التصرف الإعرابي قبل كل شيء ، سمات العربية المولدة . ومن هذه اللغة الدارجة في القرن الأول ، التي أخذت — كما يبدو — بعض الخصائص المحلية في المدن المختلفة ، نشأت اللهجات المتأخرة في المدن الإسلامية .

استمر احتكاك العربية بلغات العالم المحيط بها بضعة قرون ، خرجت منها تدريجياً بمحضوطاً الحال . ففي بادئ الأمر ، قدمت العربية لأقاليم دولة الخلافة مجرد خيوط واهية في شبكة تتّالف خيوطها الأساسية من التعبيرات المتعارفة لدى السكان الأصليين . وقد كانت قوة تلك الخيوط العربية موقوفة على قوة الجيوش العربية ، والإمدادات اللاحقة بها ؛ كما كانت تتناقص بوجه عام كلما ازداد البعد عن الوطن القديم . وقد هاجرت مع قبائل البدو ، الذين فتحت لهم غزوات الفتح مراعي جديدة لم تكن سعتها وعظمتها في حسبيان ، لهجاتهم ولحونهم حتى حدود الدولة . وإذاء هذا تمكّن السكان الأصليون في أول الأمر بالهجرات البالية . فقد كان الفلاحون ، الذين يسمّيهم الكتاب المسلمين بالأنباط<sup>(١)</sup> ، والذين كانوا يؤلفون في المنطقة اللغوية الآرامية جمهور السكان الزراعي ، ينطقون اللهجات الآرامية . وأمثال هؤلاء النبط كانوا يوجدون في سوريا ، على الرغم من أن هذا الإقليم كان قد شهد هجرة عربية قوية قبل الإسلام ؛ وفي بلاد الرافدين ، وفي الأرض الزراعية الخصبة من سواد العراق . وكذلك في المدن لم تتغير العلاقات اللغوية إلا بمقدار الزيادة التي أضافتها العربية الجديدة إلى ما فيها من تعدد الألسنة . وفي أي صورة من البطء أخذت العلاقات تتغيّر ؟ يدل على ذلك الحقيقة الثابتة ، من أن اللغة اليونانية في غرب الدولة ، والفارسية في شرقها ، ظلتَا قرناً كاملاً لسان الحكم والإدارة ، وحتى في المدن الناشئة في مواضع المعسكرات العربية ، كالبصرة والكوفة ، كان سيل العناصر

الإيرانية من القوة بحيث كانت اللغة الفارسية تتحل مكان التصدر في القرن الأول . ففي البصرة كانت أسماء الأمة المنسوبة إلى الأشخاص تختتم عادة بمقطع : - آن<sup>(١)</sup> ؛ وهكذا كانت تسمى القطاعات الكثيرة بأسماء أصحابها ، مثل : مهليبان ، أميستان ( نسبة إلى أبي أمية ) ، جعفران ( نسبة إلى أم جعفر ) ، عبد الرحمنان ، عبيدين اللان ويوجد بين أسماء الفتوحات الهمامة بالبصرة صيغ ، مثل : خالدان ، طلحتان ، وأشار الأمثلة من هذا النوع اسم : رباط عبادان<sup>(٢)</sup> . وفي الفرق العسكرية الساسانية التي انضمت إلى العرب ، بقيت الفارسية لغة الخدمة في الجيش ، على حين كان بعضهم ، ولا سيما الرُّط ، والسياجحة ، والأندغار ، يحملون أسماء قبائلهم الهندية ، التي انتظموا منها في الجندي<sup>(٣)</sup> . وكان الفارس منهم يحمل اللقب الفارسي لمرتبته ، وهو : أستوار<sup>(٤)</sup> ، الذي جمعه العرب على أساورة ، ونسبوا إليه : أستواري . وفي هذه الأوساط نشأ عبيد الله بن زياد ( حوالي ٣٠ - ٦٧ هـ ) الذي صار فيما بعد والياً على العراق<sup>(٥)</sup> ، إذ كانت أمه مرجانة ( مرجوت<sup>(٦)</sup> ) - ويدل الاسم على أن أصلها غير عربي - قد تزوجت الفارس شيريويه<sup>(٧)</sup> ، Sheroe ،

Grundriss der iranischen Philologie 1 2, ١٧٦, Nöldeke ZA ١٢, ١٨٣ (١)

(٢) أخذت هذه الأمثلة منباب الخاص بتقسيم البصرة في كتاب البلاذرى ص ٣٧٢ - ٣٤٦ وفيه كثير غير ذلك . ومن هنا أيضاً أخذ ياقوت القائمة التي ذكرها في معجم البلدان ٦٤٥ / ١ ولا يمنع هذا من وجود تسميات عربية مخضة مثل : المسارية ( بلاذرى ص ٣٦٤ ) .

(٣) البلاذرى ص ٣٧٥ وانظر أيضاً G. Ferrand EI (Enzykl. des Islam) IV : Marquart: في الجلة التذكارية لساخاو ٢١٤ und ١٣٣٦ Ed. Sachau ٢٨٥

(٤) في الجلوية : asvär وفي الفارسية الحديثة ( سفار ) وفي القواميس ( أسفار ) انظر :

P.Horn Grundriss der neupersischen Etymologie ١٦٥ Nr ٧٤٩.

(٥) انظر : Zettersteen EI, IV ١٥٦٦

(٦) يرجع لفظ مرجان بواسطة الله الآرامية ( مر جانيتا ) إلى اللغة اليونانية انظر : Sachau على المعرف للجو اليق ص ٦٥ .

(٧) Sheroe شيريويه بالعربي أحد الأسماء الكثيرة التي عالجها بالتفصيل Nöldeke في : ff. ٤ ( SWA ١٦, I ) Persische Studien I . وما يدل على صرفة العرب بأن لفظ : شير معناه الأسد ، قوله ابن منذور ( المتوفى سنة ١٩٨ هـ ) في رجل اسمه شيريويه : وسمى اليوث بالفارسية ( أغاف ٢٧ / ١٧ ) . وكان القصر الذي بناه شيريويه المذكور لمراجنة ، يسمى بالفارسية : هزاردار أي ذو الألف باب ( بلاذرى ٣٥٩ ) .

- ٢٦ -

وسمح لها أبوه ، زياد بن أبيه ، أن تختفظ بطفلها معها ، ولذلك كان عبيد الله ينطق عربية غير فصيحة<sup>(١)</sup> ، فيقال إنه كان ينطق الهاء بدلاً من الحاء ، والكاف بدلاً من القاف – كما روى عن مولى لأبيه أيضاً ، وهو : « فَيْلٌ » الغنى ، أنه كان ينطق الهاء بدل الحاء ، والهمزة بدل العين<sup>(٢)</sup> – وأنه (عبيد الله) قال عن الأرض : است الأرض ، وأمر الجنود يوماً فقال لهم : افتحوا (أى سُلُوا) سيفكم ؛ مما دعا ابن مفرغ الشاعر أن يسخر منه بقوله :

وَيَوْمَ فَتَحَتَ سِيفَكَ مِنْ بَعِيدٍ أَضَعْتَ وَكْلَ أَمْرِكَ لِلضَّيَاعِ  
وَيَرُوِي أَنْ مَعَاوِيَةً أَوْصَى زَيَادًا ، الَّذِي كَانَ خَطِيبًا مَفْوَهًا<sup>(٤)</sup> ، أَنْ  
يَصْلِحَ مِنْ لِسَانِ ابْنِهِ ؛ وَإِنْ كَانَ رَوِيَ أَيْضًا أَنَّهُ عِنْدَ مَا ذُكِرَ مَعَاوِيَةُ لِحْنَ  
عَبِيدِ اللَّهِ بِمَعْنَى الْخَطْأِ فِي الْلُّغَةِ ، أَجَابَ بِأَنَّهُ يَجِدُ لِحْنَهُ (عَلَى التُّورِيَّةِ) أَطْرَفَ<sup>(٥)</sup> .

وحيات ابن مفرغ<sup>(٦)</sup> الآنف الذكر تقدم دليلاً آخر على النور الذي  
لعبته اللغة الفارسية بالبصرة . ذلك الرجل الذي عَدَ نفسه – دون حق – من  
الحميريين ، والذي نسبت إليه تبعة أسطورة « تَبَعَ »<sup>(٧)</sup> ، صحاب سنة ٥٦ هـ<sup>(٨)</sup>

(١) البيان للباحث ١/٣٢؛ ٢/٢؛ والمدارف لابن قتيبة (طبع ١٣٠٠ هـ) ص ١١٨؛  
والكامل للبرد ٣٦٦ .

(٢) البيان للباحث ١/٣٣ وعيون الأخبار ٢/١٥٩ .

(٣) البيان للباحث ٢/٢ وعيون الأخبار ١/١٦٥ ويري صاحب الأغاف (٦٦/١٧) أن  
الشعر قبل في أخيه عباد بن زياد وفي أبيه من قصيدة طويلة .

(٤) كانت خطبته التي افتتح بها ولايته على البصرة شهرة واسعة ، انظر : Wellhausen Das arab. Reich S 77  
وقد ذكر الرواة بعد ذلك اسمه مقتضياً بأوائل النحو العربي ، نزهة  
الأباء ١٢ وإرشاد الأريب ٤/٢٨٠ ، كما رويت أخبار جمة عن دقة إحساسه في الأمور اللغوية .  
بيان للباحث ٢/٥؛ ٢٦/١ وعيون الأخبار ٢/١٥٩ وصبح الأعشى ١/١٦٩ والوزراء  
للبهشيارى (BAHGI) ص ٢٢ ، وإن كانت مثل هذه الأخبار مروية أيضاً عن الحسن البصري .  
(٥) الأمال للقال ١/٥ والملاحن لابن دريد ٦ والأصداد لابن الأنبارى (القاهرة ١٣٢٥)  
ص ٢٠٨؛ وخزانة الأدب ١٤/٢ وغيرها .

(٦) انظر : A. Ebermann : Die Perser unter den arabischen Dichtern der Umayadenzeit OLZ 30, ١١٤٩

(٧) الأغاف ١٧

Zambaur, Manuel de généalogie 47 (٨)

عَبَادُ بْنُ زَيْدَ إِلَى خَرَاسَانَ ، وَلَكِنَهُ وَقَعَ مَعَهُ فِي خَصْوَمَةٍ ، فَأَخْدَى يَحْقِرُ أُسْرَةَ زَيْدٍ مِنْذَ ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي أَبْشَعِ صُورَةٍ ، وَكَانَتِ الْبَصَرَةُ جَمِيعَهُ تَتَغَيَّرُ بِهِجَائِهِ . وَبَعْدِ عَنَاءِ طَوِيلٍ اسْتَطَاعَ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ أَنْ يَضْعُفَ عَلَيْهِ يَدُهُ . وَكَمَا تَجَمَّعَ الرَّوَايَاتُ<sup>(١)</sup> ، أَمْرَ هَذَا بِحَرْ ذلكَ الْأَثِيمَ عَقَابًا لَهُ فِي ثِيَابِ مَهْلَكَةِ ، مَشْدُودًا إِلَى هِرَّةٍ وَخَنْزِيرٍ فِي قَرْنَ ، لِيُسِيرَ فِي طَرَقِ الْمَدِينَةِ (الْبَصَرَةُ) عَلَى هَذَا النَّحْوِ . وَقَدْ تَجَمَّعَ خَلْفَهُ – كَمَا هُوَ المُتَوقَّعُ – صَبَّيَةُ الْأَرْزَقَةِ يَصْبِيُّهُونَ ، سَاحِرَيْنَ مِنْ حَالَةِ الْمَزْرِيَّةِ ، وَهُمْ يَسْأَلُونَهُ بِالْفَارَسِيَّةِ ، لِمَنْ جَيَسَتْ : مَا هَذَا؟ وَأَنَّهُ أَجَابُهُمْ بِالْفَارَسِيَّةِ أَيْضًا : آبٌ أَسْتَ ، نَبِيَّدَأْسْتَ ، عُصَارَةُ زَبِيبٍ أَسْتَ ، سَمِّيَّةُ رُوسَيٍّ<sup>(٢)</sup> أَسْتَ ؛ أَى هَذَا مَاءُ ، وَنَبِيَّدُ ، وَعُصَارَةُ زَبِيبٍ ، وَسَمِّيَّةُ الْبَيْنِيِّ<sup>(٣)</sup> (يُعْنِي بِهَا الْخَزِيرَةِ) .

وَكَمَا يَشَهِدُ الْبَلَادِرِيُّ<sup>(٤)</sup> ، كَانَتْ تَوْجِدُ فِي الْبَصَرَةِ جَالِيةً إِصْبَاهَانِيَّةً يَرْجِعُ أَوْلَاهَا إِلَى صَدْرِ الْعَصْرِ الْإِسْلَامِيِّ . وَزِيادةً عَلَى هَذَا جَمَعَ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ سَنَةَ ٥٤٥ هـ . فَرْقَةً مِنَ الرَّمَاءِ مَكَوْنَةً مِنْ أَنْفَى رَجُلٍ مِنْ بَخَارِيٍّ ، وَجَعَلَ الْبَصَرَةَ مَقْرَأً لَهُمْ<sup>(٥)</sup> .

وَلَمْ يَخْتَلِفْ عَنْ ذَلِكَ كَثِيرًا أَمْرُ الْعَلَاقَاتِ الْأَغْوَيَةِ بِالْكُوفَةِ . فَقَدْ قَامَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ فِي بَقِعَةٍ كَانَتْ تَتَلَاقُ فِيهَا الْلُّغَاتُ الْآرَامِيَّةُ ، وَالْفَارَسِيَّةُ ، وَالْعَرَبِيَّةُ مِنْ قَدِيمٍ . كَمَا أَنَّ الْحِيرَةَ الْوَاقِعَةَ عَلَى مَقْرَبَةِ مِنْهَا ، وَالَّتِي كَانَتْ بِهَا – فِي نَظَرِ الْعَرَبِ – مَقْرَأً إِمَارَةِ الْمَخْمِيَّينَ ، كَانَتْ قَبْلَ إِسْلَامِ مَصْلِحَةُ انتِشَارِ مَسِيحِيَّةِ الْآرَامِيَّينَ ، وَ ثِقَافَةِ السَّاسَانِيَّينَ ، بَيْنِ قَبَائِلِ الْبَدُو فِي السَّهُولِ السُّورِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْجَمَّاُورَةِ . وَقَدْ أَخْدَتِ الْكُوفَةُ الْمُؤْسَسَةَ حَدِيثًا سُسْتَةَ الْحِيرَةِ ، فَسَارَتْ عَلَى مَنْوَاهِهَا الْقَدِيمَ ، وَازْدَهَرَتْ وَشِيكًا ، عَلَى حِينِ تَرَاجَعَتِ الْحِيرَةُ إِلَى الْوَرَاءِ . وَكَمَا كَانَ

(١) الأغاني ١٧/٦٥ وَالشِّعْرُ وَالشِّعْرَاءُ ٢٠١ وَخِزَانَةُ الْأَدْبَرِ ٢/٦١ وَتَارِيخُ الطَّبْرَى ١٩٢/٢.

(٢) روسي : روبيت في المزراقة ، على حين يذكر في الروايات الأخرى : روسييد (بيضاء الوجه) انظر في هذا : Nöldeke : Das iranische Nationalepos S. 91 Anm. 2

وَانْظُرْ كَذَلِكَ : الْبَيَانُ لِلْمَحَاظَ ١/٦١ : ١٨ وَفِيهِ «روسييد» وَانْظُرْ أَيْضًا : Rempis, ZDMC 101 (1951), 222. (شِيتَالَر).

(٣) ص ٣٦٦ .

(٤) ساقَ أَدْلَةً عَلَى تَكْوِينِ هَذِهِ الْفَرْقَةِ : De Goeje BGA V, XVI.

معجم الْبَلَادَانِ ١/٥٢٢ وَعِيَونُ الْأَخْيَارِ ١/١٣٢ .

للبصرة أساورتها ، فقد كانت في الكوفة بقايا الجيوش الساسانية التي انضمت إلى العرب ، وأخذت تجاهد تحت راية الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وبناء على خبر<sup>(١)</sup> للمؤرخ الكوفي « مسرور بن كدام<sup>(٢)</sup> » عقد أربعة آلاف فارس من جنده شاهنشاه الدين قاتلوا تحت قيادة رُسْتمَ في القادسية ، أماناً مع سعد بن أبي وقاص ، يخوّلهم حق النزول حيث أحبوا ، ومحالفة من أحبوا من العرب ، ويفرض لهم في العطاء . وقد اختاروا الكوفة مقراً لهم ، وسموا ، باسم تقبيهم « ديلم » : حراء ديلم<sup>(٣)</sup> . أما في سوريا ، حيث ساق زياد جماعة منهم بأمر معاوية ، فكانوا يسمون الفرس فقط ، كما أن زياداً نقل آخرين منهم إلى البصرة ، ونظمهم في صفوف الأساورة .

وكما حصل في البصرة ، كان يرد على الكوفة أيضاً سيل من التجار والصناع وغيرهم ، سرعان ما كونوا مع أسرى الحرب ، الكثيرى العدد ، ذوى الأصل الفارسى ، أغلبية السكان ، فصارت لغة التفاهم السائدة هي الفارسية . وقد كشف الجاحظ النقاب عن مدى تأثير هذه اللغة في لغة السادة العرب ، بما أورده من ألفاظ معربة في لهجة الكوفة<sup>(٤)</sup> . فهو يذكر أن الكوفيين يقولون : خيار ، بدلاً من قِشَاء ، باذْرُوج ، بدلاً من الحُمُوك (البقلة الحمقاء ، الرجلة) ، ويدِى<sup>(٥)</sup> ، بدلاً من مجذوم . وإذا كانت كل سوق بالكوفة تسمى : وازار ، فإن هذا النطاق المطابق للفارسية القديمة

(١) البلاذرى ص ٢٨٠ .

(٢) توف ١٥٢ هـ انظر : المعرف لابن قتيبة (طبع ١٣٠٠ هـ) ص ١٦٥ .

(٣) كانت هذه التسمية سبباً في الالتباس ببلاد الديلم ، فقد ذكر بعضهم (البلاذرى ص ٢٨٠ ) أن أساورة الكوفة كانوا يرطبون على حدود الديلم ، وبعد الاستيلاء على قزوين (أى في سنة ٢٤ هـ) انضموا إلى صفوف المسلمين كأنفس إليهم أساورة البصرة في مثل هذه الأحوال . أما المدائى فيرى (البلاذرى أيضاً في الموضع المذكور) أن جيش رسم الذى انضم إلى سعد بن أبي وقاص ودخل في الإسلام في حروب المدائى بعد ماستولى على جعلولا واستوطن الكوفة ، كان مكوناً من أعقاب أربعة آلاف أسير استرقهم برويز في حربه مع الديلم . ونقل البلاذرى عن أحد العلماء أن معنى الحراء هو « العجم » . ويمكن أن يضاف هذا الموضع إلى المراضع التى جمعها فولرز في مقالته über Rassefarben in der arabischen

Literatur Centenario Michele Amari I 87

(٤) البيان (١٠/١) ، وانظر أيضاً معجم البلدان ٣٣٨/٣ .

(٥) في التواصين الفارسية : فيلى وفيلى وفيلى ، بلا شواهد .

(على عكس : بازار في الفارسية الحديثة) يدل على التاريخ البعيد القدم لاستعمال الألفاظ الفارسية. وفي الكوفة أيضاً يعبر عن المسحاة بلفظ : بال. وهي في الفارسية الحديثة: بِلٌ<sup>(١)</sup>. وكان الناس في الكوفة يفهمون من الكلمة : جَهَارْسُوك – وهي بالفارسية الحديثة : جَهَارْسُو – سوقاً على مقطع طريقين (وتسمى في البصرة : مُرَبَّعة).

ولم يقتصر نفوذ اللغة الفارسية على العراق ، حيث بربطها الحال في أقوى مظهر ؛ ولكنها كان ملحوظاً كذلك في الوطن العربي القديم . فقد كانت هناك منذ القديم جاليات تجارية من الفرس في مدن الغور في الجزيرة العربية ، كما جاء في غزوات الفتح عدد كبير من أسرى الحرب الإيرانيين إلى الحجاز بوجه خاص. والباحث أيضاً هو الذي لاحظ<sup>(٢)</sup> التأثير اللغوي للجالية الفارسية القديمة في المدينة على ما حولها من البلدان العربية . وطبقاً لما ذكره كان المدنيون يستعملون الكلمة : خَرْبُوز الفارسية (المعروبة إلى خربوز) بدلاً من : بطيخ ، رُوْدَق ، بمعنى متوف الوربة ، بدلاً من سَمِيط ، و : أَشْرَنج ، بدلاً من : شَطَرْنج ، و : مَمْزُوز ، بدلاً من : مخصوص ؛ أى هزيل . والأول من هذه الأمثلة اصطلاح تجاري ، على حين يتصل الثاني بالمطبخ ؛ إذ يقول صاحب برهان قاطع<sup>(٣)</sup> : إن رُود أو رُوده كاللفظ العربي : سَمِيط<sup>(٤)</sup> ، كلها بمعنى حيوان (حمل أو طائر) ينتف وبره أو ريشه قبل قليه ، وبعد أن يغمس في ماء حار لهذا الغرض . وللفظ الثالث :

(١) يرى Horn في Grundriss der neopersischen Philologie S.59 Nr. 257 أن بيل bēl نشأ من : بال bāl الموجود في بعض الهمجات ، بطريق الإملاء ، على حين يذكر في : Grundriss der iranischen Philologie ٣٣/٢ أن كلام اللفظين مثال للتبدل بين bēl و bāl في الفارسية الحديثة . وقد فسر لفظ : معبدة في شرح أشعار الملائكة من ١٣٥ بلفظ : بال . وهناك أمثلة أخرى كثيرة تتحول bāl الفارسية إلى ألف ، وللاختصار أشير إلى كتاب Siddiqi, Pers. Fremdwörter 68 كذا تنوب الألف عن bāl كذلك في الألفاظ المستعارة من الآرامية . انظر أسماء الأماكن في المناطق التي كانت تتكلم الآرامية ، وتنتهي بالنهاية bāl التي تعود إلى الآرامية (t) bāt (شبيتال) .

(٢) البيان ١٠/١

(٣) انظر في مادة : رود : Vullers Lexicon perisico - Latnum و فعل : روادان بمعنى : نتف ، لم يزل باقياً في الفارسية - اليهودية ، انظر : Horn, Grundriss

(٤) انظر : سَمِيط في قاموس Lane .

S. 258 Nr. 628

- ٤٠ -

أشترنج (دون شكل عند الجاحظ) ، يدل على أنهم في المدينة لم يعبروا عن اللعب المعروف بكلمة : شترنج<sup>(١)</sup> المعرفة عن شترنج الفارسية – دخلت الصيغة العربية : شترنج ، إلى الفارسية الأدبية الحديثة ، وغلبت تقريرياً على كلمة : شترنج الفارسية – بل تمكث المدنيون في هذا المعنى بالطرق السائدة عند الدوائر الفارسية بالمدينة : أشترينج . أما أنهم اتخذوا طريقة التعبير الفارسي هنا وهناك ، حتى في الألفاظ العربية الفصيحة ، فهذا ما يتضح من المثال . الرابع : مزوز ، بدلاً من مخصوص ، حيث يستعاض عن الصاد الصعبة النطق على اللسان الفارسي ، بالرَّأْي<sup>(٢)</sup> عن طريق الماء المائية مع الميم . وأخبار الجاحظ هذه عن العناصر الفارسية في اللهجة العربية للمدينة ، تتطبق بالتأكيد على القرن الأول للهجرة ، إذ إنه في ذلك الوقت وردت كلمة : رُوذق ، الآنفة – وإن لم يكن في المدينة – في البيت التالي لحرير (المتوفى سنة ١١٠٥) وهو نفاثن جرير والفرزدق ص ٨٤٥ س ١٠ :

لَا خَيْرٌ فِي غَصَبِ الْفَرَزْدَقِ بَعْدَمَا سَلَحُوا عَجَانِكَ سَلْخَ جَلْدَ الرُّوذَقِ<sup>(١)</sup>  
ويصدق هذا أيضاً على الشترنج واصطلاحاته الفارسية على طول الخط ، فقد صاغ العرب مفرداً لكلمة : بيذق (في الفارسية الحديثة : بياده) التي أخذوها على أنها جمع حسب شعورهم ، فقالوا : بيذق ، تماماً على نمطهم في صوغ مفرد : فِرْدُوسٌ ، لفرايديس الذي حسبوه جمعاً . وقد استعمل الفرزدق كلمة بيذق في معناها ، وكان يعرف قاعدة اللاعب ، من أن البيذق يتقدم إلى المربي الأخير فيتحول إلى وزير : نفاثن جرير والفرزدق  
صفحة ٧٨٧ سطر ٦ :

(١) يضبطه المترمرون في اللغة : شترنج على وزن فعل ؛ انظر : درة الفواصن للحريري ١٣١ .

(٢) انظر حالات مائلة في H. Schuchardt - Brevier S. 57.

(٣) فسر لفظ رُوذق في الشرح مرة بالحمل ثم بالجلد المسلح . ولما كان المعنى الثاني غير ظاهر من السياق رجع Bevan ، وصواب التفسير هو : حل متوف الصوف بعد غمسه في الماء الحار ، وانظر أسلحة أخرى للألفاظ والجمل الفارسية ذكرها Bevan في النائب : Glossar S. 612

ونحن إذا عَدْت ثِيمَ قَدِيمَها مَكَانَ النُّوَاصِيَّ مِنْ وُجُوهِ السَّوَابِقِ  
 منْعَتُكَ مِيراثَ الْمُلُوكِ وَتَاجَهُمْ وَأَنْتَ لِدَرْبِي بِيَدِقَ فِي الْبِيَادِقِ<sup>(١)</sup>  
 وَكَذَلِكَ اسْتَعْمَلَ جَرِيرَ نَفْسَ الْفَظِ لِلَّدَلَلَةِ عَلَى شَيْءٍ تَاهَ القيمةُ عَنْ طَرِيقِ  
 الْمَحَازِ ، وَذَلِكَ فِي بَيْتٍ يَرْمِ فِيهِ جَعْشِينَ ، أَخْتَ الْفَرْزَدِقَ مَعَ الإِشَارَةِ إِلَى  
 مَهْرِ الْمَشْلِ - بِأَنَّهَا لَمْ تَأْخُذْ مَهْرَ آمِينَافِ عَقْدَ النِّكَاحِ : نَقَائِضُ صَ ٨٤٥ سَ ١٥ :  
 سَبْعُونَ وَالْوَصْفَاءُ مَهْرُ بَنَاتِنَا إِذْ مَهْرُ جَعْشِينَ مَثْلُ حُرُّ الْبِيَدِقِ  
 كَمَا أَنْ اسْتَعْمَلَ كَلْمَةً : بِيَدِقَ : أَيْضًا ، بِعْنَى رَجُلَ قَصِيرَ الْقَامَةِ<sup>(٢)</sup> ،  
 يَرْجِعُ إِلَى الْقَرْنِ الْأَوَّلِ ؛ فَقَدْ كَانَ هَذَا الْفَظُ يَطْلُقُ لِقَبًا عَلَى مَغْنَّ وَقَارِئِ  
 مَدْنَى ، زَارَ<sup>(٣)</sup> فِي أَوَاخِرِ حَيَاةِ الْخَلِيفَةِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ( حُكْمُ ١٠١ -  
 ١٠٥ هـ ) . وَهَذَا الْكَشْفُ ( عَنْ قَدْمِ اسْتَعْمَالِ الْفَظِ ) : شَطْرَنْجُ وَمَتَعْلِقَاتُهُ حَتَّى  
 الْقَرْنِ الْأَوَّلِ ) يَتَفَقَّدُ تَمَامًا - كَمَا يَلَاحِظُ بِهَذِهِ الْمَنَاسِبَةِ - مَعَ قَوْلِ الْفَقَهَاءِ  
 الْإِسْلَامِيِّينَ إِنَّ مَسْأَلَةَ تَحْلِيلِ لَعْبِ الشَّطْرَنْجِ فِي الشَّرِيعَةِ<sup>(٤)</sup> كَانَتْ مَوْضِعَ الْبَحْثِ  
 لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي عَهْدِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَّةِ ، بَعْدَ مُحَمَّدَ [ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ] ، أَيِّ طَبَقَةِ  
 التَّابِعِينَ . نَعَمْ هُنَاكَ عَدْدٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَرْوِيَّةِ عَنِ الرَّسُولِ فِي تَحْرِيمِ<sup>(٥)</sup> الْلَّعْبِ  
 ( الْمَذْكُورِ ) ، وَلَكِنَّ النَّقَادَ الْمُسْلِمِينَ تَبَيَّنُوا عَدْمَ صَحَّتِهَا ، وَلَمْ يُؤْخَذْ وَاحِدٌ  
 مِنْهَا ضِمنَ الْجَامِعِ<sup>(٦)</sup> الْمُعْتَمِدَةِ .

(١) انظر : 693 ( ١٨٤٤ ) 28 Gildemeister, ZDMG

(٢) الأغافل ٢٠/١٢ وعباراته : « قال حدثني محمد الرواية المعروفة بالبيدق ( بالدال  
 لا بالذال ) وكان قصيراً فلقب بالبيدق لقصره وكان ينشد هارون أشعار المحدثين وكان أحسن  
 خلق الله إنساناً ». بي أن يعرف هل هو البيدق الذي زار يزيد بن عبد الملك؟ ربما كان غيره وإن  
 فإن هذا عاش في القرن الثاني . وقد سمى بالبيدق أيضاً أبو بكر بن علي الصنهاجي الذي ذكر  
 حديثه عن أستاذه المهدى في : Lévy - Provencal, Documents inédits d'histoire  
 ١٣٣ - ٥٠ Almohade p. 50 كما ذكر ياقوت أيضاً في معجم البلدان مكاناً اسمه : « شاهيدق »  
 في بيت من الشعر اعبد الله بن أبي عوف الخزاعي الم توفى سنة ٨٦ هـ ( معجم البلدان ٣٤٤/٣ ).

(٣) الأغافل ١٣/١٦٣

(٤) أيضاً في كتاب حياة الحيوان للدميري ( مادة : عقرب ) يوجد فصل عن حكم لعب  
 الشطرنج . انظر طبعة القاهرة ١٣٣٠ ٢٤٩/٢ هـ : ١٣ ( شبستان ) .

(٥) انظر عيون الأخبار ( ١/٢٢٣ ) .

(٦) انظر : كنز العمال للمتقى ٣٣٢/٧ والإصابة ( القاهرة ١٣٤٧ ) ١/٣٨٩ ولسان  
 الميزان ٢/٦٦ وتمييز الطيب لابن الدبيع ( القاهرة ١٣٤٧ ) ١٦٨ وانظر النموذج في ابن الدبيع في  
 الموضع السابق .

وفي مصر ، كانت القبطية هي اللغة التي اصطدمت بها العربية . وقد بقيت لغة الفاتحين هنا أيضاً كما في العراق – مقصورة بادئ ذي بدء على المعسكرات كالفسطاط قبل كل شيء ، وعلى المناطق التي اختارتها القبائل العربية ، لتكون مرعاً لسوامهم . وكان لحقيقة الثابتة ، من أن أغلب المهاجرين العرب قد تجمعوا من قبائل يمنية الأصل ، أثر حاسم في التطور اللغوي بهذا الإقليم . وقد بقيت اللغة اليونانية بادئ الأمر هي اللغة الرسمية . ولم تدخل العربية في دوائر الإدارة إلا في سنة ٨٧ هـ . ييد أنها لم تستو على سوقها حقاً إلا في أوائل القرن الثاني . وقد ظل الجمهور الأعظم من السكان الوطنيين متمسكاً بالقبطية ، كما أن النسبة المئوية للأقباط في المدن كانت جدًّا كبيرة . ولكن بينما أثرت الفارسية في عربية العراق تأثيراً بعيداً المدى ، وكثرت في اللغة العربية الفصحي الألفاظ الفارسية المعرفة بصورة ملحوظة ، كان أثر القبطية في اللهجة العربية جد ضئيل<sup>(١)</sup> . وقد أراد بعض العلماء أن يعزو أسباب ذلك إلى الطابع القبطي القوى<sup>(٢)</sup> ؛ ولكن بقي علينا أن ننظر فيما إذا كان تuder كشف أثر اللغة القبطية في لغة الخطاب العربية في أثناء القرنين الأولين راجعاً إلى طبيعة مصادrnنا . فلو أن مصر سعدت بكتاب مثل الجاحظ أولع بتصوير مستوى الطبقات الدنيا والوسطى بين سكان المدن في القرن الثاني ، ربما ظهر لنا أن العلاقات اللغوية في الفسطاط القديمة لم تختلف كثيراً عنها في البصرة والكوفة . حقاً لقد تم تعريب مصر بصورة أسرع وأعمق من العراق ؛ ففي القرن الثاني كانت قبائل عرب الشمال قد هاجرت إليها وفق نظام مرسوم ، كما يبدو أن تكاثر الدخول في الإسلام قد أزداد بقوة في نفس الوقت ، بعد أن كان لا يتقدم في القرن الأول إلا في حدود معتدلة ، بحيث رجحت كفة العربية في القرن الثالث ، على حين تراجعت القبطية إلى سهول الريف حتى تلاشت<sup>(٣)</sup> تماماً في القرن السادس .

والهوة الواسعة التي كانت تفصل بين الطبقة العربية الحاكمة ، والجماهير

(١) انظر : K. Vollers, ZDMG 50,633-6 E. Littmann ebd, 56, 681-4.

W. Spiegelberg Zf Sem. 4, 61 f, EI II 1076 f.

(٢) انظر : Vollers a, a, O.

G. Wiet, EI, Qibt, J. Simon, ZDMG, 90, 44, f.

(٣) انظر :

الغيرة من رعاياها حتى سقوط الدولة العربية سنة ١٣٢/٧٥٠ ، لم يكن أبعد أثراً في اقتحامها والتغلب عليها من التسرى واقتناء السادة العرب للسرارى والجوارى ، فإن النظرية التى ترجع إلى عهد الوثنية العربية ، والتى تبيح لمالك الأمة أن يعاشرها معاشرة الأزواج ، قد احتفظ بها الإسلام ، فصار سنة متبعه ، أن تنضم الأسرارى من النساء إلى حريم سادتهم ، وهكذا سرعان ما نشأ ، حتى في بيوت السادة العظام من العرب ، جيل بين أمهاته كثارات من غير العربيات . وكان لا بد أن يترك ذلك أثراً بعيد المدى في العلاقات اللغوية ، فإذا كانت الأجنبيات اعتدن الدخول إلى حرم الدوائر العليا ، وإذا كانت هذه الدوائر العليا تعتمد على غير العرب أيضاً في خدمتها ورعايتها شئونها الدنيا ؛ فلا جرم أن تأخذ الشبيبة الناشئة — تحت تأثير هذه العلاقات — شتى الخصائص اللغوية من لغة التفاهم الدارجة التي كانت غريبة عن العربية . ولقد كان النسل الناتج من غير الحرائر موسوماً في نظر المجتمع الراقى بعيسى عدم الكفاءة في المولد ، ولكن الشرع الإسلامي يعدّهم أحرازاً ، ويستوى بينهم وبين إخوتهم من الحرائر في الملك والميراث . أما أن هؤلاء الأبناء ، غير الأكماء في المولد ، على الرغم من انحطاط رتبتهم قد سموا إلى مراتب رفيعة ، لمناقبهم الشخصية ، أو لمواتاة الفرص والأسباب ، فهذا ما يؤيده مثال أبناء سُمَيَّة ، فقد كانت أمهم جارية فارسية<sup>(١)</sup> أو بيزنطية<sup>(٢)</sup> الأصل — كما جاء في الروايات — أهداؤها إلى الحارث بن كلدة الطيب . وعندما حاصر محمد (صلى الله عليه وسلم) الطائف في السنة الثامنة للهجرة ، ووعده<sup>(٣)</sup> بالحرية كل من ينضم إليه من أهلها ، سواء كان حراً أم عبداً ، فقر أحد أبنائها ، وهو أبو بكرة<sup>(٤)</sup> تُفْيِع ، أن ينحاز إلى الرسول ، فصار معلوماً من مواليه منذ ذلك الوقت . أما آخره نافع<sup>(٥)</sup> فقد رُكِن إلى الحارث بن كلدة

(١) المعرف ٩٧ ، ومعجم البلدان ٩٥٢/٢ (عن ابن الكلبى) ؛ وانظر أيضاً شعر ابن مفرغ (الأذافن ٦٥/١٧).

(٢) عوانة (كما ذكره ابن حجر في الإصابة ٣٤٠/٧).

(٣) ابن هشام ص ٨٧٤ ؛ والواقدى ص ٣٧١ (Wellhausen) ؛ والروضن

الأنف ٣٠٤/٢

(٤) ابن سعد ج ٧ قسم ١ ص ٨ وما بعدها .

(٥) ابن سعد ج ٧ قسم ١ ص ٤٩ ؛ البلاذرى ص ٣٥٠ ، يحيى بن آدم (طبع ١٣٤٧ هـ) ص ٧٨ .

وبقي عنده ، فاعترف الحارث ببنوته وأعتقه ، كما اعترف أيضاً بنسب أزْدَة<sup>(١)</sup> بنت سمية . وأزْدَة هذه تزوجها عتبة بن غَرْزان مؤسس البصرة . هذا الزواج فتح لإخواتها – كان هناك ثالث لأبي بكرة ونافع ، هو زياد المولود سنة ٨٥ – طريقة إلى المجتمع الراقي ، فقد تبعوا أختهم إلى البصرة ، وامتلكوا شيئاً عظيماً ، ولعبوا دوراً هاماً<sup>(٢)</sup> بعد ذلك بقليل في المجتمع . وكما هو معلوم ، رَفِيق زياد أعلى المناصب . وأخيراً اعترف به الخليفة معاوية بن أبي سفيان أخاً له من أبيه . ولم يكن معاوية ليقدم على ذلك لو لم تكن أبوة أبي سفيان له – على الأقل – أمراً ظاهراً . أما أن سمية كانت عاهرة ، فهذا أمر قد تقرر – على أقل تقدير – في أبيات ابن مفرغ<sup>(٣)</sup> ، التي كانت تفقد مغزاها لو أن الإخوة الثلاثة جاءوا من نكاح صحيح .

كذلك يحتاط الغموض أصل أسرة أخرى كبيرة من العهد الأموي : أسرة المهابة . ويريد أبو عبيدة<sup>(٤)</sup> الذي كان يتتبع بحرارة جمع كل المثالب عن المجتمع العربي ، أن يعلم أن أبي المهلب كان نساجاً<sup>(٥)</sup> فارسياً ، وهاجر من جزيرة خارك Harak في الخليج الفارسي إلى تمحان ، وهناك انتقل من المحسية إلى الإسلام ، مغيراً اسمه<sup>(٦)</sup> إلى أبي صفرا<sup>(٧)</sup> ، وصار سائس خيل عثمان بن أبي العاص الثقفي ، الذي هاجر معه أخيراً إلى البصرة . ول يكن باقياً

(١) المعارف ص ٩٧ .

(٢) البلذري ص ٣٤٣ وانظر Wellhausen, Das arab. Reich S. 75 f.

(٣) الشعر والشعراء ص ٢١٣ ؛ الأغاني ٦٠/١٧ ؛ وفيات الأعيان ٣٢٣/٣ ؛ خزانة الأدب ٢١٦/٢ ، وانظر : Nöldeke im Islam ١٤, ١٣٢

(٤) ابن رسته ( BGA VII 205 ) ؛ معجم البلدان ٣٨٧/٢

(٥) يسم العرب النساجين وكل ذوى صناعة يلدوه بيميم الفضة G, Jacob, Altarabr. Beduinenleben S, ١٥٠ f.

(٦) سمه أبو عبيدة : بسخرة بن تهودان . وكل الاسمين موجودان في شعر كمب بن الأشقر

(٧) مثل هذا التغيير تجده في : Marquart, Festschrift E. Sachau S. 287 Goldziher, Muh. Studien I, ١٣٣ Anm ٢

وفى : تاريخ بغداد ٤٨٢/٨ .

بعد بيان مبلغ هذه الأخبار من الصحة، فحسبنا نحن فيما يتعلق بوجهة نظرنا، أن دعوى أن المهالة يجري في عروقهم دم فارسي قد لقيت تصويباً وتأكيداً في الأبيات التي هجا بها كعب بن الأشقر<sup>(١)</sup> يزيد بن المهلب. ولا تستطيع تغطية ذلك شجرة<sup>(٢)</sup> النسب الفاخرة، التي معننت الأسرة بتأليفها بعد ذلك. وفي المدينة برز أبناء الإمام في النصف الثاني من القرن الأول. فقد كان على زين العابدين (٣٦ - ٩٤هـ) من حفدة علي، والقاسم بن محمد من حفدة أبي بكر، وأخيراً الفقيه الصليم سالم بن محمد (المتوفى ١٠٦هـ) من حفدة عمر، كان هؤلاء جميعاً غير أكفاء من جهة الولادة، بينما أنهم لعبوا دوراً قائداً في المجتمع. وكما يرى الأصمي، أسهموا بقطط عظيم - بواسطة مناقبهم الشخصية - في تغيير<sup>(٣)</sup> رأي المجتمع المدنى في أبناء الجوارى. بل لقد أمكن في ذلك الوقت، حتى في أسرة عريقة في الوثنية، كأسرة «أبي هب» الملعون في القرآن، أن يفسخ<sup>(٤)</sup> أحد أعقابها من غير الأكفاء: الفضل بن العباس بن عقبة بن أبي هب - وكانت جدته حبشية<sup>(٥)</sup> بانتسابه إلى عبد مناف. وقد ظل بيت الخلافة الأموية أحرص البيوت، وأطوطها أمداً - إلى حد ما - في الاحتفاظ بـ『الجاهلية』 الأعلى من نقاء الدماء. وهذا هو ذا مسلمة بن عبد الملك (٦٣ - ١٢٠هـ) بقى<sup>(٦)</sup> مبعداً عن عرش الخلافة لأنه من أولاد الجوارى، نعم لقد ولى عرش الخلافة يزيد الثالث، وهو ابن جارية صبغدية<sup>(٧)</sup> من الأسرى، سنة ١٢٦هـ؛ ولكن الفضل في هذا راجع إلى ثورة نشب، كما أنه حصل قبل سقوط الدولة العربية (الأموية) نهائياً بسنوات قليلة.

(١) الأغاف ١٣ / ٦٤ (أربعة أبيات)؛ معجم البلدان ٣٨٧/٢ (البيتان الثاني والثالث) مع تغيير كثير. ويوجد البيت الأول أيضاً في: معجم البلدان ٩٣٣/٣ وفي البلاذرى ص ٤٢٦ مع تغيير كثير أيضاً

(٢) ابن سعد (٧٢، VII, I, ٨/١٨)؛ المسعودى (تبليه VIII BGA) ص ٣٢٠؛ الإصابة ٤/١٠٨؛ الاستيعاب (على هامش ابن حجر) ٤/١٠٩.

(٣) عيون الأخبار ٤/٤

(٤) الأغاف ١٤ / ١٧٨ يضاف إلى هذا: Vollers, Centenario Michele Amari ١,٨٨ وقد رجع هذا إلى: الفاسر للمفضل بن سلمة ص ٤٣ وفتح البارى لابن حجر ٦٢/١١ وغير ذلك.

(٥) الأغاف ٢/١٥ .

(٦) El, 3, 454

Wellhausen, Das arab. Reichh 226 (٧)

بل كذلك الحياة البدوية لم تبق بعيدة عن التأثر بالمؤثرات اللغوية الأجنبية وهذا هو الحجاج يهدي جريراً ، لأول زيارة له بالعراق ، جارية<sup>(١)</sup> من الرى ، ولدت للشاعر كثيراً من الأولاد ، كما تغنى بها في أشعاره . وفي وسعنا أن نثق بالرواية التي تحدثنا عن نطقها الملحون ، مهما تكون الجملة التي قيلت على لسانها مخترعة<sup>(٢)</sup> . وهذا ابن ميادة الذي يراه بعض النقاد آخر من يحتاج به من شعراء الباذية ، يقدم لنا مثلاً آخر في الجيل التالي لذلك . وقد أهداه الخليفة الوليد بن يزيد (حكم ١٢٥ - ١٢٦ هـ) جارية من طبرستان ، كانت كاملاً من جميع الوجوه ، ما عدا نطقها المعيب للعربية ، فقال ابن ميادة فيها :

بأهلِ ما أَلَّذَكَ عندِ نفسيِّ لو أَلَّذَكَ بالكلامِ تعرِّبِينَا  
كأنْكَ ظَبَيْهُ مُضَغْتَ أَرَاكَ بِوادِيِّ الْجَزَعِ حِينَ تَبْغِمِينَا<sup>(٣)</sup>

وفي الثالث الأخير من القرن الأول ، كان قد أخذ نمو العربية المولدة – التي تكونت من العوائد اللغوية الراجحة إلى اللهجة الدارجة في مناطق العربية القديمة – حدأً لم تتوقف فيه الأنطاء اللغوية عن الظهور ، حتى في الدوائر الأولى من المجتمع العربي . لقد صار منذ زمن طويل غير طبيعي أن يتعلم أولاد هذه الدوائر الأولى ، من حيثط الذي هم فيه ، عربية جيدة ، وقد كانت هذه التجديدات تعدّ عند العرب الذين كانوا ذوي إحساس دقيق جداً منذ القدم ، ب مجال لغتهم ، خطأً لغويّاً (لحنًا<sup>(٤)</sup>) . وهذا بدأ في دوائرهم ردود الفعل ضد فساد اللغة ، ونشأ من ذلك في أواخر القرن الأول (السابع الميلادي) مبدأ «تنقية اللغة العربية» الذي حمل راية الحفاظة على نقاء العربية . وهنا أيضاً برهن الأمويون على أنهم حماة المبادئ العربية القديمة . فقد روى أن عبد الملك (حكم ٦٥ - ٨٦ هـ) كان يحدّر أبناءه من اللحن ؛ فإن اللحن في منطق الشريف أقبح من آثار الجندي في الوجه ، وأقبح من التفتيق في ثوب نفس<sup>(٥)</sup> ، ويروى أن هذا الخليفة لم يكن يستعمل<sup>(٦)</sup> صيغًا ملحونة حتى في المزاح ؛

(١) الكامل للمبرد ص ٣٠١ .

(٢) البيان للحافظ ٣٣/١ : ٣٢/٢ .

(٣) الألغاف ١١٢ .

(٤) انظر الملحق في خاتمة الكتاب .

(٥) البلاذري (آلورد) ص ٢٦٠ ؛ البيان للحافظ ٤/٢ ؛ عيون الأخبار ٢/١٥٣ .

(٦) أمال الزجاجي (طبع ١٣٤٢ هـ) ص ١٤ لما بعدها .

وأنه كان يقدر الدقائق اللغوية حق قدرها ؛ فحيثما غير الشاعر المخارجي أبو المنال عتبان بن وصيحة بيته :

« ومنا أمير المؤمنين شبيب » إلى : « ومنا أمير المؤمنين شبيب » ، نال على هذا التغيير في الجواب استحسان الخالية حتى أطلق سراحه<sup>(١)</sup> . وعلى الرغم من ذلك فقد روى أنه أهل<sup>(٢)</sup> تأديب ابنه الوليد (حكم ٨٦ - ٩٦) ولذلك رويت في أخطائه اللغوية شتى الروايات اللاذعة<sup>(٣)</sup> . وعلى النقيض منه تأدب سليمان بن عبد الملك (حكم ٩٩ - ٩٦) أدبار فرعاً ؛ وكان يعظ<sup>(٤)</sup> الجمال الغوري ؛ كما روى عنه أنه قال في المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث ، أحد أشراف قريش ، ساخراً منه : « المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث يفخّم اللحن كما يفخّم نافع بن جبير الإعراب ». وكذلك كان آخره مسلمة رفيع الثقافة ؛ وكان يكره عمرو بن مسلم ، أخا قتيبة بن مسلم ، لأنه كان يلحن<sup>(٥)</sup> في كلامه ؛ كما روى أنه كان يمقت السائلين الذين يلحنون<sup>(٦)</sup> في لقفهم . وكان عمر الثاني (ابن عبد العزيز) (حكم ٩٩ - ١٠١) دقيق الإحساس في شئون اللغة بوجه خاص ؛ وكان لا يطيق أن يسمع في محیطه خطأ لغوياً أياً كان ؛ وكان يصلح ما يعترضه من الأخطاء<sup>(٧)</sup> ، وكان يحب الواضح السهل من العربية حتى في الشعر .

وكان بعض معاصرى الأمويين - كذلك - يقدّسون آراء مثل آرائهم .

(١) ابن خلكان (١٢٩٩ هـ / ١٣٤٨ م) ; الدميري (١٣٤٨ هـ / ٢٦١) وكتيراً ماتساق أبيات هذا الشعر دون تسمية قائله ؛ عيون الأخبار ٢ / ١٥٥ ؛ إرشاد الأريب ١ / ٢٥ ؛ المحسن والمساوي للبيهقي ص ١٤٢ وغير ذلك .

(٢) الموشح ص ٢١٧ .

(٣) البلاذري (آلورد) ؛ المحسن والأصداد للباحث (١٣٢٤ هـ) ص ٦ ؛ نقد البثر المنسوب لقدماء ص ١٢٣ ؛ المحسن والمساوي للبيهقي ص ٤٥٤ ؛ الكامل للبرد ص ١٩٠ ، وانظر القلقشندي ١ / ١٦٨ .

(٤) إرشاد الأريب ١ / ٢٤ ؛ الميسى : ذيل سبط المكلى ص ٦٦ .

(٥) البيان للباحث ٢ / ٤ ؛ وفي المغيرة انظر : ابن سعد ١٥٥ / ٥ ؛ والأغاف ٤ / ٤٨ ؛ وفي نافع انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠ / ٤٠٥ .

(٦) الخفاجي : طراز المجالس الخفاجي (١٢٨٤ هـ) ص ٦٧ .

(٧) إرشاد الأريب ١ / ٢٥ ؛ البيان للباحث ٢ / ٢ ؛ المحسن والأصداد للباحث

٧-٦ (١٣٢٤ هـ) ص ٦ .

فقد كان الحجاج والى المشرق لا ينطق عربية ناصعة فحسب<sup>(١)</sup> ، بل كان يقيم أيضاً وزناً لأن يعبر الناس في محيطه تعبيراً صحيحاً . ويزعم بعضهم أن كثیر بن أبي كثیر البصري ، الذى أراد الحجاج إكرابه على عمل يتولاه ، تخلص منه بأن أساء إلى أذن الحجاج بالحن فظيع في القواعد<sup>(٢)</sup> . حقاً لقد حمل الكره خصوصه السياسيين أن يقولوا عنه إنه ارتكب أخطاء حتى في القرآن ؛ ولكن هذا حصل في آية قرأها وهو ساه ، حيث قرأ الفظ : أحب في سورة التوبة ٢٤/٩ بالرفع بدل النصب : « قُلْ إِنَّ كَانَ آباؤُكُمْ وَآبِناؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعِشِيرَاتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةً تَخْشَونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرَضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا » . وقد أوقعه في السهو مجيء<sup>(٣)</sup> خبر كان بعدها باثنتي عشرة كلمة . وقرأ مرة أخرى في سورة العاديات ١١/١٠٠ بدل : إن ، بكسر المهمزة في : « إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَيْرٌ » . إن بالفتح ، متخلصاً من الغلط بحذف<sup>(٤)</sup> اللام المزحقة من الخبر . وكذلك كان سهواً منه حين قرأ<sup>(٥)</sup> في سورة السجدة ٢٢/٣٢ : « إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ لَمُتَقْبِلُونَ » بدلًا من : « إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِبُونَ » . ولم يقل عن الحجاج في تعظيم العربية أيضاً عمر بن هبيرة ، الذى كان ولدًا على العراق ( سنة ١٠١ - ١٠٥ ) ؛ وكان يرى أن من يحسن العربية أعلى من غيره مقاماً في الجنة<sup>(٦)</sup> . ومثل ذلك التعظيم للغة الحالصة ، نجد له ذلك الوقت في الشعر أيضاً ، فها هو ذا رؤبة ( المتوفى سنة ١٤٥ هـ ) يرى من الضروري أن يُبَرِّزَ في

(١) انظر البيان للحافظ ١/٦٨ : ٤/٤ ؛ أمال الزجاجي ص ١٤ ، وقد قرأت الزجاجي في الموضع المذكور ، بالحجاج أنططيب المشهور : ابن القرية . ( انظر هنا في المعرف لابن قتيبة وابن خلكان ١/١٤٥ ) على أن كل من عوانة ( الأغاف ٩/٢ طبع دار الكتب ) ، والأصمعي ( الأغاف ٣/٢ نفس الطبعة ) قد أثروا وجوده التاريخي .

(٢) إرشاد الأديب ١/٢٥ .

(٣) طبقات ابن سلام ص ٦ ؛ نزهة الآباء ص ١٩ ؛ إرشاد الأديب ٧/٢٩٦ ؛ ابن خلكان ٣/١٩٣ . ١٢٤ . Nöldeke, Geschichte des Qorans, III,

(٤) عيون الأخبار ٢/١٦٠ ؛ مختصر القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١٧٨ .

(٥) البيان للحافظ ٤/٢ .

(٦) إرشاد الأديب ١/٢٢ .

- ٤٩ -

أرجوزته التي مدح بها بلال بن أبي بردة قاضي البصرة (المتوفى سنة ١٢٠ هـ) أن المدح يصحح الإعراب ولا يقع في الخطأ :

\* فُزْتَ يَقِدْحَى مُعَرِّبٌ لَمْ يَلْحَنْ \*<sup>(١)</sup>

ورؤية نفسه كان يحب أن يتمدح بقدرته اللغوية؛ فهو ييرز (ق ٣٥/٢٦)

ذكر العناية الدقيقة (التنطس) التي يبذلها في نظم كلامه . وهو يشعر (ق ٣٦/٥٤) بتفوقه على خصمه ، أياً كان ، في الدراسة وتعاطي الوحشى الغريب من مادة اللغة (عُقْمِى) ؛ وهو يفخر (ق ٤٥/٣٦) بأنه ترك بعض من عارضه من الشعر وراءه مثل الألغى الذى ينطق لكتة أعمجية ، ولا يعرف فرق الصحيح من الزائف في العربية :

\* أَعْجَمَ لَا يَعْرُفُ زَيْغَ الزَّيْغَ \*

وفي أرجوزته التي امتدح بها القاسم بن محمد بن القاسم ، ابن فاتح السندي ، أكد (ق ١٣٧/٢٢) أن نحوياً ضليعاً في العلم يفهم مداخل الكلام (دهى العلم والتعبير) ، ليس له بُعْدٌ نظره في اللغة ، مهما أشاح بوجهه غضباً من ذلك :

كيف تراني أنتحنى في الدفتر على قضيب الذاهبات الشبر  
لا ينظر النحوى فيها نظري وإن لوى لحبيبه بالتحكير  
وهو دهى العلم والتعبير<sup>(٢)</sup>

(١) رقم ٥٧ ، بيت ١٥٤ (آلورد).

(٢) يحتاج تاريخ هذه القصيدة إلى شيء من الاستقصاء . فهى - كما يؤخذ من البيت ١٤٩ - موجهة إلى من اسمه القاسم ، والمقصود به كما ذكر في العنوان : القاسم بن محمد بن القاسم . ويرى فيه كل من آلورد ص ٥٢ وكرسكو ١٢٥٩ EI III كا جاء في الطبرى ١٢٥٦/٢ ، وابن الأثير ٢٢٣/٤ وعلى ماجاه في الشر وعنوانه تكون صحة تسمية فاتح الهند : محمد بن القاسم الثقفى ، وهذا ما ذكره مثلاً إلياس برشينايا في تاريخه على أنه فاتح الهند في السنة المذكورة F. Baethgen, Fragmente syr. u. arab. Historiker S, 42 ١٧ سنة بشهادة أبي اليقطان (المتوفى ١٩٠ هـ) كما ذكره ابن قتيبة في ميون الأخبار ٢٢٩/١ ، (وكما في الأبيات التي استشهد بها في البلاذرى ص ١٤١ ، وفي ابن الأثير ٢٢٤/٤ ، وهى من قول حزة بن ي婢ض) . ولما كان فاتح السندي المذكور قد قتل سنة ٩٥ هـ فلا بد أن يكون ميلاد ابنه المدحى حوالي سنة ٩٠ (إذ كان عمر أبيه عند فتح الهند ١٧ سنة كما ذكرنا) فلا يعقل أن يمدحه رؤبة إلا حوالي ١١٠ على الأقل .

- ٤٠ -

وفي مدحه لآخر والي أموي على خراسان : نصر بن سيار ، يقول رؤبة (ق ١٩/١٩) إنه اختار لمدحه نصر ألفاظاً متنحطة ، يتعب النحو في فهم غرضه منها :

وأَنَا فِي تَخْيِيرٍ وَجَلْدٌ إِذَا تَنْخَلَّتْ جِيَادُ الْقَدْ  
يَلْتَمِسُ النَّحْوَ فِيهَا قَصْدِي مَجَدْتُ نَصْرًا وَهُوَ أَهْلُ الْمَجْدِ  
وَعَلَى النَّفِيسِ مِنْ ذَلِكَ يَحْقُرُ يَحْيَى بْنُ نُوفَلَ الْحَمِيرِيَّ خَالِدًا بْنَ عَبْدِ اللَّهِ  
الْقَسْرِيَّ ، وَالِّي الْعَرَاقُ ، (١٢٠ - ١٠٥) هـ فِي الْبَيْتِ :

وَالْحَنُّ النَّاسِ كُلُّ النَّاسِ قَاطِبَةً وَكَانَ يُولَعُ بِالتَّشْدِيقِ فِي الْخُطُبِ<sup>(١)</sup>  
وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى أَنْ خَالِدًا الْمُضَعِيفَ الْقَلْبَ ، فَزَعَ فَرْعَانًا شَدِيدًا ، وَطَلَبَ  
جَرْعَةً مَاءً وَهُوَ مُتَنَجِّلُ ، حِينَما تَلَقَّ سَنَةَ ١١٩ هـ ، وَهُوَ يَخْطُبُ ، نَبِأْ قِيَامَ الشَّعْبِيِّ  
الْمُغَيْرَةِ<sup>(٢)</sup> بْنَ سَعِيدَ بِشُورَةِ فِي الْكُوفَةِ . وَقَدْ غَالَتْ خَصْصُومَهُ فِي اتَّهَازِ هَذَا الْحَدِيثِ .  
وَيَرِى الْمَدَائِنِيُّ<sup>(٣)</sup> أَنْ خَالِدًا كَانَ حَقِيقَةً لِّحَنَّةَ بِوْجَهِ عَامٍ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَسْتَعِينُ  
فِي خَطْبِهِ بِرَجُلٍ يَلْقَنُهُ ، كَمَا يَرْمِيهِ بِالتَّشْدِيقِ ، إِذَا قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ : إِنْ كُنْتُمْ  
رَجِيبُونْ (كَذَا فِي الْبَيْانِ وَالْتَّبَيِّنِ) ، فَإِنَا رَمْضَانِيُّونْ<sup>(٤)</sup> ، وَيَعْلَمُهُ الْجَاحِظُ  
مِنَ الْمَحَانِينَ الْبَلَغَاءِ<sup>(٥)</sup> . وَلَكِنْ خَالِدًا كَانَ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ خَطِيئًا مَتَازًا ؛  
إِذَا انْقَطَعَ عَلَيْهِ خَيْطُ الْكَلَامِ عَرَفَ كَيْفَ يَحْسَنُ الْتَّرْوِيجَ مِنَ الْمَأْزَقِ<sup>(٦)</sup> .  
وَبَيْتُ ابْنِ نُوفَلَ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْذُ بِدَاعَةِ الْقَرْنِ الثَّانِي الْمُهْجَرِيِّ لَمْ تَعْدْ سَلَامَةً  
الْتَّعْبِيرُ مِنَ الْحَنِّ أَمْرًا طَبِيعِيًّا ، حَتَّىْ عَنْ دُوَى الْمَنَاصِبِ الرَّفِيعَةِ .

وَمَا كَانَ ذَا مَقَامِ حَاسِمٍ فِي مُسْتَقْبَلِ الْعَرَبِيَّةِ ، أَنَّ الْجَمِيعَ الْعَرَبِيَّ فِي عَهْدِ  
الْأَمْوَيِّينَ لَمْ يَكُنْ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَعْتَرِفُ بِالْعَرَبِيَّةِ عَلَى أَنَّهَا الْقَدُوْرَةُ الرَّفِيعَةُ ،  
وَالْمُشَلَّ الْأَعْلَى ؛ بَلْ كَذَلِكَ الدَّوَافِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ غَيْرُ الْعَرَبِيَّةُ (مِنْ طَبَقَةِ الْمَوَالِيِّ)  
الْمُلْحَثَةُ فِي التَّسَامِيِّ وَالْتَّعَالَى ، كَانَتْ ، فِي سَبِيلِ طَمْوِحَهَا إِلَى مُحاكَاهَ الطَّبَقَةِ  
السَّائِدَةِ فِيهَا تَفْعُلُ ، تَجَارِيَ هَذِهِ أَيْضًا فِي النَّاحِيَةِ الْلُّغُوِيَّةِ ، وَتَخْتَصِنَ حَرْكَةُ

(١) الْبَيْانُ الْجَاحِظُ ١/٢٠٥٢، ٤/٤؛ وَذَكْرُهُ الْمَبْرُدُ (الْكَامِلُ ص ٢٠) لِشَاعِرٍ آخَرَ .

(٢) انْظُرُ الطَّبَرِيَّ ١٦١٩/٢ ، الأَشْعَرِيُّ : مَقَالَاتٌ : فَهْرَسُ التَّوْبِيَّتِيِّ : فَرقُ الشِّيَّةِ :  
فَهْرَسٌ ، مِيزَانُ الْاِعْدَالِ ٣/١٩١ ، لِسانُ الْمِيزَانِ ٧٥/٦ - Reich' 204 Anm. 2

(٣) الْأَغْفَافُ ١٩/٦٢ . (٤) الْبَيْانُ الْجَاحِظُ ٤/٤ . (٥) الْبَيْانُ الْجَاحِظُ ٥/٤ .

(٦) أَمَالِ الْقَالِيِّ (الطبعة الثانية) ١/١١١؛ عِيُونُ الْأَخْبَارِ ٢/٢٥٧ .

تنقية اللغة العربية ، بإعلاء شأن اللغة البدوية الخالصة . وكلما أخذت سلامة اللغة تصير أمراً من أمور التربية والتعليم ، قويت آمال غير العرب أن يستبدلوها بالصبر والدأب — عربية فصحى من عربية اللهجة الدارجة في محيطهم . وقد يمْلأ تملك الحسن البصري (المتوفى ١١٠ هـ) ، وهو ابن لأحد أسارى الحرب من مدينة ميسان ، أزِمَّةَ العربية ، بحيث كان رجال ضليعون ، كأبى عمرو بن العلاء ورُؤبة ، لا يجدون غضاضة في أن يضعوه إلى جانب المجاج (١) وكان تلاميذه الجبهدون يكتبون عبارات أستاذهم ، لا لما تحتويه من علم فحسب ، بل لصياغتها اللغوية كذلك (٢) . وكثيرة هي الأخبار (٣) والروايات التي تطبب في وصف دقة إحساسه تجاه الأنطاء اللغوية . حقاً لا تُغَرِّب قراءته للقرآن عن ذلك الصقل والانسجام الذي تتطلبه حركة « تنقية اللغة العربية » عند نحاة العصر العباسي الأول ؛ فقد كان يقرأ مثلاً « الحَمْدُ لِلَّهِ » بكسر الدال بدلاً من ضمها ، وبشهادة التحوى المصرى : النحاس (المتوفى ٣٣٨ هـ) كانت صيغة الحمدلة على هذا التحو خاصية بلهجته تميم (٤) . وقد اجتهد الكوفيون في تأييد هذه القراءة وأختها : « الْحَمْدُ لِلَّهِ » « بضم لام الله » ، يسوقون أمثلة أخرى لتناسب المركبات والإتباع ؛ وعلى التقىض من ذلك البصريون الذين عابوا هذه القراءة — التي هي فضلاً عن ذلك قراءة زيد بن على (المتوفى ١٢٢ هـ) ورُؤبة — بمحنة أنها غير مستعملة إطلاقاً ، وأنها مخالفة للقواعد ، ومصطدمه بالإعرا ب (٥) . ويصف الجاحظ قراءتين للحسن بأنهما خطأ صراح ، إحداهما : « وَمَا تَنَزَّلْتُ بِهِ الشَّيَاطِينُ » بدل « الشَّيَاطِينُ » في سورة الشعراء ٢٦٠ / ٢١٠ (ألا يقال ذلك أيضاً في آية ٢٢١ من نفس السورة ، وفي سورة البقرة ٢ / ١٠٢ ، وفي سورة الأنعام

(١) البيان للجاحظ ٦٨ / ٤٤ .

(٢) نجد مثلاً لذلك في أخبار التحويين البصريين للسيرافي ص ٨٠ ؛ وعنه في الفهرست

(طبعة فلوجل) ٤١ ، وانظر أيضاً الكامل للمبرد ص ١٢٠

(٣) البيان للجاحظ ٥ / ٥ ؛ إرشاد الأريب ١ / ١ ، ٢٢ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٤ ؛ آمال القال ١٤١ / ٣

والبكري عليه ص ٦٦ . (٤) نزهة الآباء ص ٣٦٤ .

(٥) انظر الإنصال لابن الأنباري ص ٥٧ ص ٤٧ ص ٣١٠ ص ١٠ ؛ ص ٣١١ ص ١٦

ص ٣١٥ ص ٩ ؛ وانظر المحتسب لابن جن في سورة الفاتحة ١ / ٢ ؛ وانظر المختصر لابن خالويه ، ( Bibl. Isl. VII ) ١ / ٣ وغير ذلك .

- ٤٢ -

٧١/٦ ) ، والأخرى : صادى ، بدل : صاد (١) (سورة ص ٣٨/١) . وفي الأولى نرى صيغة جديدة : شياطون ، وقد نشأت من توهם أن نون جمع التكسير هي نون جمع التصحيح (المذكر السالم) . أما أن هذه الصيغة الجديدة وردت حقيقة في الاستعمال اللغوى للقرن الأول ، فهذا ما تؤكد له شهادة ثقates قدماء آخرين ، مثل سعيد بن جبیر (المتوفى ٩٥ھ) وطاوس (المتوفى ١٠٦ھ) ؛ بل كذلك الأعمش نفسه (المتوفى ١٤٨ھ) . بيد أن شيئاً ، كثثير من الصيغ المخالفة لقواعد ، التي وردت في القراءات الشاذة ، لم تلق قبولاً عند النحاة ، بل عابها غاليليتهم (٢) وعدوها خطأ صريحاً . وليس كذلك أمر القراءة الثانية : صادى ، التي تدين في نشأتها إلى نظر تفسيري شخص ، حيث فهمت على أنها أمر من مصدر المادة الثلاثية : صدى ، ومن هنا لا تتعارض في صيغتها مع قواعده (٣) التحوا .

ومن الممكن أن يحيط غير العربي باللغة العربية إحاطة تامة ، بيد أن خصائصه في التعبير تم على أنه أجنبي . وهكذا نمت لهجة الفقيه السورى الكبير : مكحول (المتوفى ١١٧ھ) ، على أن نسبة يم إلى أحد الأسرى من « كابل » ؛ فقد كان يستعipس (٤) من الحاء بالباء ، ومن القاف بالكاف ، كما أعرب المحدث الشقة الكبير : نافع (المتوفى ١١٧ھ) ، شيخ الإمام « مالك » - يضع البخارى سلسلة : مالك عن نافع عن ابن عمر فوق كل إسناد - عن أصله الدليلى (٥) ، بسبب تعبيره .

بل حتى في أكثر النواحي اختصاصاً أصيلاً بالعرب ، وهو فن الشعر ، كان على العرب أيضاً أن يرضاوا بمنافسة الأجانب . وقدماً ، في النصف الثاني من القرن الأول ، نال رجل غير عربي هو زياد الأعجم (المتوفى حوالي سنة ١٠٠ھ) من حيث هو شاعر في بلاط المهلب بن أبي صفرة (المتوفى ٨٢ھ) في خراسان ، مجدًا وعلوًّا كبيراً . لقد كان فارسي الأصل ؛ ويرجع

(١) البيان للباحث ٤/٢ .

(٢) المحتسب لابن جنى في سورة الشراء ٢٠/٢٠ ؛ المختصر لابن خالويه ص ١٠٨ ، الكشاف : ص ١٠١١ ، تاج المرروس ٥/١٧٢ .

(٣) المحتسب لابن جنى في سورة ص ٣٨/١ ؛ المختصر لابن خالويه ص ١٢٩ .

(٤) الممارف ص ٢٣٠ ؛ ابن خلكان (١٢٩٩ھ/٢٥٨٥) ؛ تذكرة الحفاظ للذهبي ١٠٢/١ .

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبى ١/٩٤ ؛ تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠/٤١ .

لقبه : « الأعجم » إلى لكتبه الفارسية ، وضعفه في نطق العربية . ويصفه أحد خصومه ، وهو المغيرة بن جبناط ، بأنه « عاجم أَعْجَم » ، وأنه أعجمي لسانه وأنه « ابن زَرْوَانٍ<sup>(١)</sup> » ، والأقوال التي رويت على لسانه<sup>(٢)</sup> تدل على أنه كان يستعير من العين بالهمز ، ومن الحاء بالهاء ، ومن حروف الإطباقي بنظائرها المرفقة . وهذه الظواهر في نطق العربية من السمات الخلاصية بالألسنة الفارسية ، مما يحملنا على الركون إلى هذه الروايات الواردة في هذه النقطة على الأقل وإن كانت أهم هذه الروايات<sup>(٣)</sup> قد حكى<sup>(٤)</sup> أيضاً عن زياد ، أخي حسان ابن أبي حسان النبطي<sup>(٥)</sup> الذي اشتهر بأعماله السُّقُّي والرَّقَّي في العراق على عهد الوليد وهشام . ولكيلا يتأثر حسن الجرسون في أبيات زياد الأعجم بضعف نطقه ، أهدي إلى المهلب غلاماً يمجيد<sup>(٦)</sup> بالإلقاء . وما كان ليفعل ذلك لو لم تكن أبيات الشاعر سليمة من حيث التحجو والقواعد . وفي الحق إن تركة<sup>(٧)</sup> زياد الشعرية لتدل على أنه كان متمكناً من العربية تماماً كاماً : ومرثيته للغيرة بن المهلب (المتوفى ٨٢ هـ<sup>(٨)</sup>) من أشهر المراثي في الشعر العربي<sup>(٩)</sup> .  
نعم لقد أخطأ في قوله (في مكان آخر) :

إِذَا قَلْتُ قَدْ أَقْبَلْتُ أَدْبَرْتُ      كَمَنْ لِيسْ غَادِي وَلَا رَائِحُ  
إِذْ كَانْ يَجِبُ أَنْ يَقُولُ : كَمْ لِيسْ غَادِيَاً وَلَا رَائِحَاً . بَيْدَ أَنَّهُ مِنْ قَبْلِ  
الْتَّعْمِيمِ ، الَّذِي لَا وَجْهَ لَهُ مِنْ الْحَقِّ ، أَنْ يَقُولُ فِيهِ ابْنُ قَتِيَّةَ<sup>(١٠)</sup> بِسَبَبِ ذَلِكِ :

(١) الأغاني ١١/١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) الأغاني ١٤/١٠٣ ، البيان للباحث ١/٣٢ ، الكامل للمبرد ص ٣٦٦

(٣) الأغاني ١٤/١٠٢ ، وانظر : خزانة الأدب ٤/١٩٣ فيها الصواب .

(٤) البيان للباحث ٣/٢ ، الحasan والأسداد (القاهرة ١٣٢٤ هـ) ص ٧

(٥) انظر في هذا : Wellhausen, Das arab. Reich S. ١٥٧ .

(٦) الأغاني ١١/١٦٥ .

(٧) حفظ كتاب الأغاني كثيراً من شعره ، كما توجد طائفة من أشعاره في كتب التراجم والتاريخ والأدب والمخارات .

(٨) أمال القالى ٨/٣ - ١١ ، وشرح البكري ٧/٣ في الموضع نفسه ؛ ويضاف إلى المصادر المذكورة فيه : إرشاد الأريب ٤/٢٢٢ .

(٩) الأغاني ١٤/١٠٢ .

(١٠) الشعر والشعراء ص ٢٠٩ Reckendorf, Syntax S. 97، بمقدم ابن قتيبة دون تمحیص .

- 88 -

إنه كان كثير اللحن . بل ربما كان أبو الفرج الأصبهاني مصيباً حين يصف<sup>(١)</sup> عبارته اللغوية بالسلامة من الخطأ : « فصيحة الألفاظ » .

أَعْوَزْتُنِي الرِّوَاةِ يَا بْنَ سُلَيْمَانَ  
وَغَلَىٰ بِالسَّنَىٰ أَجْمَجمَ صَدْرِي  
وَازْدَرْتُنِي الْعَيْنُ إِذْ كَانَ لَوْنَىٰ  
فَضَرَبَتُ الْأَمْوَارَ ظَهْرًا لِبَطْنَىٰ

وَأَبَىٰ أَنْ يُقْيِمَ شِعْرِي لِسَانِي  
وَشَكَانِي لِعُجْمَتِي شِيطَانِي<sup>(١)</sup>  
حَالَكَا مَجْتَوْيَ مِنَ الْأَلْوَانِ<sup>(٢)</sup>  
كَيْفَ أَخْتَالُ حِيلَةَ لِسَانِي

(١) الأغاف٤ / ١٠٢

الأغاف / ١٦ - ٨٧

(٣) الشعر والشعراء ص ٤٨٢ ؛ الأغافل ١٦ / ٨١ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٨٣ ؛ شرح الحماسة للتبريري ص ٢٦ ؛ غزارة الأدب ٤ / ١٧٠ ؛ ابن خلkan ( ١٢٩٩ ) ٥٨٥ وانظر الخبر الذي رواه ابن قتيبة في الشعر والشعراء = الأغافل ١٦ / ٨٣ = ابن خلkan ( ١٢٩٩ ) ٥٨٥ / ٢

(٤) كان على رأس القوات السورية في العراق التي رابطت في الخيرية تحت ولاية يوسف بن عمر (١٢٠ - ١٢٦) واشتراك في قتال زيد بن علي (انظر الطبرى ٢١٧٠/٨ و ١٨٣٨/٢)

٨٢/١٦ (٥) الأغاني

(٦) ويروى : وچنان لمعجمى سلطانى . والظاهر أنه تحريف حادث : انظر : Goldziher

(١) يُؤثِّر المؤلَّف : وبان بعض بياني ، ولاداعي إاليه . وربما كان في البيت قبله : كيف  
احتال حيلة لبياني ، تفاديًّا للإبطاء مم الـبيت الأول ( التجار ) .

(٢) انتصب لفظ : كل ، على أنه معمول للمصدر وهو : جزاء ،

(٣) نقائص جرير والأخطل؛ نشرها أنطون صالحاني (بيروت ١٩٢٢):

(٤) ذكر الجاحظ ١٤ بيتاً منها في رسالة تفصيل السودان على البيضان (ثلاث رسائل للجاحظ ، طبع فان فلوتون) ص ٨٤ وما بعدها . وانتظر أمال ابن الشحرى ١٩٤/١ (طبع كرنوك) ونقاوصن جيرر والأسطول السالف الذكر .

(٥) الكامل ص ٤١٥ و يوجد في بعض النسخ كاف في بعض النسخ الخطيّة رباح بن صبيح .

(٦) كذا في الجامع عند الموضع السالف الذكر . وقرأه فان فلورن : شيخ بن رباح ، وهى قراءة وديثة . وقرأه صالحان فى التناقض : سفيح بن رباح ، وذكرنى التعليق بعض الاختلافات وقرأه كرنكو - غلطآ - سفيح بن رباح .

- ٤٦ -

المبرد أنه : فصحيح ؛ كما أن أبياته الباقية تدل على أنه كان يفهم كيف يتعاطى فنَّ الشعر العربي ولغته ، ويحسن أساليبه . ولكن يختصر جزيرآ ، مدح في قصيده خصميه بكلمات المدح التالية :

**إِنَّ الْفَرْزَدَقَ صَخْرَةً عَادِيَةً طَالَتْ ، فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَوْعَالَا**<sup>(١)</sup>

وهذا هو البيت الفرد الذي يكثر سوقه من أبيات القصيدة ، وإن كان دون تسميه قائله . وهو يشتمل على تأليف غريب للكلام ، بل معيب عند بعض النقاد . وكان التأليف الطبيعي يقتضي : طَالَتْ الْأَوْعَالَ فَلَيْسَ تَنَالُهَا .  
ييد أن من شعراء البادية من سمح لنفسه بحرية أجرأ من هذه ، فلا يجوز لأحد أن يرجح هذه الظاهرة إلى أصل الشاعر غير العربي . وقد اشتهر برداة التأليف مثلاً — بيت الفرزدق الثاني ، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل خال الخليفة هشام بن عبد الملك :

**وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَلِكًا أَبُو أَمَّهِ حَسَنٌ أَبُوهُ يَقَارِبِهِ**<sup>(٢)</sup>  
كذلك يبدو فساد التأليف في بيت الفرزدق الثاني ، من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك :

**إِلَى مَلِيكِ مَا أُمَّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كُلَّيْبٌ تُصَاهِرُهُ**<sup>(٣)</sup>  
وقصائد الفرزدق بوجه خاص ، بها بعض الأبيات التي كثيراً ما سببت<sup>(٤)</sup> لشارحها عناء كثيراً ، لما يرد فيها من التداخل عن صنعة و اختيار .

بل لقد ظهر كذلك في أواخر القرن الأول فتور في الإحساس اللغوي القديم عند الشعراء من أصل عربي . حقاً لقد كان الطراز الرفيع من الشعر يجري على السنن المرسوم ، والتقاليد المرعية ، ليس فقط من حيث الموضوع و اختيار المقام والمقال ، بل كذلك في شكله من حيث الترورة اللغوية وطرق التعبير . ييد أنه على الرغم من ذلك ، كان في الأول ، يصدر عن طبع صادق ،

(١) أمال المرتضى ٤ / ١٣٠ ؛ الشتيري على سيبويه ٣٥٦/٢ ؛ العبدة لابن رشيق ١٧٤/١ ؛ قاتج المروس ٤٢٣/٧.

(٢) سقط البيت في الديوان . وقد أضافه الصاوي في ص ١٠٨ نقلًا عن الأخبار والروايات.

(٣) العين على هامش المزانة ١/٥٥٥ ؛ وفي الديوان ٣١٢ وردت الرواية : أبوها وهي أخف تقديرًا .

(٤) يحتوى الأغانى ١٩/١٥ لما بعدها على أمثلة كثيرة من ذلك .

ونبع أصيل ، أما في ذلك العهد فقد انتشرت الصنعة والتقليد عند المولدين أيمًا انتشار .

وها هو ذا ديوان الشاعر : «الطرماح» ، حافل بالعبارات المتقنة ، والألفاظ المبهمة . لقد نشأ في سواد الكوفة ، ويقال عنه : إنه كان يكتب ألفاظ النبيط ، فيعرّبها ، ويدخلها في شعره<sup>(١)</sup> . وبعد الأصمعي — وحكمه راجح الوزن — الطرماح والكميت من الشعراء المولدين الذين لا يمتنع باستعمالهم اللغوي ؛ ويزعم أنهم استعملوا عبارات أغارة عليها من أقوال غيرها ، دون أن يفهموها فهمًا صحيحًا<sup>(٢)</sup> . وهو يقصد «من أقوال غيرها» رؤبة الراجز ، الذي حكى أنه ، وهو في فارس عند مددوه أبان بن الوليد البجلي<sup>(٣)</sup> ، سأله الطرماح والكميت عن شيء من الغريب ؛ فلما كان يعتدُّ رآه في شعرها<sup>(٤)</sup> ولقد كان رؤبة في مثل هذه المعلومات — بطبيعة الحال — أباً معلترتها ، الذي يسمو في فهم أسرار اللغة ودقائقها على المستهيرين بكثير ؛ وحتى لو كانت أقواله مغالٍ فيها ، أو كاذبة كما شك<sup>(٥)</sup> فيها بعضهم على غير أساس ؛ فإن حكم الأصمعي جيدٌ صحيح ، ويفيد ديوان الشاعر كل التأييد ، كما ستبينه

(١) الموضع ص ٢٠٨

(٢) المرجع السادس ص ٢٠٩ ، ٢٠٨

(٣) كان أبان عاملًا لخالد بن عبد الله القسري بين ١٠٥ و ١٢٠ (الأغاف ١٩ / ٢٠) وانظر في سعيه لتخلیص خالد من الحبس (الطبری ١٦٥١ / ٢ - ١٦٥٤) ووقوعه هو في الحبس (الأغاف ١٥ / ١٢٩) ، وكان مقصودًا من الشعراً يحيى لم العطاء (انظر فهرست الأغاف) . وقد قال فيه رؤية القصائد رقم ١٥ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٥ في ديوانه ، انظر مقدمة آلورد في الديوان المذكور ( Sammlungen arabischer Dichter III S. XLVII ) ولایلسن بابان بن الوليد المشهور بانتصاره على البيزنطيين سنة ٥٧٥ هـ ، وهذا ابن الوليد بن عقبة الذي ولـ الكوفة (٢٦ - ٣٠ هـ) انظر : Wellhausen, Skizzen VI S. ١١٥ - ١١٧

(٤) الموضع ص ١٩٢ ؛ الشعر والشعراء ص ٣٧٢ ؛ الأغاف ١٠ / ١٥٦

(٥) انظر : Krenkow, the Poems of Tufail and Trimmah ( GMSXXXV ) S. XXV u. EI, IV 860

وقد حدد كرنكو ميلاد رؤبة في دائرة المعارف الإسلامية ١٢٥٩/٣ بسنة ٦٥ هـ . على ذلك فلا يمكن أن يكون في عهد اخراج الدولة العربية شابًا فنيًا a very young man بل أصغر قليلاً من الكيت (المولود سنة ٦٠ هـ) الذي لم يكن تجاوزه بعد قمة إنتاجه الأدبي . كذلك لم يتم بين رؤبة والطرماح فارق بعيد من جهة السن . ولا علاقة بين مرتبة رؤبة في الشعر وعلى مكانته في شعرون اللغة ، فهو هنا من حيث هو بدوى أصيل نسيج وحدة .

- ٤٨ -

الأمثلة التالية التي يمكن زياحتها بمسؤوله : فإذا وصف الطرماح (ق ٨/٣) ثوراً وحشياً في ليلة مطرة، تلفه سحابة مثقلة بالماء (سارية وطفاء)، وهيفٌ مُبَرِّدٌ، فإنه لا يكاد يُفهم من اللفظين الأخيرين إلا ريح باردة. ولكن لفظ هيفٌ ، معناه ريح الجنوب<sup>(١)</sup> اللافحة الحرارة. ورواية : هيفٌ ، المذكورة عند المرزوقي<sup>(٢)</sup> وحده، وهو يعلق على ذلك بأن الشاعر قد خالف طريقة استعمال غالب البدو. وفي الديوان على العكس من ذلك : هفت مُبَرِّدٌ . وهي رواية ربما جاز لنا أن نرى فيها تغيراً مقصوداً للفظ الأصلي على أنها كذلك لا تدل على معنى مقنع ؛ إذ إن لفظ : هفت ، معناه فارغ ، يدل على : سحابة غير مطرة ، وهذا المعنى لا يتنااسب أيضاً – مثل ريح الجنوب – مع سياق الكلام . وإذا كان الشارح يفسر الهيف بالريح الباردة، فهو – فيما يظهر – مصيب.

ونسوق – مثلاً ثانياً – البيت التالي (ق ١٢/٤١) من قصيدة يمدح بها يزيد بن المهلب (المتوفى ١٠٢ھ) :

لَأُمْ تَحِنْ بِهِ مَزَا مِيرُ الأَجَانِبِ وَالأشَامِلِ

وهنا صاغ الشاعر للفظ : شَمَلٌ ، وهي صيغة ثانية إلى جانب شَمَلٌ ، أو بعبارة أخرى – صاغ لجمع شَمَلٌ ، وهو : أَشَمَلُ ، جمعاً جديداً على أَشَامِلٍ ، يجعله مجازياً للفظ : أَجَانِبٌ ، بحيث نشأ من ذلك ازدواج لفظي غريب . وقد عمد إلى ما هو أعنف من ذلك في بيت آخر (ق ٢١/٤) اختصر فيه لفظ : تلاميذ إلى : تلام ، بسبب القافية . نعم قد ترد مثل هذه التغييرات اللفظية المتعمدة عند شعراء آخرين أيضاً ، بيد أنها تعدّ – بحق – عند النقاد العرب من قبيل الخطأ<sup>(٣)</sup> .

ولمثل هذه الظواهر كان من المرغوب عنه تماماً اعتماد أشعار الطرماح في معجم اللغة العربية ، على الأخص بالنظر إلى المفردات التي ينفرد باستعمالها . ولفظ كِرَاض الوارد في شعره (ق ١٠/٢) أيد المبرد<sup>(٤)</sup> مطابقته لمعنى تعبير

(١) انظر ديوان ذي الرمة ق ٤٤/٤ (والمراجع العربية : اللسان ؛ الناج ؛ الأساس)

Dozys supplement; J.J. hess , Islamica 2, 587.

(٢) كتاب الأزمات والأمكنة (حيدر آباد ١٣٣٢ھ) ٧٨/٢

(٣) انظر مثلاً : نقد الشعر لقدماء ص ٨٦ فما بعدها .

(٤) الكامل ص ٩٥

- ٤٩ -

يوناني — فسره<sup>(١)</sup> بعضهم ، مراعاة للسياق ، بالرحم ، أو ما يلفظ الرحم من ماء ، أو ماء الفحل . فأى هذه المعانى ينطبق هنا ؟ وهل هو لفظ فى لهجة بعineها ، أو لفظ قديم بطل استعماله ، أو وضع جديد ، أو ناشئ عن سوء فهم ؟ هذا ما يعسر بيانه بالتحديد .

ويوضع الأصمعى مع الطرماح — كما ذكرنا — الكيت بن زيد الشاعر (حوالى ٦٠—١٢٦٥) في مرتبة واحدة<sup>(٢)</sup> . ولد الكيت بالكوفة ، وينسب إلى بني أسد . حقاً لا تدل شجرة نسبه الفاخرة<sup>(٣)</sup> على خلوص نسبته العربية . ولما كانت دعوى<sup>(٤)</sup> الأصمعى ، أنه جرمقانى من الموصل ، لا تقاد تكون هواء أو مبنية على غير أساس ، فلا بد من فسح المجال لاحتمال أن أباً أمه كان من السكان الذين نزلوا قديماً بمنطقة الموصل وأقاموا فيها . وأيًّا ما كان ، فقد بقى بعيداً عن البداوة ، وصار من أهل المدن . نعم لا تزال تجري أشعاره على السنن القديم تماماً ، كما أنها تحمل طابع التقليد المصططن على جبينها . وهذا ينطبق — قبل كل شيء — على أوصافه التي لا لون لها ، والتي لا تقول شيئاً ، والتي قال فيها ذو الرومة : ما يقدر إنسان أن يقول إنها صواب أو خطأ . وإذا كان الكيت لم يعارض هذه الحقيقة الثابتة ؛ بل لاحظ عليها موضحاً — مبيناً لفرق بيته وبين ناقده — أنه يصف شيئاً لم يره بعينه ، فإن محاولاته الدفاع عن نفسه على هذا النحو تدل على أنه رفع<sup>(٥)</sup> التقليد الخض إلى مرتبة الحدق الفنى ، ومع هذا ، فإنه لم يتقييد بمشاله ونماذجه تقيد العبودية ؛ فقد حبب إليه مثلاً أن يعطي التسبيب تحولاً سلبياً ، حينما يبرز في صورة التأكيد أن قلبه ليس ملكاً للغوانى ، ولا يطمح إلى حب النساء ، وإن طربه لا يرجع<sup>(٦)</sup> إلى شوق أو غرام . وهذا يتبع له الفرصة ، حتى في قصائد الرثاء التي يحب بالبداهة أن تكون بمعزل عن التشبيب والغزل ، أن يخشواها بأوصاف من

(١) انظر : تاج المرؤس ٨٢/٥

(٢) الموسوعة ٢٠٩ ، ٢٠٨

(٣) الأغافى ١١٣/١٥ ، وعلى ما ذكره هناك ١٢٥/١٥ كانت جداته من البدو .

(٤) أمالى القال ٩٦/١ ؛ انظر الاشتراق لابن دريد ص ٢٦٥ (طبع فستقلد) ، وفى « البرامقة » انظر المداف ( BGAV ) ص ٣٥ ؛ تاج المرؤس ٣٠٥/٦ ، ١، ٥٨٨  
تحت لفظ : Badjarma .

(٥) الأغافى ١٢٥/١٥ ؛ الموسوعة ١٩٥ .

(٦) انظر — قبل كل شيء — الهاشيات ق ٣/١-٣٠

- ٥٠ -

العبارات المألوفة في التسبيب : وهذا خروج على الأسسالايب عابه<sup>(١)</sup> عليه  
— يحقن — النقاد العرب . وفي مرة أخرى اختار الكيت للتسبيب ، في قصيدة  
يمدح بها عبد الرحمن بن عنبسة<sup>(٢)</sup> ، قالب الاستفهام التوبىعى :

أَبْكَاكَةَ بِالْعُسْرِفِ الْمَنْزِلُ وَمَا أَنْتَ وَالظَّلَلُ الْمُحْوَلُ  
وَمَا أَنْتَ وَيْكَ وَرَسْمُ الدِّيَارِ وَسُنْكَ قَدْ قَارَبَتْ تَكْمِلَ<sup>(٣)</sup>  
كَذَلِكَ كَانَ لَا يَبْلُى أَنْ يَقْتَبِسَ مِنَ الْقُرْآنَ — إِلَى جَانِبِ الْأَشْعَارِ الْقَدِيمَةِ —  
لِأَغْرَاصِهِ ، بِحِيثُ اسْتِطَاعَ الْعَالَمُ الْكَوْفِيُّ : ابْنُ كُنَاسَةَ (١٢٣ - ٥٢٠٧) ،  
الَّذِي اشْتَغَلَ كَثِيرًا بِالْأَشْعَارِ الْكَيْتِ ، أَنْ يَضْعُفَ كِتَابًا<sup>(٤)</sup> كَامِلًا فِي سِرَقَاتِهِ  
بِعِنْوَانِ : (سِرَقَاتُ الْكَيْتِ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ) . وَلِكَنَّهُ هُنَاكَ ، حِيثُ  
لَا يَعْتَمِدُ عَلَى مَصْلِحَةِ ، يَبْلُو تَعْبِيرَهُ فَقِيرًا رَثِيًّا ، عَارِيًّا مِنْ كُلِّ جَهَالٍ شَعْرِيٍّ .  
وَكَثِيرٌ مِنْ شِعْرِهِ يَبْلُو فِي صُورَةِ نُثُرٍ مَنْظُومٍ ، تَبَرَّزُ خَلَالُ فَقْرِهِ وَإِقْفَارِهِ ،  
الْتَّعْبِيرَاتُ الرَّفِيعَةُ مِنْ لِغَةِ الشَّعْرَاءِ ، الْمَقْحَمَةُ هُنَا وَهُنَاكَ ، كَأَنَّهَا رَقَاعٌ جَلِيلٌ  
فِي ثَوْبٍ بَالٍ ، تَسْلَدَةُ الْأَبْصَارِ ، وَتَدَاهُشُ الْأَنْظَارِ . وَيَتَسَقُّ مَعَ هَذَا اِتْسَاقًا  
تَامًا أَنَّ الْكَيْتَ كَانَ يَعْدُ أُمَيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلَتِ أَشْعَرَ الشَّعْرَاءِ (الْأَغْنَى / ٤٢٢)  
فِيهَا التَّنَقْلُ بَيْنَ السَّطْحِيَّةِ الْمَقْفَرَةِ ، وَالصِّيَغَةِ الْمُتَنَخَّلَةِ ، قَدْ أَسْهَمَ كَثِيرًا فِي  
طَبِيعِ أَسْلُوبِ الْكَيْتِ الْقَلْقَلِيِّ الْمُضْطَرِبِ بِطَابِعِ عَامِ غَيْرِ مَرْضٍ . وَتَرَجَحَ فِي هَذَا  
الْأَسْلُوبِ كَفَةُ الْعَنْصُرِ النَّثَرِيِّ تَامًا ، وَحَتَّى الْحُرْبَيَّةُ الَّتِي يَتَخَذُهَا الْكَيْتُ  
أَحْيَانًا فِي الْأَمْوَارِ الْلَّغُوِيَّةِ ، هِيَ أَيْضًا ذَاتُ مِيَّسِنْ نُثُرٍ ؛ فَهُوَ يَسْتَعْمِلُ مَثَلًا  
لِلْفَظِ « ذُو » الَّذِي يَقْتَصِرُ وَرَوْدَهُ عَادَةً عَلَى التَّرْكِيبِ الإِضَافِيِّ ، فِي الْجَمْعِ  
الْمَعْرُوفِ : « الْذَّوَّارِينَ » بِمَعْنَى أَشْرَافِ إِيْنَهِنَّ<sup>(٥)</sup> ؛ وَهُوَ يَصْوُغُ لِفَظَ « عُشَّارَ »

(١) العدة (١٤٤ / ٥١٤٤)

(٢) انظر : Wüstenfeld, gen. Tabellen U 24

(٣) الأغافل ١٨٢ / ١٩٣ : خزانة الأدب ١ / ٥٥٨ ؛ معجم البلدان ٣ / ٦٤٧ . وهذا مذهب آخر غير مذهب تحبير الأطلاط ورسوم الديار الذي ظهر في شعر المحدثين ( Goldziher, muh. studien I 32 Anm. I )

(٤) انظر الفهرست ص ٧١ ( فلوجل ) .

(٥) سيفويه ٢ / ٣٩ ( Derenbourg ) ؛ خزانة الأدب ١ / ٦٧ ؛ ٨٦ ؛ شمس العلوم ٣٩ . وغير ذلك .

يُعنى لكل عشرة ، على الرغم من أن صيغة «فُعَال» تستعمل<sup>(١)</sup> عادة في  
اللفاظ التقسيم من واحد إلى أربعة فقط (أحاد، ثناء، ثلث، رُباع) :  
وهو يستعمل اسم الموصول : «الذى» ، دون صلة ، يُعنى اسم الإشارة :  
فإن أدع اللوائى من أنس أضماً عهـنـ ، لا أدع الذـونـا<sup>(٢)</sup>

ولم يأخذ الناقدون عليه استعماله للألفاظ المهجورة تماماً ، كما هو الحال عند الطرماتح ، وإنما انصب النقد على تسامحه في تعاطي اللغة الدارجة . فثلا **يُخْطَّئُهُ الأصمعي** في البيت الذي قاله في هجاء بزير بن خالد بن عبد الله القسرى :

**أَبْرَقْ** وَأَرْعَدْ **بَابِزِي** لُدْ فَمَا وَعِدْكَ لَيْ يَضْمَأْرِي <sup>(٢)</sup>

لاستعماله صيغة أفعَلَ من : بَرَقَ وَرَأَدَ، مع أن الاستعمال الفصيح لا يعرف إلا صيغة الثلاثي<sup>(٤)</sup> : مجازاً في التهديد والوعيد . وأخيراً ، أسماء الكميّت أحياناً فهم التعبيرات البدوية ، لقلة بصره بشؤون البدو : فهو مثلاً يقول : نار أبي حبّاحب<sup>(٥)</sup> ، فأنخطاً في فهم العبارة المشهورة : «نار

(١) انظر الأغانى ١٤٥/١٣ ؛ خزانة الأدب ٨٢/١ ؛ أدب الكاتب (نثر Grünert) ص ٩١ وشرح البطليوسى عليه ص ٤٦٧ وشرح الجوايدى ص ٣٩٣ ؛ درة الفوادى ص ١٤٨ (نشر Thorbecke) .

(٢) خزانة الأدب /٦٠٥ و مثل هذا الاستعمال يوجد في العبارة المشهورة : بعد الليل والليل ، انظر : الميداني (١٤٣٢) ٨٢/١

(٢) الموضع ١٩٦ ، ١٩٧ ؛ أمال القال ١/٩٦ والتنيبه للبكرى ١/٣٠٠ وأدب الكاتب  
٤٠٠ وشرح الجواويف عليه ٢٨٣ وإصلاح المتنق ٢ ، ٥٨ والاشتقاق لابن دريد ٢٦٥ وفصيح  
ثلب ٦

(٤) شواهد الفعل الشاذ في المعنى المجازى مستفيضة ؛ انظر ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٤٠٠ ؛ ديوان الماتلس (١٥٢٥) Völlers VI . أما الفعل الرباعي بهذا المعنى فقد جاء في بيت للهلهل عدد الأصمعي منحولاً (الأغاف٤ / ١٤٩) ؛ الكامل للمربد ٦٢٥ ، الموشح ص ١٩٦ ) و كما في البيت المنسوب إلى عبد الله بن الحارث السعى (ابن هشام ص ٢١٦) والذى روى أنه سمي : المبرق بسيبه ؛ وفي بيت للزريقان (انظر دبوانه : آلورد ٤ VIII ) ، ولعبديل بن الفرج المعجل معاصر الحاج (الخمسة ص ٣٤٨) . ونظراً لهذه الشواهد المختلفة يعد كل من أبي عبيدة وأبي عمرو (انظر : إصلاح الملنط ٢، ٥٨) وأبي زيد (انظر : أمال القال ١ / ٩٦) صفة الرباعي ، كصفة الشاذة فصححة .

(٥) شرح الشواهد الكبرى للعيّن ٣٦١/٤؛ تاج المروض ٢٠٠/١؛ خزانة الأدب (٢١٣/٣) (نار أبي الحباب).

المحبّاب<sup>(١)</sup> ، وظن أن لفظ حباب ، الذي معناه: اللهب أو دَوَيْبَةَ حمراء تشبه اللهب ، اسم رجل عربي يخيل ؛ كما أخطأ في ذلك أيضاً من تابعه من المغويين<sup>(٢)</sup>.

على أنه ، حتى عند آخر من يتحجّج بشعره من شعراء البايدية : ذي الرمة ، المتوفى حوالي منتصف عام ١١٧٥ هـ ، توجّله هنا وهناك صيغة مولدة . حقاً لقد كانت علاقته بالشعر القديم ، إذ كان بدويأً ، تختلف اختلافاً تاماً عن علاقة الكميّت ؛ كما صانته خبرته ودرايته العميقه باللغة والطبيعة العربيّة من الواقع في أخطاء صريحة . بيد أنه – على الرغم من ذلك – قد ظهر أثر العصر الجديد في لغته أيضاً ؛ فهو مثلاً يستعمل<sup>(٣)</sup> في القصيدة ٢٩/٨٧ ، لفظ : زوجة ، من اللفظ القديم : زوج ؛ وهي صيغة جديدة وردت عند الفرزدق من قبل (ديوانه ٥٦٠٥) ، ولكنها مرفوضة من الأصمعي<sup>(٤)</sup> ، رعاية للاستعمال القرآني فيما يبدو . وينطبق الأصمعي أيضاً استعمال ذي الرمة (قصيدة ١٠/١٧ ، ١٣/٢٢) لفظ : أَدْمَانَة ، بمعنى بيضاء اللون (ظبية) بمحنة أن لفظ الجمع وهو : أَدْمَان (جمع آدم) لا يصح أن تلحّقه علامة تأنيث ، ولا يصح غير : أَدْمَاء<sup>(٥)</sup> . وإذا كان علماء آخرون يشيرون إلى أن الوصف على فعلان بالمعنى الإفرادي يصح أن تلحّقه علامة التأنيث (مثل : نُمْصَان<sup>(٦)</sup> وخصائص بمعنى : أهيف وهيفاء) ، فلا ينطبق ذلك على ما نحن فيه ؛ لأن أَدْمَان – كما ذكر – ليس بمفرد – وحقيقة يبدو أن لفظ : أَدْمانة

(١) النابعة : قصيدة ٢١/١ ؛ الأغاني ٥٢/١٢ ؛ القطاطي قصيدة ٤٠/١٥ ؛ أبوسحابة (روايه الجاحظ في الحيوان ٤/١٥٥) ؛ الميداني : ٢٣٢/١ ؛ الميري (١٢٤٧ هـ) ٢٢٤/١ ؛ أمال ابن الشجري ٥٨/٢ : وانظر أيضاً A. Fischer, Der koran des abu:

I'Ala' al-ma'arri, Leipzig 1942 S. 58-63

(٢) انظر : Nöldeke Beiträge zur semitischen sprachwissenschaft ١١٨, ١٠.

(٣) أخذت الشواهد المتعلقة بندي الرمة من : The Diwan of Ghailan b. 'Uqbah known as Dhu'r-Rummah ed. by C.H.H. Macartney, Cambridge 1919.

(٤) الموسوعة ١٨٠ : تاج العروس ٤/٢

(٥) الاشتقاد لابن دريد ص ٤ (وفي أدمانة غلط) : تاج العروس ٨/١٨١

(٦) ورد هذا اللفظ في شعر ذي الرمة ، قصيدة ١٣/١ ؛ وأبي وجزء في تاج العروس ٢٦٩/١٠

لم يرد في الشعر القديم<sup>(١)</sup>؛ وهذا البيت الذي يساق كثيراً<sup>(٢)</sup> :

إنسانة الحى أم أدمانة السُّمُرْ      بالنَّهِيِّ رقصها لحنٌ من الور  
والذى ينم<sup>(٣)</sup> فيه أيضاً لفظ : إنسانة ، مؤنث إنسان ، على أنه متأخر ،  
إنما قيل في القرن الخامس . وقائله رجل من زعماء بدوى المتنفق اسمه : كامل ،  
كان في خدمة الوزير السلاجوق : كُنْدُرِى ، سنة ٤٥٠ هـ ، بالبصرة .  
وقد سمع منه القصيدة التي يقول في مطلعها<sup>(٤)</sup> هذا البيت ، الباخزى ،  
 حاجب كندرى .

وكذلك ، في دائرة التركيب النحوى ، تظهر في لغة ذى الرمة ، بين  
حين وآخر ، سمات من غير الفصحى ، مثل حشوه : « إلا » الزائدة في  
البيت ١٧ من القصيدة ٢٤ :

حراجيجُ ما تنفلَّت إلا مُنَاخَةً      على الخَسْفِ أو نرمي بها بلداً قَفْرَا<sup>(٥)</sup>  
ويظهر أنه قصد من ذلك إلى إبراز معنى الحصر في وضوح<sup>(٦)</sup> . كما أن  
وضعه لفظ : « لا » جواباً على ترديد السؤال ، بدلاً من « بل » في البيت ٣٠  
من القصيدة ٨٧ ، من الاستعمال المولدى<sup>(٧)</sup> . وأياً ما كان الأمر فإن هذه  
الظواهر عنده من النذرية بحيث لا يمكن أن تخوض من مكانة ذى الرمة ،  
من حيث إنه من الشعراء المحتاج .

(١) بل ورد في شعر لعبيد بن الأبر من في ديوانه ق ٤/١٩ (شبيتالر)

(٢) انظر تخریج هذا البيت في فهارس الشواهد : Fischer u. Bräunlich schawahid - Indices 102b II

(٣) ورد لفظ : إنسانة لأول مرة في شعر المتبنى ؛ انظر تاج العروس ٤/٩٩

(٤) انظر الباخزى : دمية القصر (٥) ص ١٣٤٩

(٥) زيادة (إلا) هنا مني على خطأ تلفيق ومقيس على عبارات مثل : أبي إلا (شبيتالر)

(٦) الموشح ص ١٨٢ ٤ ١٨٤ ٤ وانظر في تخریج ذلك على مختلف الوجوه : الإنصال  
ص ٧١ فما بعدها ؛ خزانة الأدب ٤/٩ فما بعدها ؛ على أن عبارة : ما ينفك إلا ، قد وردت  
عند بعض المدققين مثل الحريري (انظر : إرشاد الأريب ١٧٢/٦ )

(٧) هكذا يقر المؤلف مخيلاً على الكامل ص ٢٦٠ ، بيد أن الأخلاق أن يجعل اللعن في  
السؤال بلفظ : أم ، التي يطلب بها تعين أحد الأمرين مع الإيقان بحصول أحدهما . وظاهر  
الكلام في البيت المشار إليه أن السؤال عن التصديق بأحد الأمرين أى أن السائلة تجعل حصول  
واحد منها ، فكان المقام للفظ : أو ، بدلاً من : أم . وعلى هذا فالجواب بلفظ : لا صحيح  
نظراً إلى قصد السائل لا إلى لفظ السؤال ، لأن لا : مثل : بل ، يحاب بها في التصديق لا في  
التعين . انظر رغبة الآمل ١٨٣/٤

وها هو ذا الأصمعي الذي عنى<sup>(١)</sup> كثيراً بهذا الشاعر ملقياً<sup>(٢)</sup> نظره بصورة خاصة على الظواهر المولدة، ينتهي إلى تقرير أن ذا الرمة حجة في شئون اللغة؛ لأنَّه بدوى؛ على الرغم من أن شعره، ما عدا الداللية (ق ١٧) لا يشبه شعر العرب<sup>(٣)</sup>. وهذه السمات المولدة ناشئة من إقامة ذى الرمة في أرض «السوداد» الخصبية، أو كما يقول الأصمعي في عرض تصويري<sup>(٤)</sup>: «إن ذا الرمة قد أكل البقل والمملوح في حوانين البقالين حتى يشِّم».

وبينما كان شعر «البلاط» والأحزاب السياسية في الدولة العربية يتصرف في الحدود المتعارفة لأشعار البدو، ويجعل قدوته ومثاله فصحاء الجاهليّة الأوّلين أبدى شعر الغزل، الذي ازدهر بالسجّاز في أوائل العصر الأموي، صورة بعيدة عن البداونة من الوجهة اللغوية أيضاً. ومثلوا هذا الشعر الغزلي كانوا في الأعم الأغلب من بيت الملك، أو من رجال آخرين من ذوي النسب الرفيع، من الشبيبة الذهبية في الدولة (jeunesse dorée) التي لم تكن مشبعة بطعم سياسى أياً كان، بل تفضل أن تقضى عيشها، في وطن الأسرة القديم، مستغرقة في جميع صنوف الملاذ، التي كان المجتمع الحجازى المرح الخالى من المهموم يبالغ<sup>(٥)</sup> في عرضها وتقديمها. وأشعارهم السهلة السائغة انبعثت عن تجاذب الحب الخاصة، والماهرات التي تحدوها الرقة والظرف. وأهم ممثل لهم هو عمر<sup>(٦)</sup> بن أبي ربيعة (٦٤٤/٢٣ - ٧١٢/٩٣) الذي يتميز تعبيره المصقول الطبيعي، المتأنّر تأثراً خفيفاً بلغة الحوار في أرق المجتمعات العربية في عصره، امتيازاً واضحاً - من حيث

(١) كثيراً ما اعتمد صاحب المزانة (انظر ١/٢٨٤ وغير ذلك) على شرحه لديوان ذى الرمة.

(٢) ما يدخل في المولاد استعماله لفظ : إيه (ق ٣/٤٨)، فالأسمعي يرى وجوب تنوينه (انظر ياقوت: إرشاد الأريب ١٤/٣، خزانة الأدب ٤/٢٣٨)، كما اعترض الأصمعي على لفظ دوم بالمعنى المراد في القصيدة ١/٩٥، إذ إن دوم معناه الدوران في الماء. انظر قاموس لين ٩٣٦

(٣) انظر الأصمعي : فحولة الشعرا (نشر Torrey C. في ZDMG 65, 503, ١٧):

الموشح ص ١٧٠

(٤) الموشح ص ١٨٠، انظر أيضاً : الروض الأنف ١/٢١٠

(٥) انظر ١٠١ Wellhausen, Das arab. Reich,

(٦) انظر f. Kratschkowsky, EI III ١٠٥٧

مادته اللغوية قبل كل شيء عن عربية البداوة، الشديدة الأسر، المفعمة بالقوة . ويبدو أن نفس دوائر المجتمع المجازى هذه ، هي التي ظهر فيها لون فى آخر من شعر الغرام فى أوائل العصر الإسلامي . تلك القصص الغرامية العاطفية التي لعبت دورها بين البدو في السهل والمضائق ، مثل قصة ليلي والمحبون وغيرهما من أزواج القصص والروايات . ولم يكن مجهولاً لدى بعض (١) علماء اللغة من العرب أن هذا « المحبون » شخصية غير تاريخية . ونحن مدينون لابن الكلبي بهذا الخبر ، من أن شباباً أمرياً وقع في عشق ابنة عم له ، فاختار قصة ليلي والمحبون لتكون إطاراً لشعره في التشبيب . ولكيلاً يشيع اسم حبيبته بين الناس . وكذلك تلك القصص المؤثرة ، عن بنى عدرة (٢) ، الذين يموتون إذا أحبو ، تعتبر من مجالات شعر العاطفة عند البدو (Beduinenromantik) التي لعبت في المجتمع الإسلامي دوراً كبيراً .

وتساهم الطبقة العليا من العرب بالمحافظة على العربية ، التي كانت – وهي لغة البدو – معرضة دائماً للخطر الفساد والانحلال في المدن ، بما تحتوى عليه من سكان أخلاق ، وظهور « حركة التقنية اللغوية » ، التي كانت تلح باطراد في تطهير اللغة وتخلصها ، وطموح المسلمين الجدد البعيد المدى إلى امتلاك ناصية العربية بجميع دقائقها وأسرارها ، كل ذلك قد أوجد الدافع – في نهاية القرن الأول – إلى دراسة القواعد ، التي كانت تجعل نصب عينها في أغلبظن – كما هي الغاية العملية – تخلص الاستعمال اللغوي الصحيح بصورة أساسية ، والتي لم تستطع الابتعاد – بسبب طابعها القياسي – من الأثر الشخصي ، والاستغال بالتوافق ، كالملاحظات اللفظية وما شابهها . وقد يُروى عن ابن أبي إسحاق الحضرمي القاريء (حوالي ١١٧-٢٩ هـ) أنه وجه (٣) إلى الفرزدق نقداً واهياً . وقد حلته دراسته للقرآن على الاستغال بأمور اللغة . ويقال إنه توسع توسيعاً كبيراً في استعمال القياس اللغوي ، كما أنه كان يلاحظ اللهجات الخواص (٤) ، وكان – فوق ذلك – مولعاً ، لكونه من الموالى ،

(١) الألغاف ٢/٢ (طبع دار الكتب)

(٢) انظر : Levi Della Vida, EI IV 1071 f

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سالم ص ٦ (نشر Hell) .

(٤) تجد أمثلة لذلك في : طبقات ابن سالم ص ٧ ؛ الفهرست ص ٤٢ ؛ المختسب لابن جنى

في سورة البقرة ٢/٢

بالعثور على شيء في لغة البدو بتناوله بالنقد والتصحيح . ولما وقع الفرزدق في « الإقواء » الذي لم تسلم منه لغة الجاهليين أنفسهم<sup>(١)</sup> ، حيث ضم القافية بدلاً من كسرها في البيت :

على عمامتنا تلقى وأرحلنا      على زواحفَ تُرجى مُحْمَّها ريرُ

أى ذائب ، تعانى ابن أبي إسحاق – عمداً – عن هذا الإقواء ، ورواه كما لو أن الفرزدق قال : رير بالكسر ، وأنه خالف بذلك قواعد العربية . ولهذا غير الفرزدق قافية البيت إلى : على زواحف نزجها محاسير<sup>(٢)</sup> . وقد روى البيت على هذه الصورة الصحيحة ؛ في الديوان<sup>(٣)</sup> . وقد ثأر الفرزدق لنفسه من ناقده بالبيت المشهور :

فلو كان عبد الله موئي هجوته      ولكن عبد الله موئي موالي  
ييد أنه سرعان ما أرشد<sup>(٤)</sup> الفرزدق إلى أن الصواب يتعين أن يكون  
موئلَ موالي . وكذلك لم تقف شهوة التحيص عند ابن أبي إسحاق أمام الشعراء  
الأولين . فقد رأى في بيت النابغة (نشر آلورد ق ١١/١٧) :  
فبَثُّ كَلَّى سَاوِرْتَنِي ضَشِيلَةً      من الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهِ السُّمُّ نَاقِعٌ<sup>(٥)</sup>  
أنه يجب أن يكون في غير الضرورة<sup>(٦)</sup> : ناقعاً . وعلى عكس ذلك بلغت

(١) انظر ديوان النابغة ، قصيدة ٢/٧ ؛ ١٨ ؛ ٩/٢٠ ؛ ٥/٢٦ ؛ ٩/٢٠ ؛ ٥/٢٦ ؛ ٩/٢٠ ؛ ١٨ ؛ وانظر الأغاني ١٦٤/٩ ، وديوان امرئ القيس (طبع السنديني) ص ١٣٦ ، ١٣٧ ؛ ١٣٧ ص ١٤٦ س ٧ وديوان الفرزدق (طبع الصاوي) ص ١٧٢ س ٧ ؛ ١٨٢ س ٧ ، ٤ ص ١٨٤ س ٣ ص ١٩٣ س ٦ ص ٨٧٤ س ١٧

(٢) طبقات ابن سلام ص ٧ ؛ وفي الرواية المساوقة عند المرزباني في الموشح ص ١٠٠ وابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ٢٥ أن ابن أبي إسحاق أخذ على الفرزدق الإقواء فحسب ، وفي رواية أخرى أن الذي عاب الإقواء على الفرزدق هو عتبة بن معدان ، انظر المرزباني في الموضوع المذكور .

(٣) طبع الصاوي (القاهرة ١٣٤٥) ص ٢٦٣

(٤) طبقات ابن سلام ص ٧ ؛ سيبويه ٥٣/٢ ، ويوجد مثل ذلك في شعر عنترة ق ٨/٢٦

(نشر آلورد) وفي بيت ٣٧ من مرثية مالك بن الريب (ذيل الأمال ص ١٣٧) وغير ذلك

(٥) انظر : 2 Reckendorf, Arabische Syntax, S. 97, Anm.

(٦) انظر سيبويه ٢٢٣/٢ والموضع التي ذكرها فيشر في فهارس الشواهد ص ١٤٠

وأخصف إليها شرح شوأهد المفى ٢٧٦

سخريّة خصوّمه منه أن أخذوا عليه أنه ، مع كل نقده لتحقّيق الصواب ، لم تكن لغته على ما ينبغي<sup>(١)</sup> .

وقد أخذت مثل هذه الاعتراضات تفقد ، شيئاً فشيئاً ، طابع الاختيار ، والرأي العارض ، كلما تقدّمت العناية باللغة ، فصارت منهجاً للنظر في القواعد . وقد فسح أبو عمرو بن العلاء (حوالي ٧٠ - ١٥٤ هـ) المشهور في اللغة شهرته في قراءة القرآن ، مجالاً في نقده للنظر في القواعد ، ولم يتورع حتى عن تصحيح متن القرآن ؛ فقد غير في<sup>(٢)</sup> سورة طه ٦٣/٢٠ : إِنْ (أو إِنْ) هذان ، إلى : إِنْ هذين<sup>(٣)</sup> ورتب ترتيباً نحوياً سلماً<sup>(٤)</sup> في تغيير آية سورة المنافقين ١٠/٦٣ : وَأَكُنْ ، بالجزم ، إلى : وَأَكُونَ بالفتح ، بل حتى الظاهرة الصوتية المخصّة ، كالانتقال من الواو المضمومة إلى الهمزة المضمومة ، لم يرد أن يعتدّها ، فقرأ سورة ١١/٧٧ : وَقَتَّتْ ، بدلاً من : أَفَتَّ<sup>(٥)</sup> . وإذا كان يجترئ على مثل هذا التغيير في صلب الكتاب الكريم ، فهو أجدر ألا يستراجع نقهء بالضرورة ، إزاء النصوص الدنيوية ؛ فقد أخذ على الشاعر : ابن قيس الرقيات (حوالي ٨٥ هـ) أنه أحق بضمير المفرد المتكلّم إلهاء في مثل : إِخْوَتِيْهُ ، بدلاً من : إِخْوَتِيْ (في قصيّته رقم ٤٠ نشر رو دوكاناكس ) للاقافية على الرغم من ورد ذلك في القرآن<sup>(٦)</sup> أيضاً . كما أن

(١) ياقوت : إرشاد الأريب ٣٧١/٢ ؛ غاية النهاية لابن الجزرى ٤١٠/١ .

(٢) لم يغير أبو عمرو ، وإنما هي قراءة رواها عن الثقات وكذلك فيها نسب إليه بعد ؛ وإذا كان قد روى عن بعض القراء تخطّيته ، فلتعمّر من الروايات وترجح بعض القراء لبعضها دون الآخر . وانظر كتب القراءات والتفسير في ذلك (النجار) .

(٣) عالج ابن يعيش هذا الموضوع بتفصيل في شرح المفصل ص ٤٤٧ .

(٤) انظر : Fleischer, Beiträge zur arab. sprachkunde VII 82

(٥) المقعن للداني ص ١٢٢ ، وفيه أيضاً بعض ما اختص به أبو عمرو من القراءات ، على أنه لم يسلم من الاعتراض ، وقد حلّ المبرد قراءتين له (نّزهه الأباء ص ٣٦٤) ، إحداهما : عاداً لولي بالإدغام بدلاً من : عاداً الأولى ؛ سورة ٥٣/٥٠ ؛ والأخرى : يؤده (سورة آل عمران ٣/٧٥) بتسمّين الماء انظر التيسير للداني في الآية المذكورة . ولواجه للمبرد في التخلط ، لما ذكرنا من صحة الرواية عند أبي عمرو ، والمبرد إنما يحكم قواعد التحوّل صحت عنده . ولاشك أن العربية أوسع من نحو المبرد (النجار) .

(٦) انظر : Rhodokanakis في مقدمته للديوان ، ص ٦١ ؛ الموسوعة ١٨٧

نوولدك : تاريخ القرآن ١٩٩/٣

تلמידاً لأبي عمرو ، هو يونس بن حبيب الفارسي (حوالي ٩٠ - ١٨٢ م) ، اعترض على هذا الشاعر أيضاً بأنه استعمل لفظ : يَالْغَانِ (ق ٢٩/٦١) وهو لهجة خاصة في : يَوْلَغَانِ ، وادعى أنه لا يجوز إلا هذا الأخير فقط.<sup>(١)</sup> وقد أدى هذا الاعتراض إلى تغيير النص إلى : يَوْلَغَانِ وَيَوْلَغَانِ ، على المعلوم والمحظوظ ، وأبعد بذلك كل اعتراض . ورواية المحظوظ للتخفيف غابت على الرواية الأصلية في نسخ الديوان المتناقلة ، وسادت هذه الرواية في القرن الثالث ، حتى إن ثعلباً (المتوفى سنة ٢٩١ هـ) ساق البيت على هذا التغيير ، شاهداً على : يَوْلَغَ مبنياً للمجهول بمعنى : أو وله صاحبه ، أى حمله على أن يلغ<sup>(٢)</sup> ، وإن لم يسمّ الشاعر . وهذا المثال يبين مدى ذلك الدور الذي كان يلعبه تصحيح النحاة في تاريخ رواية الأشعار العربية القديمة ، وإن كان في أحوال أخرى – وهي أغلب الأحوال – لم يكتب للنقد شيء من الانتصار ، مثلما أخذ على «كُثَيْرٌ» أنه استعمل<sup>(٣)</sup> في بيت<sup>(٤)</sup> ، بدلاً من : ترَأْم بالهمزة ، وهي الصيغة الفصيحة : تَرَأْم ، بالتسهيل ، وهي لهجة الحجاز ؛ بيد أن الصيغة المنتقدة هي التي غابت ، لتحقمنا بالقاافية .

(١) الأغاف ٥/٨٧

(٢) فصيح ثعلب ص ٣ وملحوظات Barth عليه .

(٣) الموشح ص ١٤٦

(٤) انظر الديوان ( نشرة Peres ) ٧/١١٠

( ٣ )

## عربية الدولة ، ولغة الشعب في أوائل العصر العباسى

٧٨٦/١٧٠ - ٧٥٠/١٣٢

لم تهـو العـربـيـةـ في هـوـةـ السـقـوطـ الذـىـ سـاـقـ بـالـدـوـلـةـ الـعـرـبـيـةـ ،ـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـ جـزـيرـةـ الـعـرـبـ وـسـوـرـيـةـ بـالـذـاتـ ،ـ أـىـ إـلـقـلـيمـيـنـ الـوحـيدـيـنـ لـمـ يـكـنـ الـلـسـانـ الـعـرـبـيـ فـيـهـماـ قـلـةـ تـجـاهـ أـلـسـنـةـ أـصـيـلـةـ الـدـيـارـ ،ـ هـمـاـ اللـاتـانـ أـصـابـهـماـ هـذـاـ الـانـقـلـابـ الـسـيـاسـيـ بـشـدـةـ وـطـأـتـهـ فـيـ الصـيـمـ .ـ وـلـمـ لـمـ تـنـزـلـ عـنـ الـمـسـرـحـ ،ـ مـعـ طـبـقـةـ السـادـةـ الـعـرـبـ الـذـينـ كـانـواـ ،ـ حـتـىـ ذـلـكـ الـوقـتـ ،ـ لـاـ يـزـالـونـ مـمـسـكـينـ بـزـمامـ الـقـيـادـةـ وـالـتـوجـيهـ ،ـ لـغـتـهـمـ كـذـلـكـ ؟ـ رـبـماـ كـانـ مـنـ أـسـبـابـ ذـلـكـ أـنـ لـغـةـ الـقـرـآنـ قـدـ صـارـتـ فـيـ شـعـورـ كـلـ مـسـلـمـ ،ـ أـيـّـاـ كـانـ لـغـتـهـ الـأـصـلـيـةـ ،ـ جـزـءـاـ لـاـ يـنـفـصـلـ مـنـ حـقـيـقـةـ الـإـسـلـامـ ،ـ حـتـىـ إـنـ الـفـرـسـ الـذـينـ باـشـرـوـاـ الـحـكـمـ إـذـ ذـاكـ ،ـ لـمـ يـكـونـواـ يـسـتـطـيـعـونـ التـفـكـيرـ فـيـ رـفـعـ إـلـحـدـىـ الـلـهـجـاتـ الـإـيـرـانـيـةـ لـتـكـونـ لـغـةـ الـدـوـلـةـ .ـ بـلـ حـتـىـ فـيـ فـارـسـ ،ـ كـانـ يـجـبـ أـنـ يـمـضـيـ قـرـنـ بـعـدـ لـتـحـفـلـ الـلـغـةـ الـمـحـدـيـةـ لـلـأـدـبـ الـفـارـسـيـ بـيـعـثـ حـيـاتـهاـ .ـ هـذـاـ إـلـىـ أـنـ الـأـسـرـةـ الـمـجـدـيـةـ أـخـذـتـ تـبـرـزـ الطـابـعـ الـدـيـنـيـ لـسـلـطـانـهاـ بـوـجـهـ خـاصـ ،ـ وـصـارـتـ تـعلـنـ أـنـهـاـ وـرـيـةـ الـسـلـطـانـ الـإـلـهـيـ الـذـىـ أـسـسـهـ مـحـمـدـ (ـصـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ)ـ .ـ بـيـدـ أـنـهـ كـانـ مـنـ الـعـوـافـلـ الـخـامـسـةـ أـنـ الـطـبـقـاتـ الـمـتـمـيـزةـ فـيـ الـمـجـنـعـ الـإـسـلـامـيـ الـأـوـسـطـ ،ـ إـنـمـاـ أـحـرـزـتـ رـقـيـهاـ الـاجـتـاعـيـ مـنـذـ أـجيـالـ بـمـجـارـاتـهاـ لـغـويـاـ لـلـطـبـقـةـ السـائـدـةـ الـعـلـيـاـ ،ـ إـذـ أـخـذـتـ عـنـهاـ مـثـلـهـاـ الـأـعـلـىـ فـيـ الـقـنـاقـةـ الـعـرـبـيـةـ لـاـ لـغـاـيـةـ قـصـيرـةـ الـأـمـدـ ،ـ بـلـ تـمـسـكـتـ بـهـاـ أـيـضاـ ،ـ بـعـدـ أـنـ حـقـقـ هـاـ سـقـوطـ الـدـوـلـةـ الـأـمـوـيـةـ الـمـساـوـةـ الـكـامـلـةـ لـلـعـنـصـرـ الـعـرـبـيـ .ـ بـلـ حتىـ الشـعـورـيـيـوـنـ الـذـينـ اـدـعـواـ تـفـوـقـ الشـعـوبـ غـيـرـ الـعـرـبـيـةـ ،ـ لـمـ يـسـتـطـيـعـواـ أـنـ يـنـقـصـواـ شـيـئـاـ مـنـ مـكـانـةـ الـعـرـبـيـةـ وـقـيـامـهـاـ مـثـلـاـ أـعـلـىـ .ـ وـهـكـذـاـ شـهـدـ الـعـصـرـ الـعـبـاسـيـ الـأـوـلـ ،ـ فـيـ مـدـارـسـ النـحـاةـ بـالـبـصـرـةـ وـالـكـوـفـةـ ،ـ الـبـاـكـرـةـ الـأـوـلـىـ لـلـلـعـلـمـ الـعـرـبـيـ كـمـ رـأـىـ فـيـ نـحـوـ الـفـارـسـيـ «ـسـيـوـيـهـ»ـ ،ـ (ـالـمـتـوـفـ حـوـالـيـ ١٨٠ / ٧٩ـ)ـ أـوـلـ وـضـعـ شـامـلـ لـقـوـاعـدـ الـعـرـبـيـةـ ،ـ لـمـ تـغـيـرـ الـأـجيـالـ الـمـتـاخـرـهـ شـيـئـاـ مـنـ أـسـسـهـ

- ٦٠ -

وقواعده ، وإن وسعته توسيعياً مختلف النواحي ، أو غيرت من صوره وقوالبه . وكتاب سيبويه يربينا كيف أن القواعد العربية اعتمدت على الاستعمال اللغوى عند عرب البايدية دون استثناء . فهو يرجع دائماً في شئون الاستعمال اللغوى إلى « العرب » مع إشارته هنا وهناك إلى الفروق اللهجية من غير أن يجدر في ذلك عن ترجيح كفة اللسان المجازى <sup>(١)</sup> ، بأنه « الأول والأقدم » ، غالباً يكتفى في ذلك بعبارات عامة ، مثل : « العرب الذين هُرْضَى عربتهم <sup>(٢)</sup> » أو : « العرب الموثوق بعربتهم <sup>(٣)</sup> » أو : « عربي أثق بعربته <sup>(٤)</sup> » وهى عبارة حملها بعض المتأخرین غلطاً على أبي زيد الأنصارى (المتوفى ٢١٥ هـ<sup>(٥)</sup>) ، أو ببساطة : « العرب الموثوق بهم <sup>(٦)</sup> » ؛ أو أخيراً « فصحاء العرب <sup>(٧)</sup> » أو ما أشبه ذلك . كذلك لا يسوق في شواهده شاعراً محدثاً فقط ، على الرغم من أنه لم يكن يقيس - بحال - لغة الشعراء بمقاييس أصحاب « حركة التقىة » المترددين المتخوفين ؛ فهو يستشهد بعدي بن زيد وأبي دواد ، اللذين لم يَرُزُّ عربُ البايدية أشعارهما ، بشهادة الأصمعى ، لأنحراف هججتها عن لغة نجد <sup>(٨)</sup> . وهو يستشهد - على التقىض من أكثر علماء اللغة <sup>(٩)</sup> - بأمية بن أبي الصلت وغيره من الخنفاء ، وهو يعتمد - خلافاً للأصمعى <sup>(١٠)</sup> - الكت والطرماح في الاحتجاج بشعرهما . وهو يستشهد بزياد الأعجم وأد ندى ، كما يترك مجال القول أحياناً لمعاصرين قدماه ، مثلاً ؛ لكن لا لشاعر محدث البة . ذلك أنه إذا كان

، وانظر ، ٤٢٤/٢ .

٢٦٤/٢ ، ٤ .

- ٤: ٢٩٠/٢٤١٥ : ٣٨١/١٤١  
 ١٩٩/٢٤١٢ : ١٦٧/٢٤١  
 ٤: ٥٢/٢ وانظر كذلك

قد استشهد مرة<sup>(١)</sup> ببيت زَوْرَه — فيها يقال — أبو يحيى اللاحق (أبان بن عبد الحميد) أو ابن المقفع ، بقصد التعمية على النحوى العظيم<sup>(٢)</sup> ، فلا يعدو الأمر — مهما يكن نصيب هذه الرواية من الصحة ، أن يكون من قبيل السهو . وفي بيت آخر ، يوجد حقاً في متن الكتاب بأيديينا : « لرجل من بنى سلول مولى<sup>(٣)</sup> ». ولكن هذه الجملة من وضع مخرج الكتاب ؛ فقد ثبت لدينا بصورة أكيدة أن سيبويه ساق جميع شواهده دون تسمية الشعراء<sup>(٤)</sup> وذلك الرأى يجد تأييداً له فيما أضيف إلى الجملة السابقة وهو : « ويقال وضعه النحويون<sup>(٥)</sup> » ، فصرىح أن هذه الزيادة لا يمكن أن تكون من قول المؤلف . أما الرواية التي تقول أخيراً إن سيبويه اعتبر شعر بشار حجنة خوفاً من سلاطة لسانه . فإن الكتاب نفسه يلخصها ، حيث تبحث عبشاً عن اسم بشار فلا تجد له ذكرآ ؛ وفوق هذا فإن رواية أخرى — مساوية لهــه — تضع اسم « الأخفش » النحوى بدلاً من « سيبويه<sup>(٦)</sup> » .

كان البدو يعدون حجنة لا يعتورها الشك في جميع مسائل اللغة . وكم خلاف بين علماء اللغة حول التفسير الصائب لبيت من الشعر ، أو حول صحة تعبير من التعبيرات ، رفعه حكم بدوى حاضر عرضياً . وحسبنا أن نذكر الخوار الخلاقى ، الذى دار بين سيبويه والكسائى ، فى مجلس الوزير « يحيى بن خالد البر مكى » فى مسألة : « كنت أظن أن القرب أشد لسعة من الزنبر » هل يقال بعد ذلك : « فإذا هو هى » أو : « فإذا هو إياها<sup>(٧)</sup> » . وفي ذلك الوقت كان البدو يجدون مدخلات إلى بيوت السادة ، من حيث هم حجاج اللغة . ولا تزال بأيديينا أسماء « فصحاء الأعراب » الذين دفعتهم الضرورة — تحت إهمال العباسيين — من أوطنهم اللاهثة المتوجعة ، ليقدموا معارفهم اللغوية

(١) ٥٨/١ .

(٢) خزانة الأدب ٤٥٦/٣ .

(٣) ٤١٦/١ س ٦ .

(٤) خزانة الأدب ١٧٨/١ س ٢٦ .

(٥) ٤٢٤/١ .

(٦) الأغاف ٢١٠/٣ .

(٧) انظر : A. Fisecher E. G. Browne فى الكتاب التذكارى لتكريم وكذلك : تاريخ بغداد ١٤٠٥/١٢ (A Volume of Oriental Studies )

إلى السادة الجدد<sup>(١)</sup> . وقد كان أبلغ آيات التهريظ التي توسم بها لغة أحد المثقفين ، أنه ينطق كما ينطق البدوى ، وتلك الطريقة الكلامية الخالية من كل تفكير ، والى يتحرر فيها المتكلم من علامات الإعراب ، وتصاريف القواعد جرياً على السليقة ، بحيث يستطيع السامع أن يفهم غرضه دون ليس ، لم تكن يُعْدُ في القرن الثاني — أمراً طبيعياً (على النقيض من التعبير الرفيع المكتسب بالدررية والثلثي) ؛ بل كانت تعدّ تهاوناً وإهمالاً<sup>(٢)</sup> . وقد كانت مثل هذه السلامة اللغوية تؤثر مثلاً عن أبي سعيد المعلم (المتوفى سنة ١٦٩ هـ)<sup>(٣)</sup> الذي جعله<sup>(٤)</sup> المنصور (١٣٦ هـ) مؤدياً للخليفة اللاحق «المهدى» ، والذي جعله<sup>(٥)</sup> المهدى بعد ذلك معلماً لابنه وخلفه «المادى» ، وكانت تؤثر<sup>(٦)</sup> أيضاً عن اللغوى المشهور «أبى زيد الأنصارى» (المتوفى سنة ٢١٥ هـ) . كذلك الروايان البصريان : خالد بن الحارث (١٢٠ - ١٨٦ هـ)<sup>(٧)</sup> ، وبشر بن المفضل (المتوفى ١٨٧/١٨٦ هـ)<sup>(٨)</sup> ، روى أنهما كانا ينطقان لهجة سليمة لا شية فيها<sup>(٩)</sup> ، كما روى عن جرير بن حزم (٨٥ - ١٧٠ هـ)<sup>(١٠)</sup> في مبالغة بليغة ، أنه كان ينطق عربية أفصح من عربية «معَدَّ»<sup>(١١)</sup> . أما أن هؤلاء الرجال ، باستثناء أبي سعيد المعلم وحده ، كانوا يعيشون بالبصرة ، فلم يأت ذلك مصادفة ولا اعتباطاً ، فإن البصريين الذين كانوا يفاخرون<sup>(١٢)</sup> يدرسهم

(١) الفهرست ص ٤٣ س ٢٧ .

(٢) انظر في تفسير كلمة السليقة عن الراية في المعاجم (Lane ص ١٤١١) وانظر :

طبقات ابن سلام ص ٥ س ١٦ .

(٣) تاريخ بغداد ٣٥٣/٣ ، المعارف (طبع ١٣٠٠ هـ) ص ١٨٥ وما بعدها .

(٤) ابن سعد ٧/٢ ص ٧١ .

(٥) البيان للباحث ٥/١٤ ؛ وانظر أيضاً ٦٨/١ س ٢٩ . وهو ينقل في المكان الثانى عن «أبى العاص ...» ويريد به — فيما يظهر — ابن عبد الوهاب الثقفى المتوفى ١٩٤ هـ ، الذى اشتهر بكتابه رسالة فى البخل (البخلاه للباحث) : طبع van Vloten من ١٦٦ - ١٨٢ . وللوقوف على أخبار أسرته ، انظر الأغانى ١٢/١٧ . هذا وقد كان للباحثات النظرية مقام لا يسْتَهان به فى لغة أبى زيد ، فقد كان يراعى «القياس» والإجاع وما أشبه ذلك . انظر : نوادر أبى زيد ص ٦٧ فما بعدها .

(٦) تذكرة الحفاظ ١/٢٨٤ ؛ تهذيب التهذيب ٣/٨٢ .

(٧) تهذيب التهذيب ١/٤٥٨ فما بعدها .

(٨) بيان الباحظ ٥/١٣ س .

(٩) تهذيب التهذيب ٢/٧٠ س ١٦ .

(١٠) انظر مثلاً : تاريخ بغداد ٢/١٧٧ س ٥ .

النحوية ، وينافرون بكتاب «سيبوه» ومعجم «الخليل» ، كانوا يبرزون بحق — في عصبيتهم الخلية طبعاً — وهم مفعمون بالغخر ، أسماء أمثال أصحابهم هؤلاء الذين امتازوا بفصاحة خاصة في اللغة .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد بدأت أيضاً مرحلة جديدة في تاريخ اللغة العربية مع خلافة العباسيين ببغداد سنة ٧٥٠/١٣٢. لقد كانت الأسرة القديمة رجدة قريبة إلى أهل الbadia ، بحيث كانت تملك مدخلات مباشرة إلى عالم تفكيرهم ؛ وكانت تتنطق بلسانهم ، وتحسن فهم أشعارهم . حقاً لقد كان العباسيون أيضاً يتمدحون بأصلهم العربي ، ويرفون نسب سلالتهم إلى العباس ، عم الرسول عليه السلام ، بيد أنهم بعدوا عن حياة البدو بعدها كبيراً ، كما لم يفعل أمواي أبداً كان . وكانت الدوائر الإسلامية الجديدة ، غير العربية الأصل ، التي وصلت إلى الحكم في ذلك العهد ، تشعر أقل من ذلك بالصلة النفسية الداخلية بحياة العرب وطبيعتهم ، فهم لم ينشئوا في التميم ، ولم يذوقوا طعمأً لتلك المخصوصة واللحاجة التي تعرفها حياة البداءة ، كما لم ينفذوا إلى عالم البدو الترى الغنى بكثوره وقيمه الأخلاقية والعادوية والفنية ، على الرغم من كل ضيق في وجهة النظر ، ومرى الفكر . بل لقد عمرت الدوائر الإسلامية الجديدة تلك المدن العظيمة السريعة الازدهار ، في دولة عالمية ؛ وأسهموا في إقامة صرح حضارة ، نشأت تحت شعار الإسلام في أرض الشرق الأوسط الحررة من السلطان الروحي للقاوسية ، ومن النظام الإقطاعي الذي كان سائداً بها من قبل ، فهم لم يكونوا يستطيعون — حتى ولو استخدموها العربية — أن ينطقوا كما كان البدو ينتظرون ؛ بل صبوا أفكاراً حديثة في قوالب اللغة القديمة ، وملأوها على هذا النحو بمادة جديدة . وما كان اعتباً أن يأتى في طبيعة الأدب العربي لذلك العهد ، عصر المحدثين في أول الدولة العباسية اثنان من الفرس : ابن المقفع ، وبشار بن برد . وعلى الرغم من قوة نزوعها إلى الشعوبية ، لم يفكر واحد منها في استخدام لغته الأصلية ، وإقامة وزن ما من الوجهة الأدبية ، بل اعتمدَا على اللغة العربية .

وقد أخذ ابن المقفع «الفصاحة» في البصرة عن أبي الجاموس<sup>(١)</sup> ، وهو

---

(١) الفهرست ص ٦٧ .

بدوى كان في خدمة والى البصرة فيما بعد (١٣٣ - ١٣٧ هـ) سليمان بن على أحد أعمام الخليفة . ولقد ملك ابن المقفع ناصية العربية ، بحيث استطاع أن يترجم كتاباً عدداً من الأدب البهلوى ترجمة مثالية . وترجمه لأنباء الملوك : « خذائي نامه »<sup>(١)</sup> وكتاب أنظمة الملك : « أين نامه »<sup>(٢)</sup> وقصة مزدك<sup>(٣)</sup> . وحياة بروزويه<sup>(٤)</sup> ورسالة تنسير<sup>(٥)</sup> ، قربت للمثقفين في جميع الأقطار الإسلامية أشخاص أساطير البطولة الإيرانية وتاريخ الساسانيين ، كما جعلتهم على بصيرة بروح فارس وطبيعة حياتها قبل الإسلام . وكذلك الترجمة التي عملها بعنوان : « كليلة ودمنة » نثر افات الحيوان التي ألفها بيشدَّ بَسَا ( بيدَ بَنَي Bidbai ) ، جعلت هذه التحفة الأدبية العالمية التي يرجع أصحابها إلى « مرآة لأمراء الهند » سهلة ساعنة في عالم الناطقين بالضاد ، كما بلغت مكانة مرموقة لانتشارها في الشرق والغرب بالترجمة والتهديب ، في العربية ، والفارسية ، والسريانية ، والعبرية ، واليونانية . وأخيراً أعمد ابن المقفع ، الذي دخل الإسلام عن غير اعتقاد ، إلى أن نقل في سلسلة من رسائله التشريفية ، حكمة الشرق العمليّة الخلقيّة المستخلصّة من تجارب الحياة التي لا تعرف بمبادئ مرسومة للعادات والتقاليد ، ولا يخدعها الوهم والخيال عن حقائق الناس ، والتي تعلمُ في بروز وواقعية جافة — دون اكتراث لما جاء في الأديان السماوية من مبادئ وفرض خلقيّة وأدبية — كيف يسلك المرء ، إذا أراد أن يعيش في العالم بعيداً عن المضمار ، محظياً بالسعادة . وكذلك بلغت تلك الرسائل نجاحاً عظيماً ، سواء من حيث موضوعاتها التي تملقت دوائر الثقافة الرفيعة في المدن بسبب تساهلها الدينى ، أم من حيث أسلوبها الشائق البليع . نعم لم يعد المؤلف ، حتى بعد وفاته المبكرة ( سنة ١٤٢ هـ ) خصوصاً كانوا — كان الخليفة المهدى — يعدونه رأس الزندقة كلها<sup>(٦)</sup> . على أنه بعد إبعاد ضرر المائنة ( الزندقة ) خرست السنة المعارضة تدريجياً ، ولم يكن فقط رجل مثل البرمكي يحيى بن خالد

A. Christensen, L' Iran sous les Sasanides (1936) p. 54 (١)

(٢) المرجع السالف ص : ٥٦ .

(٣) المرجع السالف ص : ٦٣ .

(٤) المرجع السالف ص : ٤١٨ ، ٤٢٤ ، ٤٣٤ .

(٥) المرجع السالف ص : ٥٨ ، ٣٢٥ .

(٦) أمال المرتفى ( القاهرة ١٩٠٧ ) ١/٩٣ فما بعدها وغير ذلك .

— ٦٥ —

(حوالي ١٠٢ - ١٩٠ هـ) الذي قدره حق قدره<sup>(١)</sup>، بل حتى الأصمعى الحافظ (المتوفى ٢١٣ هـ) يروى أنه كان يعجب بيته<sup>(٢)</sup>. وفي أيام الجاحظ (المتوفى ٢٥٦ هـ) كان يدرس كل كاتب ناشيٍّ كتبه<sup>(٣)</sup> ومنذ ذلك العهد سبق محمد ابن المفعع غير مزعزع ، وعد من البلغا الالاعين في العالم العربي ، بيد أن اللغة التي كتب بها ابن المفعع ليست هي العربية القديمة ؛ فبموازنة هذه بتلك نجد لغة ابن المفعع سوية ؛ شفافة مبسطة حسب أغراضها ؛ وبخلاف من الثروة الفياضة في الكلمات البدوية القديمة ، التي تجمع التنوع المتعدد الألوان لعالم الظواهر ، مع حشد من السمات الخلاصة ، التي تصور مثلاً فروق الحيوان والأعمار ، والأجناس ، والألوان ، والصفات ، والخصائص البارزة ، خاصة ؛ كما تحتوى على قائمة خاصة من المفردات لأصوات الحيوانات ؛ تكتفى لغة ابن المفعع – إلى حد بعيد – بالتعبيرات العامة ، وتوثر تصوير الخصائص البارزة بعبارات مقاربة . كما يعرب أيضاً استعماله اللغوى في دائرة تركيب الألفاظ وصياغتها ، عن طموحه الدائم إلى التبسيط الموائم للغرض ، فكثير من صيغ الأسماء الغريبة في العربية القديمة يقل عنده أو ينعدم تماماً؛ وأخيراً نجد تركيبة النحوى كذلك وأضحاها شفافاً ، وهو يتتجنب كذلك عبارات التعجب والاستفهام القصيرة المتعددة الدلالة في صيغها الاسمية والحرفية ، ويتفادى تصفييف الكلام ، والتداخل العسير الفهم ، وما شاكل ذلك مما يستفيض في لغة البدو . وربما بلغنا إقناعاً بما نقول إذا وازنا بين لغة ابن المفعع والنثر الأصلى البدوى القديم ، كما ورد في أيام العرب ، أو كما جاء في الحكم والأمثال .

والتغييرات التي تبدو في نثر ابن المفعع ، بالنسبة للعربية القديمة ، وجدت نظيرها تماماً – في نطاق دائرة الشعر – في لغة معاصره « بشار بن برد » (حوالي ٩٥ - ١٦٧ هـ) ، على الرغم من أن قوة الرواية ، وتقليل القدماء في هذا الميدان بالذات ، كانوا يقفان عقبة في طريق كل تطور في الأسلوب . وكان بشار كابن المفعع فارسياً الأصل ؛ وكان يعد مانياً مقتضاً . نشأ في

(١) إرشاد الأريب ٢٦٨/٦ س ١١ .

(٢) ابن خلkan (١٢٩٩ هـ ٢٦٧/١) س ١٢ .

(٣) ذم أخلاق الكتاب (ثلاث رسائل للحافظ ، نشر فنكل) ص ٤٢ س ١٥ .

(٤) - العربية (

البصرة ، وكان بصيراً باللغة القديمة بصرأ مؤسساً ، بحيث أدرك لتوه عدم أصلالة بيت مدسوس على الأعنى (رقم ٢١٣) <sup>(١)</sup> . ولما علم أن الأمير سلم بن قتيبة الباهلي (كان والياً على البصرة ومات ١٤٩ هـ) محب للفن الشعري على طريقة القدماء ، وأنه كان يعد نفسه بصيراً بالغريب ، تغنى بشار بمحسنه في أرجوزة ، ملأها بالنادر المتخال من الألفاظ <sup>(٢)</sup> . وحينما انكر عليه عقبة بن رؤبة حق الحكم في الرجز ، برهن هو على أنه يعرف أيضاً طراز الرجز . حق المعرفة <sup>(٣)</sup> . كما حقر أحد البدو في هجاء أصيل الأسلوب ، لأن هذا لم يطمئن إلى أنه ذو ملكة في الشعر <sup>(٤)</sup> لأنه مولى . وإذا كان بشار قد قال الشعر على طراز الأقدمين عن قصد ، فإن أشعاره تحمل طابع الصنعة والتعلم على جبينها ؛ على أنه لم يكن يبالي إلا نادراً بالقصد إلى المحاكاة والتقليد ؛ فإذا ما تنازل عن ذلك وجدنا أسلوبه يعرض تلك الأناقة الواضحة ، والبيان الناصع الشفاف ، الذي نجده في نثر ابن المقفع . سمات أساسية تبدو جلية في تعبيره ، سواء في اختيار الألفاظ ، أم في تركيب الجمل ، أم في تفضيل الأوزان القصيرة الخفيفة . وفي شعر الارتجال يمعن بشار في التحرر من الشعر القديم ، حتى يستعمل أحياناً عبارات شعبية <sup>(٥)</sup> ، ورطانة نبطية <sup>(٦)</sup> ؛ وكان بشار يستعمل المزدوج والمخمس <sup>(٧)</sup> في الم Hazel ، وفي تحبير الشعر القديم ؛ فهو يقحم مثلاً في أحد أبياته - لتحقير نبطي قلد أسلوبه في النطق على ما يظهر الكلمات التالية :

(١) الأغاف٣/٣ ١٤٣ فما بعدها .

(٢) Zambaur, Manuel 40, تهذيب التهذيب ٤/٤ ١٣٤ .

(٣) الأغاف٣/٣ ١٩٠ . وقد قيل في سلم أيضاً القصيدة المذكورة في ص ١٠٠ من كتاب المختار من شعر بشار «طبع بدر الدين» كما ذكره الأشناذاني في : «معان الشعر» ص ٤٠ .

(٤) الأغاف٣/٣ ١٧٤ - ١٧٧ ؛ وانظر المختار من ٢٧٥ ؛ بيان الملاحظ ٢٣/١ ؛ العمدة ١٣٦/١ . وللنظر : طراز (الأغاف٣/٣ ١٧٦) يمكن أن يضاف إلى الألفاظ التي جمعها جولدتسيرف : Abhandlungen 1, 129 ff. والتي تدل على تشبيه الشعر بالنسيج .

(٥) الأغاف٣/٣ ١٦٦ ص ٩ .

(٦) مثل استعمال لفظ : «قارورة» أى زجاجة يمعن : «المرأة» في بيت له (الأغاف٣/٣ ١٩٠) ، وقد ساق ابن حجر هذا البيت فيفتح الباري ٤١/١٠ شاهداً على حدثي البخاري: أدب؛ مسلم : فضائل ؛ الطيليسي : مستد ؛ حيث ورد هذا الاستعمال الجازى .

(٧) انظر : المغرب للجوالي من ٦٧ ص ٤ ؛ تاج المرؤس ٧/٣٢٨ .

(٨) العمدة ١٢٠/١ ؛ بيان الملاحظ ١/٢٣ ، يسميه صاحب مشور ومزدوج .

- ٦٧ -

لَا دَهْلٌ مِنْ سَجْنًا

أى لا خوف من الجمل<sup>(١)</sup>.

وهذا التطور في الأسلوب ، الذي نستطيع ملاحظته عند ابن المقفع وبشار ، آذن بشروق عهد جديد في تاريخ اللغة العربية ، دعا إليه الانتقال من حياة البداوة إلى حضارة المدن ، وغفل عن العرب ، في ميادين الأدب . وذلك الطابع الوحشي للغة القديمة ببروتها الفياسقة في الألفاظ والقوالب ، تراجع في ذلك العهد أمام أسلوب متألق مهذب ، لا يسبب استواوه ومهولته صعوبات ذات بال للأفهام . وهذه اللغة السهلة ، المتداضة ، الواضحة ، سرعان ما احتذها المثقفون جيئاً واستعملوها في الأدب في العالم الإسلامي ، دون تمييز بين أصل وجنس ، ولا بين لغة أصلية ولهج وطنية خاصة . وما أن الشعوب والأقوام في المدن العظمى للدولة كانت أخلاطاً متعددة الألوان يموج بعضها في بعض ، لم تستطع الدوائر العربية أن تتخالص من تأثيرها بصفة دائمة ؛ بيد أن كل هذا الانسجام والاستواء في القوالب والأساليب ، وذلك الاطراد السطحي في موافقة القواعد ، لم يكن ليستطيع أن يخدعنا عن أن القالب الداخلي ، وأسلوب الحقيقة للغة الدولة الجديدة ، كان يحمل سمات مولدة . وإلى أى مدى كانت الطبيعة العربية لا تزال مرهفة الإحساس إزاء كل عجمة أو رطانة؟ هذا ما يشير إليه ذلك الخبر المستفيض الرواية عن محاورة جدلية بين أبي عمرو بن العلاء (حوالي ٧٠ - ١٥٤ هـ) وعمرو بن عبيد مؤسس الاعتزال (٨٠ - ١٤٤ هـ) حول نظام الجزاء الإلهي : فحينا قال هذا (عمرو بن عبيد) : إن الله منجز وعده ووعيده ، قال له أبو عمرو لأنما : أنت أعمج ! لا أقول إنك أعمج اللسان ، ولكنك أعمج القلب ! وعلّمه ، مشيراً إلى بيت عامر بن الطفيل (ق ٢/٦) :

(١) المعرج للجواليق ٦٧ ؛ على أنه نسب البيت نفسه في ص ١٣٤ إلى سراقة الباهل الذي اشتهر بين سنة ٦٠ - ٧٠ هـ . و فعل دهل أو دحل بالفتح يعني خاف ، ورد في إحدى الروايات (تاج العروس ٧ / ٣١٩) ؛ وفي رواية أخرى : كنز العمال ٢ / ٢٩٨ ، ورد بدلاً من ذلك : « خاف ». وانظر في ذلك أيضاً : « دحال » في شعر ذي الرمة . وقارن Nöldeke , ZA 33 ٢ ١٧٩، ١٩٢ (شيبتالر).

- ٦٨ -

وإِسْأَى إِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ      مُخْلِفُ إِيَّاعَادِي وَمُنْجَزُ موَعِدِي  
أَنَّ الْعَرَبَ لَا تَعْدُ خَلْفَ إِيَّاعَادِ ذَمَّاً وَتَعْدُهُ مَذَمَّاً ، عَلَى عَكْسِ الْوَعْدِ<sup>(١)</sup> .  
وَمَعَ هَذَا فَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْخَطَّابِيَاً مَتَازًا لَا يَزَالُ كَثِيرًا مِنْ أَقْوَالِهِ باقِيَاً<sup>(٢)</sup> .

وَمَثَلٌ آخَرُ مِنْ ذَلِكَ النَّقْدِ ، حَصَلَ مَعَ مِنْ لَيْسَ أَقْلَى مِنْ ابْنِ الْمَقْفُعِ ،  
الَّذِي عَدَ عَلَيْهِ الْأَصْمَعِيُّ مِنَ الْخُطْطَأِ الْفَاحِشِ تَعْرِيفَهُ لِفَظِيِّ : بَعْضٌ وَكُلٌّ<sup>(٣)</sup>  
حَيْثُ قَالَ : « الْعِلْمُ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّ أَخْذُ الْبَعْضِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكُلِّ » ، لِأَنَّ  
إِبْهَامَ مَعْنَى (بَعْضِ) الَّذِي لَا يَرْتَفِعُ أَيْضًا بِإِضَافَتِهِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ [« بَعْضُ الْعَرَبِ »  
مَعْنَاهُ جَمَاعَةُ الْعَرَبِ أَيّْاً كَانُوا ] يَعْنِي مِنْ تَعْيِينِهِ بِأَدَاءِ التَّعْرِيفِ ؛ وَكَذَلِكَ  
لِفَظُ « كُلٌّ » ، الْقَسِيمُ لِبَعْضِ ، لَمْ يَرْدِ مَعْرِفَةً فِي الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ بِحَالٍ<sup>(٤)</sup> . وَهَذَا  
— فِي الْحَقِّ — لَمْ يَعْنِي الإِدْرَاكُ الْفَكْرِيُّ الْحَضْنُ أَنْ يَبْتَدَعُ فِيهَا بَعْدَ لِفَظِيِّ (الْبَعْضِ)  
بِعَنْيِ الْجَزْءِ أَوِ الْجَزْئِيِّ ، وَ(الْكُلُّ) بِعَنْيِ الْجَمِيعِ أَوِ الْجَمْعِ . وَهَذَا التَّعْبِيرُ  
الْعَدِيمُ الْحَيَاةُ ، حَاوَلَ<sup>(٥)</sup> النَّحْوِيُّ ابْنُ دُرْسَتَوْيَهُ (٢٥٨ - ٣٤٧ هـ) فِي :  
« الرَّدُّ عَلَى ابْنِ خَالُوِيَّهِ فِي الْكُلِّ وَالْبَعْضِ » أَنْ يَصْحِحَّهُ . وَأَخْيَرًا اسْتَشْهَدَ  
بِعَضُهُمْ لِتَصْحِيحِهِ بِأَيْيَاتٍ مَصْنُوعَةٍ كَمَا يَظْهُرُ<sup>(٦)</sup> .

بَعْدَ هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ لَا نَكَادُ نَعْدُلُ عَنْ شَاكِلَةِ الصَّوَابِ ، إِذَا نَخْنَنَ أَوْلَانَا بِنَفْسِ  
الطَّرِيقَةِ الْرَّوَايَةِ الْقَائِلَةِ بِأَنَّ أَحَدَ الْبَدْوِ عَدَ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُنْصُورِ (حُكْمٌ  
١٣٦ - ١٥٨ هـ) فِي جَلْسَةٍ وَاحِدَةٍ ، ثَلَاثَةُ أَخْطَاءٌ لِغَوِيَّةٍ ، حَتَّى وَإِنْ لَمْ يَنْقُلْ  
إِلَيْنَا نَصَّ هَذِهِ الْأَخْطَاءِ<sup>(٧)</sup> . ذَلِكُ أَنَّ الْمُنْصُورَ ، كَأَكْثَرِ الْعَبَاسِيِّينَ ، لَمْ يَكُنْ

(١) عِيُونُ الْأَخْبَارِ ١٤٢/٢ س ٩ ؛ بِيَتَمَةُ الْدَّهْرِ ١/٤٦٤ س ١١ ؛ مِيزَانُ الْإِعْدَالِ ٢٩٦/٢ س ١٩ ؛ تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ٧١/٨ ؛ لِسانُ الْمِيزَانِ ٥/٤٣٧٩ مَقَالَاتُ الْأَشْمَرِ ص ١٤٨ هامش .

(٢) انْظُرْ مَثَلًا فِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ لِابْنِ قَتِيَّةِ .

(٣) تَاجُ الْعُروَسِ ٥/٨٤ ؛ ١٠٠/٨ ؛ كَذَلِكَ فِي الْمَزَهْرِ ٢/١٠٥ عَنْ كِتَابِ لِيسِ لِابْنِ خَالُوِيَّهِ .

(٤) الصَّوَابُ تَغْيِيرُ لِفَظِيِّ « كُلٌّ » فِي بَيْتِ امْرِيَّهِ الْقَيْسِ إِلَى كُلٌّ بِفَتْحِ الْكَافِ ، كَمَا قَرَرَهُ :

Arab. Syntax, S. ١٥٧ Anm. Reckendorf

(٥) الْفَهْرَسُ ٩٤ ، وَفِي تَاجِ الْعُروَسِ ٥/٨ أَيْيَاتٌ قَيْلَتْ فِي السُّخْرِيَّةِ مِنْهُ لِذَلِكَ . كَمَا أَنَّ رَأَى ابْنُ خَالُوِيَّهِ ذَكْرَ فِي الْمَزَهْرِ فِي الْمَكَانِ السَّالِفِ (١٠٥/٢) .

(٦) شَرْحُ دَرَةِ النَّوَاصِنِ الْمُتَفَاجِيِّ (اسْتَانْبُولُ ١٢٩٩) ص ٧٠ .

(٧) إِرْشَادُ الْأَرِيبِ ١/٢٣ س ٦ .

خالص العروبة ؛ إذ كانت أمه من البربر ؛ كما يجوز لنا أن نظن انه كان يتكلم الفارسية<sup>(١)</sup> . ولكنه كان رجلاً واسع الثقافة ، وكان خطيباً لاماً ؛ وقد جمعت أقواله في كتاب خاص كان جد مشهور عند النساخين في أيام الملاحظ<sup>(٢)</sup> . وإذا كان قد وقع في خطأ مرة في أثناء تلاوة القرآن<sup>(٣)</sup> ، فإنه لا يظن بحال أنه كان يقع في أغلالات فاحشة في القواعد ، وإنما كان يستعمل فقط عبارات تخرج الإحساس اللغوی الطبيعي لرجل من البدو .

وككل علم قياسي لم يسلم النحو العربي دائمًا من خطر الاستبداد بالحياة الواقعية ، وإكراهها في وضع قواعده . وعلماء اللغة لم يتفقوا دائمًا في وجهة نظرهم نحو الاستعمال اللغوی الصحيح ؛ وقد انضم إلى ذلك أيضاً الخلاف المدرسي بين البصريين والکوفيين ، ولم يكن من السهل بالکوفة ملاقاة العرب الرحّل من وسط الجزيرة وشرقيها ، وسؤالهم ، كما كان ذلك متيسراً لأهل البصرة . ولذلك اعتمد العلماء في الكوفة بحكم الضرورة على أشباه المتوطنين من القبائل في سواد الكوفة ، الذين لم يُرد علماء اللغة بالبصرة الاعتراف بلغتهم على أنها أصل للاحتجاج<sup>(٤)</sup> . وكانت لعلماء البصرة مذاهب معتمدة في القباب النحوی تختلف عن مذاهب الكوفيين ، كما سلك كل قبيل في تفسير الظواهر اللغوية في الغالب مسلكاً مختلفاً . لهذا نجد أباً محمد اليزيدي (١٣٨ - ٢٠٢)<sup>(٥)</sup> مؤدب الأمون الذي كان شديد العصبية للمرسسة البصرة يسخر في قصيدة<sup>(٦)</sup> هجا فيها الكسائي الكوفى مؤدب الأمين ، من علماء أفسدوا النحو وأزروا به ، وهم بين أغثم لا يحسن الكلام ، ووضيع ذى مراء وذى لكتة ، خسيس الأصل والنسب ؛ أحذثوا في النحو قياساً فاسداً لا يعني شيئاً . وسيظلون في مبادئ النحو ، لا يتجاوزون أجدبيته ولو عمرو وأعمار عاد . أما الكسائي فهو في النحو ليس من الأئمة ، ومن أتاه دون علم به يبغى عنده العلم فهو كالعطشان قصد إلى سراب في البداء :

(١) عيون الأخبار ٢٠٨/١ .

(٢) بيان الملاحظ ١٥٤/٢ س ٢٩ .

(٣) إرشاد الأريب ٢٣/١ س ١٠ .

(٤) أخبار التحويين للسيرافي ص ٩٠ (طبع كرنكرو) ؛ الفهرست ص ٨٦ س ١٥ ؛ نزهة الآباء ص ٢٦٣ .

(٥) أخبار التحويين للسيرافي ص ٤٠ فما بعدها (طبع كرنكرو) .

- ٧٠ -

نادِ بأعلى شَرْفٍ نَاد  
عنقاءً أودت ذاتُ إصعاد  
منْ بينْ أغثامِ وأوغاد  
لثامِ آباءِ وأجداد  
قياسُ سَوْءٍ غَيْرُ منقاد  
أعمارَ عَادَ، فِي أَبِي جَادَ  
فِي النَّحْوِ حَارِ غير مرداد<sup>(١)</sup>  
مثُلُ سَرَابِ الْبَيْدَ لِلصَّادِي

وَقَلْ مَنْ يَطْلَبُ عِلْمًا أَلَا  
يَا ضَيْعَةَ النَّحْوِ، بِهِ مُغْرِبُ  
أَفْسَدَهُ قَوْمٌ وَأَزْرَوْا بِهِ  
ذَوِي مَرَاءٍ وَذَوِي لَكْنَةٍ  
لَمْ قِيَاسٌ أَحَدُ ثُوْهُ هُمُ  
فِيهِمْ مِنَ النَّحْوِ، وَلَوْ عَمِّرُوا  
أَمَّا الْكَسَائِيُّ فَذَلِكَ امْرُرُوا  
وَهُوَ مَنْ يَأْتِيَهُ جَهَلاً بِهِ

كما يبيث شکواه وغضبه على رواة الكوفيين في شعر آخر<sup>(٢)</sup> :

عَلَى لِسَانِ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ  
عَلَى لِغَى أَشْيَاخِ قُطْرَبِيلِ  
بِهِ يَصَابُ الْحَقُّ لَا يَأْتِي  
يَرْقُونَ فِي النَّحْوِ إِلَى أَسْفَلِ

كَنَا نَقِيسَ النَّحْوِ فِيمَا مَضِي  
فِجَاءَ أَقْوَامٌ يَقِيسُونَهُ  
فَكُلُّهُمْ يَعْمَلُ فِي نَقْضِ مَا  
إِنَّ الْكَسَائِيَّ وَأَشْيَاخَهُ

وَمِنْ هَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ مِنْذَ بَدْءِ الْعَصَرِ الْعَبَاسِيِّ أَخْذَ الْعِيبَ بِاللَّحْنِ يَنْتَشِرُ  
— بِحَقِّ أَوْ دُونِ حَقِّ — لَوْسَمْ خَصْمَ بِأَنَّهُ غَيْرَ مُتَقْفَ، وَلِلْحَاطِ مِنْ شَأنِهِ فِي أَعْيُنِ  
مُعَاصرِيهِ . وَمَا يَذَكُرُ فِي هَذَا الصِّدْدِ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ ، حَكْمُ يُونُسَ بْنَ حَبِيبٍ  
(حَوَالَى ٩٥ - ١٨٣ هـ<sup>(٣)</sup>) ، الَّذِي يَنْقُلُ سَيِّبوِيَّهُ كَثِيرًا عَنْهُ ، عَلَى حَمَادَ  
الرَّاوِيَةِ (حَوَالَى ٩٥ - ١٥٥ هـ<sup>(٤)</sup>) ، جَامِعِ الْمَعْلُوقَاتِ الَّذِي كَثُرَ الطَّعْنُ فِيهِ ،  
وَصِيفَةُ ذَلِكَ الْحَكْمِ كَمَا يَلِي : « كَانَ يَكْذِبُ ، وَيَلْحِنُ ، وَيَكْسِرُ<sup>(٥)</sup> » ، (أَمَّا  
لَا يَقْيِمُ وَزْنَ الْعَرْوَضِ) . وَكَلَّذَكَ يَرْوِي أَنَّ مُعَاصرَ حَمَادَ : مُرْوَانَ بْنَ أَبِي

(١) كذا في أخبار النحوين وهو خطأ . ولعل صوابه : « مرتاد » (المترجم) .

(٢) نزهة الألباء ص ١٠٨ ؛ إرشاد الأريب ٧/٢٩٠ ؛ بغية الوعاة ص ٣٣٦ .

(٣) الفهرست ص ٦٣ .

(٤) إرشاد الأريب ٤/١٣٧ .

(٥) طبقات ابن سلام ١٥ (طبعة Hell) ومفعول « يكسر » هو : « الشعر » (انظر بيت أبان بن عبد الحميد في الأغانى بولاق ٧٤/٢٠ والموشح للمرزباني ٢٧٨) أو « البيت » (انظر المعارف لابن قتيبة ٢٧٠ وإرشاد الأريب ٤٢٦/٢) .

حفصة (١٠٥ - ١٨١ هـ<sup>(١)</sup>)، وصفه بأنه «لحانة» لحانة، مما جعل حماداً على أن يبين له عنده في ذلك حيث قال (أبي حماد) : «يا أخى إنى رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها<sup>(٢)</sup>». وفي رواية أخرى أن الكتيبة الشاعر رفض أن يملئ أشعاره على حماد لأنه خشى لحنه<sup>(٣)</sup>. ويقول صاحب الفهرست أيضاً إن حماداً كان كثيراً ما يلحن<sup>(٤)</sup>. وعلى النقيض من ذلك لا ينكر خصم حماد المدود، المفضل الضبي (المتوفى ١٦٨ هـ) أن حماداً كان ذا دراية ممتازة باللغة ، ولكنه أساء استعمالها ، حيث وضع – في حدق ومهارة – أبياتاً على نسق القدماء ، ففسدت بدسسه رواية الشعر القديم في كل زمان<sup>(٥)</sup>. فإذا أضفنا إلى هذا جميل رأى أبي عمرو بن العلاء في حماد – كما روى ذلك عنه<sup>(٦)</sup> – فلن نشك في أن الروايات التي تزعم أنه كان لحانأ إنما نشأت من التأثر بالخصوصة والمدد ، وأن كلامات يونس تعبّر عن قصد البصريين السبيء في خصوصهم الكوفيين<sup>(٧)</sup>.

ولى جانب حماد يوضع كوفي آخر ، هو جناد بن واصل ، في مرتبة واحدة . وكان يونس لا يعد كليهما شيئاً<sup>(٨)</sup> . ويحتملهما بصرى آخر ، وهو التوزي (المتوفى ٢٣٨ هـ<sup>(٩)</sup>) تبعه تصحيف الروايات الكوفية<sup>(١٠)</sup>. وإذا نسب

(١) تاريخ بغداد ١٤٥/١٣ س ٢١.

(٢) الأغاف (طبع دار الكتب) ٧١/٦.

(٣) الموشح ص ١٩٥ .

(٤) الفهرست ص ١٣٤ وعباراته : وكان حماد ربما لحن في الشيء إلخ .

(٥) الأغاف (طبع دار الكتب) ٨٩/٦ ; وعباراته : ولكنه (حماداً) رجل عالم بلنات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق إلخ . وفي صدر هذه الرواية يقول المفضل الضبي : قد سلط على الشعر من حماد الرواية ما أفسده فلا يصلح أبداً إلخ . ووردت الرواية أيضاً في إرشاد الأريب (إرشاد الأريب ١/٥١ ؛ المزهر ١/١٢٢) .

(٦) الأغاف (طبع دار الكتب) ٦/٧٣ .

(٧) على أن الكوفيين كانوا يطعنون من جانبيهم أيضاً في البصريين بتهمة الغن . فقد صنع بعضهم مثلاً على يوسف بن حبيب البصري هذه الجملة العامة : هات ذيك الماء من ذاك الجرة . (إرشاد الأريب ١/٥١ ؛ المزهر ١/١٢٢) .

(٨) الأغاف (طبع دار الكتب) ٨/٢٨٣ .

(٩) الفهرست ص ٨٥ (والثورى تحرير عن : التوزي) ؛ أخبار النحوين للسيرافي

ص ٨٥ ؛ نزهة الأنبياء ص ٢٣٢ ؛ معجم البلدان ١/٨٩٤ .

(١٠) إرشاد الأريب ٢/٤٢٦ (وقد صحف أيضاً إلى : الثورى) .

إلى **تجنّاد اللحن**<sup>(١)</sup> فقد يجوز أن يكون هذا الطعن لا وجه له ، تماماً كما هو الرأى في حماد . أما أن علماء الكوفة أيضاً كانوا يعنون – على التقىض من ذلك – بمسائل سلامة اللغة وصحتها ، فهذا ما يبدو للعيان من شعر المجاء الذى قيل في حفص بن أبي وَدَّةَ ، الذى كان يعد من أصحاب حماد الرواية ، ونسبت إليه معه تهمة الزندقة لسوء سلوكه ، وحرية رأيه<sup>(٢)</sup> . وكان حفص طعن في شعر المرقش<sup>(٣)</sup> ورماه باللحن ، فسخر به من أجل ذلك شاعر كوف [ تختلف الروايات فيه ، هل هو شريكه في التحلل والزندقة : حماد عجرد (المتوفى ١٦١ھ) ، أو مساور الوراق ، أو التَّرْبُدَخْتَ (٤) ] بالأبيات التالية :

[ لقد كان في عينيك يا حفص شاغل وأنف كثيل العود عما تتبع ]  
 تتبعك لحناً في كلام مرقس وخلقك مبني على اللحن أجمع  
 فعيناك إقواء وأنفك مكفاً ووجهك إيطاء فأنت المرقع

وقد شبه الشاعر عيوب مهجوه الخلقيّة بالعبارات المصطلح عليها في العروض العربي : الإقواء ( وهو اختلاف القوافي بالكسر والضم ) ، والإكماء ( وهو اختلاف حروف القافية ) ، والإيطاء ( وهو تكرار لفظ القافية في الشعر الواحد ) كما قابل بين المرقش ، أى الحسّين ، فوصفه بالمرقع ، أى المشوه بالرقع . قوله : فعيناك إقواء ، أى فيما حَوَّل ؛ وأنفك مكفاً ، أى معوج ؛ ووجهك إيطاء ، أى موطاً مفرطع ؛ وأنت المرقع ، أى المدنس المشوه .

(١) الفهرست ص ١٣٥ ; إرشاد الأريب / ٤٢٥

(٢) ذكر في قائمة الزنادقة عن الجاحظ ، وقصائصها المرتضى في : الأمال ٩٠/١ ; والأغاني (طبع بولاق) ١٤٨/١٦ (مع تحرير ودة إلى وردة) ؛ وابن حجر في : لسان الميزان ٣٢١/٢ (مع تحرير ودة إلى : بردة) .

(٣) المراد – فيما يظهر – المرقش الأصغر ، الذى يعد ابن أبي إسحق الخضرى أشهر شعراء الجاهلية (طبعات الجمحي ص ١٦) ، لاعمه المتفق معه في اللقب . وفي المفضليات طائفه من أشعارها رقم ٤٥ – ٥٩ والملحق رقم ٣ .

(٤) انظر : الموسوعة ص ٢٦ ؛ الأغاني ١٣/٨٧ ؛ ١٦٨/١٦ ؛ بيان الجاحظ : ٣/٢ ؛ الشعر والشعراء ص ٤٤٨ .

أما أن الطعن بالحنن كان يوجه أيضاً إلى دوائر علماء الفقه ، فهذا ما يدل عليه مثال كوفي ثالث ، هو أبو حنيفة (٨٠ - ١٥٠ هـ) ، فقد حكى عنه الجاحظ (١) تعبيراً جاء فيه خطأ شنيع ، حيث قال : [ ولو ضرب رأسه بأبابا قبيس ، بدلاً من : بأبى قبيس . وكيف جازت دعوى أن هذا الإمام العظيم لم ينطق صحيحاً ؟ هذا ما تكشفه الرواية المساوقة (٢) ، التي اقترب فيها ذلك التعبير نفسه بالخبر التالي : كان أبو حنيفة طلب النحو في أول أمره ، فذهب يقيس فلما أخذ يصوغ جمعاً لكتل على كلوب (بدلاً من كلاب) ، قياساً على : قلب وقلوب ، تبين له أنه لن يصل في ذلك إلى شيء ، فعدل عن النحو ولم يكن له علم به . ومن الواضح البين أن هذا الخبر الذي يرجع إلى الحنبلي الكبير : إبراهيم الحربي (١٩٨ - ٢٨٥ هـ<sup>(٣)</sup>) قد اخترع بداعف العصبية من قبل الخصوم المحافظين الذين أرادوا الغض من شأن مبدأ القياس في دائرة اللغة أيضاً . وما يذكر بهذه المناسبة أن النحوى الكوفى : ابن فارس (المتوفى ٣٩٥ هـ<sup>(٤)</sup>) رأى أنه يمكن القاس تصويب لأبى حنيفة ، دون طعن في صحة الخبر المذكور ، بأن تكون صيغة : بأبأبى قبيس ، جارية على لهجة خاصة تنصر أباً (على أن أصله : أبتو<sup>(٥)</sup>) . وقد تلقى معسكر الأحناف هذا الإيضاح المفتuel بشغف ، وافتتح به أحد الأشياع المتعصبين لهذه المدرسة (٦) : الملك المعظم شرف الدين الأيوبي (٥٧٦ - ٦٢٤ هـ<sup>(٧)</sup>) ، رسالته : « السهم المصيب ، في الرد على الخطيب » ، التي اجتهد بها في دفع جميع المغامز التي أثارها الخطيب في تاريخ بغداد حول صورة أبي حنيفة<sup>(٨)</sup>.

(١) بيان الجاحظ ٢/٢ س ١٧ .

(٢) تاريخ بغداد ١٣/٣٣٢ .

(٣) الفهرست ٣٢٣ ؛ تاريخ بغداد ٦/٢٧ ؛ طبقات الخاتمة لابن أبي يعل ٥٠ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٤٠٠ EI, II,

(٥) معجم البلدان ١/١٠٢ ؛ وذكر دون عزو في : الإنصال لابن الأنباري ص ٧ ؛

وحياة الحيوان (طبع ١٣٤٧ هـ ١٣٤٧/١ ) ٢٠٦ ؛ والبيهقي ١/١٣٨ وغير ذلك .

(٦) ابن خلkan (طبع ١٢٩٩ هـ ١٢٩٩/٢) .

(٧) دائرة المعارف الإسلامية El III 646

(٨) حاجي خليفة (طبع ١٣١٠ هـ ٣٨/٢) ؛ وقد نشرت الرسالة المذكورة بعنوان :

« الرد على أبي بكر الخطيب البغدادي في القاهرة سنة ١٩٣٢/١٣٥١ على صورة =

وقد عقب الخطيب<sup>(١)</sup> على خبر إبراهيم الحربي المشار إليه آنفًا ، فذكر أن أبا حنيفة لَئِن القراءة المشهورة : « تُرْزَقَانِيهِ » في سورة يوسف ١٢/٣٧ ، مصوّبًا ضم الماء<sup>(٢)</sup> بدلاً من كسرها ؛ هذا وقد أثبت سيبويه<sup>(٣)</sup> صيغًا مثل : به<sup>هـ</sup> ، وبَدَارَهُ إِلَخ ، على أنها لهجـة حجازية حتى في قراءة القرآن . ومن المحتـمل جدًّا أنَّ أبا حنيفة كان يرجحها ، قياساً على : لَهُ وَمِنْهُ إِلَخ . أما أن يستنبـط من هذا أنه يلحن الصيغ الجارية : بِسْهـ وَمَا شَاكِلَهـ ، فهـذا ما دعا إلى تحـامل خصـوصـه عليه بلا شك . على أن الملكـ المعـظم لم ينكـر أيضـاً في رسـالـتـه صـحة نـسـبة التـعبـير المـذـكـور إلى إـمامـه ، بل اكتـفى بـحملـه على مـحـمـلـ حـسـنـ<sup>(٤)</sup> حين فـسرـ اللـحنـ في ضـوءـ كـتـابـ « الـمـلاـحنـ » لـابـنـ درـيدـ ، بـأنـهـ الرـمزـ والتـعـريـضـ ، مـتابـعـاً في ذـلـكـ غـيرـهـ منـ العـلـمـاءـ .

وأـجـدرـ بالـتـصـدـيقـ دـعـوىـ أـنـ قـاضـيـ وـاسـطـ : أـبـاـ شـيـةـ إـبـراـهـيمـ بـنـ عـمـانـ<sup>(٥)</sup> (المـتـوفـيـ ١٦٩ـھـ)ـ وـهـوـ إـبـرـانـيـ الأـصـلـ<sup>(٦)</sup>ـ ، وـلـاـ يـلـتـبـسـ بـأـبـيـ شـيـةـ الـواسـطـيـ<sup>(٧)</sup>ـ الـذـيـ كـانـ عـرـيـاًـ صـيـمـيـاًـ كـانـ لـاحـانـاًـ مـعـرـوـفـاًـ ؛ـ فـيـنـ خـالـطـهـ بـيـنـ صـيـغـ الـفـعـلـ ،ـ وـقـوـلـهـ مـثـلاًـ :ـ أـنـ نـقـمـ ؛ـ بـدـلاًـ مـنـ :ـ أـنـ نـقـومـ<sup>(٨)</sup>ـ ،ـ كـانـ خـرـوجـاًـ عـلـىـ الـعـرـبـيـةـ أـشـدـ مـنـ الـخـلـطـ فـيـ الـإـعـرـابـ عـدـهـ رـقـبـةـ بـنـ مـصـبـقـةـ :ـ (المـتـوفـيـ ١٢٩ـھـ)ـ الـمـشـهـورـ بـيـلـاغـتـهـ ،ـ مـنـ كـبـائـرـ الذـنـوبـ<sup>(٩)</sup>ـ .ـ وـهـلـ وـقـعـ أـيـضاًـ مـعـاصـرـهـ :

= مـلـحقـ ثـانـ لـتـارـيـخـ بـنـدادـ ،ـ بـعـدـ أـنـ تـرـكـتـ الـتـرـجـةـ الـمـذـكـورـةـ فـيـ التـارـيـخـ ١٣ـ /ـ ٣٢٣ـ -ـ ٤٥٤ـ =  
لـأـبـيـ حـنـيـفـةـ أـثـرـ آـسـيـاـ فـيـ نـفـوسـ مـعـتـقـلـهـ .

(١) تـارـيـخـ بـنـدادـ ١٣ـ /ـ ٣٣٢ـ .

(٢) ضـمـتـ نـوـنـ :ـ تـرـزـقـانـهـ ،ـ أـيـضاًـ عـلـىـ سـبـيلـ التـحـرـيفـ فـيـ طـبـعـةـ التـارـيـخـ بـالـقـاهـرـةـ .

(٣) Nöldeke : Gesch. d. Qorâns III 138 F ٢٩٤/٢ ، انظر أيضـاً :

(٤) انظر الرسـالةـ السـالـفةـ صـ ٤٩ـ .

(٥) طـبـاقـاتـ اـبـنـ سـعـدـ ٦/٢٦٧ـ ،ـ تـارـيـخـ بـنـدادـ ١١١ـ /ـ ٦ـ ؛ـ تـهـذـيبـ التـهـذـيبـ ١ـ /ـ ١٤٤ـ ،ـ مـيزـانـ الـاعـدـالـ ١ـ /ـ ٢٣ـ .

(٦) اـسـمـ جـدـهـ شـوـاستـيـ .

(٧) انـظـرـ فـيـ تـرـجـةـ هـذـاـ :ـ تـهـذـيبـ التـهـذـيبـ ٦ـ /ـ ١٣٦ـ ،ـ مـيزـانـ الـاعـدـالـ ٢ـ /ـ ٩٨ـ .

(٨) بـيـانـ الـبـاطـحـ ٥ـ /ـ ٥ـ .

(٩) أـدـبـ الـكـتـابـ صـ ١٣٢ـ ،ـ وـفـيـ رـقـبـةـ ،ـ انـظـرـ :ـ الـمـعـارـفـ ٢٠٥ـ ،ـ تـهـذـيبـ التـهـذـيبـ

ـ ٢٨٦ـ /ـ ٣ـ ؛ـ تـاجـ الـعـروـسـ ١ـ /ـ ٢٧٥ـ .

شيب بن شيبة<sup>(١)</sup> (المتوفى ١٦٤ھـ) ، بمحضرة بلايل بن أبي بردة (المتوفى ١٢٠ھـ) ، لحن شنيع مثله<sup>(٢)</sup>؟ هذا ما يشك فيه ، لأنّه كان عربياً ، وأحد خطباء قبيلة المفوّهين<sup>(٣)</sup> . ومن غير المحتمل كذلك ادعاء أن خالد بن صفوان<sup>(٤)</sup> — وهو من رهط شبيب المذكور — الذي اشتهر بمنادمة السفاح ، وملكته في الخطابة ، وحضور بديهته في المزاح ، قد أرشده إلى الصواب بلايل<sup>٥</sup> بن أبي بردة ، بسبب اللحن ، حتى وإن أضيف إلى ذلك أن هذا كان باعثاً له أن يتعلم الإعراب في المسجد<sup>(٦)</sup> ؛ إذ لا يمكننا أن نخفي تشككنا في أن الغرض من ذلك هو وسم الخطيب المشهور بجيم التلمذة في مدرسة البصرة. وأقرب من هذا إلى الصحة أن لحن شبيب ينحصر في أنه كان يضع التعبير أحياناً في غير موضعه ؛ كما روى أنه استعمل مرة عبارة : ما بين لابتها ، التي تقال في المدينة المنورة فحسب ، مریداً به البصرة — وإن يكن هذا التجوز القريب ، بتعميم التعبير المذكور المأثور عن الرسول [صلى الله عليه وسلم]<sup>(٧)</sup> ، المشهور لدى كل مسلم ، قد اعترف به البلغاء المتأخرون<sup>(٨)</sup> ويقال أيضاً إنه استعمل لفظ : محبنطىء ، الذي معناه المتضخم البطن ، في معنى من تورّمت أنفه غضباً<sup>(٩)</sup> .

وفي غير العراق ، كان الاشتغال بالعربية حقاً جد ضئيل . فيينا كانت في البصرة والكوفة مدرستان خاصتان بال نحو ، وحدث حذوهما بعد ذلك

(١) تاريخ بغداد ٩/٢٧٤ ميزان الاعتدال ١/٤٤١ ؛ تهذيب التهذيب ٤/٣٠٧.

(٢) عيون الأخبار ٢/١٥٩.

(٣) بيان الجاحظ ١/١٣٤ ؛ ويوجده كثيراً من أقواله في عيون الأخبار لابن قبيبة وأمال القالى وغيرها . ومن آبائه عمرو بن الأهم خطيب تميم عند الذي صلّى الله عليه وسلم ؛ ويؤخذ من هجاء قاله فيه قيس بن عاصم (الأغافل ١٢/١٥٧) أن أم الأهم أميه كانت أمة غير عربية من الحيرة .

(٤) بيان الجاحظ ١/١٣٠ ؛ المعارف من ٢٠٦.

(٥) الكامل ٢٥٣ ؛ ابن خلكان ١/٤٣٥.

(٦) البخاري : فضائل المدينة ؛ كنز المال ٧/١٥٣.

(٧) انظر الأساس للزمخشري والمشرب للمطرزى وغير ذلك .

(٨) إرشاد الأریب ٢/٣٧٢ ، وعنه : المزهر ٢/٢٢٢ وعن المزهر تاج العروس

١/٤٧٤ ؛ وانظر معجم البلدان ٤/٣٣٥ .

بغداد بمدرستها التي نزعت إلى الجمع والتوفيق بين المدرستين ، لم تقم بالمدينة — مثلاً — علوم اللغة على أساس وطيد<sup>(١)</sup> . وهذا هو ذا الأصمعي الذي نزل في أواسط القرن الثاني ضيفاً على الهاشمي جعفر بن سليمان<sup>(٢)</sup> بالمدينة ، يقول إنه لم يسمع هناك قصيدة واحدة صحيحة إلا مصححة أو مصنوعة<sup>(٣)</sup> . وقد أنشد الأخباري المدنى : عيسى بن يزيد بن دأب (المتوفى ١٧٠ هـ)<sup>(٤)</sup> بيته على أنه لأعشى همدان (ف ٦) :

من دعالي غزيلي أربع الله تجارتة

فزعيم أن شاعراً فصيحاً — مثل الأعشى المذكور — يحذف الألف التي قبل الماء في الله ، ويسكن الماء<sup>(٥)</sup> ، ويرفع : تجارتة ، وهو منصوب ؟ وقد جر على نفسه بذلك لوم الأصمعي — بحق — وتقريره<sup>(٦)</sup> ؛ وطبع في الأصمعي أيضاً بأنه يضع الشعر [ هناك دائمة أخرى مثل هذه في أشعار الهدليين رقم ١٧١ ] وأحاديث السمر ، وكلاماً ينسبة إلى العرب . وفي الحق تدل

(١) لا يعرف كثير عن نحوه كان بالمدينة ، يحمل الاسم الفارسي : بشكست ، وقتل في حرب الخارجي : طالب الحق سنة ١٣٠ هـ انظر الأغاني ١٤٤/١ ٢٠٤ ١٣٠ .

(٢) كان والياً على المدينة ١٤٦ - ١٥٠ ثم ١٥٥ - ١٦١ هـ انظر : المعارف ص ١٩٠ ؛ و كان الأصمعي يتردد عليه كثيراً انظر : عيون الأخبار ٣/٢٤ ٣/٢٠١ ٢٤/٤ ٢٥٣/١ ٢٥٣/٢ ١٦٤/٢ ٦٦/٢ ونواذر القالى ١٨٤ .

(٣) إرشاد الأديب ١١٠/٦ عن مراتب التسويين لأبي الطيب (المتوفى ٣٥١ هـ . انظر بغية الوعاة ٣١٧) .

(٤) بيان الماجحظ ١٢٤ ؛ المعارف ص ١٨٢ ؛ تاريخ بغداد ١٤٨/١ .

(٥) رأى قطرب (المتوفى ٢٠٦ هـ) في هذه الصيغة الناشئة من حذف الألف ، صيغة إضافية سائفة في التعبير (أمال ابن الشجري ١٦/٢) والبيت الذي استشهد به طعن فيه أبو حاتم بأنه من صنعة قطرب (انظر : الكامل ص ٣٣ ؛ غزارة الأدب ٤/٣٣٥ ) ؛ كما يوجد شاهد ثالث على ذلك في غزارة الأدب ٤/٤ ؛ وقد عولج الموضوع بتفصيل في الغزارة أيضاً ٣٤١/٤ - ٣٤٣ ؛ وقد أباح لنفسه الباحرزي (دمية القصر ص ١٧٥) هذا الاستعمال أيضاً في القافية . وانظر أيضاً ٩/٥ Nöldeke, zur Grammatik (شيباتل) .

(٦) يمكن كل من الأغاني ٦/٥ ، الموضع ص ١٩١ رواية ياقوت في الإرشاد ؛ وانظر فحولة الشعراء للأصمعي ٤٩١ ZDMG, 65, C. Torrey Wellhausen, Skizzen und Vorarbeiten I, ١٣٠ (٧) انظر :

نماذج محادثات ابن دأب مع الخليفة موسى الهادى ، الذى كان عيسى جليسه فى آخر سنى حياته ، على أنه لم يكن يلقى بالا لا للصدق التاريخي فى الموضوع ، ولا للدقة المطلوبة فى اللفظ بل مجرد أخبار السمر<sup>(١)</sup> . ويقول خلف الأحرار (المتوفى ١٨٠ هـ)<sup>(٢)</sup> شيخ الأصمعى : إن كلام ابن دأب وابن شوكر السندى<sup>(٣)</sup> آفة<sup>(٤)</sup> الرواية فى المشرق والمغرب . وفي الوصف التصويرى<sup>(٥)</sup> الذى قاله خلف عنمن يروى لابن دأب وابن شوكر ، دون اهتمام بالإسناد ، توجد ملاحظة تلقى ضوءاً كبيراً على ما نحن بصدده ؛ إذ إن هؤلاء الرواة كانوا يستعملون صيغة : قالت سى ، مما يسفر عن الطابع المولدى فى أسلوبهم اللغوى .

ويجوز لنا بما تقدم أن نفترض أن اللغة العربية فى المدينة لم تحظ بعناية خاصة ، وأن الدوائر المثقفة لم تتمسك بتعاليم القواعد ومبادئها . وقد وجد الأصمعى<sup>(٦)</sup> من الغرابة بمكان أن يصدر لحن من مالك بن أنس (حوالى ٩٠ - ٩٧٩ هـ) الذى كان هو يوقره توقيراً كبيراً ؛ إذ قال مثلاً : أى مطراً ، بدلاً من : أى مطر . ولكن عيناً أراد أن يحبب إليه أن يصلح من لغته ؛ فيان مالكاً لم يقتصر على الاستشهاد بأن أستاذه ربيعة بن أبي<sup>(٧)</sup> عبد الرحمن – هو الفقيه المدنى (المتوفى ١٣٦ هـ) المعروف باسم : ربيعة الرأى<sup>(٨)</sup> – كان يخلط فى الإعراب ، إذ كان يقول : بخيراً بدل : بخير ؟

(١) مروج الذهب (طبع ١٣٤٦ هـ) ٢٥٨/٢ ؛ إرشاد الأريب ١٠٦/٦ ؛ المبهشيارى (BAHG) ص ٢٠٥ ؛ وكتاب الناج المنسوب للباحث (نشر أحد زكي) ص ١١٦ .

(٢) إرشاد الأريب ١٧٩/٤ .

(٣) سماه ياقوت (إرشاد ١٠٩/٦) الشوكري من الكوفة ؛ وسماه خلف فى شعر له : بسبب الضرورة شوكراً ، وعقب عليه ياقوت برواية عن عمر بن شبة قال : شوكر شاعر بالبصرة يضع الأخبار والأشعار ، ومن هنا سماه شوكراً – غلطاً – كل من النهي في ميزان الاعتلال ٤٥٢/١ ؛ وابن حجر فى لسان الميزان ٣/١٥٨ .

(٤) انظر تاريخ بغداد ١٥٢/١ ؛ لسان الميزان ٤/٤٠٩ ؛ تهذيب التهذيب ١٥٣/٩ .

(٥) إرشاد الأريب ١٠٩/٦ : « إنما يروى هؤلاء من يقول قالت سى ويدعوه ربها ويسبح بالحصى ويخلط حميت المصحف ويدع حدثنا وأخبرنا ويقول أكلنا وشرينا » .

(٦) أدب الكتاب ص ١٣٣ .

(٧) سقط لفظ : أى في الموضع المشار إليه .

(٨) أطلق هذه التسمية عليه – بادئ ذى بدء – خصوصه العراقيون تصغيراً من شأنه =

ولكنه علل رفضه أيضاً بسبب أبعد مدى، حيث تمثل بمحكمة لزاهر لم يسمّه<sup>(١)</sup> : أعرابنا في كلامنا فما نلحن ، ولحننا في أعمالنا فما نعرب . هذا التحرير من شأن الثقافة الظاهرية ، الذي يتفق مع عزوف مالك عن العلوم الدينية<sup>(٢)</sup> ، أسمهم بقطط غير ضئيل في أن النحو وعلم اللغة لم يجدا بالمدينة تربة خصبة ، وحتى في قراءات القرآن المدنية يلاحظ نوع من التساهل في القواعد النحوية . فهذا نافع (المتوفى سنة ١٦٩ هـ<sup>(٣)</sup>) يقرأ في سورة الأعراف ١٠/٧ وسورة الحجر ٢٠/١٥ : معاش ، بالهمز بدل : معاش ، فعامل لفظ المفرد : معيشة ، كما لو كان على وزن فعلة . وكون الصيغ المشتقة غامضة بحيث يتلاشى الإحساس بأصلها ، أمر يتكرر دون انقطاع في تاريخ اللغة العربية<sup>(٤)</sup> . على أن النحاة قد رفضوا دائماً الاعتراف بمثل هذه الصيغ الجديدة ؛ فهذا سيويه<sup>(٥)</sup> يحكم على : مصائب ، بدلاً من مصاوب (جمع مصيبة) بأنه خطأ . ورجال ترقية اللغة المترافقون تمسكوا دائماً بذلك المبدأ ، فأبقوا الواو والياء في صيغة الجمع على حالمها في الأجواف<sup>(٦)</sup> . على أنه في الاستعمال اللغوي قد ظهرت بكثرة مستفيضة صيغ جديدة مهموزة<sup>(٧)</sup> بحيث رأى بعض

= (تاريخ بغداد ٤٢٣/٨). كما أن وصفه بالمعنى في أغلب تراجمه : المعرف ص ٢٤٩ ؛ الفهرست ص ٢٨٥ ؛ ابن خلkan ١/٣٢٥ وغير ذلك يرجع إلى حكاية مختلفة ، أساسها تصرفه في القول كل متصرف مع الإسهاب والإطناب . وباعثر إلى ذلك ملل المستعين كما تجده ذلك منسوباً إلى الفضل الرقاشي (الأغاني ٣٥/١٥ ؛ تاريخ بغداد ١٢/٣٤٥ ؛ الموسوعة ٢٩٨)

(١) نسب الجاحظ (بيان ١٠٣/١) هذه الحكمة لإبراهيم بن أدهم (المتوفى ١٦١ هـ) ، وذكرها دون تسمية قائلها ٢/٥ ورويَت في تغيير مختلف عند ابن قبيسي في ميون الأخبار ٤١٥٩/٢ وانظر أيضاً ٤ Goldziher ZDMG 26. ٧٧٦ Anm.

J. Weiss, ZDMG 64. ٣٧١

(٢) يظهر أن هذه المرحلة في حياة مالك كانت عاشرة ، وأنه في وقت متأخر عن ذلك كان يبحث على تعلم الإعراب ودراسة القواعد ، وقد روى القلقشندي عنه حكماً وأقوالاً في مدح الإعراب : صبح الأعشى ١/١٦٨ وانظر كتاب عن محمد بن إسحاق ص ٣١ .

. ميزان الاعتلال ٣/٢٧٢ .

(٣) انظر في توليد أصول جديدة في العربية Meg. A. في بحثه المنشور في كتاب تكرييم المستشرق : نولدكه ، ص ٢٤٩ ؛ وقد صيغ في اللهجة الدارجة من لفظ معيشة ، فعل تعيش ، أي اكتتب معاشه ، انظر : Dozy ٢/٦٠٢ ب .

(٤) الكتاب (بولاقي) ٢/٣٦٧ ص ٠٩ . . .

(٥) المفصل الزمخشري ، الباب ٧١٧ (نشر Broch ١٨٣ ص ١٨٣).

(٦) انظر تصريح ثعلب (المتوفى ٢٩١ هـ) في تاج العروس ٣/٥٨٧ .

البعيدى النظر ، من علماء اللغة ، ضرورة الاعتراف<sup>(١)</sup> على الأقل بعصاب ومنابر ، بعدّها شاذين قياساً ، وإن كانا مطردين في الاستعمال جمعين لصيغة ومنارة . ولم يعدم القارئ المدى أصواتاً أخذت عليه عدم بصره بالقواعد<sup>(٢)</sup> بسبب صيغة : معايش ؛ وكانت نتيجة ذلك النقد<sup>(٣)</sup> أن اعتمدت الصيغة الفصيحة : معايش ، في قراءتي قالون وورش عن نافع المدرجتين في القراءات السبع المعتمدة ، بحيث لا يوجد ، إلا في إشارات متفرقة في كتب النحو واللغة ، ما يذكر بقراءة نافع<sup>(٤)</sup> .

هذا التساهل الذي ظهر عند مالك ونافع تجاه القواعد ، لم يكن من النادر ظهوره أيضاً خارج المدينة في صفوف المحافظين . في كل مكان ، ولا سيما بين الحدثين ، وجد رجال كان الاشتغال بالقواعد في نظرهم عيناً ، إن لم يكن مضيعة للوقت جد مفسدة . وقد كان معوّلهم في الاشتغال بالحديث الشريف على الموضوع ؛ أما الصيغة والقالب فقد كانوا في محل الثاني . حقاً يزعم الجاحظ<sup>(٥)</sup> أن الكوفى أبا عمر (عبد الله بن سخيرة<sup>(٦)</sup>) ، الذي عاش في أواسط القرن الأول ، كان يجيئ كل رواية على الصورة التي سمعها عليها ، بكل ما فيها من خطأ ؛ ييد أن هذا الخبر ، الذي يرجع مسائل لم تحدث إلا في عصر متأخر إلى أوائل عصر الرواية ، لا يستحق الوثوق به ؛ فإن مثل هذه الدقائق لا ينتظر حصولها في أواخر القرن الأول ؛ وإن نسبت<sup>(٧)</sup> مثل هذه الدقة في رواية الحديث إلى البصري ابن سيرين (حوالي ٣٣٠-٤١١) ،

(١) انظر المعاجم اللغوية في مادتي : ص و ب ؛ نور وكتاب :

Wright, Grammar I, 227

(٢) انظر ابن الأثير في المثل السائر ص ٩ ؛ ابن يعيش ص ١٤٣٤ ؛ تاج العروس ٤/٣٢٨ .

(٣) لم يكن ذلك نتيجة النقد المشار إليه ، بل كل من قراءت معايش بالهمز ومعايش دون همز ، راجع إلى روایات عن نافع .

(٤) التصريف للمازف (ذكره ابن الأثير في المثل السائر ص ٩) ؛ ابن خالويه في مختصر في شواذ القرآن ص ٤٢ حيث ذكر أنها قراءة خارجة (بن مصعب) عن نافع والأعرج ؛ تاج العروس ٤/٣٢٨ ؛ ويشير إلى عدم عناية قراءة مكة بالقواعد تاريخ بغداد ٣/٢٥٣ .

(٥) بيان الجاحظ ٢/٢ .

(٦) تهذيب التهذيب ٥ / ٣٢٠ .

(٧) إرشاد الأريب ١/٢٠ .

كذلك ليس جديراً بالتصديق الخبرُ الذي ينسب إلى الشعبي ( حوالي ١٩ - ١١٠ هـ ) أنه أجاز فيها روى من الحديث دون إعراب أن يحلى بالإعراب<sup>(١)</sup> ، أي أن يجعل الحديث الذي روى باللغة الدارجة إلى أسلوب عربي فصيح . وأجلد من ذلك بالقول أن الشعبي كان أحب إليه أن يقرأ فيسقط من أن يقرأ فيلحن<sup>(٢)</sup> ، بل إنه كذلك لم يكن يلحن حتى في المزاح<sup>(٣)</sup> وأنه كان يستصوب اشتغال المولى بال نحو والقواعد ، لأن فساد اللغة ، بدأ صدوره منهم<sup>(٤)</sup> . وكذلك البصرى أىوب السختياني ( ٦٨ - ١٣١ هـ ) روى أنه كان إذا لحن في حرف قال أستغفر الله كأنما عذ اللحن ذنبًا اقترفه<sup>(٥)</sup> . كما روى أنه أوصى بتعلم التحو فإن تعلميه يرفع الوضيع وإهماله يضع الشريف<sup>(٦)</sup> . ومثل هذه الآراء تتفق تماماً مع ترجمة سيد الفتيان<sup>(٧)</sup> الذي تجلى نبل مذهبه في لغته المختارة المتنخلة كذلك . ولكن بعد أن توطدت أسس المدارس النحوية في العصر العباسي الأول ، على نظام دقيق ، ونمط حركة التعليم والتعلم نمواً مطرداً ، أمكن تكوين رأي حول مسألة : هل يجب مراعاة مقتضيات سلامة اللغة في روایة الحديث ، وإلى أي حد يتغير ذلك ؟ وهكذا نسمع أن الحديث الكبير : الأعمش ( ٦٠ - ١٤٧ هـ ) الكوفي لم يكن يبالغ في تجنب اللحن فحسب<sup>(٨)</sup> ، بل كان كذلك يصحح كل روایة ملحونة بموجة أن الرسول [ صلى الله عليه وسلم ] لم يكن ليلحن<sup>(٩)</sup> . وكذلك أوصى الدمشقي

(١) إرشاد الأريب ٢٦/١ .

(٢) إرشاد الأريب ٢٦/١ .

(٣) أمال الزجاجي ص ١٤ (طبع ١٣٢٤ هـ) .

(٤) الكامل ص ٢٦٤ ؛ بيان الملاحظ ١٧٦/١ .

(٥) أدب الكتاب ص ١٢٩ ؛ إرشاد الأريب ٢٠/١ .

(٦) بيان الملاحظ ٥/٢ .

(٧) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ١٤ .

(٨) العجل ( المتوفى ٢٦١ هـ مؤلف كتاب الجرح والتعديل ، انظر : تذكرة الحفاظ

(٩) كما نقله عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب ٤/٢٢٣/٢ .

(١٠) إرشاد الأريب ٢٠/١ .

سعید بن عبد العزیز التنوخی (٩٠ - ١٦٧ھ)<sup>(١)</sup> بمحو کل لحن من الحديث<sup>(٢)</sup> كما أن البصری حماد بن سلمة (المتوفی ١٦٧ھ)<sup>(٣)</sup> ، الذى كان يعد أفضح من عبد الوارث بن سعید (١٠٢ - ١٨٠ھ)<sup>(٤)</sup> ، وقد كان هذا الأخير مضرب المثل في الفصاحة ، كان يتشدد مع تلاميذه في التحرز من اللحن في الحديث ، حيث كان يغایل بيقوله : من لحن في حديثي فقد كذب على<sup>(٥)</sup> . ويروى أنه كان يشبه من يكتب الحديث ولا يعرف النحو بالحمار عليه خلااته ولا شعير فيها<sup>(٦)</sup> . ويعد من تلاميذه «سيبویه» . وتذكر الرواية<sup>(٧)</sup> أن السبب الذى حل هذا الأخير على دراسة النحو هو أنه كان يستعمل على حماد فقال حماد يوماً : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : ما أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبو الدرداء<sup>(٨)</sup> ، فقرأ غلطًا ليس أبو الدرداء<sup>(٩)</sup> وفي الجيل التالي لهذا أقام - مثلاً - الكوفى عبد الله بن إدريس الأودى<sup>(١٠)</sup> (حوالى ١١٥ - ١٩٢ھ) وزناً لسلامة اللغة ؛ لقد كان يغضّ درسه إذا لحن واحد من تلاميذه<sup>(١١)</sup> . ويروى أن معاصره وهب بن جریر (المتوفی ٢٠٦ھ)

(١) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ١٧١ ؛ تذكرة الحفاظ ١/٢٠٣ ؛ میزان الاعتدال ١/٤٣٨٦ .  
تهذیب التهذیب ٤/٥٩ ؛ غایة النهاية ١/٣٠٧ .

(٢) إرشاد الأربیب ١/٢٥ .

(٣) المعارف ص ٢٥٢ .

(٤) تذكرة الحفاظ ٢/٢٣٧ ؛ میزان الاعتدال ٢/١٦٠ ؛ تهذیب التهذیب ٦/٤٤١ .

(٥) أخبار النحوين البصريين ص ٤٣ ؛ نزهة الألباء ص ٥٠ ؛ إرشاد الأربیب ٤/١٣٥ .

(٦) إرشاد الأربیب ١/٢٦ .

(٧) أخبار النحوين ص ٤٣ ؛ نزهة الألباء ص ٧٢ ؛ إرشاد الأربیب ٤/١٣٥ .  
محیط المحيط ص ١٩٣٦ ؛ انظر أيضًا المعارف ص ٢٥٢ .

(٨) كما في أخبار النحوين ؛ وفي نزهة ليس أحد ؛ وفي ياقوت : مامن أحد من أصحاب  
إلا ولو شئت لأنخذت عليه . انظر ابن حجر في الإصابة ٣/٢٥٣ ؛ كنز العمال ٦/١٨١ .

(٩) انظر في ليس بمعنى أداة الاستثناء سیبویه ١/٣٢٨ (Derenbourg) ؛  
Fleicher. Kleine Schriften I, ٤٤٧ .

وانظر كذلك :

Reckendorf, Die synt. Verhältnisse S. 106; Arab. Syntax S. 512

وجامت ليس بمعنی المستثنی خطأ في رواية واحدة في كنز العمال، وما عدا ذلك بلفظ : غير وإلا.

(١٠) انظر : تاريخ بغداد ٩/٤٢٣ - ٤١٥ وكتاب عن محمد بن إسحاق ٣١ هامش ٣٧ .

(١١) تاريخ بغداد ٩/٤١٩ .

(١٢) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ٥١ .

- ٨٢ -

كان يبحث على تعلم النحو<sup>(١)</sup> ، كما أن آخرين كانوا يطلبون - أحياناً على الأقل - معرفة ما يعرض لهم من غريب الحديث عند علماء اللغة : ولما - ضر الشاعر ابن منذور ، الذي سئلته به مرة أخرى فيما يلي ، مجالس سفيان بن عبيدة<sup>(٢)</sup> (١٠٧ - ١٩٨ هـ) في مكة بين عامي ١٨٧ و١٩٨ هـ ، كان ذلك الحديث الرفيع المكانة يسأل مستمعه عن معانٍ بعض حديث النبي [صلى الله عليه وسلم] فيخبره بها<sup>(٣)</sup> . على أن سفيان لم يكن ذا دراية كبيرة باللغة القديمة - كان هو نفسه يشكوا انحطاط مستوى الأدب في دوائر أصرابه في الفن<sup>(٤)</sup> - وإنما لعد<sup>(٥)</sup> لفظ : ملصق ، الذي معناه : ملحق ، هو لفظ كثيراً ما يستعمل في تحريف أدعية النسب ، مرادفاً لخليف ، أى ما د على الخلف .

وعلى التقىض من ذلك لم تهتم خالبة المحدثين أصلاً بال نحو ، بل كان منهم من يلحظ في الكلام . فقد روى أن هشيم بن بشير<sup>(٦)</sup> ، الذي كان في رأي مالك ، المحدث الوحيد الذي يعتقد به في العراق ، كان لحانًا كبيراً وقد ذكر شاهدًا على ذلك<sup>(٧)</sup> أنه قرأ على الخليفة المأمون الحديث<sup>(٨)</sup> : «إذا تزوج الرجل المرأة لديها وحملها كان فيه سداد» من عوز فتح سين «سداد» غلطًا . على أن هذا ليس لحنًا ظطعاً بوجه خاص ، لأنه وإن كان

(١) إرشاد الأريب ٢٢/١ .

(٢) ابن سدد ٥ / ٤ تاريخ بغداد ١٧٤٩/٩ .

(٣) الأغان ٩/١٧ ، عن المبرد .

(٤) الأغان ٣/٢٢٥ (طبع دار الكتب) [والعبارة المروية عنه في هذا الموضوع : عهدي بأصحاب الحديث وهم أحسن الناس أدباً ، وصبرنا عليهم حتى أثبناهم فسرنا كما قال الشاعر : وما أنا إلا كالزمآن إذا صحا صحوت وإن ماك الزمان أمرق والمتأذ من هذا أنه يشكوا من فساد الناس لا من فساد اللغة والأدب بالمعنى الخاص] .

(٥) مسلم : فضائل الصحابة (إرشاد الساري للقططلاف ٩/٣٨٩ على الامامش) . وفي لفظ ملصق انظر معاجم انظر معاجم اللغة .

(٦) المغافر ص ٢٥٣ ؛ الفهرست ص ٣١٨ ؛ تاريخ بغداد ١٤/٨٥ .

(٧) الأغان ١٥ / ٢٣ ، ٢٠ ، ٢٠ (وعنه باختصار ياقوت في إرشاد الأريب ٧/٢١٧) ؛ نزهة الآلباء ص ١١١ ؛ درة الفوادص ص ١٠٥ ؛ وذكره ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ٣/٧٠ و المزهر ١٨٧/٢ وديوان المعاف ١/٩ .

(٨) انظر كنز الممال ٨/٢٤١ ، ٨/٢٤٤ .

سداد بكسر السين قد ثبت أنه على وزن فعال المستعمل في أسماء الآلات حسب الأصل ، فإن لفظ : سداد بالفتح – الذي هو في الأصل مصدر من سد يعني أصحاب الصواب – قد اعتمد صحته أيضاً<sup>(١)</sup> بعض الكوفيين ، كابن الأعرابي ، الذي انضم إليه ابن قتيبة<sup>(٢)</sup> ، وابن السكikt<sup>(٣)</sup> . وعلى القىض من ذلك كان من الاستعمال الدارج قول هشيم : يُؤْسِس ، بفتح الياء وكسر التون<sup>(٤)</sup> بدلاً من ضمها<sup>(٥)</sup> . ولما كان لفظ يُؤْسِس قريناً في صيغته للفظ يُوسُف ، فمن المظنون أن هشيم كان يقول أيضاً : يُؤْسِس بفتح الياء وكسر السين ، وأنه كان يرى فيه مقاييسأً للفظ : يَؤْسِس ، كما هو الحال في اللغة الآرامية . ومثل هشيم أيضاً كان وكيع بن الجراح<sup>(٦)</sup> (حوالي ١٢٩ - ١٩٧ھ) معاصره ، يلحن في الكلام . فبشهادة تلميذه ابن المديني (الذى كان يقيم وزناً لسلامة اللغة كما سرناه) كان وكيع يقول مثلاً : عَيْشَةٌ ، بدلاً من : عَاشَة<sup>(٧)</sup> ، وهى صيغة منتشرة اليوم في العربية الدارجة<sup>(٨)</sup> . وقد ثبتت هذه اللهجة في القرن الثالث المجرى (التاسع الميلادى) بالنسبة إليها في صيغة : العَيْشَى<sup>(٩)</sup> ، وهى نسبة اشتهر بها أعقاب عائشة بنت طلحة<sup>(١٠)</sup> ، مثل البصري عبيد الله بن محمد<sup>(١١)</sup> (المتوفى ٢٢٨ھ) وابنه عبد الرحمن<sup>(١٢)</sup> (المتوفى ٢٢٧ھ) ، وقد عرف أيضاً بفساد أسلوبه في التعبير لإسماعيل بن أبي خالد الكوفي (المتوفى ١٤٦ھ) ، فقد روى

(١) انظر : شرح درة الفوادن للنفاجي (١٢٩٩ھ) ص ١٥٠ والمراجع.

(٢) أدب الكاتب ص ٥٧٠ (نشر Grünert ) .

(٣) تهذيب إصلاح المطلق /١ ١٨٢ .

(٤) بيان الملاحظ ٥/٢ .

(٥) انظر الزمخشري في الكشاف : سورة يوسف ٤/١٢ وهو لا يترافق إلا بالضم .

(٦) المغارف ص ٢٥٤ ؛ الفهرست ٣١٧ ؛ تاريخ بغداد ٤٩٦/١٣ - ٥١٢ .

(٧) تذكرة الحفاظ ١/٢٨٣ ؛ ميزان الاعتلال ٣/٢٧٠ ويصحح .

(٨) انظر مثلاً : Spitta. Gramm. S. 228

(٩) انظر : الأنساب للسعافي ٤٠٤ ؛ ٣٧٩ ب .

(١٠) دائرة المعارف الإسلامية ١.٢٢٩ El. ٤، ص ٤٤ ، والتي تسمى بمقتضاه: عيشة ، مصنوع .

(١١) تاريخ بغداد ١٠/٣١٤ .

(١٢) تاريخ بغداد ١٠/٢٥٩ .

مثلاً أنه قال : عن أبوه ؛ حقاً لقد كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وكان يعمل طحاناً ، "هذا إلى أن أباه كان فارسياً يدعى : هرمسن<sup>(١)</sup> . ومن بين الإخوة الخمسة من أسرة الحدّثين الكوفية ، أسرة أبي أيوب الطنافسى ، كان واحد فقط ينطق دون لحن<sup>(٢)</sup> . ويضيف الجاحظ<sup>(٣)</sup> . إلى هذه الأمثلة من مخالفة القواعد في دوائر الحدّثين ، اثنين آخرين : عبد الأعلى بن عبد الأعلى السامي<sup>(٤)</sup> البصري (المتوفى ١٨٩ هـ) ؛ وتلميذ غير معروف — فيها عدا ذلك — للبصري هشام بن حسان<sup>(٥)</sup> (المتوفى ١٤٧ هـ) ، يدعى : مهدي بن مهلهل ، وكان هذا يرى سلامته في الوقوف على الكلمات لعدم بصره بالإعراب .

وربما جاز لنا أن نلاحظ هنا ، مقدماً ، أن حالة الحدّثين في العصر الثاني بقيت أيضاً غير متعددة . فقد ظل بعد ، كما كان قبل ، مبدأ الأداء الحرف لمادة الحديث المرويّة عن الحدّث ، في نزاع مع مقتضيات سلامة اللغة . فكان الناقد العظيم : علي بن المديني<sup>(٦)</sup> (المتوفى ٢٣٤ هـ) يصحح فقط ما يعرض لألفاظ الرسول من اللحن ، بمحجة أنّه مُحَمَّداً [صلى الله عليه وسلم] لم يكن ليُلحن<sup>(٧)</sup> . وكان ابن الطبرى في مصر (١٧٥ - ٢٤٨ هـ) يصحح كل خطأ في الحديث<sup>(٨)</sup> . وكان النسائي ، أحد الجماع الستة الصحاح (المتوفى ٣٠٣ هـ) يترك كل تعبير يجد وجهاً من التصحيح على أنه لهجة خاصة ، ولا يصحح إلا اللحن الصراح<sup>(٩)</sup> . وكانوا يعتمدون في تصحيحهم على الاستشهاد بأحاديث مصنوعة ، يظهر فيها الرسول ثانية ، أو أحد أصحابه ثانية أخرى ،

(١) تهذيب التهذيب ١/٢٩١، ٢٩١/١٢، ٢٩١/٨٢.

(٢) ميزان الاعتلال ٣/٩٩؛ تهذيب التهذيب ٩/٣٢٨.

(٣) بيان الجاحظ ٥/٢.

(٤) ابن سعدج ٧ قسم ٢ ص ٤٥؛ تهذيب التهذيب ٩/٦.

(٥) ابن سعدج ٧ قسم ٢ ص ٣٢؛ تهذيب التهذيب ١١/٣٤.

(٦) تاريخ بغداد ١١/٤٥٨ وانظر كتاب عن محمد بن إسحاق ١٧ هامش ٢٠.

(٧) المزهر ٢/٢٤٦ عن مراتب الشعويين لأبي الطيب.

(٨) تهذيب التهذيب ١/٤٠.

(٩) معجم البلدان ٤/٧٧٧.

أو أحد كبار الصالحين من الأوائل في بعض الأحيان ، على أنه داع مدافع عن سلامة اللغة<sup>(١)</sup> . وفي إحدى هذه الروايات – مثلاً – روى أن النبي [صلى الله عليه وسلم] سمع رجلاً يلحن في القرآن فقال : أرشدوا أنحاءكم<sup>(٢)</sup> . وقد أذاع هذه الرواية الفقيه المدنى : أبو الزناد (٦٦ - ١٣٠ هـ) – يشى بن سعد<sup>(٣)</sup> على سلامة تعبيره ، وبصره بالعربية –؛ وهي وإن كانت ترجع أولاً إلى قراءة القرآن فحسب ، فإنه يفهم بذلك من قريب الاحتجاج بها على شرعية تصحيح الخطأ اللغوي بوجه عام . ويتأتى إلى جانب هذا عدد من الأقوال الموضوقة على الرسول [صلى الله عليه وسلم] . من ذلك روایة أن الرسول افتخر بفصاحته ، مثل : أنا أفصح العرب<sup>(٤)</sup> ، أو : أنا أفصح من نطق بالضاد<sup>(٥)</sup> ، أو : أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنا لى اللحن<sup>(٦)</sup> . كذلك قيلت على لسان عمر<sup>(٧)</sup> أقوال تحت على تعلم العربية<sup>(٨)</sup> واللحن والفرائض<sup>(٩)</sup> ، أو تعلم السنن والفرائض واللحن ، أو أخيراً النحو والسنن والفرائض<sup>(١٠)</sup> . كما زعم بعضهم أنه قال للرماة الذين لم يحسنوا الرمي فأرادوا الدفاع عن أنفسهم قائلين : نحن متعلمين : إن لحنكم أفعى من خطشك في

(١) جمع أبو علي المالكي (المتوفى ٤٣٨) طائفته من هذه الأخبار في كتابه : التبييد . وقد كشف Kahle مخطوطة من هذا الكتاب في مجموعة Chester Beatty . وساق أهم هذه الأخبار في الكتاب التذكاري لتكريم المستشرق : جولدزير (١٦٢ - ١٨٢)، وناقشها في مقالة بالكتاب المذكور كما سبق في التعليق على مقدمة هذا الكتاب .

(٢) كنز العمال ١٥١/١ ، المزهر ٢٤٦/٢ ، ويزيد : فقد ضل .

(٣) ذكره ابن حجر في التهذيب ٢٠٥/٥ .

(٤) المزهر ١٢٦/١ .

(٥) المزهر في الموضع السالف ؛ انظر فيشر ZDMG 59, 837 .

(٦) المزهر ٢٤٦/٢ ، ويتسع في كنز العمال ١٠١/٦ ؛ الخصائص الكبرى لسيوطى (طبع حيدر آباد ١٣١٩ھ) ٦٣/١ .

(٧) توجد مجموعة من ذلك في كنز العمال ٥/٢٢٨ .

(٨) كنز العمال في الموضع السالف رقم ٤٧٤٠ ص ٤٧٤٠؛ صبح الأعشى ١٦٨/١ ، ويروى مثل ذلك في أمال الزجاجي (١٣٢٤ھ) ص ١١٩ منسوباً إلى شعبة .

(٩) كنز العمال في الموضع السالف رقم ٤٧٤٤ .

(١٠) بيان الجاحظ ٢/٥ و «النحو» هنا تحرير «الحن» انظر كتابنا : لحن العامة والتطور اللغوي هامش ١٩ (المترجم) .

الرمي<sup>(١)</sup> . وروى عنه أيضاً أنه أخذ على رجل وضعه الضاد موضع الظاء<sup>(٢)</sup> ، وأنه نصح أبي موسى الأشعري أن يقتئع<sup>(٣)</sup> كتابه سوطاً حيث لحن فكتب : من أبو موسى . وبسبب الالتباس بعمر بن عبد العزيز ، نسب بعضهم إلى عمر بن الخطاب أنه أدب أولاده بسبب اللحن<sup>(٤)</sup> . كما يريد آخرون أن يعلموا أن عمر حرم على عبد الله بن مسعود الذي أقر أحد الناس آية سورة يوسف ٣٥/١٢ « عَنِّيْ حِينَ » بدلاً من : « حَتَّىْ حِينَ » ، أن يدخل<sup>(٥)</sup> في متن القرآن مثل هذه المخصاص من لسانه المثلثي . وعلى التقىض من ذلك جعل بعضهم أيضاً ابن مسعود بالذات ، لكونه مشهور الدرأة بالقرآن ، يروى أقوالاً عن الرسول ، مثل : أعرابوا القرآن<sup>(٦)</sup> ، أو : جُوْدُوا القرآن<sup>(٧)</sup> . كما زعموا أنه كان يسترشد<sup>(٨)</sup> برأى القارئ الكوفى : زر بن حبيش (قتل في معركة دير الجمجم سنة ٨٢ هـ) في أمور اللغة . ييد أن هذا الاتجاه نحو « تنقية اللغة » لم يستطع أيضاً في ذلك العهد أن يثبت ويسود ؛ فقد كانت هذه المسألة عند جل الحمدانين غير ذات بال ؛ كما أن مبدأ الاعتماد في الحديث أولاً وبالذات على الموضوع ، أدى بسهولة إلى نتيجة جد سيئة بالنظر إلى الحكم على الخطأ النحوى . وقد صاغ واحد منهم : هلال بن العلاء الرقي<sup>(٩)</sup> (١٨٤ - ٢٨٠ هـ) في تعبير شعرى فكرة أن خشية الله أفضل من الإعراب وقد أراد تلميذ للشاعر هو الفقيه الخلبي: النجاد<sup>(١٠)</sup> (٣٤٨ - ٢٥٣ هـ) أن يتنافس معه من جديد لسوء

(١) كنز المال ٥/٢٢٨.

(٢) ذيل الأمال ص ١٤٢ والتنبيه للبكرى وكنز المال ٥/٢٢٨.

(٣) البلاذرى ص ٣٤٦ ؛ أدب الكتاب ص ١٢٩ ؛ المزهر ٢٤٦/٢ ؛ بيان الملاحظ ٤/٢ ، ذكر حسين بن الحر بدلاً من أبي موسى.

(٤) إرشاد الأريب ١/٢٠.

(٥) كنز المال ١/٢٨٤ ؛ ابن جنى [المحتسب] كما ذكره Bergsträsser, Nichtkanonische Koranlesarten S.42.

(٦) كنز المال ١/١٥١.

(٧) الإيقان السيوطى ص ٢٣٥.

(٨) ابن سعدج ٦ ص ٧١ ؛ غالية النهاية ١/٢٩٤.

(٩) ميزان الاعidal ٣/٢٦١ ؛ تهذيب التهذيب ١١/٨٣ ؛ معجم البلدان ٢/٨٠٤ ؛ إرشاد الأريب ٧/٢٥٥ ، وقد ذكر النبهى نماذج من روایاته المرفوعة في لسان الميزان ٢١٤/٢ في ترجمة أبيه : العلاء بن هلال.

(١٠) تاريخ بغداد ٤/١٨٩ ؛ طبقات الحنابلة لابن أبي يحيى ص ٢٩٣.

الأثر الذى تركه فى نفوس تلاميذه بمخالفته للعربية<sup>(١)</sup> . وعلى هذا يتضح أنه ، حتى عند بعض كبار المحدثين ، كان إهمال اللغة ظاهراً ، دون أن يؤثر ذلك في شهرتهم ؛ فإن صدق الناقد العظيم : ابن عدى<sup>(٢)</sup> (٥٣٦ـ ٢٧٧) كان ثابتاً لا يترزع عن معاصريه ، على الرغم من لغته<sup>(٣)</sup> . كذلك بعض الإشارات المذكورة - عرضاً - في مصادرنا تتم على أن اللغة السليمة من الخطا في دواوين المحدثين لم تكن بحال أمراً ضرورياً . فقد ذكر مثلاً أن حفص بن عمر الحوضى (المتوفى ٢٢٥ هـ) من رجال البخارى كان أعرابياً فصيحاً<sup>(٤)</sup> ؛ كما يذكر أن الوضاع المشهور : غلام خليل (المتوفى ٢٧٥ هـ) كان يتحرى الإعراب<sup>(٥)</sup> ؛ وكما رأى الحكم الأصغر (المتوفى ٤٠٥ هـ) جديراً بالذكر أن شيخه : ابن الأخرم (٢٥٠ - ٣٤٤ هـ) كان يتشدد في التحرز من اللحن في كلامه<sup>(٦)</sup> .

على أن اللحن لم ينشأ على ألسنة غير المثقفين فحسب ، بل كذلك أيضاً أولئك الذين كانوا يمتهدون أن ينطقوا نطقاً صحيحاً ، دون أن يتمكنوا من النحو في واقع الأمر ، لم يكن من النادر أن يصطدموا بقواعد النحو في صيغهم التي يبالغون في تصحيحها وتنقيحها ، بناء على أقىسة خاطئة . ولما كانت صيغ المقصور والمدود قد اختلطت في اللغة الدارجة ، فقد اجتهد النحاة في استيعاب القوائم ، حسب الإمكان ، لجموعتي النوعين جميعاً ؛ كما تردد مؤلفات كثيرة في هذا الموضوع<sup>(٧)</sup> . ورغبة في صحة النطق ، استعمل أنصاف المثقفين كثيراً صيغة المدود أيضاً في كلمات مقصورة . فعل شهادة الجاحظ<sup>(٨)</sup>

(١) تاريخ بغداد ١٩١/٤ ، وقد ساق روایة ذكر فيها شعر أستاذه هلال المذكور ؛  
وانظر جولدزير : ZDMG 26, 780

(٢) انظر : كتاب محمد بن إسحاق ص ٢١ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٣ / ١٤٣ .

(٤) تهذيب التهذيب ٤٠٦/٢ .

(٥) تاريخ بغداد ٨٠/٥ .

(٦) تذكرة الحفاظ ٣/٧٧ .

(٧) انظر مثلاً : كشف الظنون ، تحت عنوان كتاب المقصور والمدود . وانظر مقدمة تحقيقنا لكتاب «المدود والمقصور» للوشاء (المترجم) .

(٨) بيان الجاحظ . ٣/٢

روى أن يوسف بن خالد التميمي<sup>(١)</sup>، المعاصر لعمرو بن عبيد (المتوفى ١٤٤هـ) كان يقول : قفاء ، بدل : قفا ، صيغة من صيغ الخلقة ، ولكنها وجدت بعد ذلك أيضاً اعتراضاً وتصويباً<sup>(٢)</sup>. واللحان الآخران ، اللذان نسبهما بالاحظ إلى يوسف المذكور ، من طبيعة أخرى ؛ فأحدها ، وهو أنه استعمل المضارع يشج ، بكسر الشين بدل الفاء ، يعد من الأحوال غير القليلة التي تضطرب فيها حركة المضارع<sup>(٣)</sup> ؛ على حين أن الآخر ، وهو صوغ أفعل التفضيل : أحمر ، أى أشد حمرة ؛ أو بعبارة أخرى ، صوغ أفعل التفضيل من أسماء الألوان ، يستحق شيئاً من التأمل ؛ فأسماء الألوان ، والعيوب الجسمية – في ذاتها – لا تقبل التفضيل ؛ وهذا منع البصريون – بحق – استعمال أفعل التفضيل وصيغة التعجب منها ، مع الحكم على ما جاء من ذلك بالشنوذ<sup>(٤)</sup> ؛ على حين أن الكوفيين لم يكن عندهم مانع من الاعتراف<sup>(٥)</sup> بصحبة الاستعمال اللغوي المتأخر ومسواته للأصل في الصحة . ولكن الشاهدين اللذين ساقهما الكوفيون من الشواهد المصنوعة . فواحد منها يروى على ثلاثة أوجه ؛ وهو بيت تهكم فيه قائله بشريف أبي أن ينحر للفقراء في الشتاء :

فأنت أبيضهم سر بال طبّاخ

أما أنه نسب – بغير حق – إلى طرفة<sup>(٦)</sup> ، فقد قرره<sup>(٧)</sup> ابن السكري .  
كذلك نسب – بغير حق – إلى رؤبة ، الشاهد الآخر :  
أبيض من أخت بنى إباض

(١) هكذا ذكر في الطبعة القاهرة المحرفة (١٣١١هـ) . والظاهر أنه : السمعي الفقيه المشهور الذي عاش بالبصرة ١٢٠ - ١٨٩ وأدخل المذهب الحنفي في البصرة . ابن سعد ٧ قسم ٢ ص ٤٧ ، ميزان الاعتدال ٣٢٩؛ تهذيب التهذيب ١١/٤١٣-٤١١؛ الجوهر المضيء ٢/٢٢٧ .  
(٢) ابن جنى في : تاج المرروس ١٠/٢٩٩ .

(٣) عد أصحاب المعجم – في وقت متأخر – يشج بالكسر فصيحاً مثل الفاء .

(٤) انظر المفصل في الموضوع المذكور .

(٥) انظر : الإنصاف ص ٦٨ - ٧٠ ؛ ابن عبيش ص ١٠٤٦ ؛ خزانة الأدب ٣/٤٨١ .  
وعلى التقييس من ذلك لا يوجد شاهد في البيت : أبيض من آل أبي عتيق ، فهو وصف لافتضيل فيه وهو من قول الزبير بن العوام (عيون الأغبار ٩٥/٣) .

(٦) نشر Seligsohn Suppl. VII

(٧) خزانة الأدب ٣/٤٨٤ .

- ٨٩ -

وهو لا يوجد في ديوانه<sup>(١)</sup> . ولا يصح أيضاً أن تجري مع «نولدكه»<sup>(٢)</sup> في الاستشهاد بآية<sup>(٣)</sup> سورة الإسراء ٧٢/١٧ : «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً» ؛ إذ إنه لا تفضيل فيه ، بل معناه : أن الأعمى في الدنيا هو في الآخرة أعمى أيضاً ، بل أضل عن الطريق . نعم يروى أن أبا عمرو بن العلاء كان يرى أن معناه هو أكثر عمي ، كما يروى أنه كان يفرق في لفظ أعمى بين صيغتي الوصفية والتفضيل بأن الأول يقرأ بالإملاء ، والثاني دون إملاء<sup>(٤)</sup> . ولكن معنى العمى لا يتأنى فيه التفضيل إلا في حالة استعماله مجازاً في الضلال ونحوه . أما استعماله : أضل سبيلاً على صورة التفضيل فلا يدل بالضرورة على التفضيل في قرينه في الآية : أعمى .

ثم يدور الكلام بعد ذلك حول بعض أبيات ظن فيها – بغير حق – استعمال اسم التفضيل في الألوان . فثلا قال الأحدب السعدي ، أحد المصوّص في مختتم القرن الأول :

لما دعاني السمهري أجبته      بأبيض من ماء الحديد صقيل<sup>(٥)</sup>

ولا تفضيل هنا كذلك . ويشبه هذا أيضاً بيت للعديل بن الفرج العجلي ، معاصر الحجاج<sup>(٦)</sup> ، كما يشبهه بيت في حماسة أبي تمام<sup>(٧)</sup> ، ينسب إلى الشاعر : أبي الأبيض العبسى الذى قيل إنه توفي في عهد هشام بن عبد الملك (حكم ١٠٥-١٢٥) كذلك لا تفضيل في البيت الذى قاله عبد الله بن الزبير سنة ٥٧٥ : [ هما خططا خسف نحاوك منها ]      ركوبك حوليا من الثلج أشها<sup>(٨)</sup>

(١) انظر ديوانه ٤/٥٠ (أهلوت) ، خزانة الأدب ٤٨٢/٣ .

(٢) Zur Grammatik des classischen Araabisch , Wien 1896. S.16

(٣) عالج هذه الآية الشريفة امترقى في أيامه ٥٩/١ (القاهرة ١٩٠٧) .

(٤) أمال المرتضى ١/٦٤ ؛ الكشاف في الآية المذكورة .

(٥) الأغافٰ ٢١/٧٧ عن أخبار المصوّص السكري ؛ وتنسبه البختري ، وهو غير دقيق في نسبة الشعر ، إلى زيد الخيل الطائفي ، المتوفى ١٠٥ هـ ، في حماسته رقم ٢٠٧ (مع تغيير طفيف : ولما دعاني الخيرى) .

(٦) انظر الأغافٰ ١٢/٢٠ .

(٧) (Freitag) ٢٣١ .

(٨) الأغافٰ ٤٢/١٣ ؛ الكامل ص ٢١٧ ، ص ٦٦٦ ؛ أدب الكاتب ص ٤٢٠ =

وأقدم ما يوثق به من استعمال صيغة التفضيل في الألوان ، هو ما نجده في الحديث<sup>(١)</sup> عن نهر السكورث في الفردوس : « ماؤه أبيض من اللبن » .

مثل هذه الأخطاء اللغوية التي ذكرناها في هذا الباب ، تعد الأخبار الوحيدة عن اللغة الدارجة بين المثقفين في العصر العباسي الأول ، وعلى النقيض من ذلك لا نكاد نعلم شيئاً عن لغة الطبقات الوسطى والدنيا في المدن والأقاليم . بيد أننا لا نكاد نخطئ شاكلاة الصواب ، إذا افترضنا أن اللهجات الوطنية القديمة كانت سائدة في الوديان والسهول في كل مكان : اللاتينية الشعبية في شبه جزيرة إيبيريا<sup>(٢)</sup> ، ولهجات البربر في شمال أفريقيا ، والتقطيعية في مصر ، واللهجات الآرامية في سوريا وبلاد الرافدين . على أنه ، حتى في المدن ، لم تكن الكلمة العليا للعربية إذ ذاك في مكان ما بعد . في مدن العراق كانت الفارسية سائدة بين الطبقات الدنيا إلى مدى بعيد ، بحيث كان الأصمعي يُعد أمارة على ضعة الشخص أن يتكلم بالفارسية<sup>(٣)</sup> في مصر عربي . والأصمعي نفسه ، الذي كان يحسن<sup>(٤)</sup> الفارسية ، أمكن أن يعتمد على فهم السامعين حينما فسر<sup>(٥)</sup> لفظ : « قصب » في معلقة عنترة ( ق ٢١ / ٣٧ ) بكلمة : ناي ، أو مزمار ، أو إذا سمي كثيراً صاحب كرباج<sup>(٦)</sup> ، أو صاحب دكان . ومعرفة الفارسية ، التي كانت تظهر هنا أو هناك فقط عند العرب في القرن

سخراة الأدب ١٧٥/٣ ، وضبطه هنا باسم الثاء جمع أثلج أي نشط وهو غير ظاهر ، بل المراد فيما يظهر - الثلج المعروف ، بتقرينة الأبيات في السياق ، إذ المراد أنه إذا هرب إلى خراسان فسيقيم هناك في الثلج والبرد القارس الملوى ( التجار ) .

(١) البخاري : الرقائق ؛ وذكر الترمذى في تفسير الحديث المذكور الثلج ، بدلاً من اللبن ، وأغلب الصور بها النص الصحيح : أشد بياضاً من الثلج ؛ انظر المراجع في : Wensinck b I. 24١ ، كنز الحال ٧/٢٢١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٢) الكامل ص ٢٣٩ .

(٣) الأغافل ٤/١٣٠ .

(٤) الكامل من ٥٠٢ ؛ وقد استعمل بشار كلمة : ناي . انظر المختار من شعر بشار ص ١١٤ ، وعرف الأعشى لفظ : نايرم انظر الديوان نشر : Geyer رقم ١٥٥ .

(٥) فحولة الشعراه (نشر 65 Ch. Torrey ZDMG ٦٣/٢ وانظر الموشح من ١٤٦) وجاء لفظ كرباج في البيان والتبيين ٥٦/٧ ، وفي المرتب للبواليق ص ١٢٧ ؛ كما ذكر سيبويه لفظ : فريق أو كريق . انظر تاج العروس ٧/٥٦ وفيه ييت منسوب إلى ابن قحفان . انظر أيضاً لسان العرب ١٩٨ والبكري ٧٣٧/- (شيتالر) .

الأول<sup>(١)</sup> ، صارت غير نادرة في صفوفهم لذلك العهد . وهكذا ، يؤخذ من خبر<sup>(٢)</sup> عن الطبيب « سرجويه » Sorgoe الذي لم يكن ينطق عربية سليمة ، وكان لهذا يخاطب الشريف محمد بن عبد الوهاب الثقفي ومن اجتمع لديه من الأعيان بالفارسية ، أن دوائر أشراف العرب بالبصرة ، على عهد المهدى وهارون الرشيد [ كان محمد بن عبد الوهاب المذكور ابنًا لعبد الوهاب الثقفي ( ١١٠ - ١٩٤ھ )<sup>(٣)</sup> من أعقب الحكم بن أبي العاص الذي شارك مشاركة فعالة في فتح فارس<sup>(٤)</sup> ] كانت تفهم الفارسية . ومن الشواهد أيضاً على أن إجادة اللغتين كانت أمراً شائعاً ، ما نجده من ألقاب فارسية لم يسمون - فيما عدا ذلك - بأسماء عربية محضة . وهكذا كان الشاعر المعاصر جرير : على ابن خليل من قبيلة ضبة ، يلقب بالبردخت<sup>(٥)</sup> ، أي الفارغ من العمل . وبه سميت صحراء البردخت<sup>(٦)</sup> ، وهي سهل فسيح عند الكوفة . كذلك الحديث البصري : يزيد بن أبي يزيد<sup>(٧)</sup> ( المتوفى ١٣٠ھ ) يدين لغيرته بلقب : الرشك<sup>(٨)</sup> من رشك ، بكسر الراء وفتحها في الفارسية . ولما كان هذا مساحاً للحقول وحساباً أربياً صار<sup>(٩)</sup> لفظ : الرشك - فيها يروى - وصفاً في لهجة البصرة بمعنى : قسّام . وبعد ذلك بنصف قرن ، تندر البصريون فأطلقوا اللفظ الفارسي : « تخشينشـار »<sup>(١٠)</sup> الذي معناه طير الماء ؛ على أحد الحدثين . على حين كان العالم اللغوى الضليم : أبو عبيدة ( المتوفى ٢١٠ھ ) يلقب استهزاء بلقب : سُبْخـت<sup>(١١)</sup> . ولما اعتنق الإسلام ، سنة ١٩٠ھ ، وزير المؤمنون فيها

(١) مثل المنيرة بن شعبة ، انظر : Wellhausen. Das arab. Reich 73

(٢) انظر الأغانى ١٩/١٧ .

(٣) انظر : ميزان الاعدال ٢/١٦١ ؛ تهذيب التهذيب ٤٤٩/٦ ؛ الأغانى ٢/١٨ .

(٤) انظر Wellhausen, Skizzen und Vorarbeiten VI, S, III

(٥) الشعر والشعراء ص ٤٤٧ .

(٦) معجم البلدان ٣٧٠/٣ .

(٧) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ١٣ .

(٨) انظر ابن حبان في التهذيب لابن حجر ١١/٣٧٢ ؛ السمعانى ص ورقة ٢٥٣ .

(٩) انظر الترمذى في كتاب الصوم ؛ السمعانى ص ورقة ٤٣٢ .

(١٠) الأغانى ١٧/١٧ .

(١١) ذكر هذا اللفظ في بيت لابن منذر ؛ انظر بيان المباحث ٤٣/٢ الأغانى ١٩/١٧ . وذكر في تاج العروس ١/٥٥٠؛ وفي تعليق على هامش تاج العروس أنه مأخوذ من اللفظ الفارسى :

- ٩٢ -

بعد : الفضل بن سهل ذو الرياستين ، ولزم الفراش وهو محوم ، زاره الطبيب : جبريل بن بُختِيشوُع ، فوجد في يده القرآن . وقد رأى الرواى ، الذى سجل هذا المنظر <sup>(١)</sup> ، من الطبيعي أن الزائر سأله مريضه باللغة الفارسية : **تشُونِيْنِي نامِهِ إيزاد** : كيف تجد كتاب الله ؟ وأنه تلقى الجواب بنفس اللغة : **خُشْ فَتَشُونْ كَلِيلَه فَدِمْنَه** : حَسَنٌ مثل كليلة ودمنة .

---

= سبوقت أى منبوذ، بيد أن وزن الشعر يرفض ذلك لصراحته تصعيف الباء فيه وانظر كذلك:  
الفهرست . ٢٠/٥٣

(١) انظر ابن القنطى نشر : Lippert

(٤)

## اللغة العربية في عصر هارون

(١٧٠ / ١٩٣ - ٧٨٦ / ٨٠٩)

بعد أن استقرت في الظاهر أحسن دولة الخلافة ببغداد على أيدي مؤسس حكم الأسرة : السفاح (حكم ١٣٢ / ٧٥٠ - ١٣٦ / ٧٥٤) وأخيه وخليفته المنصور على وجه الخصوص (حكم ١٣٦ / ٧٥٤ - ١٥٨ / ٧٧٥) ، بحيث استطاع الخليفة الثالث : المهدى (حكم ١٥٨ / ٧٧٥ - ١٦٩ / ٧٨٥) أن يباشر ضغطه دون هوادة على عقيدة الثنوية (الزندقة) المهددة لوحدة الدولة ، متمماً بذلك عمل سالفيه من وجهاً السياسة الداخلية ، بلغت الدولة ذروة سلطانها ، بعد خلافة المادى القصيرة الأمد ، في ظل هارون الرشيد (١٧٠ / ٧٨٦ - ١٩٣ / ٨٠٩) . لقد قدم لها رأوها العريض الذى كان يعتمد على غلات أخصب مناطق الشرق كافة ، وسائل ازدهار الثقافة والحضارة . ولقد كان الخليفة ظلاً ظليلًا ، وسيداً جواداً على الشعراء والعلماء والموسيقيين . ولقد أخذت علوم العربية في عهده نهضة جديدة اقتربت بأسماء الأصمى وأبي عبيدة وأبي زيد والفراء والكسائى . وعند هؤلاء الرجال جميعاً كانت لغة البدو هي القدوة المثلى ، والمفوج الرفيع ؛ وبذلك كانوا داعماً في خلاف شديد مع اللهجة الدارجة بين سواد الشعب العريض . وأبو زيد بالذات ، الذي كان ينطق كما ينطق الأعرابي ، أدى التزامه الفصحى في حديثه مع العوام في وقت مبكر ، إلى نكبات من المزاح مشتملة على موازنات بين صوافيه المتنخل المصفى ، وطريقة التعبير الفاحشة المعوجة عند معاصريه<sup>(١)</sup> وعلى النقىض من ذلك ، كان من قبيل تعصب البصريين على الكوفيين ما أخذ على القراء العظيم (١٤٤ - ٢٠٧ هـ) أنه لحن بمحضر هارون<sup>(٢)</sup> وأنه اعتذر

(١) تاريخ بغداد ٧٨/٩ .

(٢) ابن خلكان ١٩٤/٣ .

من ذلك بأن اللحن عند سكان المدن لازم لهم كاً لإعراب عند أهل البايدية . وأقل من ذلك جداره بالتصديق النبوي القائل : إن أبي عبيدة (المتوفى ٥٢١٠) تلقى نصيحة من أبيه ، إذا كتب كتاباً أن يجعل فيه لحناً لتزول عنه حرفة الصواب<sup>(١)</sup> . بل لقد كان محبياً إلى الخليفة أن يجالس النحاة ، وكان يقدر سلامه اللغة حق قدرها . وقد يُروى أنه خاطب زبيدة زوجه فقال لها : يا أم نهر<sup>(٢)</sup> ، بدلاً من أم جعفر ، كنيتها الصحيحة . وكانت زبيدة ، حفيضة المنصور ، امرأة عاقلة مثقفة<sup>(٣)</sup> ، وكانت على قدم من البلاغة بحيث بقي خطابها للمؤمنون ، عند دخوله بغداد ، عالقاً بذاكرة الأجيال التالية عهداً طويناً<sup>(٤)</sup> . ييد أنه لم يكن معروفاً لديها أن اسم العَلَم : جعفر ، منقول ، وأنه مرادف للنهر . على أن هارون نفسه لم يرض من الأصمعي أن يستعمل في خطابه إياه تعبيراً مهجوراً غريباً : ما لاقني بعده أرض ، أى لم تمسكني<sup>(٥)</sup> وقد تعرض أبو يوسف (١١٣ - ١٨٢هـ) أعظم قضاة الدولة – كان أول من حل لقب قاضي القضاة – لتخطئة الأصمعي في تفسير المعنى الغامض في تلك القاعدة الفقهية التي صاغها الشعبي : لا تعقل العاقلة عبداً ، بمعنى أن العاقلة ، أى الأسرة ، ليست مسؤولة عن ذمة عبد يُقتل ؛ حيث أراد أبو يوسف أن يفسره بأنه لا دية على العاقلة إذا ارتكب عبد لها جنائية قتل . فرد عليه الأصمعي بأنه كان يجب حينئذ أن يقال : لا تعقل عاقلة عن عبد<sup>(٦)</sup> . ففي مثل هذا الجو ازدهرت إلى جانب المعرفة الحقيقة ، شدة الذكاء وسعة الحيلة ، ولطف المدخل ، وشهرة الغلَب . وإذا كان هارون كافٍ لإحدى الروايات –

(١) أدب الكتاب للصولي ص ١٣١ والظاهر أن صواب العبارة : خرقة الصواب ، أى

حقيقة

(٢) صحيح الأعشى ١٦٨.

(٣) أخبار التحويين للسيرافي ص ٦٤ .

(٤) انظر رأي الباحث في الموسوعة المرتبة على ص ٣٥٣ .

(٥) تاريخ بغداد ٤٣٣/١٤ .

(٦) أخبار التحويين للسيرافي ص ٦٣ ؛ نزهة الأنبياء ١٦٣ ، والروايات المساواة في : أدب الكتاب ص ٩٩ ؛ تاريخ بغداد ٩/١٤ ؛ ابن خلكان ١٧/١٥ ؛ تاج العروس ٧/٥ . تجعل بدلاً من لاقت ، ألاقت الرباعي .

(٧) أدب الكتاب ٢٢٤/١٥ والجواب على (طبع القدسي ١٣٥٠هـ) ص ٨٠ .

كان يفرق بين : أنا قاتلٌ غلامك على سبيل الإضافة ، بمعنى لقد قتلت غلامك وأنا قاتلٌ غلامك بالتنوين ، على معنى سأقتل غلامك ؛ فهذا يعتمد على نوع من الدقة كان الاستعمال اللغوي الواقعي كثيراً ما يطرحه وراءه ظهرياً<sup>(١)</sup> . كذلك التبييز الذي يتم على حدة ذكاء ، والذى روى على لسان الكسائى الناذع الشهرة ، سواء لأنه نحوى ضليع ، أم لأنه قارئ من القراء المعتمد بهم ، حيث فرق بين : أنت طالق ، طالق ، طالق ، وبين أنت طالق وطالق وطالق<sup>(٢)</sup> أو ما شاكل ذلك ؛ فمثل هذا ليس مأخوذاً من اللغة الواقعية الحية . وأحياناً كانت مثل هذه اللوذعية في علوم اللغة لا تصحح خطأ الرواية ، وإنما تصحيح القائل نفسه ؛ بمعنى أنها تقول على لسانه ما لم يقله . فثلا حينها مدح الفرزدق حسين بن الأصرم قاتل الجنون السكنى لأنه حرم على نفسه تناول اللحم والخمر حتى يقتله ، فقال :

غادة أحَلَّتْ لابن أصرم طعنةٌ      حسين عبيطاتِ السدائف والخمر

بنصب طعنة ورفع عبيطات ؛ لم يعجب الكسائى هذا القلب والتبدل بين الفاعل والمفعول ، فغير البيت :

غادة أحَلَتْ لابن أصرم طعنةٌ      حسين عبيطاتِ السدائف والخمر

وعلى هذه الصورة المغيرة يوجد البيت اليوم في الديوان الذى بأيدينا<sup>(٣)</sup> : هذا إلى أن الرواة السكوفيون يرددون أن الذى حمل الكسائى أيضاً على تعلم النحو هو تعييره بالحن ، إذ قال : قد أُعْيِيت ، بمعنى تعبت ، وكان ينبغي أن يقول : قد أُعْيِيت ، لأن تَعْبِيِّ الثالث من : عى بالأمر<sup>(٤)</sup> لم يقدر على إتمامه . ومع هذا فلم يخل الأمر من خصوصيات بين العلماء ؛ إذ كان من الطبيعى أن أحداً من علماء اللغة هؤلاء لم يحصل على دراسة كاملة بالعربية ، حتى ولا بمعنى أنه كان محظياً بكل الثروة الفقهية الحية ، التي كانت مستعملة إذ ذاك فى البدية .

(١) إرشاد الأريب ١٨٧/٥ وانظر سيبويه ١/٧١ .

(٢) تاريخ بغداد ٤٠٦/١١ .

(٣) ديوان الفرزدق ص ٣١٧ ، وانظر الكامل للمبرد ص ٢٠٩ وانظر مصادر أخرى في فهرس الشواهد ٩٥ ب .

(٤) تاريخ بغداد ٤٠٤/١١ ؛ نزهة الآباء ص ٨٢ ؛ إرشاد الأريب ٥/١٨٤ .

ولما زار العلامة الكبير : أبو عبيدة ، أم الهيثم<sup>(١)</sup> ، التي عرفت بأنها أعرابية فصيحة بلغة الكلام ، وصفت له مرضها بكلمات لم تكن معروفة عنده ، حتى سأله في دهشة عما إذا كان للناس لغتان ينطقونهما<sup>(٢)</sup> . وفي هذه الظروف لم يقم التزاع حول مسائل الاستعمال اللغوي الصحيح فحسب ، بل كذلك حول من يرجع إليه في ذلك . وهكذا حدث في الجليل الثاني لهذا أن ابن الأعرابي السكوف (حوالي ١٥٠ هـ - ٢٣١) لم يشاً أن يعتد لا بالأصمعي ولا بأبي عبيدة ؛ وهما من هما في مرتبة العلم التي تسمى على مرتبته بكثير . ولكنه استطاع مثلاً أن يشير إلى أن الرجال الذين يأخذون عنهم من البدو كثيراً ما أعطوه بياناً يتعارض مع آراء الأصمعي<sup>(٣)</sup> ؛ أو يشير إلى أن أبي عبيدة روى: شلت الحجر (من مادة : ش ل) أى رفعته ، وشلت يداه<sup>(٤)</sup> ؛ أى أصيبتا بالشلل ؛ على حين أن الصواب يحب أن يكون : شلت بالحجر (من مادة : ش ول) و : شلت يداه بفتح الشين . بيد أن علم ابن الأعرابي نفسه لم يكن رائحاً بحال . فقد أكدى بصورة مزورية حينما طلب إليه أن يشرح كلمات غريبة في شعر الطرامح<sup>(٥)</sup> ؛ كما قرأ : قتلى كذا ، بالذال المعجمة ، بدلاً من قتل كداء ، في بيت للمعنى المشهور : ابن أبي سنة ، الذي غير ابن الأعرابي اسمه أيضاً إلى : ابن أبي شبة ؛ وحاول أن ينقد نفسه<sup>(٦)</sup> من هذا الخطأ الشنيع بتفسير : قتلى كذا ، تفسيراً غير مقبول بأن معناه عدد كبير من القتلى . كذلك لم يفهم مرئي الشاعر في الكلمات :

[ ولا عيب فينا غير عرق لمعشر      كرام ] وأنا لا نخط على النمل

أى أننا لا نخط على النمل ، بمعنى القرود (والمراد أننا لسنا مجوساً نتروج أخواتنا) . وفي ذلك رمز إلى عادة فارسية ، هي أن يطلب إلى غلام ناتج من زواج الإخوة أن يخط على القرود على سبيل التعويذ والسحر . وقد تخلص

(١) الفهرست ص ٧٠ .

(٢) تاج العروس ٢٦٠/٢ .

(٣) إرشاد الأريب ٥/٧ .

(٤) هكذا روى أبو عبيدة في بيت لورقام بن زهير ؛ انظر النقائض ص ٣٨٤ .

(٥) الأغانى ١٥٦/١٠ .

(٦) الأغانى ٩٢/٤ ؛ معجم البلدان ٤/٢٣٨ .

ابن الأعرابي ببيان حائر ففسره بأن الشاعر يقول : نحن لا نخط (من خط ، لا نخط من خط ) على جماعات المثل لنسلبها زادها<sup>(١)</sup> . كذلك لم تكن معارفه عن الأنساب على ما ينبغي<sup>(٢)</sup> كما أن آراءه اللغوية المتهاوية يعبر عنها أصدق تعبير رأيه العجيب في تعاقب الصداد والظاء في سعة الكلام<sup>(٣)</sup> .

وقد بيّن لنا مصنف في لحن العامة يحمل اسم الكسائي<sup>(٤)</sup> ، وهو – إن صحت نسبة – يعد أقدم الآثار الأدبية لحركة «تنقية اللغة العربية» . ويدرك هذا المصنف في مقدمته أنه من عمل الكسائي طارون الرشيد<sup>(٥)</sup> . ويحتوى في ١٠٢ فقرة على ملاحظات متفرقة جمع بعضها إلى بعض حول الاستعمال اللغوى الصحيح . وتبدأ كلها بكلمة : تقول (أى الصواب كيت وكت) ، وقد تبدأ في بعض الأحيان بكلمة : لا تقول . مع ذكر الصيغة المستعملة عند العامة . وكثيراً ما يستشهد بذكر مواضع من القرآن أو أبيات الشعر . على أن نسبة هذا المصنف لم تسم عن شك أياً كان . أما أنه لا يوجد منه غير مخطوطيناثنين حديثي الكتابة ، متقاربين تقارباً كبيراً<sup>(٦)</sup> ، فقد يكون ذلك من قبيل المصادفة والاتفاق ، كما هو الحال بالنظر إلى أن صاحب الفهرست لا يعرف هو ولا غيره من كتب الترجم التي بأيدينا مثل هذا المصنف للكسائي . ولكن أحق من ذلك بأن يلفت النظر ، هو أن الرأوى الوحيد الذى ذكر اسمه في الكتاب ، هو البصري المعروف : أبو زيد الأنبارى (حوالى ١٢٥-١٢٥)<sup>(٧)</sup>

(١) نزهة الألباء ص ٢١١ ؛ إرشاد الأريب ٧/٧ . وانظر في معنى البيت : أدب الكاتب ص ٢٢ ، والبطليوسى عليه ص ٢٩٠ ، والجواهري عليه ص ١٢٠ ، وتجال العروس ٨/١٤٦ .

(٢) الأغاف ١١/١٠٠ .

(٣) ابن خلkan ٢٩٩/٢ .

(٤) نشر أولاً عن نسخة خطية حديثة رديئة كثيرة الأغلاط (برلين ؛ أهلورت ٧١٠٣) ، وناشره بروكلان : الحلقة الأشورية عدد ١٣ ص ٢٩ - ٤٦ ؛ ثم نشرها عبد العزيز الميني في : ثلاث رسائل ، بالقاهرة ١٣٤٤ هـ ؛ ص ١٩ - ٦٨ على أساس نسخة خطية حديثة أيضاً في بومبای ، ولكنها أحسن من الأولى كثيراً . ويرجع إليها في الاستشهاد . وانظر كتابنا : لحن العامة والتطور اللغوى (المترجم) .

(٥) مطلعه : هذا كتاب ماتلحن فيه العامة مما وضعه على بن حزة الكسائي للرشيد .

(٦) يتضح هذا من اتفاقهما في الأغلاط فمثلًا نشرة بروكلان ٧/٣٤ ؛ ١/٣٥ ؛ ٧/٤٣ ؛ ٤/٤٨ ؛ ١١/٢٩ ؛ ٥/٥ (سقط هذا الامانش من ترجمة التجار . المترجم) .  
= نشرة الميني ٢٨/٥ ؛ ٢٩/٤ ؛ ٤٨/٥ (سقط هذا الامانش من ترجمة التجار . المترجم) .  
(٧) - المرية

الرجل الذى عاش طويلاً بعد الكسائى المتوفى فى سن المئتين أو التسعين . ومع هذا فإن أعلم من ذلك تلك الأحوال ، التى لا يتفق ما ينقل فيها من الآراء فى هذا المصنف ، مع ما هو معروف فى معاجم اللغة العربية على أنه رأى الكسائى . فمثلًا يحيط المصنف المذكور : نقم بكسر القاف ، (رقم ٣) ؛ ويصوب : وددت (رقم ١٩) ؛ كما يفرق (رقم ٨٧) بين : قبسته النار ، أى أعطيته ناراً ، وأقبسته العلم ، أى علمته ؛ وكذلك (رقم ١٠٢) بين : نما ، الواوى بمعنى زاد (المال) ، ونبي اليائى بمعنى احرّ (الخضاب) واسودّ . وعند الجوهرى وغيره من أصحاب المعاجم — على النقيض من هذا — أن الكسائى ارتضى نقم بكسر القاف ، ووددت بفتح الدال ؛ وأنه فسر الرباعى : أقبس بالمعنين جيّعاً : أعطى النار ، وعلم ، على الحقيقة والمحاز ؛ وقال عن : نما الواوى ، إنها صيغة مفردة سمعها من اثنين فقط من بنى سليم . نعم قد يكون هذا التضارب ناشطاً أيضًا من اختفاء الرواية أو بسبب تنقیح الأصل ؛ بيد أنه إذا لم يكن هناك دليل قاطع على صحة النسبة ، فقد تبى من المشكوك فيه ما إذا كان هذا المصنف يحمل اسم الكسائى بحق<sup>(١)</sup>

ومهما يكن من أمر في صحة نسبة المصنف المذكور في لحن العامة للكسائى ، فما لا شك فيه أن حركة «تنقية اللغة العربية» على عهد هارون الرشيد قد نضجت نضجاً تاماً . وهنا كان الأصمعى قبل كل شيء هو الذى لم يكتفى بجمع التراث اللغوى عند البدو وترتيبها فحسب ، بل شرع كذلك فى تعقيد الاستعمال اللغوى الدقيق للكلمات ، بتعريفات غایة في الدقة . ولا ريب أنه كان في ذلك كثيراً ما يخالف المعانى والاستعمالات إلى ترد في كلام البدو ؛ ودعوى ابن الأعرابى أنه وجد في ألف حالة ، سمع فيها من البدو ، تلك الصيغ التي ذكر الأصمعى أنها خطأ ، ليست غير ذات أساس ؛ على الرغم مما ييلو من أن ابن الأعرابى كان يريد أن ينقد موقفه ، إذ إنه حينما كان لا يزال مؤدياً في بيت سعيد بن سلم بن قتيبة<sup>(٢)</sup> (المتوفى ٢١٧ھ) ، أثبت عليه الأصمعى في

(١) انظر في صحة نسبة الكتاب إلى الكسائى ودفع تلك الشبه ماقلناه في كتابنا : لحن العامة والتطور اللغوى ١٠١ - ١٠٩ (المترجم) .

(٢) ابن خلkan ١٨١/٢ .

- ٩٩ -

حضره تلميذه خطأ في تفسير بيت<sup>(١)</sup>. ول يكن آخرين من علماء اللغة ، غير ابن الأعرابى ، خالفوا الأصمعى أيضاً في أقواله . وقد أنجى البطليوسى بشدة اللائمة على ابن قتيبة ، لأنه احتضن مذهب الأصمعى المتطرف في « تنقية اللغة » دون أن يعني بمذاهب الثقات الآخرين من علماء اللغة ولو على سبيل العرض فحسب<sup>(٢)</sup> .

وهذه المقتضيات التي يتطلبها مبدأ « تنقية اللغة » ، قد احتذها الشعر الرفيع في جميع العصور كما هو الأعم الأغلب ، فثلاً أشعار أبي نواس (١٣٠-١٩٩ـ٥) أهم شاعر على الإطلاق في عصر هارون ، خالصة من اللحن الاغوى خلوصاً عجبياً . وما عده نقاده المشبعون بروح التشكيك خطأ ، هو في الغالب نوع من الحرية الشعرية ، أو ضرورة الوزن ، كما نجده عند أسلافه من الشعراء .

وهكذا ، تدين مثلاً الصيغ المختلفة التصريف : سنون وبنون ، التي استعملها بالثنين ، بدلاً من الإعراب بالحروف<sup>(٣)</sup> ، إلى الرغبة في إعارة هذه الأسماء الثنائية (المبني) تمكناً من الأصالة ، كما أنها وردت – بعيدة عن القافية – في أشعار العصر الأموي<sup>(٤)</sup> . وزيادة على ذلك ليس من الشاذ العادم النظير أن يستعمل الشاعر في ضرورة القافية ، جمع المذكر السالم بكسر النون بدل فتحها<sup>(٥)</sup> . وإذا كان أبو نواس في قوله في مدح الأمين :

ياخير من كان ومن يكون إلا النبي الطاهر الميمون<sup>(٦)</sup>

(١) أمال المرتضى : ١٨١/٢ .

(٢) انظر الاقضاب ص ١٠٦ / ١٠٩ ، ٩ / ١٠٨ ، ٦ / ١١٠ ، ٤ ، ١٠ / ١٢٨ ، ٤ ، ٧ / ١٣ / ١٢٨ .

٤ ، ٣ / ١٣٢

(٣) الخمريات رقم ٦٢ (أهلورت) ؛ انظر : الشمر والشعراء ص ٥٢٠ .

(٤) انظر المصادر في : ( ) Nöldke, NBSS ١٢٦ ( Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft )

(٥) ساق المبرد في الكامل ص ٢٩٢ ثلاثة أمثلة لذلك من شعر الفرزدق وسليم (الأسماء رقم ٦/٧٦ ، ويوجد هذا البيت أيضاً في شعر طبرير ، ديوان ٥٧٧) وذى الإصبع (المفضليات ٢١/٣١) وانظر ابن يعيش ص ٦١٣ ، وخزانة الأدب ٤١٦/٣ .

(٦) انظر : المثل السائر (١٢٨٢) ص ١١ .

قد خالف قواعد العربية ، من وجوب نصب المستثنى من كلام تام موجب ، فإن هناك شواهد قديمة أيضاً<sup>(١)</sup> على مثل هذه الحرية الشعرية . كذلك في البيت :

فليت ما أنت واطِّ من الشَّرِّ لِيَ رَمْسَا(٤)

نصب معمولى : ليت<sup>(٣)</sup> ، وهو استعمالى قَبَلِي خاص ، ورد في رجز العجاج<sup>(٤)</sup> (المتوفى ٩٧٥) وفي شعر الهمذاني عبد الله بن مسلم<sup>(٥)</sup> (في أوائل القرن الثاني) ؛ وترك المميز في واط ، بدلًا من واطي، أمر معتاد .

وأكثر من ذلك لفتاً للأنصار ، ترك الإعراب ، واستعمال صيغة دارجة في مثل : مَحَدُّثَه بدلًا من مَحَدُّثَتِه<sup>(٦)</sup> ؛ وَيَأْتُكَ ، على الوقف بسكون الكاف ، بدلًا من فتحها في الخطاب<sup>(٧)</sup> . وأخيراً من المستغرب أن الميت<sup>(٨)</sup> :

كأن صغيري وكيري من فقاعتها حصباء در علي أرض من الذهب

(١) انظر نولد که : Zur Grammatik S. 43

<sup>٢)</sup> انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة س، ٥١٩.

(٣) لا وجود للنصب المزعوم في المعمولين هنا (المترجم).

(٤) انظر الموضع ص ٢١٧ ويفهم من عبارة ذلك أن نصب ليت للجزأين ، وإن كان ظاهرة قديمة ، فإنه تطور حادث . غير أنني أرى أنه تركيب أصيل بكل تأكيد وقد ذكر ذلك فنليشر (561) K1. Schriften I 486 وتابعه بروكلان 30 II ١٣٧؛ GvG I ١٣٧؛ زيداً قاتماً (المفصل ١٣٩) ناشيء من وأيت زيداً قاتماً وفي اللهجات الحديثة « ريت » منه وإن كان نولدكه BsS ٣/١٢ يراها تطوراً حديثاً من ليت ، ولا أوراقته على تعليمه . وقد بيقيت الظاهرة القديمة في بعض الأشعار مثل: ليت القسى كلها أرجلاء Freytag, Prov. Arab ٧٧/٢٣ ويعزى إلى تميم ، ويبدو ذلك صواباً؛ إذ تبيّن الظاهرة القديمة أحياناً في بعض اللهجات . والمتنازع في العربية رفع الخبر بسبب القياس على إن ولعل بكل تأكيد (شيبالر) .

(٥) ديوان هديل رقم ٢٤٧ /٤ وفي الشاعر انظر : تهذيب التهذيب ٦/٢٨ .

(٦) الشعر والشعراء ص ١٩٥ ، وقد صحح في الديوان ص ٨٩ .

(٧) ذيل الأمالى ص ٤٧ .

(٨) الديه ان س، ٢٤٣ / ١٠

نهيارس الشوادع ٢١ بـ / ١٥

- ١٠١ -

لأنه كما في قواعد النحو الأولية ، لا تستعمل فعل مؤنث أفعال التفضيل إلا معرفة ، إلا في حالة ما إذا صار اسمها مثل : دنيا<sup>(١)</sup> ، أو أخذ معنى خاصاً ، مثل : أخرى . كذلك من اللحن قوله :

ونشوة سقطت منها في يدي

لأن سقط في يده ، بمعنى حار أو ندم ، ملازم للمجهول ، وهو فعل غير شخصي ؛ لأن سقط غير متعد<sup>(٢)</sup> . فلا يسنا إلى الضمير .

وعلى النقيض من ذلك ترد عند شعراه الطبقة الثانية أحياناً أخطاء صريحة في قواعد النحو فهذا هو الشاعر الشيعي : السيد الحميري (١٠٥ - ١٧٣) يقول شاهداً على ما نقول<sup>(٣)</sup> :

أحسوكُ ولا أقوى ولست بلا حنْ وكم قائل للشعر يُقوى ويُلحّن

وتؤيده في ذلك الروايات التي بأيدينا ؛ فهاهو ذا أحد شعراء بلاط الرشيد ، وهو العماي [ يدين بهذا اللقب لزيارة له إلى عمان ، أو لسبب غير ذلك ، لكنه على كل حال ليس من هذا الإقليم المشهور بفساد عربته<sup>(٤)</sup> ] ينشد بيته الرجز التاليين في وصف حصان :

كأنَّ أذنيه إذا تشوقَا قادمةً أو قلماً محرا فـا

وهو خطأ سرعان ما صححه الخليفة ، حيث اقترح<sup>(٥)</sup> عليه وضع : تحال مكان : كأن .

(١) على العكس من « حسني » التي وردت منكرة في قراءة شاذة في قوله تعالى « وقولوا للناس حسني » (البقرة/٢ ٨٣) والقراءة المتراءة « حسناً » على المصدر

(٢) الميدان (١٣٤٢) /١ ٣٠٢.

(٣) الموضع من ١٤ ، وانظر في هذا جولد زيهير :

Abhandl. zur arab. Philologie I. 132

(٤) توجد تفسيرات مختلفة عند ابن قتيبة في الشعر والشعراء من ٤٧٥ ؛ الأغافل ١٧ ، ٧٨/١ . ؟ تاريخ بغداد ٤٢٧٠ / ٤٨١ .

(٥) الكامل من ٥١٣ ؛ أدب الكتاب من ٨٦ ؛ ويريد بعض الكوفيين أن يستشهد بهذا على جواز نصب معمولى كأن ، انظر خزانة الأدب ٤/٤ - ٢٩٤ ، وتوجد شواهد أخرى في فهارس الشواهد لفيشر من ١٥٧ .

- ١٠٤ -

وفي القصيدة التي أنسدتها إبراهيم الموصلى (١٢٥ - ١٨٥ هـ) متنعياً  
يجلسون هارون على عرش الخلافة ، تجد هذا البيت (الأغاني ٤١/٥) :

ألم تر أن الشمس كانت مريضة فلما وَلِي هارون أشرق نورها  
فقال : وَلِي ، بالإشباع ، بدل : ول بفتح الياء .

وشاعر آخر نابه الذكر في هذا العصر : مسلم بن الوليد (المتوفى ٥٢٠٨هـ)  
يفتخر بأنه ابتدع للفظ : يزيد ، جمع تكسير : أيها زيد ، فجعله ذلك هدفاً  
لنقده أبي نواس (١) . وأخيراً : في شعر ابن سينا (المتوفى ٢١٣ هـ) ، الذي  
إإن كان لا يقاس بالشعراء السالفي الذكر ، فقد انتشرت أشعاره ، بتلحين  
إبراهيم الموصلى لياها ، وتغنيه بها ، نجده يقول : أبو سحاق ، بمحذف همزة  
إسحاق (٢) ، وهي خطوة أولى نحو التسمية المتأخرة بوسحاق .

واللحن في أشعار القصور ، أقل منه في أشعار الفرص والمناسبات ، كما  
نراه في أشعار البصرة لختيم القرن الثاني . فهذا أبان اللاحق يهكم بالمحاولات  
الشعرية لأبي النضير الذي كان يخرج المغنيات من الجواري بالبصرة ، وكان  
يعد أظرف الناس بها ؛ يقول أبان :

يَكْسِرُ الشِّعْرَ وَإِنْ عَاتَبْهُ . فِي مَسْجَالٍ ، قَالَ هَذَا فِي الْغَةِ (٣)

.. أي أنه كان متاثراً بخصائص لهجات خاصة ، وأبو النضير يستعمل مثلاً  
الصيغة الغربية : فليايك بأن يعلم (٤) ، ي Prism المصارع على خلاف القاعدة ،  
ولو بي لنا كثير من أشعاره ، التي تتحسب في الطبقة الوسطى ، لأمكن العثور  
فيها على لحن أكثر وأوسع .

(١) الموضع ص ٢٩٠ ، ولا يوجد البيت المشار إليه : رأى المهلب أو بأئن الأيازيد ،  
في الديوان (نشر دي غويه) .

(٢) الأغاني ٩/٥ .

(٣) الأغاني ٧٤/٢٠ .

(٤) الأغاني ١٠١/١٠ س ١٣ ، والبيت الذي قال فيه ذلك : فليايك بأن يعلم وإياك وإياك ،  
كافي الأغانى ، والظاهر أن الرواى موضوعة غلطان من الناسخ ، ولعل الصواب :  
فليايك بأن يعسا س إيساك وإياك  
وإذن فلا سلن فى كلامه (النجران) .

- ١٠٣ -

وفي محيط أدباء البصرة التي التقينا فيها بمثل ابن مناذر ، يعد أيضاً محمد بن يسir (١) رجلاً وضيع النسب ، فتحت له قريحته في الشعر مدخلًا إلى قصور المجتمع الرفيع . وقد حمله عدم التسامي في الطموح على الزهادة في أن يضع فنه في خدمة الخليفة أو كبار رجال الدولة مكتفياً بحياة طفيلية (٢) في شعار الحمر على نفقة بعض الأئمّة الذين خصّهم بالمديح . وقد كانت أشعاره الخفيفة المترقصة ، التي تغنى فيها ، وهو مضطرب المزاج ، بصغار الأحداث من خواطر أيامه الرتيبة ، محببة إلى الناس دهرًا طويلاً . بيد أنها قد عرضت من الوجهة اللغوية سلسلة من السمات المولدة الطابع مثل سقوط الممزة ، لا في الصيغ الدارجة فحسب مثل : حِرامه ، بدلاً من : حِرامَه (٣) ، بل كذلك في مثل : قراة ، بدلاً من قراءة (٤) ، كما أدخل نوعاً من تقصير الحركة الذي اشتهر في اللهجات المتأخرة (٥) ، بجمعه لفظ : « شاهين » بمعنى صقر ، على : شواهن (٦) بدلاً من شواهين (٧) . وفي البيت :

ولو قَنِعْتُ أثاني الرزق في دَعَةٍ  
إن القنوع الغنى لا كثرة المال

خلط بين : قَسَّع ، بفتح النون ، من مصدر القُسْنُع بمعنى السؤال والتذلل ، وقَسَّع بكسر النون من مصدر القناعة ، بمعنى الرضا (٨) . وخطأ شنيع استعماله في الدعاء المضارع الخبرى الواقعي : يرحمنا (٩) ، بدلاً من ماضى الدعاء :

(١) انظر الأغافى ١٢٩/١٢ - ١٤١ ، حيث سمى الشاعر غلطاً : محمد بن بشير ، انظر تاج العروس ٦٢٧/٣ ص ٩ ، وانظر مراجع أخرى في : فهارس الشواهد لفيشر ٣٠٢ : ١٤٩ ب/١٩.

(٢) يتحدث هو نفسه عن تعلقه في الأغافى ١٢/١٢ .

(٣) بيان الجاحظ ١٢٣/٢ وقد ذكر نولدكه شواهد قديمة على ذلك في :

Zur Grammatik S. 9

(٤) الأغافى ١٢/١٣٣ .

(٥) انظر دائرة المعارف الإسلامية : EI I 416

(٦) الأغافى ١٢/١٣٥ .

(٧) أو شياهين ، انظر الفرزدق ص ٤٠٥ .

(٨) الموسوعة ٢٩٩ ; البطيويه ص ١٨٠ ، على أن بعض المؤرخين ذكر أن الأولى من الأضداد . انظر القاموس في الماده (النجار) .

(٩) الكامل ص ٢٣٣ ; الأغافى ١٣٧/١٢ ; الحسان للبيهقي ص ٣٨١ بيان الجاحظ

١٠٢/٢

- ١٠٤ -

رحنا (أى عسى أن يرحننا) . فإذا أضفنا إلى هذا كله ذلك العدد الجم من الدخيل الفارسي ، حصلنا على صورة من التعبير الشعري ابتعدت كثيراً عن الشعر الفصيح في الصدر الأول .

وإذا جاز لنا أن نثق بالروايات التي بأيدينا ، كان عصر هارون هو العصر الذي وجدت فيه لغة الشعب للمرة الأولى مساغاً في التعبير الأدبي ، فكما في قصة جيد معروفة ، يروى أن هارون بعد أن قضى على البرامكة ، منع الناس أن يبيكوا القتلى في مرات تشيد بذكرهم ، ولكن جارية لجعفر بن يحيى ابن خالد بكت سيدها القتيل في قصيدة نظمتها باللسان الشعبي ، تختتم أبياتها بقولها : يامواليا (١) !

ييد أن حظ هذه الأسطورة من الصحة ضئيل ، مثل التأويل الذي حاكه بعضهم ، في أن أول من نظم أغاني المواليا ، هم عبيد من واسط كانوا يتغنون بها في أثناء العمل . حقاً لقد وجدت في سائر العالم العربي بحور غنائية شعبية ، غير أنه ليس من الممكن تحديد مبدأ الفنون السبعة المولدة زمانياً ومكانياً على وجه الدقة . فجميع هذه الأغاني يناسبها شعر الأدوار الذي تتحدد قافية كل دور فيه ، وإن اختلفت قوافي الأدوار بعضها مع بعض ؛ على حين أن الشعر العربي لا يعرف منذ البداية إلا القافية الواحدة في القصيدة كلها .  
 ييد أنه قد نظمت في العصر العباسي أغاني من شعر الأدوار (المزدوجات) بلغة الكتابة الفصحي أيضاً . وعصر هارون — بالذات — هو العصر الذي لدينا منه شواهد أكيدة على نقل هذه القوالب الشعبية إلى الشعر الفنـي — وأبسط هذه القوالب هو مايسى « المزدوجة » ، وهو قالب شعري ، يؤلف فيه بيتان قصيران — من الرجز غالباً — متحدداً القافية ، ووحدة خاصة أو دوراً مستقلاً . وقد نظم أبو العتاهية (حوالي ١٣٠ - ٢١٠ هـ) في هذا القالب أرجوزته : « ذات الأمثال » ، وهي قصيدة تهذيبية أخلاقية . روى أنها تشتمل على أربعة آلاف حكمة ومثـل؛ ولم يصل إلينا منها إلا جزء صغير (٢) .

(١) انظر سفينة الملك لشهاب الدين ص ٣٨٠ ؛ محمد بن شنب في دائرة المعارف الإسلامية :  
EI III 484

(٢) ديوان (بيروت ١٩١٤) ص ٣٦ - ٣٤٨ .

واختار أبان بن عبد الحميد اللاحق ، معاصر أبي العتاهية ، نفس القالب (المطابق للمثنوي الفارسي تمام المطابقة) عند ما صاغ للبرامكة أدب المسامة ، الفارسي ، الهندي ، في شعر عربي ، مثل : كليلة ودمنة ، وأسطورة بدها ، وحياة أنوشروان وأردشير ، وقصة مَرْذَك . وتبدأ ترجمته لكتاب كليلة ودمنة بالأبيات<sup>(١)</sup> :

هذا كتابُ أدبٍ ومحنةٍ      وهو الذي يدعى كليلة ودمنة  
فيه احتيالاتٌ وفيه رُشْدٌ      وهو كتابٌ وضعه الهند

وشاعر ثالث من ذلك العهد ، هو بشر بن المعتمر المعزلى (المتوفى ٢١٠ هـ) الذي نزح به هارون في الحبس بعض الوقت لتشيعه فهذا وإن نظر على النطأ المألوف من وحدة القافية<sup>(٢)</sup> قصيدة اللتين قالها في الفلسفة الطبيعية ، وأشار فيما بحثة الله المتجلية في الطبيعة ، قد استخدم أيضاً إلى جانب ذلك - كما تشير إليه نصوص متفرقة - قالب المزدوج<sup>(٣)</sup> . وأقدم من ذلك - بحق - النظم الفلكي التعليمي الذي أنشأه محمد بن إبراهيم الفزارى ، مخرج كتاب «السنن هند» الذي اشتهر إذ ذاك ببغداد سنة ١٥٤ هـ . وأبوه هو إبراهيم ابن حبيب الذي يروى أنه أول من صنع الأسطرلاب في الإسلام<sup>(٤)</sup> . ونظمه التعليمي الذي لم يرو لنا منه إلا الأبيات الأربع الأولى فقط<sup>(٥)</sup> ، هو من قبيل المزدوج الذي تتألف أدواره من ثلاثة أبيات متحدة القافية من الرجز . وأسوأ حالاً مما ذكرنا ، إثبات أقدم الأمثلة لشعر الموسحات ؛ فإن «الخمسة» المنسوبة إلى أبي نواس [اثنا عشر دوراً كل منها خمسة مصاريع ، الأربعة الأولى منها متحدة القافية ؛ أما الخامسة فهو على قافية أخرى تدور في المصراع الخامس من كل دور ، على مثال : ۱۱۱۱۱ ، ب ب ب ب ب]

(١) الأغاف . ٧٣/٣٠

(٢) حيونان الملاحظ : ٩٢/٦ - ٩٧

(٣) الانصار للبياط ص ١٣٤ ؛ حيونان الملاحظ ١٥٥/٦ ؛ ممار القلوب ٥١٣/١

(٤) انظر الفهرست ص ١١٨ .

(٥) الراوى بالوفيات ١/٣٣٦

- ١٠٦ -

ج ج ج ج أ الخ ] لا تكاد تثبت صحتها<sup>(١)</sup>. ييد أن هناك ميمية<sup>(٢)</sup> تترجم صحة نسبتها إلى حماد الرواية (٩٥ - ١٥٥ هـ) وهي تشتمل على قافية مصرعه في داخل البيت ، ثم قافية متتحدة في جميع الأبيات<sup>(٣)</sup> :

**خلاف الخلول بتلك الطلو**   وسحّب النبول بذلك المقام

وكذلك الحال في البيتين التاليين ترتبط الفقر الثلاث الأولى من كل بيت فيها بقافية داخلية وتقدم مثلاً قدماً آخر لهذه «المقطعة» قصيدة لستامن الحاسر ، قالها في مدح الخليفة المأدي (حكم ١٦٩ - ١٧٠ هـ) وهي تبدأ :

**موسى المطر [غيث بكر   ثم انهم]**

وتتألف من سبعة عشر بيتاً كلها من قافية الراء على هذا النط<sup>(٤)</sup> . وسلم المذكور كانت تلميذاً لبشار بن برد ، مقتفياً لأثره<sup>(٥)</sup> . وليس ثمة داع إلى الشك في الخبر القائل إن بشاراً أيضاً حاول نظم المزدوجة والموشح .

وربما يرجع إلى القرن الثاني أيضاً تاريخ الديوبت أو الرباعي ، الذي تتحدد مضاريعه في القافية ماعدا المصراع الثالث . فهذا القالب الذي لعب فيما بعد دوراً عظيماً في الشعر الفارسي ، يقرن أيضاً ببشار بن برد ؛ إذ روى أنه قال في بائعة طيور كان يشتري منها الخل ، هذا الرباعي<sup>(٦)</sup> الخلالي – فيما يظهر – من الإعراب في أوآخره :

**رباب ربَّةُ الْبَسِيتِ      تصبُّ الْخَلَّ فِي الزَّيْتِ**  
**لـما عـشر دجاجـاتِ      وـديـك حـسن الصـوتِ**

(١) توجد الخمسة المذكورة في حياة الحيوان للدميري ١٢٤ / ١ (طبع ١٣٤٧) ، ويظهر أنها هي نفس الخمسة التي نسبت إلى أبي نواس في دائرة المعارف الإسلامية ٢ El, Suppl. ١٩٤

(٢) الأغانى ٥ / ٢٨

(٣) تشتمل المقامة الثانية عشرة للحريرى على قصيدة بمثل ذلك التصریع .

(٤) العمدة ١ / ١٢٣ .

(٥) الأغانى ٢١ / ١١٠ .

(٦) الموشح ص ٢٤٩ ، ودون تسمية القائل في : إرشاد الأريب ٦ / ١٦٥ وفيه : سبع دجاجات .

- ١٠٧ -

وإن كان يجوز لنا أن نشك في صحة نسبة ذلك إلى بشار . ومثل هذا يقال أيضاً في أغنية باللسان الشعبي ، يقال إن إبراهيم الموصلى (١٢٥ - ١٨٨ هـ) تغنى بها في سكره وهي بعد صياغتها بالفصحي :

أنا جئت من طُرُقِ مُوصِلٍ      أَحْلَ قُلْلَ خَمْرِيَا  
من شَارِبَ الْمَسْلُوكِ      فَلَا بدَّ مِنْ شَكْرِيَا<sup>(١)</sup>

وقد ساق ابن خرداذبه هذه الأغنية ؛ ليفسر بها نسبة إبراهيم إلى الموصى ، بيد أن أبو الفرج الذى ندين له بالخبر المذكور يعارض بشدة في صحة هذا التفسير<sup>(٢)</sup> .

هذا ، ونحن فيحقيقة الأمر لأنكاد نعرف شيئاً عن العربية التي كان يتكلّمها الناس في أواخر القرن الثاني . ويصادف فقط أن نعرف من إحدى القصص المروية عن محمد بن مناذز (المتوفى ١٩٨ هـ) أنه كان يقال في مكة للإماء بُرْمَة ، ولغرفة العالية: عُلَيْهِ ، إذ كان يقال لها بالبصرة : قِدْرٌ ، وغرفة . وهذا الشاعر<sup>(٣)</sup> الذي أصله من عدن<sup>(٤)</sup> ، والذي يعد من شعراء عصر هارون ، جمع علماء كثيراً بشئون اللغة في البصرة ؛ وكان في بادئ أمره متأنها متنسكاً زاهداً على طريقة الأوائل من المعتزلة . ولكنه وضع نفسه في موضع غير مقبول ، لدى الدوائر التي كان يختلط بها ، بقصبة غرامه بأحد أبناء أسرة نبيلة من ثقيف ، وصار من رجال المجتمع المعروف بحرية الفكر (الزنادقة) الذين لا يقدسون شيئاً . ويروى أنه صب الحبر ليلاً في أماكن العبادة ، حتى تلطخت جبار المصلين به عند حضورهم لصلاة الفجر ؛ واضطر أخيراً إلى مغادرة البصرة مهاجراً إلى مكة ، حيث مات بها سنة ١٩٨ هـ . وقد ذكرنا أن سفيان بن عيينة نفسه ، وغيره من المحدثين ، كانوا يرجعون إليه في أمور اللغة . ويقال إنه ذكر ملاحظاته في تسمية القدر والغرفة عند

(١) رواها الأغافى ١٥٧/٥ بالخلاف يسير .

(٢) الأغافى في الموضوع السالف .

(٣) انظر فيها يائق الأغافى ٩/١٧ - ٣٠ .

(٤) انظر صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ٥٣ .

- ١٠٨ -

البصريين والمكيين ، دفاعاً عن رجحان كفة البصرة على مكة في اللغة بذكر مثالين يطابق فيما استعمال البصريين لغة القرآن<sup>(١)</sup> . أما أن أهل مكة كانوا يستعملون بدل اللفظ العربي الأصيل : غرفة : اللفظ الآرامي الأصل : عُلَّيَّة ، فقد أثبته أيضاً ابن دريد<sup>(٢)</sup> . كذلك يؤيد استعمال المكيين لفظ : برمـة ، بدلاً من : قدر ، وورد ذلك اللفظ بكثيرة في أقوال الحـدـثـيـن<sup>(٣)</sup> ، وإن كان يقال في هذا ، أولاً ، إن لفظ : برمـة ، يستعمل أيضاً في معنى أخص مما ذكر ، وهو المادة التي تعمل منها القدر<sup>(٤)</sup> ، وثانياً ، لفظ قدر لم يكن مجهولاً تماماً بالحجـازـ كذلك<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر بيان المباحث ١/٩ .

(٢) انظر : Wüstenfeld, Handbuch 35

(٣) انظر الشواهد في : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف لفنستك ١٧٦/١ .

(٤) الأغافى ٤/١٥٢ ، وهناك موضع ذكره المـهـدـانـىـ ص ١٢١ يسمى : معدن البرام .

(٥) ابن هشام ص ٦٨٣ ؛ الأزرقى ص ٤٤٩ .

(٥)

## العربية المولدة

كان من أثر المقام المسيطر الذي أخذه مبدأ «تفقيه العربية» في التربية اللغوية للمجتمع العربي، أن صارت عربية البدو تعد القدوة المثل، والمثل الأعلى من جميع الوجوه؛ وأن احتذاتها المتفقون في الكلام الشفوي، والتحرير الكتابي جبيعاً. حقاً لقد أثر اختلاف الأحوال، ولأسماها الانتقال إلى حضارة المدن، أثراً غير يسير في اللغة أيضاً، كما يبدو في اختلاف لغة الأدب في شعر الحديثين في أوائل العصر العباسي، كشعر بشار وأبي العتاهية وابن الأحناش، اختلافاً كبيراً من حيث صوغ القوالب، وتركيب الجمل، والبرورة اللفظية، وطرق التعبير، عن لغة شعراء الباذية. ولكن عربية الدولة هذه احتفظت بالتصريف الإعرابي، وبقواعد الإعراب والتصريف احتفاظاً تماماً، ولم تزل من حيث بناؤها الحقيقى، على الرغم، من بعض السمات المولدة، تعد من اللغة الفصحى. وعلى النقيض من ذلك كانت اللغة الدارجة التي كانت تتفاهم بها الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المدن، منذ نشوئها في عصر الفتوحات الإسلامية الأولى، تعد عربية مولدة في نظر التاريخ اللغوى. وقد أخذت هذه العربية المولدة تكتسب مناطق جديدة بسبب التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الكبيرة التي أحدها سقوط الدولة (الأموية) العربية، وقد بيّن المجتمع الراقى بعيداً عن التأثير بها تأثراً يؤبه له حتى القرن الثالث (التاسع الميلادى)؛ كما أن الأوساط الأدبية كانت أبعد عن نطاق التأثير بها كذلك. أما اليهود والنصارى بالشرق، الذين كانوا يعيشون في جو من التراث الأدبي، يختلف تماماً عن محيط العالم الإسلامي من حولهم؛ فقد ظلوا طويلاً دون أن يكون لهم نصيب من الثقافة الإسلامية. ولذلك لم يستخدموا، لأول عهدهم بالكتابة العربية، تلك العربية الفصحى، بل اللغة الدارجة في عصرهم. ومن هنا كانت الآثار المسيحية العربية الأولى، التي ترجع إلى القرن الثاني الهجرى/ الثامن الميلادى، ذات أهمية كبيرة كذلك.

لتاريخ اللغة العربية ؛ إذ فيها نجد نصوص العربية المولدة لأول مرة في صورة متماسكة .

ولم يكن للنصارى واليهود ، الخاضعين لسلطان الإسلام بالشرق ، حظ من المثل الثقافى الأعلى للعربية . وقد أفسوا ، من حيث إنهم ذوو أديان نص القرآن على حقها من التسامح والحماية ، جماعات دينية في الدولة الإسلامية ذات استقلال ثقافي ، وإدارات خاصة بشؤونهم ، وقوانين مقصورة عليهم ، كما كانوا يعيشون حياة اجتماعية واقتصادية خاصة بهم . وعلى عكس ذلك كانوا يشاركون غير أنهم المسلمين في لغتهم الدارجة . وتلك الخصائص القليلة في مادتهم اللغوية وطرق تعبيرهم ، إنما نشأت من طبيعة الموضوعات التي التي يعالجونها ، بحيث لا تقوى على تكوين لهجة يهودية ، أو مسيحية – عربية خاصة . نعم كان يهود المدينة على عهد محمد [ صلى الله عليه وسلم ] ينطقون لهجة تختلف كثيراً عن لغة السكان الآخرين بالمدينة ؛ بحيث لم تكن مفهومة لهم . فقد روى عن عبد الله بن عتيق أنه كان يرطن باليهودية<sup>(١)</sup> . بيد أن هذه اللهجة ، التي كانت مقصورة على الاستخدام الشفوي [ كان يهود المدينة يستخدمون في شعرهم دائمًا لغة الشعر البدوى ] قد احتفت تماماً بطردهم من شبه الجزيرة . وعلى النقيض من ذلك نصارى البدو من العرب ، فهو لاء ييدو أنهم لم يتميزوا أصلاً في لهجتهم عن الوثنيين . من قبائلهم وإلا لما لقي الأنطيل النصراني اعترافاً بأنه شاعر فصيح معتمد به . وزيادة على هذا فقد سارعوا بالدخول في الإسلام ، بحيث لم يبق أثر مما قد يكون للهجتهم من خصائص لغوية .

وهذه العربية التي نجدها في الأدب اليهودي والنصراني في القرون الوسطى ، إنما نشأت من الاستعمال اللغوى عند طوائف اليهود والنصارى خارج الجزيرة العربية ، الذين لا صلة لهم بالبادية وعربتها ، بل استخدموها منذ البدء العربية المولدة الدارجة ، التي نشأت من حياة العرب ومخالطتهم للشعوب

(١) ابن سعد : ج ٢ قسم ١ ص ٦٦ . وانظر الواقعى ١٧٠ . « تراثن » توجد في شعر ملقة ١٣/٢٦ ( أهلورت ) . « إياكم ومراتنة الأعاجم » في كنز العمال ١٨٤/٢ وعند شاعر من القرن الخامس في نفح الطيب ١/٨٦٤ .

الى انحصروها ، فصيارات لغة التخاطب والتفاهم ، والتي تميز - رغم اختلافها فيما بينها بسبب الاختلاف الخلوي والاجتماعي - تميزاً واضحاً عن العربية الفصحى بطائفة من السمات والخصائص المشتركة بينها في المادة الصوتية ، وصوغ القوالب ، وتركيب الجمل ، والقواعد التحوية والبروة اللفظية ؛ وطراحت التعبير . فادتها الصوتية تشير إلى طابع معين من التيسير والتسهيل ؛ ويتعلق بهذا حذف المهمز<sup>(١)</sup> الذي استفاض في العصر الباehler في لهجات المحججازين<sup>(٢)</sup> وأخذ في العربية المولدة صورة واسعة ذات أثر واضح في صوغ القوالب . كما يتعلق بهذا أيضاً تغيير حرف الضاد ؛ وهذا الصوت الذي هو في أصله الحرف المطبق القسم للذال ، خاص بالعربية ، بحيث يسمى العرب<sup>(٣)</sup> في أحد الأحاديث المشهورة : الناطقين بالضاد ؛ ويكثر إيداله بغيره من الأصوات على ألسنة غير العرب ؛ فيكثر بوجه خاص إيداله بالظاء التي هي الحرف المطبق القسم للثاء المهموسة<sup>(٤)</sup> ، وهي صعبة النطق كذلك على غير اللسان العربي . وقد روى الجاحظ<sup>(٥)</sup> قصة البصرى الذي سمي جاريته : ظميماء ، بيد أنه كان ينطق : ضيماء ؛ وقرن بذلك خبراً يفيد أن نصر بن سيار ، آخر ولاة الأمويين في خراسان ، نصيح الموالي أن يسموا خدمهم بأسماء يستطيعون أن يلفظوا بها . وهذه التغييرات الصوتية ازدادت على مر القرون . وكم ذا حاول النحاة أن يعالجوا ، ويساعدوا على التحرز منها ؛ فها هو ذا الحريري يمحشل في المقاممة السادسة والأربعين مجموعة من الألفاظ الظائية ؛ وفي القرن السابع يؤلف ابن مالك قصيدة تعليمية كتب هو شرحها ، وعالج فيها الفرق بين الضاد والظاء<sup>(٦)</sup> وعلى هذين يعتمد السيوطي فيما كتبه

(١) كتب في هذا الموضوع أطروحة الدكتوراه G. Weil سنة ١٩٠٥.

(٢) انظر نولنكر في تاريخ القرآن ٤٢/٣ - ٥١.

(٣) انظر فيشر في : ZDMG 59, 837.

(٤) هذا وهم من المؤلف إذ لا وجود في العربية لهذا القسم المفخم للثاء (المترجم).

(٥) بيان الجاحظ ٢/٢.

(٦) اسمها : « الاعتصاد في الفرق بين الظاء والضاد » وقد نشرها في العراق حسين تور الـ وطه محسن سنة ١٩٧٢ وانظر مقدمة تحقيقيا لكتاب « زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء » لابن الأنباري (المترجم).

في هذا الموضوع<sup>(١)</sup> وكما ذكر على القاري<sup>(٢)</sup> ينطق أكثر السوريين وبعض المغاربة الصاد مثل ظاء . ثم ساق إلى جانب نطقها الأصلي كالدال المفخمة ، كثيراً من صور الإبدال المختلفة لهذا الصوت العصى على النطق ، فن الناس من ينطقها كالدال ، وغيرهم كالطاء ، وآخرون يومثون إليها بالظاء ؛ ثم يذكر بعد هذا أن بعض الناس ينطقها دالاً مفخمة ، وبعضاً ينطقها دالاً عادية . وأخيراً ينطقها بعضهم لاماً مفخمة ؛ ومن بين جميع هذه هذه الصور ، يكثر نطقها اليوم دالاً مفخمة ، وعلى هذا الأساس صورت كتابتها بالحروف اللاتينية . ويبدو أن أبداًها بالدال كان من خصائص النبطية فقدروى أن زامر هارون الرشيد : برسوما Barsauma [ يدل اسمه على أصله الآرامي ] المتميى إلى الطبقات الدنيا من سكان سواد الكوفة<sup>(٣)</sup> ، كان يقول : أبید ، بدل : أبيض<sup>(٤)</sup> . ويكثر في التصوص اليهودية والتصرانة إبدال الصاد ظاء<sup>(٥)</sup> .

وهناك تغيير صوتي آخر يعتري ضنا كثيراً في العربية المولدة ، وهو يتعاقب بالسين والصاد ؛ ففي العربية القديمة نجد بالفعل صيغة مزدوجة ، مثل : صراط ، وسراط ، وصريق وسويق ، وغير ذلك . وفي لهجة بلعنبر ، أحد أ Fachaz تميم ، يكاد يوجد هذا التغيير باطراد إذا جاء بعد السين أحد الحروف الأربع التالية : ط ، ق ، غ ، خ<sup>(٦)</sup> ولو بفاصل . وقد ذهب متأخراً النحاة إلى تعميم جواز ذلك التغيير الصوتي بالشرط المذكورة<sup>(٧)</sup> . وعلى الرغم

(١) المزهر ١٨٠/٢ - ١٨٤.

(٢) الملح الفكري (القاهرة ١٣٠٨) من ٣١ ، ٣٤ .

(٣) الأغاف ٥/٢٢٧ .

(٤) الأغاف ٦/١٦٤ .

(٥) انظر شرح سفر التكويرن لعل بن سليمان ، نشرة B. Skoss S. 6 Der Sprachgebrauch der ältesten chrsitlich - arabischen Literatur

(٦) روى ذلك قطرب كما ذكره الصماح وتاج العروس في مادة: ص دغ ، وفي ابن خلkan ٣/٧٣ وانظر الفهرست من ٦٣ حيث ذكر الصريق بدلاً من السويق في لغة عمرو بن تميم ، وورد لفظ الصوق بدلاً من السوق في بيت لرغيب بن قيس المتبرى رواه المرزباني في الموضع ص ٣٣ وغير ذلك .

(٧) انظر المفصل للمرتضى (باب ٩٦٥) وابن يميش عليه .

من ذلك فقد احتفظت بعض النصوص الشعبية في مثل هذه الأحوال بنطق أصلي واحد؛ مثل استعمال موسى بن ميمون وغيره من المؤلفين اليهود باطراد : س قال ، بدلا من صقل ، المستعملة في الفصحى<sup>(١)</sup>؛ كما استعملوا الصاد بدلا من السين في أحوال لم تتوفر فيها الشروط السالفة ، مثل : صُرْم : بدلا من سُرْم<sup>(٢)</sup>؛ صَنَام بدلا من سَنَام<sup>(٣)</sup>. واللفظ الشعبي : مَصَالِح : القوات المرابطة على الحدود، وكذلك مفرده وهو : مَصَلَحَى؛ الجندي المرابط على الحدود ، نشأ من ربط شعبي لغوی بين لفظ : مسلحة ، ولفظ : مصلحة<sup>(٤)</sup> أى مطلب أو منفعة . وعلى عكس ذلك سميت ضاحية بغداد : صَمَالُو [وسميت كذلك باسم أسرى الحرب من مدينة صمالو من أعمال قاليقلا ، وقد أنظم هارون الرشيد سنة ١٦٣ هـ بهذه الضاحية] وهي في لسان العامة : سَمَالُو<sup>(٥)</sup> وقد عارض النضر بن شهيل (حوالي ١٢٣-٢٠٣ هـ) الرأى القائل بأن السين تقع أحياناً موقع الصاد<sup>(٦)</sup>؛ على حين روى عن الزجاج النحوي (المتوفى ٣٢١ هـ) المعروف بجربة رأيه في الاشتلاف<sup>(٧)</sup>، أنه كان يرى جواز إبدال كل من الحرفين بالآخر<sup>(٨)</sup>.

والطبيعة الحقيقية للغربية المولدة ، والفرق الخاص الذي يميزها تجاه العربية الفصحى ، إنما يقوم على تغير في تكوينها بعد ترك التصرف الإعرابي

(١) Friedlaender, Der Sprachgebrauch der Maimonides 1,57  
وانظر : الهمة العربية فيUMAN وZنجبار تأليف Reinhardt ص ٢٢٦ و :  
Vollers . ZDMG 49, 493

<sup>١٠٧</sup> ) المثل السائر ص .

(٣) جامع الألفاظ الفاسي من ٤٧٣ ، وهناك أمثلة أخرى في الكتاب السابق ذكره تأليف :

٦ ص G. Graf

(٤) معجم البلدان ٢١٩/٣ وذكره المقدسى ص ٣١ بمعنى: رجال المكس على الحدود.  
وعلارته: صاحب ريم مصلحة ومسلحة.

(٥) البلاذری ص ١٧٠ (أقر أصحاب بدل ضم الـ) ، كما ذكره ياقوت في معجم البلدان  
/٢ ٦٦٣ /١٦٤ ، وانظر أيضاً : Sachau, Vom Klosterbuch o.

(٦) نهر الألسن، ص ١١٩، ٤، دورة الفيصل، ١٩٤٣، خلكان /٣٧٢

(٤) انظر في هذا : المعاشرة لخدمة الاصحاف ، كما ذكره باقوقت في انشاد الآنس

(۱) اکتوبر ۲۰۰۷ء میں پاکستانی حکومت نے اپنے پیشہ و نمایاں اور ریب

(٨) شهادة الدكتور للنفسي، ص: ٣٣.

(العربية) - جي - دير

من أماراته الظاهرية . وبهذا نهجت العربية المولدة منهجاً اجتازته جميع اللغات السامية الأخرى قبل ذلك بكثير . وهذا لا يدل على أن ذلك التطور يرجع إلى أسباب عربية داخلية بحتة ؛ فإن الحقيقة الثابتة من أن التصرف الإعرابي عاش قروناً طويلاً في لغة الباذية ، ولا يزال ماثلاً في بعض بقاياها إلى هذا اليوم ، تدل بوضوح على خلاف ذلك الاحتمال . بل أقرب من هذا أن نلتمس سبب هذه الظاهرة في أن هجرات تلك الشعوب ، التي اتخذت لغة السادة العرب لساناً لها — نتيجة للفتوحات العربية — كانت من النوع التحليلي الذي ترك فيه الإعراب بالعلامات كثيراً أو قليلاً . ومهما يكن من أمر ، فإننا نرى في مصادrnنا ، إلى جانب التعبير انخاطعي في الأصوات العربية ، إهمال حالات الإعراب ، وتصريف الأفعال ، أمارة بارزة للغة العربية على لسان غير العرب من سكان الدولة جميعاً . وهذا لا يمنع أن العربية قد أخذت في الأقاليم المتعددة صوراً مختلفة ، وأنها كانت في المناطق الآرامية ذات جرس مختلف عنها في فارس ، وفي مصر ، وغيرها من شمالي أفريقيا . ولكن هذه الخصائص المحلية أمكن تفاديها ببعض قواليب التعبير الجديدة ، كان لها في عربية الدولة ، وبعد ذلك في العربية المولدة ، الوظائف النحوية التي كانت للإعراب في العربية الفصحى . ومن قواليب التعبير المذكورة مثلاً، التجديد في علاقات موقع الكلمات ؛ إذ إن ترك الإعراب في أواخر الكلم يجعل من المعتلر تمير الفاعل (إلا إذا كان في صورة ضمير يتميز بصيغته) في آخر الجملة ، أو بعد المفعول ، فبدلاً من ذلك يجد المفعول المباشر في الجملة الفعلية مكانه الطبيعي بعد الفعل مباشرة ، على حين يتقدم الفاعل إلى مطلع الجملة قبل الفعل ، بينما يتميز المبرور — كما في اللغة الفصحى — بتقديم الاسم المضاف أو بحرف الجر . ويجوز وضع الفعل اللازم في صدر الجملة ، كما يجوز أن يتبعه مفعول غير مباشر ، وتحتم الجملة بالفاعل . وحتى في الأفعال المتعدية لا يوجد في الترتيب القديم سبب للالتباس إذا كان المفعول ضميراً متصلة (مثل : أكلوني البراغيث) . وعلى الرغم من ذلك كثيراً ما يؤدى تقديم الفاعل إلى اضطراب في الجملة القديمة ، بحيث لم يكن من النادر أن نجد منذ القرن الثالث خروجاً على الترتيب القديم حتى عند خيرة الكتاب فهذا هو ابن قتيبة مثلاً ، زراه في جمل مثل : فلان قال ، يوضع الفاعل قبل الفعل

أحياناً دون قصر ولا تأكيد<sup>(١)</sup>. أما أن الوظيفة التحوية ، في الإحساس اللغوي الحسي ، قد صارت موقوفة على علاقات مواضع الكلمات ، لا على إعرابها إذا كان ذلك الإعراب موجوداً ، فهذا مازاده من أن الخلط بين علامات الإعراب كان يعد طابعاً مملاً لطريقة النعير الشعبي . وهما هو ذا الجاحظ يذكر الأمثلة التالية نماذج للكلام الملحون<sup>(٢)</sup> : ذهبت إلى أبو زيد (بدل : ذهبت إلى أبي زيد) ورأيت أبو عمرو ، ومكره أخاك لابطل ، وإذا عَزْ أخاك فَهُنْ . وقد ظهر اختلاط علامات الإعراب إلى حد بعيد في النصوصنصرانية العربية للقرن الثالث<sup>(٣)</sup> في مثل : لا يستطيع أحداً ، أو : لا يستطيع أحد من الناس أمر مثل هذا ؛ وفي المثلى وجع المذكر السالم يغلب النصب والجر على الرفع تقريباً، مثل: ويقومون البنين ، ومثل : يَدَيْك خلقتني ويداك (٤) ضربتني ، بدلاً من : خلقتني يداك وضربتني يداك .

وقد أثر اختلاف ترتيب الكلمات في علاقات المطابقة كذلك ؛ في اللغة الفصحى يقع الفعل في الجملة الفعلية مفرد الصيغة ، ويطابق الفاعل الثاني له ، بشروط معينة ، في التذكير والتأنيث ؛ وفي الحالة النادرة – فقط – وهي تقدم الفاعل على الفعل ، يتطابقان أيضاً في العدد . وعلى التقىض من ذلك في العربية المولدة ، التي تميل إلى بدء الجملة الفعلية بالفعل ، لا يندر تحقيق المطابقة الكاملة أيضاً إذا تقدم الفعل<sup>(٤)</sup> كما يظهر ذلك في الأمثلة السابقة .

وبالخلال الإعراب ، اضمرحت أيضاً الفروق التي كانت قائمة في العربية الفصحى بين أحوال الإعراب الثلاثة للاسم ، وبين ما ينصرف وما لا ينصرف . ويتجلى ذلك بوضوح في أن صيغى المثنى وجع المذكر السالم في حالة الإطلاق قد غلب على صيغتهما في حالة الإضافة . وقد وجدت قدماً في النصوصنصرانية

(١) انظر مثلاً : عيون الأخبار ١١/١ ص ١٥ ص ٢٣ ص ٢٥ ص ١٤ ص ١٥ ص ٢٩ ص ١٦ وغير ذلك ، وإن كان الترتيب الطبيعي هو السادس عنده .

(٢) بيان الجاحظ ٦٨/١ ، وانظر في المثلين المذكورين الميداني (١٣٤٢) ٢٤٤/٢ ، ٢٠/١

(٣) أخذت الأمثلة التالية من مجموعة في كتاب G.Graf, Der Sprachgebrauch der ältesten christlich - arabischen Literatur S 22 ff.

(٤) توجد أمثلة أخرى في الكتاب المذكور ص ٣٥

العربية صيغ متفرقة مثل : مدبرين الأرض ، أو : سامعين الناموس ( هذا إلى جانب التعبير الصحيح : عامل الناموس<sup>(١)</sup> ) وهو تعبير أصبح سائداً في اللهجات الحديثة<sup>(٢)</sup> . والثنين ، من حيث إنه علامة على التنكير ، لا يزال ماثلاً في بعض البقايا فقط ، لاسيما في العبارات الظرفية التي حصل فيها توسيع كبير ، مثل : أولاً<sup>(٣)</sup> ؛ أما فيما عدا ذلك فإن الاسم بطبيعته منكر ، ما لم يكن علماً ، أو منادي ، أو معيناً بالإضافة إلى اسم ظاهر أو مضمون ، على حين يعبر عن التعريف بواسطة الأداة ، بصورة أوسع من العربية القديمة ؛ إذ تدخل أداة التعريف الآن على ألفاظ : كل وبعض وغير<sup>(٤)</sup> ، في مثل : (الحيوانات) الغير ناطقة<sup>(٥)</sup> ، وفي التراكيب العددية ، مثل : الثلاثة<sup>(٦)</sup> الأنوار ، أو ، الآتى عشر . وكان أيضاً من أثر ترك الإعراب في أواخر الكلمات أن قامت وسائل أخرى مقام الإعراب ، في حالة ما إذا لم يكفل الترتيب الوضعي للكلمات في ذلك ، فإدخال لام الجر على المفعول به<sup>(٧)</sup> ، بصورة مقصورة على أحوال خاصة في اللغة الفصحى ، قد جلأت إليه أقدم النصوص النصرانية العربية في سوريا وفلسطين ، بوجه خاص ، إذا تقدم المفعول على الفعل ، أو لم يجيء عقبه مباشرة ، نحو : ولَمْ يُعْرِفُوا<sup>(٨)</sup> وكذلك يمكن أن يجر المضاف إليه — كما في العربية القديمة<sup>(٩)</sup> — بحروف

(١) G. Graf في الكتاب السابق ص ٢٥ ، وانظر أيضاً بحث : A. Müller في دراسة النصوص والاستعمال اللغوي لكتاب طبقات الأطلاع لابن أبي أصيبيعة : SMA ١٨٨٤ S. ٨٩٢ (Sitzungsberichte d. Beyer. Akademie d. Wissenschaften, München)

(٢) انظر مثلاً قواعد العامية المصرية تأليف : شبتابك ، ص ١٤٩

(٣) في كل وبعض انظر من ٦٨ من هذا الكتاب ؛ والغير ينتقد الحميري في درة الغرائب ص ٤٣ ؛ وقد استعمله الدينوري في المقالة ( كما ذكره ابن حجر في لسان الميزان ١٣٩/٦ ) في عبارة : من مال أو من مال الغير .

(٤) ابن أبي أصيبيعة ٦٩/٤ ؛ A. Müller في الكتاب السالف من ٩٢٠

(٥) عايه الحميري في درة الغرائب ص ٩٤ . وليس هذا التركيب بدلاً وإنما هو قياس على التعبير المنكر : « ثلاثة الأنوار » وهو تركيب إضافي كما يتضح من ضبط اللغويين العرب له ( شبتابك ) .

(٦) انظر : A. Fischer. Die Aufloesung der akkusativ rektion des transitiven Verbes durch li , BVSGW ٦٢ ١٩١٠, S. ١٦١ - ١٨٨

(٧) G. Graf في الكتاب السالف من ٤٢ .

(٨) انظر : Reckendorf Arab. Syntax ٣/١٣٧ الفقرة

الجر ، وعلى الأنصب بحرف الجر : من .

والانتقال من النوع اللغوي التركبي ، إلى النوع التحليلي ، يتجل في الفعل في العربية المولدة ، فصيغة المضارع ، قبل كل شيء تتحد كلها في النصوص النصرانية العربية القديمة<sup>(١)</sup> . و فعل الدعاء اختفى بالكلية تقريباً في العمل الأصلية ، وصار يعبر عنه ( كفعل الأمر في بعض الأحيان ) بالفعل الخبرى الواقعى المشير إلى التأدب في الخطاب في نفس الوقت ، حيث يفهم طابعه الطابع من سياق الكلام<sup>(٢)</sup> . كذلك تلعب صيغة الفعل في الجملة الفرعية دوراً فقد الأهمية ؛ إذ زال الفرق بين الجمل الخبرية ؛ والجمل الإنسانية ، ونشأت – من جانب آخر – عبارات كثيرة جدamente يستعان بها على تصوير الأزمنة المختلفة لمعنىحدث الفعل ؛ فالمستقبل مثلاً كثيراً ما يعبر عنها يقع فيه من أحداث لازمة بلفظ : عتيد أن ، على حين تؤثر الترجمة العربية للإنجليزية التعبير بلفظ : مزمع أن ؛ إذا لم تعبّر عن ذلك بلفظ : شأنه ( شأنه ) أن<sup>(٣)</sup> . أما معنى الإرادة والرغبة ، والإمكان ، والاستطاعة ، والتکلیف ، والوجوب ، فإنها يعبر عنها بتشتى العبارات ، فيعبر ( على بن سليمان ) الفاسى القارى<sup>(٤)</sup> في القرن الرابع المجرى / العاشر الميلادى ، عن معنى الإمكان بالألفاظ : جاز ، احتمل ، استطاع ، مع المضارع . وعن معنى الإرادة بالألفاظ : أراد ، طلب ، اشتوى ، مع المضارع ، وغير ذلك ، على حين يعبر عن الضرورى بلفظ : وجب ومضارعه . وفي النصوص النصرانية يوجد – إلى جانب أراد مع المضارع : وافقه ، سرره ، كلها للتعبير عن الرغبة . ولفظ : كان مع المضارع يستعمل في كثير من النصوص النصرانية للتعبير عن التكليف والإيجاب ؛ والتعبير : رجع و فعل ، بمعنى فعل ثانياً ؛ عاد و فعل ، بمعنى كرر الفعل ، على حين أن : عاد ، في حالة النفي ، تقييد أنه لم يفعل بعد . واحتفظت الجملة

(١) G. Graf في الكتاب السالف ص ٣٠ .

(٢) A.Müller في الكتاب السابق ص ٩٠٦ ؛ وينقد المحرر هذا النوع من التعبير درة النواص ص ١١٦ وأنظر : Fleischer, Beitraege 8

(٣) كل هذه الأمثلة في المراجع الألمانية المذكورة .

(٤) انظر : شرح سفر التكوين ص ١٤٨ نشر : Skoss

الشرطية ، من بين الجمل الفرعية بصورةتها القديمة ، على حين اختفت الجملة الحالية ، التي لم تعد تميّز عن الجملة الأصلية بعد تقديم الفاعل في مطلع الكلام ، وحل محلها جمل مقيدة للزمن تربطها روابط حرفية أو اسمية مختلفة. ويستعمل مترجم الإنجيل : من حيث ، بمعنى : في حالة . وفي حياة القديسين في القرن الثالث ، كثُر استعمال : فيما ، بمعنى : بينما ، وإلى هذا يضاف الاستعمال الثالث : عندما ؛ ولإفادته معنى السببية يوجد لفظ : بأن ، وفي معنى :منذ : من حين ، وبدلًا من حتى : إلى حين ؛ كما أن اسم الموصول (الذى) تحول أخيراً إلى الصيغة الجامدة في جميع الأحوال ، وهي : الـ ؛ وكانت نتيجة ذلك كثرة مخالفة جملة الصيغة لقواعد المطابقة المعتمدة في اللغة الفصحى ، في نصوص كتاب النصارى واليهود<sup>(١)</sup>.

ومهما اختلفت الأمثلة التي ذكرناها حتى الآن في تفصيلها ، فإنها تشتراك جميعاً في أنه عوضاً عن نظام التصريف الكامل المنور مع قواعد إعرابه وتصريفه ، جدّت حالة لغوية بسيطة فيها التصريف ، وصورت فيها علاقات التركيب بين الألفاظ المؤلفة بجملة واحدة — في أغلب الأحوال — بوساطة وسائل ظاهرية ، مثل موقع الكلمات ، وترتيبها ، والاستعانة على تغييرات الحدث بالجملة الموضوعة ، وتعديل الجمل ، وكثرة المترافات .

هذا وإن ترك التصرف الإعرابي والخلط بين علامات الإعراب ، وعدم التفريق بين صيغ الأفعال ، لم يكن هو السبب في هذا التطور اللغوي ، وإنما هو من عوارضه وظواهره التي لفتت — من قبل — أنظار أقدم علماء المسلمين بصورة قوية ، بحيث تحمل ملاحظاتهم في هذا السبيل على اعتقاد أن طريقة التعبير الشعبي إنما ترجع إلى مخالفة الإعراب فحسب . أما أن هذا النوع من الملاحظة الشديدة الصلة بالقواعد التحodie ، وبمبدأ تنقية اللغة الناشيء عنها ، هو ذو صفة واحدة فقط ، فهذا ما تدل عليه النصوص النصرانية العربية ، أو اليهودية العربية ، التي ترجع قيمتها من الوجهة اللغوية التاريخية ، إلى أنها تعين على متابعة اللهجات الشعبية الحديثة حتى ظهور الأسلوب التحليلي للغة ، في وقت كانت الآداب العربية ، المكتوبة بأقلام المؤلفين المسلمين ، لا تزال في أسلوبها اللغوى ، مليئة بamodel العلية للمعربية الفصحى .

(١) كل هذه الأمثلة وغيرها توجد في كتاب Graf G. السابق ذكره .

(٦)

## العلاقات اللغوية في عصر المأمون

وعقيدة الاعتزاز الرسمية

٨٥٠/٢٣٥ - ٨١٣/١٩٨

ذلك الازدهار العظيم الذي سطع نوره مع حكم هارون ، استمر مطرداً في ظل الخلفاء الثلاثة الذين توالوا من بعده ؛ بل لقد ظل منشور الأعلام حتى أواسط القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي .

وعلى الرغم من أن اضمحلال السلطان في الجانب الغربي للدولة ، الذي بدأ في عصر هارون ، قد بيّن متواصلاً في ظل المأمون (حكم ٨١٣/١٩٨ - ٢١٨ - ٨٣٣) وامتد إلى مناطق فارس العظيمة الأهمية من ناحية الخراج والضرائب ؛ فقد نهضت الحياة الثقافية على عهد المأمون بوجه خاص في مختلف النواحي من الشعر ، وعلوم اللغة ، والدين ، والكلام ، وتعاطي الثقافة الاهليّية الشرقية ، نهضة توسيع تسمية هذه المرحلة: العصر الذهبي للأدب العربي .

أما أنا أوسّع دراية – إلى حد كبير – بالعلاقات اللغوية لآخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، والنصف الأول من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) بالقياس إلى الأزمنة المتقدمة على ذلك ، فهذا مانحن مدینون به – قبل كل شيء – لكتب الجاحظ (حوالي ١٦٥ - ٥٢٥) . هذا الأديب المتنمّى إلى البصرة ، والناثني في مدرسة الاعتزاز بهذه المدينة ، وجّه ملاحظته القوية ، وملكة انتباهه الراسخة ، في أسلوبه الخصيّب الأفكار المتعدد النواحي ، إلى شتى الظواهر في الحياة اللغوية : وأفاض الكلام عن ذلك في بحوثه وكتبه التي صنفها في مختلف الموضوعات ، ولا سيما كتابه عن الفصاحة والبلاغة : كتاب البيان والتبيين<sup>(١)</sup> :

(١) يعتمد المؤلف على النسخة المطبوعة بالقاهرة في جزأين ١٣١١ - ١٣١٢ .

- ١٢٠ -

والجاحظ ينتبه أيضاً إلى لغة الأطفال، مثل : واوًأو بمعنى « كلب »<sup>(١)</sup> وما ماما بمعنى : شاة أو خروف<sup>(٢)</sup>؛ وهو يمحى أن النبطي المغلق الذي نشأ في سواد الكوفة ، وإن تكلم العربية المعروفة ، وكان لفظه متخيراً ، ومعناه شريفاً ، يعرف السامع لكلامه وخارج حروفه أنه نبطي . وكذلك إذا تكلم الخراساني ، وكذلك إن كان من كتاب الأهواز ، فإنك تعرفه ، مع إعرابه وتخير الفاظه في مخرج كلامه . ويستطيع الحاكمة من الناس أن يمحى نطق الأهوازى والخراسانى والزنجبى والسندي حتى تتجده كأنه أطيع منه<sup>(٣)</sup> . والنبطي القُسْح يجعل الزاي سيناً والعين هنزة<sup>(٤)</sup> ؛ والصقلبي يجعل الذال المعجمة دالاً<sup>(٥)</sup> ؛ والمهدى يجعل الجيم زاياً<sup>(٦)</sup> . وقد كان خلط الأصوات على هذا المنوال معيناً لا يناسب للتسلية والفكاهة . ويمحى الجاحظ متندراً، كثيراً من القصص عن التغيرات الفكاهية التي كانت تنشأ من ذلك<sup>(٧)</sup> . كما ينتبه الجاحظ أيضاً إلى ازدواج اللغات ؛ فالعربية والفارسية تختلفان ، فإذا التقنا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منها الضمير على صاحبها ؛ وقد استثنى من ذلك أحد القصاص ، وهو موسى بن سيار الأسوارى ، الذي يصفه بأنه كان من أعاجيب الدنيا ، وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به ، فيجلس العرب عن يمينه ، والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية ، من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ، فلا يدرى بأى لسان هو أبین<sup>(٨)</sup> . وذكر الجاحظ أمثلة لاستعمال الكلمات والعبارات الفارسية في الشعر العربي ؛ فهذا شاعر يتحدث عن : الكافِرْ كُوبات ، وهي آلة من آلات الحرب أشبه

(١) بيان الجاحظ ١/٢٩ . (عن هيثم بن عدی المترقب ٢٠٧ هـ).

(٢) حيوان الجاحظ ٥/٨٩ .

(٣) بيان الجاحظ ١/٣١ .

(٤) بيان الجاحظ ١/٣٢ .

(٥) بيان الجاحظ ١/٣٣ .

(٦) بيان الجاحظ ١/٣٢ ، ويؤخذ ما ذكره في ١/٣٣ س ٨ أن المهدى يجعل الجيم ذالاً ، والشين سيناً أيضاً .

(٧) بيان الجاحظ ٢/٢ .

(٨) بيان الجاحظ ١٣٩/١ ، وانظر : Goldziher, Muh. Studien, ١٦٢

بالمِرْزَبَةِ، فِي أَيْدِي رِجَالٍ لَيْسَ لِغُثْمِ لِغْتَهِ<sup>(١)</sup>. وَلَا يَقْتَصِرُ الْعَمَانِيُّ الشَّاعِرُ فِي مَدِحْتَهُ لَهَارُونَ الرَّشِيدِ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْفَظْ : كَرْدُ، بِمَعْنَى عَنْقٍ مِنَ الْفَظْ الْفَارَسِيِّ كَرْدَنَ<sup>(٢)</sup>، بَلْ يَقُولُ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ :

### أَلَى يَدُوقَ الدَّهْرَ آبَ سَرْدِ

أَى حَلْفٍ لَا يَشْرُبُ المَاءَ الْبَارَدَ أَبْدًا<sup>(٣)</sup>. وَمِنَ الْخَلْيَطِ الْلُّغُوِيِّ – بِمَعْنَى الْكَلْمَةِ – قَصْبِيَّةِ لِلْأَسْوَدِ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ، اخْتَلَطَتْ فِيهَا الْجَمْلُ الْعَرَبِيَّةُ بِالْفَارَسِيَّةِ<sup>(٤)</sup>، فَإِذَا قَرَنَا بِهِذِهِ الْأَمْثَلَةِ ، الْجَمْلَةُ الْفَارَسِيَّةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْجَاحِظُ فِي كِتَابِ الْبَخَلَاءِ<sup>(٥)</sup> ، تَبَعَّلَ لَنَا بِوْضُوحِ أَنَّ الْجَاحِظَ كَانَ يَفْهَمُ الْفَارَسِيَّةَ . وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَعْنِ الْجَاحِظُ بِالْلُّغَاتِ الْأَجْنبِيَّةِ لِذَاهِنِهِ [نَشَأَ الْاِهْتِيَامُ بِالْلُّغَاتِ الْأَجْنبِيَّةِ لِذَاهِنِهِ] فيَذَاهِنُوا فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمُهَاجِرِيِّ / الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ ؛ فِي ذَلِكَ الْقَرْنِ الْأَلْفِ ابنِ الْجَرَاحِ الْمُتَوَفِّ ٣٩١ هـ أَوَّلَ كِتَابٍ نَعْرَفُهُ فِي الْلُّغَةِ الْفَارَسِيَّةِ<sup>(٦)</sup>[وَإِنَّمَا يَقْتَصِرُ الْجَاحِظُ عَلَى مُلْاحِظَةِ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَصْوَاتِ الْلُّغَاتِ الْأَجْنبِيَّةِ ، وَعَلَى الْأَخْنَصِ لِهَذِهِنَا فِي خُوزَسْتَانَ ، لَا يَصُورُهُ الْخُطُّ الْعَرَبِيُّ ، وَأَنَّ عَلَى سُواحِلِ الْبَحْرِ مِنْ أَسِيفِ فَارِسِ نَاسًا كَثِيرًا كَلَامَهُمْ شَبِيهُ بِالصَّفِيرِ<sup>(٧)</sup> . وَيَكْرَرُ فِي مَوْضِعٍ آخَرٍ حَكَايَةً عَنْ شَاهِدٍ عَيَّانٍ يَصِفُ مجَمِعًا مِنَ الزَّنْوِجِ قَامُ خَطْبِيهِمْ عَلَى مَاعِلًا مِنَ الْأَرْضِ وَتَكَلَّمُ، وَهُوَ يَشِّبَّهُ حَوَارَهُمْ بِالدَّمَدَمَةِ وَالْمَمْهَمَةِ<sup>(٨)</sup>. وَمِنْ نَاحِيَّةِ أُخْرَى يُوجِهُ الْجَاحِظُ عَنْيَةً فَائِقةً إِلَى الْأَنْخَطَاءِ الْخَاصَّةِ فِي التَّعْبِيرِ ، مُثْلِ لِغَةِ الْأَسَانِ ،

(١) بِيَانِ الْجَاحِظِ ٦١/١ ، وَفِي مَعْنَى : كَافِرُ كُوبَاتٍ ، انْظُرْ تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ ، فِي فَهْرِسِ الْأَلْفَاظِ الْلُّغُوِيَّةِ .

(٢) وَرَدَ الْفَظُّ : كَرْدٌ فِي بَيْتٍ يَذَكُّرُ كَثِيرًا وَهُوَ لِلْفَرَزْدَقِ مُشَهُورٌ ، دِيْوَانُ صِ ٢١٠ ؛ انْظُرْ : أَدَبُ الْكَاتِبِ صِ ٥٢٧ ؛ الْاِقْتَصَابُ صِ ٤١٨ ؛ وَيُسْتَفَادُ مِنْ اسْتِعْمَالِ هَذَا الْفَظْ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ أَنَّ مِنْ أَخْلُصِهِ ، ظَنُّ أَنَّ النُّونَ فِي آخِرِ الْكَلْمَةِ : كَرْدَنَ ، مُثْلِ التَّنْوِينِ فِي الْعَرَبِيَّةِ .

(٣) بِيَانِ الْجَاحِظِ ٦١/١ صِ ١٠ .

(٤) بِيَانِ الْجَاحِظِ ٦١/١ صِ ٦١ - ١٩ - ٢٣ ، وَيُوجَدُ مَثَالٌ آخَرٌ فِي مَعْرِبِ الْجَوَالِيقِ صِ ٩ ،

ZDMG. 33, 213 Anm. 2 ٧٩ - ٩٥ وَانْظُرْ كَلَذِكَ مجلَّةً : ٢

(٥) صِ ٢٤ صِ ١٧ مَعَ مُلْاحَظَاتِ فَانْ فَلُوْنِ .

(٦) الْفَهْرِسُ صِ ٨٦ صِ ١٤ .

(٧) بِيَانِ الْجَاحِظِ ١٦/١ صِ ٢٦ .

(٨) الْفَهْرِسُ صِ ٢٨ .

ولكته وما شابه ذلك من عجز عن تصحيح خارج الحروف ؛ ويدرك أبيات أبي رمادة الذي طلق زوجته خشية أن تحيطه بولد ألغى<sup>(١)</sup> . وكثيراً ما تبدل السين ثاء ، والراء غيناً<sup>(٢)</sup> ، وييل ذلك لإبدال الراء ظاء ، ثم ذاء ، وأسوأ الوجوه إبدالها ياء<sup>(٣)</sup> . وينطق بعض الناس بدلاً من اللام ياء ، وآخرون كافاً<sup>(٤)</sup> . كما أن بعض الناس لا يستطيع نطق القاف فيننطق بدلاً طاء<sup>(٥)</sup> . ومثلاً لاجتماع لغتين ذكر الجاحظ شوشى صاحب عبد الله ابن خالد الأموي ، إذ كان يجعل كلاماً من اللام والراء ياء<sup>(٦)</sup> . وعقد الجاحظ فصلاً طويلاً<sup>(٧)</sup> خاصاً بمؤسس مذهب الاعتزاز : وأصل بن عطاء ، الذي كان لا يحسن نطق الراء ، فكان يتتجنب في مهارة وحذف جميع الكلمات التي تشتمل عليها .

ويعالج الجاحظ أسماء عيوب اللسان : فالنتيجة هو الذي يتتعتع لسانه في الثناء والفاء الذي يتتعتع لسانه في الفاء<sup>(٨)</sup> . واللقة ، ومصدرها الكلف ، والوصف :

(١) بيان الجاحظ ٢٦/١ س ١٥ ؛ عيون الأخبار ٤ ص ٧ ، وذكر : زياد ، بدلاً من أبي رمادة ٤ ؛ وفي استحسان اللغة الخفيفة واستسلامها انظر البيان ١/٦٢ س ٢٦ ، طبقات ابن سالم ص ١٩ س ١٨ ؛ نقد الشمر ص ٦٩ ؛ الأغافى ١٨ / ١٩٢ ؛ وانظر الرمادي في ابن خلkan ٣٥/٣ ، وانظر : Mez ص ٣٣٨

(٢) بيان الجاحظ ٨/٢ س ١٣ ، وكان ينطق الغين بدلاً من الراء ، ابن السراج التحوى المترافق ٣١٦ كما ذكر ذلك ابن خلkan ٢/٣١٩ . وفي تاريخ بغداد ١١٩/١٢ رواية عن كيفية علاج ابن المنجم من لغة كانت بلسانه ، ومنها يستفاد أن اللغة هي تجويع صوت آخر . فقد كان شعبة مثلاً ينطق الثناء بدلاً من الثناء ؛ انظر سنن أبي داود ٢/١٩٤ (طبع ١٣٤٥)

(٣) بيان الجاحظ ١٧/١ س ٦ - ١٩ .

(٤) في الموضع السالف من ٣ :

(٥) بيان الجاحظ ١٧/١ س ١ - ٣ ، وأشهر الأمثلة لذلك يقدمه المعلوي لمير ابراهيم بن إسماعيل الذي سي بسب هذه اللثنة : طباطبا . انظر ابن خلkan ١/٧٠ في ترجمة حفيده أبي القاسم ابن طباطبا أمير العلوين في مصر المترافق ٤٤٥

(٦) بيان الجاحظ ١٧/١ س ٢٣ ، ويقدم مثلاً آخر لاجتماع لغتين ، ابن أبي البغل الذي كان يجعل الراء غيناً والكاف هزوة ، وللنبي عليه أرجله أبو الحسن بن طباطبا ، المترافق ٣٢٢ قصيدة لاختهوى على الراء ولا الكاف . انظر : إرشاد الأديب ٦/٢٨٥ - ٢٨٩ .

(٧) بيان الجاحظ ٨/١ س ١٦ .

(٨) بيان الجاحظ ١٨/١ س ١٢ - ٢٠ ؛ انظر الكامل للمبرد ص ٣٦٣ س ١ - ٦ ، ٣٦٤ س ٢ ؛ رؤبة ص ٥٥ ؛ إرشاد الأديب ١/٧٧ ؛ الأغافى ١/٤١٢ ، طبع دار الكتب .

- ١٢٣ -

الافت، هي أن يدخل الرجل بعض كلامه في بعض<sup>(١)</sup>. كما يسوق أيضاً؛ شاهداً على المجلجة<sup>(٢)</sup> ويدرك أن الحبسة هي نقل الكلام على اللسان<sup>(٣)</sup>، وقد استعمل القرآن لفظ : عُقدة، في معنى قريب من هذا ، في آية سورة طه ٢٧/٢٠ ، أى في الحبسة التي كان يقاسيها موسى في نطقه<sup>(٤)</sup>. ويحدد الباحث : المكنة ، بأن يدخل الرجل بعض حروف المعجم في حروف العرب وتجذب لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول ، أى التغيير الذي يطرأ على الأصوات العربية في لسان غير عربي<sup>(٥)</sup>؛ وهي على ذلك تتحدد أحياناً مع اللغة أى إبدال حرف عربي بحرف آخر. والمعنى والمتعلقة من لوازם العجز في البيان<sup>(٦)</sup>؛ وأخيراً الحكمة ، وهي نقصان آلة المنطق ، وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانية إلا بالاستدلال ؛ أو بعبارة أخرى هي كلام الإنسان في خفوت لا يبين ؛ وهي كذلك كلام الحيوانات العجماء دون صوت ، مثل الغلة التي فهم سليمان كلامها ، كما جاء في القرآن<sup>(٧)</sup>. وقد استهل الباحث كلامه عن البيان والبلاغة بتفصيل أحوال العجز عن التعبير : العي<sup>(٨)</sup>. وفي مكان آخر يسوق جملة عسيرة النطق ليتحقق تعويذ اللسان على الذراوة والمرونة ، مثل البيت :

وقبر حرب بمكان قفر      وليس قرب قبر حرب قبر  
الذى لا يستطيع أحد أن ينشده ثلاثة مرات في نسق واحد فلا يتتعتع  
ولا يتلجلج<sup>(٩)</sup>. وهو يتكلّم عن أن بعض أنواع من الربط بين الأصوات

(١) بيان الباحث ٢٠/١ عن أبي عبيدة ، والكامن في الموضع السابق.

(٢) بيان الباحث ١٩/١ ، وذكر ابن دريد في الاشتراق من ٢٣٩ س ١٦ ، لفظ العلاج ، لقباً على بعض الناس .

(٣) بيان الباحث ١٩/١ س ٥ .

(٤) بيان الباحث ١٨/١ س ٣ - ١٢ .

(٥) بيان الباحث ١٩/١ ، ٣٣ ، ٦٩ ، ١٩/١ ، ويوجد مثال لذلك في الأغاني ١٣/١٥٨ .

(٦) بيان الباحث ١٩/١ .

(٧) بيان الباحث ١٩/١ ؛ الحيوان ٣/٤ س ٧ .

٨ بيان الباحث ٤٠٢/١ .

(٩) بيان الباحث ٢٩/١ ؛ المسعودي (١٣٤٦) هـ ٣٣٠/١ ؛ الدميري (٥١٣٤٨) هـ ٤٢٥٢/٢ . وقد اعتمد علماء البلاغة في عصر متاخر على هذا الشعر للاستشهاد به على تنافر المعرف .

وهو مشهور . وانظر المستطرف للابشبي (١٣٥٣) هـ ٤٠/١ .

- ١٤٦ -

لا تردد في العربية<sup>(١)</sup> ، وهي ظاهرة يسمى بها علماء القواعد بالتنافر ، ويخلونها وسيلة للتعرف بها على الألفاظ الأجنبية<sup>(٢)</sup> .

ومن النقاوة بمكان ، ما ذكره الجاحظ عن اللهجات ، واللغات الخاصة ، وألسنة الحرف والمهن . فهو يبين أن كل مصر يتكلّم على لغة من نزل به من العرب<sup>(٣)</sup> ، ويذكر أمثلة لفرق مابين مكة والبصرة في الاستعمال الغوى . وفي كتابه : *البخلاء* ، يسوق الجاحظ وصفاً حياً للدواير الأدبية في البصرة ، حوالي سنة ٢٠٠٥ هـ ؛ كما يعرض صورة ، غاية في الدقة من الوجهة اللغوية ، لأسلوب المحدثة بالبصرة في ذلك العهد<sup>(٤)</sup> . ويعطينا هذا الكتاب نفسه ، في الفصل الذي عقده لرئيس طائفة المسؤولين بالبصرة : خالد بن يزيد ، المعروف بخالويه<sup>(٥)</sup> ، نظرة في رموز المحتالين<sup>(٦)</sup> ؛ فكلمة : *مُخْطِرَانِي* ، تعبّر عن المحتال الذي يوهم أنه مؤذن من خراسان ، ويتظاهر بأن بابك أمر بقطع لسانه<sup>(٧)</sup> . وفي موضع آخر يسوق خطبة<sup>(٨)</sup> في أدب المائدة ، ويعلق عليها بشرح عدد من التعبيرات التي يعبر بها عن مختلف العادات السيئة عند الأكل . وقد يستطرد أيضاً بذكر بعض القصص عن الملائكة ، مع ذكر تعبيرات من لغة مهنتهم<sup>(٩)</sup> ؛ كما يتفضّل بالطبيب الذي يعبر عن الأمور

(١) بيان الجاحظ ١/٣١ ص ٦ .

(٢) المزهر (١٤٢٥) ١/١٦٠ مـ ؛ وانظر ابن دريد في :

A. Siddiqi, The Allahabad University Studies, vol. VI Arts' Section  
(1930) 677

(٣) بيان الجاحظ ١ ص ٩ س ٢١ .

(٤) انظر : فان فلوتن في مقدمته لهذا الكتاب ص ٣ .

(٥) انظر ص ٤٧ - ٥٦ (فان فلوتن) .

(٦) هناك قائمة مائلة في المحسن للبيهقي ٦٢٤ - ٦٢٧ وانظر في ذلك :

Schwally, ZA 27, 28 - 42 وسيأتي الحديث عن تصييدة أبي دلف الخزرجي .

(٧) ص ٥٤ من الكتاب المذكور ؛ وبعد ذلك ي يأتي عام ، وضع أولئك المحتالون الروم موضع بابك ؛ انظر اليتيمية ١٧٨/٣ في تفسير كلمة : *مُخْطِرَانِي* ، أسلف الصحيفة .

(٨) ص ٧١ مع ملاحظات فان فلوتن .

(٩) « بيان الجاحظ ١/٢١٢ ص ١٢ - ١٧ ، وتوجد بعض تعبيرات الملائكة أيضاً في حكاية

أبي القاسم Mez ١٠٧ مـ ؛ وفي المستطرف (١٤٥٢) ٢/٢٤٥ .

المعتادة بمصطلحات فنية ، ويسمى البحث المصحوب بالمخاط ، باللغة اليونانية الدخيل : بلغم <sup>(١)</sup> .

ويعظيم الفائدة — بوجه خاص — ما ذكره الجاحظ عن : الإعراب .  
فهـر بعد من أجل المـتع أن يستمع المرء إلى حديث الأعراب الفصحاء العـقـلـاء  
أو إلى محاضرة العلماء البلـغـاء (٢) . ويـحـثـ على روـاـيـةـ نـوـادـرـ الأـعـرـابـ  
مـعـ لـعـارـبـاهـاـ وـمـخـارـجـ الـفـاظـهـاـ (٣) . وـهـذـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ الإـعـرـابـ فـيـ عـصـرـهـ كـانـ  
لـايـزـالـ حـيـاـ عـلـىـ أـلـسـنـةـ الـبـسـدـوـ الـخـلـصـ . وـعـلـىـ التـقـيـضـ مـنـ ذـلـكـ ، يـنـعـتـ  
بـمـخـالـفـةـ الـأـسـلـوبـ ، وـمـسـخـ الـصـورـةـ حـكـاـيـةـ نـوـادـرـ الـعـوـامـ ، وـمـلـحـ الـحـشـوـةـ  
وـالـطـغـامـ ، بـالـإـعـرـابـ الـكـامـلـ ، وـالـأـلـفـاظـ الـمـتـخـيـرـةـ (٤) ؛ إـذـ إـنـ هـؤـلـاءـ الطـغـامـ  
مـنـ الـتـجـارـ وـسـوـادـ الـشـعـبـ يـنـطـقـونـ عـرـبـيـةـ حـافـلـةـ بـالـحنـ ؛ وـعـنـهـ يـأـخـذـ الـأـجـانـبـ  
كـالـأـنـبـاطـ وـالـفـرسـ ؛ وـالـأـعـرـابـ الـقـعـ لـاـيـفـهـمـ هـذـهـ الرـطـانـةـ ؛ وـمـتـىـ وـجـدـ  
الـنـحـاةـ أـعـرـابـيـاـ يـفـهـمـهاـ بـهـرـجـوـهـ وـلـمـ يـسـمـعـواـ مـنـهـ ؛ لـأـنـ ذـلـكـ يـدـلـ عـلـىـ طـولـ  
إـقـامـتـهـ فـيـ الدـارـ الـتـىـ تـفـسـدـ الـلـغـةـ ، وـتـنـقـصـ الـبـيـانـ (٥) . وـيـذـكـرـ الجـاحـظـ أـنـ  
أـنـ أـسـوـاـ الـحنـ هـوـ لـحنـ الـأـعـارـبـ النـازـلـينـ عـلـىـ طـرـقـ السـابـلـةـ ، وـبـقـرـبـ مـجـامـعـ  
الـأـسـوـاقـ (٦) . وـيـقـولـ الجـاحـظـ إـنـ أـوـلـ لـحنـ سـمـعـ بـالـبـادـيـةـ : هـذـهـ عـصـابـيـ،  
بـدـلاـ مـنـ : عـصـابـيـ ؛ عـلـىـ حـيـنـ أـوـلـ لـحنـ ظـهـرـ بـالـعـرـاقـ هـوـ مـاقـيلـ فـيـ الـأـذـانـ:  
حـيـّـ عـلـىـ الـفـلامـ (٧) . وـيـسـوـقـ الجـاحـظـ — فـيـ بـابـ خـاصـ — مـجـمـوعـةـ كـبـيرـةـ

(١) بيان الجاحظ ٤/٢٣؛ وتحتفي مختلف عن ذلك رواية كتاب المحسن والأضداد ص ٩  
 (فان فلورن) الذي نسب دون حق إلى الجاحظ.

٥ - س ٦٢ / ١ الجاحظ بیان (۲)

(٣) بيان الملاحظ ٦٢/١ س ١٤ .

(٤) بيان الملاحظ ٦٢/١ س ١٦ - ١٩؛ الحيوان ٣/١٢ . وينفس الطريقة يعلم كذلك ابن قتيبة في عيون الأخبار (نشر بروكلمان ٧/٩) لترك الإعراب وأهمز عند حكاية مثل هذه النبادر . وانظر كذلك مذهب قدامة بن حمقر في أول الآيات الثامن من هذا الكتاب (شيتالر) .

(٥) بيان الملاحظ ٦٧ فا بعدها.

(٦) بيان الملاحظ ١/٦٢ س، ٢١:

(٧) بيان الملاحظ ٥ من ٤ ؛ والمعنى في كسر الياء و الصواب الفتح .

- ١٢٦ -

من الحن المختلفة الأنواع<sup>(١)</sup>. وكون هذه الأنواع خليطاً يشتمل على شتى الألوان والأحوال ، من تعسر مخارج الحروف ، إلى الحالات الشديدة لقواعد النحو والتصريف ، إلى التساهل في اختيار الألفاظ ، إلى الخروج على الأساليب ، لا يغير كثيراً مما قلناه ، لأنه ، حتى إذا أمكن ترتيب استطراداته ، التي قصد بها إلى جلب انتباه القارئ ، على أي صورة من الترتيب ، فإن جميع ملاحظاته<sup>(٢)</sup> تدل عموماً على أنه قسمها – متاثراً بروح عصره تأثراً سطحياً بحثاً – حسب الفروق التي كانت قائمة بين الأسلوب الصحيح والأسلوب الخاطئ في صورة الكتابة .

ولى جانب الطبقات المحلية ، والاجتماعية ، وجدت طبقة أخرى أبرز الملاحظ ذكر خصائصها اللغوية في مواضع مختلفة ؛ إنهم أولئك الذين يولون بالتنوّق والبالغة في مضاجعة كلام البدو باستعمال لغة متصنعة مستكريّة ؛ وهذا الشذوذ يطلق عليه الملاحظ اصطلاحات فنية كثيرة ، يفهم منها أنها راجعة إلى نوع من التعبير الجهير المفخم الحافل بمحروف الحلق . فالتعيير نوع من التعبير كأنما يستخرج من قعر بئر<sup>(٣)</sup> ؛ والتعييب ، الذي يكاد يكون مردفاً له ، نوع من التعبير يأخذ فيه الفم صورة القعب<sup>(٤)</sup> والتفحيم يصور تأكيد التعبير والتنصيص عليه ؛ وكلتا التشدّق والتّشادق ، مأخوذهتان من كلمة : شدق ، بمعنى زاوية الفم ، ومعناهما التكلم مع اتساع زاوية الفم ، وكانوا يستعملان في الأصل تعبيراً متعارفاً ، على سبيل المجاز ، عن البلاغة ، دون معنى آخر من العيوب<sup>(٥)</sup> ، ولكنه نقل بعد ذلك إلى التصنيع في الكلام الذي يحمل من الأعراّب وحدّهم<sup>(٦)</sup> . وقد نسب إلى الرسول [ صلى الله عليه وسلم ] تنبؤه بأن الثّوارين المتشدّقين المتّفهّقين أبعد الناس بمحالس منه

(١) بيان الملاحظ ٥-٢/٢ .

(٢) انظر إرشاد الأديب ١/٢١ .

(٣) انظر لقرن البئر 43 Well Bräunlich .

(٤) ساق الملاحظ شواهد من الشعر على ذلك ، في البيان ٤/٢ س ١٤ - ١٦ .

(٥) بيان الملاحظ ٣-٢/٥ .

(٦) بيان الملاحظ ١/٢١ س ٨ ص ١٠٧ ؛ انظر أيضاً Dozy في المادة .

يوم القيامة<sup>(١)</sup> ، كما نسب إليه : إبيا والتشادق . وقد ذكر الجاحظ كلتا الروايتين فيها اختاره من أحاديث الرسول [صلى الله عليه وسلم]<sup>(٢)</sup> ، وساق مثلاً هذَا (التشادق) الرسالة المشهورة التي يقال إن يحيى بن يعمر كتبها على لسان يزيد بن المهلب إلى الحجاج ، والتي تشمل على الكلمة الشعرية العالية : عَرْعَرَةُ ، أَيْ ذرْوَةُ الْجَبَلِ ، وَحَضِيْضُ ، أَيْ سَفْحُ الْجَبَلِ ، وَغَيرُ ذلك من غريب ألفاظ البيزو ؛ كما ذكر قولًا عجيبةً لـ يحيى بن يعمر ، إِذْ حَكَمَ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَتِهِ<sup>(٣)</sup> . بيد أن التفوح الحق لهذا الأسلوب المتقرر هو شخصية الأسطورة المشهورة عن أبي علقمة<sup>(٤)</sup> ، الذي لم يصل إلينا شيء ثابت عن أطوار حياته . وقد اقتربت باسمه حكايات جمة ، جمعت في وقت متاخر في كتاب خاص<sup>(٥)</sup> . وفيها يذكر — عادة — كيف أنه كان يعبر بعبارات طنانة عن شئون مبتذلة تافهة ، على حين يكون المخاطب غالباً رجلاً بسيطاً ساذجاً من سواد الشعب ، لا يكاد يفهم مما يقول شيئاً ؛ فإذا كان المخاطب رجلاً ماكرًا ذا ثقافة ، رد عليه بمثل ما أعطاه<sup>(٦)</sup> ؛ ومن هذا الحصول الكثير التداول أخذ الجاحظ قصتين في كتابه : البيان<sup>(٧)</sup> .

على أنه لم يكن مجرد اختيار كلمات الأعراب الغربية هو الذي كان

(١) الترمذى في كتاب البر ، والمواضع المختلفة في :

Wensinck. Concordance I, 290

وفى : أدب الكاتب ص ١٥ ؛ الكامل ص ٣ ؛ أمال القال ٢/٢٩٥ ؛ تاريخ بغداد ٤/٤٣٣ ؛ المجازات النبوية للرضى ص ١١٨ ؛ كنز الحال ٢/١٤٠ .

(٢) بيان الجاحظ ١٥٩/١ فما بعدها . وانظر المجازات النبوية الشريف الرضى (بغداد ١٢٢٨).

A. Fischer, ZDMG 61, 433

(٣) بيان الجاحظ ١٤٢/١ ص ٩ - ٢٢ ، وكذلك ٢٧ - ١٢ ، وانظر : أدب الكاتب ص ١٤ ؛ الكامل ص ٤٤ ؛ نزهة الألباء ص ٢١ ؛ تاج العروس ٣/٦٢٤ .

(٤) انظر : إرشاد الأريب ٥/٧٧ - ٧٢ ؛ بغية الوعاة ص ٣٢٩ .

(٥) يسمى نوادر أبي علقمة : الفهرست ص ٤٣٥ .

(٦) انظر — زيادة على ياقوت في الموضع السابق — عيون الأخبار ٢/١٦٢ ؛ ٤/١٦٣ .

المحاسن والأصداد المنسوبة للجاحظ ص ١٤ ؛ العقد الفريد ١/٢١١ (١٣١٦).

(٧) بيان الجاحظ ١/٢٤٢ فما بعدها . وأولى هاتين القصتين تروى كذلك عن عيسى بن عمر الثقفى المشهور بالتعزير أيضاً (انظر فى ذلك ٦٢٩ ٩٥ ZDMG ١٩٣٦) . Fück, ZDMG 90 (١٩٣٦) ٦٢٩ .

في وفيات الأعيان (القاهرة ١٣١٠/٣٩٤) والمزهر (القاهرة ١٢٨٢/٩٣) ولسان العرب (كاماكا) ١/١٣١ (شيباتال).

يعطى لغة المخربين مسحة من النفاقة وعلو القيمة فحسب ، بل لقد كان استعمال الإعراب والتصريف الكاملين - في خارج الخطط العلمي - يعد كذلك تغurآً وتشدقآً ، على عهد الجاحظ . وهذا يفهم ضمناً من تنبئه - الذي ذكر آنفآ - إلى ضرورة رواية نوادر الأعراب بالإعراب الكامل . بيد أنه يؤخذ نصاً من الكلمات التي يسُوغ بها طابع كتابه : *البخلاء*<sup>(١)</sup> ؛ حيث يذكر أنه تصنع الحن ، وكون جملة مخالفة للنحو ، واستعمل صيغأً للكلمات على خلاف القواعد ، وتنازل عن الإعراب ، كل ذلك مناسبة للموضوع ، فإذا حكى كلاماً لسهل بن هارون البخيل المتشدد المتغور ، أو أمثاله . وهو يصور مثلاً البخيل : محمد بن أبي مؤمّل ، بأنه رجل صاحب تغور وتفحيم وتشديق وهز وجزم<sup>(٢)</sup> .

وكلا ندرت اللغة الفصيحة - إذ ذاك - بين الطبقات المثقفة ، ازداد الاستيءام من كل خروج لغوى على لسان أولئك الذين لم يعودوا متمكنين في الحقيقة من العربية القديمة ، بل يتضمنونها فحسب<sup>(٣)</sup> . وكثيراً ما سخر الناس من الحن الذي حكاه الجاحظ<sup>(٤)</sup> عن المتكلم : بشر بن غياث المربي (المتوفى ٢١٨ هـ) أحد تلاميذ أبي يوسف ، حينما قال : [قضى الله لكم الحوایج] على أحسن الوجوه وأهنتها ، بدلاً من : وأهنتها ، حيث أخطأ في حركة الإعراب ، وإن نطق المهمزة التي حذفت فعلاً في لغة الشعب : وقد حل ذلك الحن الشاعر الظريف : قاسم التمّار ، على إبداء الملاحظة الخبيثة من أنه قال هكذا وفاقت لقول ابن هرمة في همزته المشهورة :

إن سَلَّيْمِي وَالله يكْلُؤُهَا      ضَنَّتْ بَشَّيْءَ مَا كَانَ يَرْزُؤُهَا

والأشعار على قافية المهمزة - مالم تكن همزة المددود - جد نادرة .  
والأمثلة القليلة من ذلك النوع ، تبدو فيها الصنعة كثيراً أو قليلاً . وفي

(١) ص ٤٢ س ٦ - ١٠ (فان فلوتن) .

(٢) ص ١٠٢ س ١٢ .

(٣) بيان الجاحظ ٦٢/١ س ٢٠ .

(٤) بيان الجاحظ ٣/٢ ؛ عيون الأخبار ١٥٧/٢ ؛ المحسن المنسوبة للجاحظ ص ٨  
تاريغ بنداد ٧/٥٧ .

- ١٢٩ -

الفهرست ص ٢٤٢ س ١٢ (طبع الرحمانية) ، حيث عقد فصلاً خاصاً للقصائد المهموزات ، ذكر مع قصيدة ابن هرمة<sup>(١)</sup> قصيدة هزية أخرى فقط لحفص الأموي<sup>(٢)</sup> ، أو على رواية أخرى لأبي صعصعة العامري ، على روى تلاؤ. ويوجد من هذه القافية أيضاً قصيدة تان لأبي حزام العكلي الذي لم ينحمه حوالي سنة ١٦٠ هـ ، قال إحداها في مدح وزير المهدى : معاوية بن عبيد الله الأشعري ، على روى : مَحْجُوْهُ ، وهي حافلة بالألفاظ القدبعة المهجورة ، حتى يعدها النقاد المتأخرون مثلاً مخيفاً للوحشى المتنافر من من الأساليب<sup>(٣)</sup> ؛ والثانية قصيدة لغوية تعليمية على روى : آؤه<sup>(٤)</sup> ؛ وعدها ٢٢ بيتاً ، تحتوى على ٨٠ كلمة مهموزة :

ومثال آخر يرينا كيف يُلْقِي رجال ، تهذيب إحسانهم اللغوى ، وزناً للدقائق أيضاً في المسامرة والمحاورة . هاهو ذا على بن الجهم ، المتوفى سنة ٢٤٩ هـ ، أحد رجال حاشية المتوكل ، يعتذر من تبكيه في الانصراف عن جماعة كان يجالسها بالكلمات : إنه بلغنى شيء وأظنني مأزوراً في قعودي : وبهذا خف في نظر المبرد (٢١٠ - ٢٨٥ هـ) الذي كان حاضراً إذ ذاك ؛ لأن مأزوراً ، بدل : موزوراً ، أى آثماً ، إنما يجوز استعماله على سبيل الاتباع والمزاوجة للفظ : مأجور ، فحسب<sup>(٥)</sup> ؛ كما روى فيما نسب إلى الرسول [ صلى الله عليه وسلم ] أنه قال للنساء اللائى جلسن فى انتظار الجنائز : « أرجعن مأزورات غير مأجورات ». فإذا استعمل وحده قيل : موزور ، فقط<sup>(٦)</sup>.

(١) وتم على ميله للفتن قصيده : المعللة ، أى التي لا تشتمل على حرف معجم ؛ انظر الأغافل ١٠٦ / ٤ .

(٢) انظر : إرشاد الأريب ١١٥ / ٤ .

(٣) نقد الشعر ص ٦٥ ، وذكره المرزباني في الموضع ص ٣٥٤ .

(٤) انظر :

W. Ahlwardt, Sammlungen alter arabischer Dichter I S. 75 Nr. ١ .

(٥) انظر في مثل هذا الاتباع : Brockelmann, Z. Sem. 5,6 ff .

كتاب الأمثال لأبي عكرمة الصبى ٢٧ - ٢٩ بتحقيقنا (المترجم) .

(٦) ابن ماجه : باب ما جاء في اتباع النساء الجنائز .

(٧) الموضع ص ٣٤ ؛ انظر أيضاً درة الغواص ، ص ٥٢ ؛ الشهاب الخواجي حل الدرة ص ٨٢ =

(٨) - المرية )

والصورة التي يرسمها الجاحظ للعلاقات اللغوية في عصره ، يمكن إكمال بعض خطوطها المترفة ، بوساطة روايات أخرى وصات إلينا . فكون لغة الأعراب لم تزل بعد — كما كانت من قبل — تعد المفهوم الذي لا يُدرك لكمال الصراحة ، يقربه إلينا — بأوضح تصوير — مثل اللغة : لغة الأصبهاني ، المعاصر لأبي حنيفة الدينوري المتوفى ٢٨٢ هـ . فهو يدين بمعارفه اللغوية ، التي لفت بها الأنظار في بغداد ، خالطته للأعراب الذين نزلوا بأصبهان في خدمة محمد بن يحيى بن آبیان ، ونصبوا خيامهم في رحابه . فقد ألح في سؤالهم عن جميع ما غمض عليه في كتابات أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي ، التي حفظتها عن ظهر قلب في صباحه ، واكتسب بذلك علمًا غزيرًا ، لم يضارعه فيه أحد بالعراق<sup>(١)</sup> .

بيد أن لغة الأعراب ، أيضًا ، يبدو أنها ، في سبيل تطورها وانتشارها الطبيعي ، قد ظهرت عليها تجديدات مختلفة في القرن الثالث المجري / التاسع الميلادي ، كان أصحاب « تنقية اللغة » يحسون بعدم جوازها . وهما ذا العالم اللغوي البصري : أبو الفضل الرياشي ، الذي مات عن ثمانين عاماً تقريبًا ، عند استيلاء الشوار ، من الزنج على البصرة سنة ٢٥٧ هـ ، يروى أن ينسب تقدم مدرسته البصرية على منافستها الكوفية إلى أن البصريين أخذوا اللغة عن البدو الخالص حركة الضباب ، وأكله اليرابيع ، على حين استمد الكوفيون لغتهم من أصناف الأعراب من أهل السواد وأصحاب الكواميغ ، وأكلة الشواريز<sup>(٢)</sup> أي أصحاب المشهيات كالخل ونحوه ، والبن الرائب .

ويقدم لنا مثلاً من هذا النوع رجل من حفدة جرير ، هو عمارة بن عقيل لقد عاش في سهول البصرة . وكان يعد لند علماء هذه المدينة حجة ثبتاً في أمور اللغة ، وقرأ عليه المبرد أشعار جرير<sup>(٣)</sup> . ولا ينس أن يظهر شاهدًا في

= وانظر : Rescher, ZA 23, 45 f. ويوجد أيضًا لفظ موزور مقتولًا إلى مأجور ، عند المبرد في الكامل ص ٧٠٣ س ١٢ .

(١) إرشاد الأريب ٨٢/٣ .

(٢) أخبار النحوين البصريين ص ٩٠ ؛ الفهرست ص ٨٦ ؛ نزهة الأباء ص ٢٦٣ .

(٣) انظر مثلاً : الكامل ص ٢٢ .

نقائض جرير والفرزدق . وعلى الرغم من ذلك فقد كان يجمع لفظ : ريح (من : رِوْح) على أرياح . وأضطر بهذا أبو حاتم السجستاني (المتوفى ٢٤٨ هـ) أن يعلّمه أن الصواب : أرواح<sup>(١)</sup> . كذلك كان يستعمل بدلاً من اسم الجمع : خيل ، صيغة الجمع : خيول<sup>(٢)</sup> ، ويستعمل لفظ : ابن ، كما لو كانت همزته همزة قطع ثابتة ؛ على حين كان يمحفظ همزة المد في لفظ : الدَّهْناء<sup>(٣)</sup> ؛ وقرأ آية سورة يس ٤٠/٣٦ : سابقُ النَّهَارَ<sup>(٤)</sup> ، بمحذف التنوين ونصب النهار بدلاً من سابقُ النَّهَارَ (القراءة الصحيحة) ؛ ولا الليلُ سابقُ النَّهَارِ، بالإضافة ) كما قرأ آية سورة التمل ٨١/٢٧ وآية سورة الروم ٥٣/٣٠ : بهادِ العَمَّى<sup>(٥)</sup> بالنصب بدلاً من : بهادِ العَمَّى (القراءة بالإضافة) . فهذه ثلاثة أحوال تدل على تاريخ في التكهن اللغوي — من حيث استعمال التنوين وإهماله — داع إلى التفكير .

وأكثر ما كان يطابق المثل الأعلى . في نظر النحاة العرب إبان القرن الثالث هي لغة الشعر الرفيع . وشعر أبي تمام (حوالي ١٩٠ - ٢٣١ هـ) ، قبل كل شيء ، يتميز باستواء وانسجام فاقد النظير ؛ وفي الحشد من المطاعن الكثيرة العدد ، التي تعرض لها الشاعر ، في حياته وبعد وفاته المبكرة ، لا نكاد نجد مأخذًا عليه من ناحية اللحن . وقد لقيت نظره مرة ، مع الاحتجاج بال نحوى الكوفى : ابن السكيت (المتوفى حوالي ٢٤٥ هـ) ، إلى أنه ينبغي أن يقول : شَجَرٌ ، بدلاً من : شَجَرٍ ؛ ولكنه سرعان ما تخلص محتاجاً — في يسر — ببيت لأبي الأسود<sup>(٦)</sup> . وكان أبو تمام يعاني حُبْنسةً تعوق حرية تعبيره ،

(١) الأغاف ٢٠/١٨٥ س ٤٢٤ ص ١٨٧ س ٢٢ ؛ وقد اعتبر من الحريري أيضًا على أرياح في الدرة ص ٤٠ ، ودافع الشهاب الخفاجي جريأً على عادته عنها ص ٦٦ ، مع نقله روایة تنسب هذه الصيغة إلى لهجة بنى أسد .

(٢) الكامل للبرد ، ص ٩٤ .

(٣) صفة جزيرة العرب ص ١٧٢ س ٢٣ ؛ وفي نفس الشعر المذكور ، استعمل لفظ : عامة بالتحفيف للضرورة .

(٤) الكامل للبرد ص ١٤٣ ؛ إرشاد الأريب ٥/٢٧ ؛ نزهة الآباء ص ٢٩٦ ؛ الختب لابن جنى في الآية ؛ ابن خالويه في الآية ؛ خزانة الأدب ٤/٥٥٥ .

(٥) انظر البديع لابن خالويه ص ٩٢ .

(٦) الاقضاصاب ص ١٩٧ فما بعدها ، حيث ساق بيته آخر مشتملاً على لفظ : شبه بالتشديد لأبي دواد الأيادي .

يبيد أن هذا لم يؤثر في أسلوبه . ولما بلغ خصم له من عدم الاليةة مبلغًا سمح له بأن يسخر منه ، مشيرًا إلى هذه العاهة الخالصية ، لم يره أبو تمام أهلاً للرد عليه<sup>(١)</sup> . والذى يأخذنه عليه نقاده هو ميله إلى الأصالة والغوص ، الذى لا يندر أن يسمو عنده إلى مستوى الغريب المهجور ، أو ينحدر إلى مستوى السوق المبتذر ، فيطبع أسلوبه بطابع المتعمل المصنوع . ومن هنا كانت سماتٍ وخصائص راجعة إلى الأسلوب ، تلك التي اتجه إليها النقد الصادر عن تذوق الجمال بوجه خاص<sup>(٢)</sup> . فقد أخذت عليه شدة جرأته في الاستعارة ؛ مثل جعله الأعمار المبكرة في الانتهاء ، تنضج قبل نضج التين والعنب<sup>(٣)</sup> ؛ ومثل حديثه عن الخطوب يكاد يُصْرَع منها الدهر<sup>(٤)</sup> ؛ وعن مشيب الفؤاد<sup>(٥)</sup> وعن ماء الملام الذى أُسقِيَه<sup>(٦)</sup> . وتجدد آخر اصطدام بالرفض ، هو اقتضابه في بعض القصائد<sup>(٧)</sup> ؛ فمثلًا تبدأ مرثيته للقائد محمد بن حميد الطوسي [رأى أبو دلف الذى يعد حجة في الحكم عليها ، إذ كان قائدًا وشاعرًا ، أن هذه المرثية تُعَيِّر من قيلت فيه حياة خالدة]<sup>(٨)</sup> [بداءً غير طبيعي بالكلمات :

كذا فليجلب الخطيب وليفسح الأمر

كذلك كان فرط ولوع الشاعر بالجنس في شتى صوره مدعاه إلى مآخذ كثيرة<sup>(٩)</sup>. وآخرون من النقاد يعيرون عليه<sup>(١٠)</sup> أنه استعمل كثيراً من الكلام البغيض ، والغريب المستكره من لهجات البدو مثل : الأَجْفَلَى ، أى

العمدة (١) / ٧٠

(٢) انظر الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ٣، ص ٣٢٩ - ٣٠٣، وقد نقل أجزاءً كثيرةً عن ابن المعز (٢٤٧ - ٢٩٦) في محسن شعر أبي تمام ومساواته.

(٣) الموسوعة، ٣٢٢؛ ٣٢٣؛ ٣٠٨.

(٤) الموسوعة، ٣٢٢

(٩) الموضع ص: ٣٢٦

(٦) المؤشح ص. ٣٢٣

١٠٩ ص ٣٦٩

١٧٢ / ٨) خزانة الأدب

٢١٧ (٩) المنشور

٢) المنشآت

الجميع<sup>(١)</sup>؛ وضدده الشّرّى، أي الأفراد . ولما كان يختسب نفسه من قبيلة طي<sup>(٢)</sup>، لم يكن غريباً أن يجيء في شعره لفاظ من لهجتها ، مثل : سَدِّك ، أي حريص مولع بالشيء<sup>(٣)</sup>؛ ومثل الاستعمال الخالص بها ، وهو وضع ذو ، موضع : الذي<sup>(٤)</sup>؛ وكذلك صيغة : أطأدت ، التي عدها ابن الأثير<sup>(٤)</sup> عليه خطأ يبدو أنها صيغة إضافية ترجع إلى لهجة خاصة ، بدلاً من صيغة : انتدلت ، المتوقعة ، أي صيغة الافتعال من : وطد .

وعلى حين يحاول الشعر الرفيع ، كما في قصائد الأعياد والمناسبات العظيمة ، أن يقترب من المُثُولِيَّة العليا للكمال اللغوي ، تبدو أشعار الفرصة والمصادفة أشد تأثيراً باللغة الدارجة . فنثلاً توجد في أشعار ابن زينب المراكبي الذي اشتهر في عهدي الأمون (١٩٨ - ٢١٨) والمعتصم (٢١٨ - ٥٢٢٧)، أحوال مثل : بَقِيٌّ ، بِإشباع كسرة القاف ، بدلاً من فتح الياء ؛ و : هُوٌ ، بِإشباع الضمة ، بدلاً من فتح الواو ؛ والمُهَمَّشَا بتحجيف المهمزة وإشباع الفتحة ، بدلاً من : المها ، والاستعمال الشعبي الحضن : حِزْرٍ هَا<sup>(٥)</sup> . وكذلك الجماز البصري الذي كان يُخشى كثيراً لبداعة لسانه ، يقول في بيت يهجو به عبد الصمد بن العذل (المتوفى ٢٤٠ هـ) هُو ، بِإشباع الضمة ، بدلاً من فتح الواو<sup>(٦)</sup> . وفي شعر آخر يعامل فعل : قرأ ، على أنه يائى ، ويصوغ منه صيغة مثل : تقرى ، تقررت ، وقرأة<sup>(٧)</sup> . كما أن مهجوته ، وهو أيضاً هجاء كبير ، استعمل أيضاً في رده عليه : هُو ، بالإشباع أيضاً<sup>(٨)</sup> . وفي شعر آخر سمي

(١) وهذا هو الاسم الوحيد على وزن : أفعى ؛ انظر سيبويه ٢٤٥ (ط : ديرنبورج).

(٢) الملوتح ص ٣١٧ ، وورد لفظ : سدك في شعر الأعرج الطائ ، انظر أعمال القاتل ص ٣٠٨ . كانا يذكر فلك . والصواب كافى للأعمال : سويد بن عدى بن عمرو بن سلسلة الطائ المعنى . والبيت بلا نسبة في اللسان والنتائج مادة : سدك (شيبالر) .

(٣) انظر الكامل ص ٥٦٤ ، ومن الغريب استعماله أيضاً لفظ : الذ ، بدلاً من : الذي ، انظر : الموسوعة ص ٣١٠ .

(٤) المثل السائر ص ١٠ . وفي ديوانه ٢٧٧ مكانها : « اعتدلت » (شیتالر) .

٢٤٧/٢١ : ٩٨/١١ : الأغاف (٥)

٦٢/١٥ : ٦١/١٢ (٦) الألغاف .

٤٧/٣) الأمانة للقالب .

الأغاني / ١٢ (٨)

المدينة التي بنتها إلية : البَصِرَةُ ، بكسر الصاد ، وقد عده المبرد عليه لحنًا<sup>(١)</sup> وهذه الصيغة ، التي هي أصل : باسُورا Bassota الغربية ، قد دحضرها أيضًا ابن قتيبة<sup>(٢)</sup> ، وإن أجاز نسبة : البصرى ، بكسر الباء . وعلى العكس من ذلك يعد من قبيل الرخصة الشعرية ، جعل عبد الصمد اسم العلم : رُهْمٌ<sup>(٣)</sup> ، ممنوعًا من الصرف . نعم يسمح البصريون ، وفي طليعتهم سيبويه والمبرد<sup>(٤)</sup> ، بمعاملة الممنوع من الصرف معاملة المنصرف لضرورة الشعر ؛ ولكن العكس كثُر كذلك منذ وقت مبكر ، بحيث لم يقر الكوفيون وحدتهم للشعراء بهذه الحرية في ضرورة الشعر ، بل كذلك كثير من البصريين<sup>(٥)</sup> . واستعمل الحسن بن وهب الكاتب ، الذي لعب دوراً هاماً في وزارة ابن الزيارات ٢٢٥-٢٣٣<sup>هـ</sup> ، الفعل المضارع مروعاً بعد : أَنْ ، مرتبين في قصيدة من أشعار المناسبات<sup>(٦)</sup> ؛ وعلى التقىض من ذلك كانت رسائله معنياً فيها بتجويد الأسلوب ، بحيث جمعت وأخرجت في كتاب<sup>(٧)</sup> .

مثل هذه الأخطاء التي ذكرناها آنفًا ، ظهرت في شعر المناسبات لختتم القرن الثاني الميلادي / الثامن الهجري . وعلى التقىض من ذلك صارت اللغة الدارجة على ألسنة المثقفين في القرن الثالث الميلادي / التاسع الهجري تبتعد بصورة مطردة من النموذج الفصيح . واللاحظات التي يذكرها الجاحظ أحياناً تدل على أن مراعاة الدقة في الإعراب تعد من الخالقة ، وأن المحادثة السليمة

(١) الموسوعة المرتبة في ص ٣٤٦ .

(٢) أدب الكاتب ص ٤٥٧ (نشر : Grünert) .

(٣) الموسوعة المرتبة في ص ٣٤٦ .

(٤) انظر المفصل للزخيري (باب الثامن عشر) وابن يعيش عليه ص ٨١ .

(٥) انظر الإنصاف ص ٣٠٥ فما بعدها ؛ خزانة الأدب ٧١/١ فما بعدها .

(٦) عيون الأخبار ٣٢/٤ ، قوله : أَنْ يَحْمِنْ بِالإِشَاعَةِ وَرَدَ أَيْضًا في شعر شبيب بن البرصاء من عصر عبد الملك ، انظر الأغاني ٩٥/١١ (وإن كان يصح روایته بالجهول) ، كما ورد أيضًا في شعر الجاهل : عوف بن الأحوص من شعراء المفضليات (قصيدة رقم ٣٦ بيت ٩) ، وساق قدامة بيتن دون تسمية قائلهما ، ولا يعلم المصدر الذي قيل فيه (ص ٤٥ س ٢) نقد الشعر : بأن أسمى ؛ وفي معجم البلدان ٧٤/٤ (أن يدرى ، و : بأن يفديك) وانظر أيضًا : Nöldeke Z. Grammatik الفقرة ٥٨ .

(٧) الفهرست ص ١٧٧ .

الحالية من اللحن كانت تنتظر فقط من الأعراب الذين ينطقون عربية خالصة ، أو من بلغاء العلماء . وبطبيعة الحال كانت هناك فروق كذلك في لغة الحادثة ، وفقاً لثقافة المتكلم . وقد يمأ ، في عهد المؤمن ( حكم ١٩٨ - ٢١٨ هـ ) ، يبدو أنه لم يكن من النادر ، أن يستعمل رجال في مناصب رئيسية جلا وراكيب مخالفة للنحو تماماً في معاملاتهم الشفوية والكتابية . فقد روى أن ميمون بن إبراهيم ، كاتب إسحاق بن إبراهيم المصعي ، ارتكب في رسالة إلى المؤمن هذا الخطأ الشنيع : وهذا المال مالا يجب على فلان . فخط المؤمن على : « مالا » ووقع بخطه في حاشية الكتاب : أتكاتبني بلحن يا إسحاق ! . فاشتد ذلك عليه وأنب كاته . نعم صحيح النحوى ابن قادم ( المتوفى ٢١٥ هـ ) الذى كان حاضراً لهذا التعبير ، جاعلاً « مالا » منصوباً على التبييز ، ولكن ميموناً رأى من الخير له تعلم النحو<sup>(١)</sup> . وكذلك روى عن إسحاق بن إبراهيم المصعي المذكور ، الذى كان يشغل منصبها هاماً ، إذ كان حاكماً لمدينة بغداد من سنة ٢١٤ حتى مات سنة ٢٣٥ هـ<sup>(٢)</sup> ، أنه اضطر بسبب لحن وقع منه في حضرة المؤمن أن يتعلم<sup>(٣)</sup> القواعد على النحوى هشام بن معاوية ( المتوفى ٢٠٩ هـ ) . كما روى أيضاً<sup>(٤)</sup> أن أحمد بن أبي خالد<sup>(٥)</sup> ( المتوفى ٢١٠ هـ ) أول وزراء المؤمن ، الذى كان يشاد بذكره<sup>(٦)</sup> لحسن خطه ، قرأ كثيراً من الكلمات في رسالة قراءة محرفة لا يفهم لها معنى . وقصة أخرى<sup>(٧)</sup> تخبر عن كاتب [ قيل إنه الفضل بن مروان الذى تولى وزارة المعتصم من ٢١٨ - ٢٢١ هـ ] أو خلفه ابن شاذى<sup>(٨)</sup> [قرأ رسالة على الخليفة ، ولم يستطع تفسير

(١) أدب الكتاب ص ١٢٩ ؛ إرشاد الأريب ١٥/٧ ؛ بغية الوعاة ص ٥٨ ؛ صبح الأنصى ١٧٠/١ .

(٢) Zambaur, Manuel ١٩٨ . وانظر في حسن تنظيمه للبريد ومعرفة الأخبار كتاب الناج المنسوب للجاحظ ص ١٧٠ ، وكتاب المحسن للبيهقي ص ١٥٤ .

(٣) إرشاد الأريب ٢٥٤/٧ .

(٤) شرح أدب الكاتب للجواليق ص ٥١ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ١٩٩ EI I .

(٦) الفهرست ص ١١ ؛ أدب الكتاب ص ٤٥ .

(٧) أدب الكاتب ص ٧ .

(٨) شرح أدب الكتاب للجواليق ص ٤٩ فما بعدها ؛ خزانة الأدب ٢١٥/١ فما بعدها .

- ١٣٦ -

الجملة : مُطِيرنا مطرأً كثُر منه الكلأ ؛ لأن لفظ الكلأ كان غير معروف له . وفي الحق لقد كان الفضل بن مروان من رجال الإدارة الممتازين ، بيد أنه لم يكن ذا ثقافة عميقة<sup>(١)</sup> . وكون الخليفة المعتصم ، على التقىض من أخيه المأمون ، لم يكن متفقاً ، أمر مشهور ؛ فقد كان يشعر بكره شديد في صباح للتعليم ، ولم يصل إلى حدق يؤبه له في القراءة والكتابة<sup>(٢)</sup> . وترسم القصة التالية<sup>(٣)</sup> الصورة التي كان يصوّره بها الخلف من بعده ؛ فقد أمر يوماً أشناس العبد التركى القيم على السلاح أن يحضر له كلباً للصيد ، ولكنه رده عليه ، لأنه كان به عرج ، فكتب إليه أشناس الأبيات المضطربة التالية :

الكلب أخذت جيد مكسور رجل جبت  
رد جيد كما كلب كنت أخذت

فأجابه الخليفة أيضاً بالأبيات المتهافة :

الكلب كان يعرج يوم الذي به بعثت  
لو كان جاء مجر أجبر رجل كلب أنت

وقد حصل الآثارك مثل أشناس منذ عهد المعتصم – بكونهم من كبار رجال الجيش ، وحرس الخليفة الخاص – على نفوذ مطرد النبو في سياسة دولة الخلافة ، ولم يكن هؤلاء الرجال متخلين بشقاوة علمية ، كما لم يكن لديهم آنذاك اهتمام أصلاً بالطموح إلى الأدب . ولم يسجل شنواذًا عن العموم إلا الفتح بن خاقان<sup>(٤)</sup> أحد أبناء الآثارك . لقد نشأ حي الفكر ، حاد الذهن ، عاقلاً أربياً ، فاسترعى انتباه المعتصم إليه وهو غلام ، وانتظم بعد ذلك في خدمة القصر ، وتنعم بنفوذ عظيم في شؤون الدولة ؛ إذ كان مؤمناً ومستشاراً للمتوكل الذي قتل معه سنة ٢٤٧ هـ . وكان واسع الثقافة ، وأمر على بن يحيى ابن المنجم فأنشأ له مكتبة عظيمة ، وكان يكثر من دعوة الأعراب والنحواء

(١) الفهرست ص ١٨٤ .

(٢) تاريخ بغداد ٣٤٣/٣ .

(٣) المحسن للبيهقي ص ٤٠٥ .

(٤) انظر الفهرست ص ١٦٩ ؛ إرشاد الأريب ١١٦/٦ - ١٢٤ .

إليه ، كما حاول هو أيضاً تعاطى الشعر . وكان يشغل العلماء بعض الأعمال الأدبية فيصدرونها باسمه . وجمع له محمد بن حبيب ( المتوفى ٢٤٥ھ ) كتابه عن قبائل العرب <sup>(١)</sup> . كما وجه إليه الجاحظ رسالته عن الأتراء <sup>(٢)</sup> . وكذلك وصفه للأداب المتبعة في قصور العباسيين ( أخلاق الملوك ) ألف بتكميل منه بعنوان : كتاب التاج ، وإن لم يكن مؤلفه الجاحظ الذي نشر الكتاب باسمه <sup>(٣)</sup> ، بل محمد بن الحارث الشعبي ؛ فتحن نعرف عالماً بهذا الاسم ، كان من حاشية الفتح ، وألف له مصنفاً يسمى : أخلاق الملوك <sup>(٤)</sup> . وفيما عدا ذلك كان قواد الأتراء لا يمتنون في الأعم الأغلب بصلة إلى الثقافة أصلاً ؛ كما أسهموا في خفض المستوى الملغوي في دوائر القصور . وببلغهم مناصب السلطان يبدأ في تاريخ العربية عصر الانحلال .

(١) الفهرست ص ١٥٥ .

(٢) نشرها فان فلوتن في : Triae Opuscula S. 1-56 ١٩٣٠

(٣) نشره أخذ ذكره باشا بالقاهرة سنة ١٩١٤ م .

(٤) الفهرست ص ٢١٢ (الشعبي) ، ويذكر الفهرست ص ١٧٠ في الكتب المنسوبة إلى الفتح بن خاقان ، كتاب اختلاف الملوك . والظاهر أنه تحرير عن كتاب أخلاق الملوك ، الذي عمله ابن الحارث المذكور ، وذكر Flügel لقب محمد بن الحارث : الشعبي ، بدلاً من الشعبي .

(٧)

## العربية تصير لغة الأدب الفصحي

في النصف الثاني من القرن الثالث المجرى – التاسع الميلادي

وهذا عهد لم يكدر يبلغ قرناً من الزمان ، امتد من وقت رجوع الخليفة المتوكلا إلى مذهب أهل السنة المحافظين سنة ٢٣٥ / ٨٤٩ ، إلى مبدأ قيام الحكم العسكري على يد أمير الأمراء : ابن رائق ، (سنة ٩٣٦/٣٢٤) ؛ ذلك الحكم الذي انتزع من يد الخليفة البقية الباقيه من الاستقلال ، وطبع دولته بطابع الانخراج إلى دوبيلات تزيد على العشر . ولقد رأى ذلك العهد الانخراج المطرد للحلقات ، المتصل الخطوات في دولة الخلافة التي ازدهرت أعظم ازدهار في ظل المأمون والمعتصم . لقد أعلن انفصاله واستقلاله إقليم تلو إقليم ، فلم يعد يؤدي الأموال إلى بغداد . ولقد نالت هذه الخسارة من الخلفاء نيلاً أشد وقعاً ، وأسوأ أثراً ، حينما اضطربت محاولتهم تأكيد سلطانهم إلى بذل الجهود الحربية التي لم يكونوا لها أكفاء على طول الأمد من الناحية المالية . وقد اشتري المعتصم – فعلاً – كثيراً من عبيد السلاح ، وألف منهم قواته الحربية . وأكثر القواد الأتراء الذين كانوا لا يقتصرن على رياضة هؤلاء الأجراء الأجانب فحسب ، بل يحملون أيضاً أعباء أجورهم وتدميرها ، سرعان ما اكتسبوا نفوذاً عظيماً في السياسة ، حتى أدى ذلك أخيراً إلى إنشاء الحكم العسكري . وبالانخراج السياسي والاقتصادي ، انحط مستوى الثقافة العامة . والتزعة السنّية المحافظة التي حددت اتجاه السياسة الثقافية لذلك العصر الانقلابي ، تبين أنها أضعف من إيقاف ذلك الانخراج . وكانت نتيجة ذلك أن خسرت العربية في هذه المرحلة الزمنية من مساحة أرضها ؛ على حين انتشرت الأساليب اللغوية المولدة ، متغلبة في أرق الأوساط .

والعمدة في الشهادة على انحطاط المستوى العام للثقافة في القرن الثالث المجرى / التاسع الميلادي هو أبرز الأدباء الممثلين للتتجديد السنّي : ابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦) الذي يشكو كثيراً في كتبه من هذه الظاهرة ، والذي

تشعى كتبه بأن تهيي للكتاب ، أى القائمين على الخدمة في الدواوين والشعون المدنية ، في قالب واضح سهل المتناول ، تلك العدة من المعارف الإيجابية التي لا غنى لهم عنها في القيام بأعمالهم . وفي مقدمات تلك الكتب التي كان لها صدى بعيد وأثر عميق ، يصف ابن قتيبة في تصوير قريب ، الضرورات الملحة في هذا السبيل : ليس لدى المأولك مال للجهود الثقافية ، ولا يجد العلماء (الحافظون) عوناً من قبلهم ؛ وفي أوساط المجتمع الراق ذهبت حركة الاعتزال بكل إجلال للنزعية السنية المخافة . أما أن المعزلة قد أحياوا العلوم القديمة ، أعني ذلك التراث العقلى للعصر القديم ، فهذا لا يعد شيئاً في نظر ابن قتيبة ؛ إذ لا يعد من علامات الثقافة المتخللة الخاصة عنده أن يتعاطى المرء شيئاً من المنطق أو جانباً من علم الفلك . نعم هو لا ينكر إنكاراً تاماً جهود المعزلة في النحو، وشرح الأشعار، وتفسير القرآن، ولكن بقدر رفقه ٤٣ في هذه الناحية ، اشتتد شكوكه من أن المعزلة جعلوا دراسة القرآن والحديث وأحكام الشريعة في المرتبة الثانية . وقد وصف الجهل المنشور لواوه ، حتى في أرق الأوساط ، بالتاريخ والأنساب ؛ فالقرشيون لا يعرفون كيفية قرابتهم إلى الرسول ، والأشراف يجهلون شجرة أنسابهم . والأمراء من الفرس لا يعرفون تاريخ أسلافهم . وعلى التقىض من ذلك يَسْعَى حديث العهد بالنعمة والمناصب الرفيعة ، انتسابهم إلى رجال انفرضت أسرهم منذ زمان طويل . وليس الحال بأحسن من ذلك في المعرفة الخاصة ؛ فعلى أحسن الفروض يجد الرجل مغلباً في فنه الذي اختص به . كما أنه ليست له ثقافة عامة . ومن يستطع أن ينشد أبياتاً من الشعر يعد عالماً ؛ ولا يعرف الساكت مطمحأً أسمى من أن يكتب خطأ جيلاً .

هذا إلى الخطاط المستوى العام للثقافة اللغوية الذي امتد إلى كتاب الدولة وزرائها ، والذى ألف ابن قتيبة كتابه : أدب الكتاب<sup>(١)</sup> . لعلاجه وكفاحه . وهو كتاب يعلمك كيف يبني المسلم المثقف في القرن الثالث أن يعبر عن أفكاره بالنطق والكتابة ، وبين لنا قبل كل شيء الأخطاء التي يجب عليه أن يتجنّبها . وفي هذا يباشر ابن قتيبة بحوثه – على خلاف الجاحظ – بدقة تحفل

---

(١) نشره : Gruenert في ليدن سنة ١٩٠١ م .

بالصغار . ولئن فقدت آراؤه وبحوثه المفصلة ذلك الظرف المتوجب الخفيف  
الروح ، الذى يجعل استطرادات المحافظ أخاذة ساحرة ، إنه ليفيدنا بفضل  
أسلوبه المعمق الجزل ، كثيراً من التفاصيل عن الاستعمال اللغوى فى عصره ،  
على الرغم من أنه على العموم ليس من عاداته أن يسمى الأسلوب أو القالب  
الذى يتنقصه تسمية واضحة . وهو فى ذلك ، كما يشير شارحه البطليوسى ،  
ينصب نفسه حامياً عن مبدأ « تنقية اللغة العربية » المتطرف . والأصمى  
على الأنصاف عمدة من يبحث بهم من الرجال ؛ وهو لا يجيز عن آرائه إلا فى  
أحوال نادرة كما أنه ينقل فى غير موضع كتاب الديباجة لأبنى عبيدة<sup>(١)</sup> .  
والأبواب من ص ٥٣٤ مأخوذه من كتاب المعانى لابن السكيت<sup>(٢)</sup> مما جر  
عليه لوم البطليوسى ونقده<sup>(٣)</sup> . ولا تنقص الكتاب أيضاً صور من الجمع  
والخلط – لا يعتمد عليها – بين أنظار المدرستين : البصرية والكوفية<sup>(٤)</sup> .  
كما لا ينقصه كثير من السهو<sup>(٥)</sup> والتضارب<sup>(٦)</sup> . بيده أن هذه المعايب لا تنقض  
كثيراً من قيمة كتابه ؛ فهو باق أحد الكتب الأساسية الأولى لمبدأ التنقية  
اللغوية ، ولا يزال يدرس في العالم العربي حتى اليوم بعنابة واجتهاد ، لغزارة  
مادته .

(١) انظر : الاقتضاب ص ١٤٠ - ١٤٢ .

(٢) انظر الاقتباب ص ٢٤٣ س ١٥؛ ص ٢٥٧ س ١٤؛ ص ٢٦٥ س ١٩.

(٣) الاقتراض ١٧٤، وانظر ص ٢٥٥؛ ٢٥٧.

(٤) الاقتضاب ص ١٧١ س ٥؛ ص ١٧٣ س ٢.

(٥) الاقتضاب ص ١٠٧ س ٣ ١٣٩ س ١٣ ٤ ١٤١ س ٤ أسفل ؛ ١٤٨ س ١ ١٥٣ س ١ ١٥٦ س ١ ١٦٢ س ٩ ١٧٨ س ٦ ١٨٢ س ٦ أسفل ؛ ١٨٣ س ٤ أسفل ؛ ١٩٩ س ٨ ٢٣٠ س ٤ ٢٣٠ س ٢ ٢٧٩ س ٤ ٢٧٣ ص ١١٢ س ٤ ٢٧٠ س ٤ ٢٣٥ س ٤ ٢٣٠ .

(٦) الاقتضاب من ١٢٣ س ١٢٧؛ ١٣٣ س ٤٦؛ ١٥٠ س ٨؛ ١٥٤ س ٣؛

١٧٥ أسفل؛ ١٧٦ س ٢ س ١٧٧؛ ١٧٨ س ٨، ١٧٩ س ١١، ١٨٠ س ٢؛ ١٨١ س ١٦،

١٩٦٣ س ١٨٢ ٤ ١٣ ٦ ١٠ ٦ ٣ ١٨٣ ٤ ١٨٤ ٤ ١٩٦٣ س ١٨٧ ٤ ١٨٨ ٤ ١٩٦٣ س

۱۸۸۱ س ۱۰۶ ۱۲۶ ۸۱ س ۱۸۹۶ ۱۰۶ ۱۲۶ ۳ س ۱۹۰۶ ۱۰۶ ۱۲۶ ۹ س ۱۹۲۶ ۱۰۶ ۱۲۶

س ۱۹۰ ۱۸ ۱۲ ۱۱ ۶ ۲ ۱۵ ۲۰ ۱۴ ۱۸ س ۳ ۱۹۶ س ۱۹۷ س ۱۹۸

٢١٤ س ١ ، ٨ ، ٢٢٣ ، ٤ ، ٢٢٦ ، ٩ ، ٢٢٧ ، ٣ ، ٢٢٩ ، ٨ ، ٢٢٩ ، ٣ ، ٢٢٧ ، ٣ ، ٢٢٣ ، ٤ ، ٢٢٦ ، ٩ ، ٢٢٣

٢٣١ س ٦ ؛ ٢٦٦ أسفل ؛ ٢٦٦ أسفل ، ٢٦٧ س ٤ ، ١٢٤ ، ١٩٦

وهكذا يحتوى القسم الأول من كتابه ، وهو «كتاب المعرفة»<sup>(١)</sup> في الستة والخمسين باباً التي يستعمل عليها ، على مادة غنية لمعرفة الثروة الفقهية ، وفي ذلك نقف على تغير المعانى التى طرأت على بعض الألفاظ إلى القرن الثالث؛ فمثلاً يستعمل الناس لفظ : مأتم ، بمعنى الاجتماع على المصيبة ؛ وليس هذا معناه الأصلى ، وإنما هو النساء يجتمعن في الخير والشر<sup>(٢)</sup> ؛ ومثل لفظ : القىء معناه الظل مطلقاً، لا ظل ما بعد الظهر كما هو الأصل<sup>(٣)</sup> ؛ ومثل لفظ : الملة ، يستعمل في الخبر ، وكان معناه الرماد الحار الذى يخبز فيه<sup>(٤)</sup> ؛ ومثل : تنزه ، يستعمل بمعنى ذهب إلى البساتين ، وكان معناه ابتعاد عن الماء والزراعة<sup>(٥)</sup> ولم يعد يفرق أحد تقريباً بين الآل والسراب<sup>(٦)</sup> ، ولا بين الفقير والمسكين<sup>(٧)</sup> ولا بين الأعرابي ، أى البدوى ( وإن عاش في الحضر ) والعربى ، أى واحد العرب وإن كان غير بدوى<sup>(٨)</sup> . ويلقى بعض الضوء أيضاً على الاستعمال اللغوى في القرن الثالث ، تلك التعبيرات التى يشرح بها ابن قتيبة بعض الألفاظ الفصيحة ؛ فكثيراً ما يستعمل في تفسير أسماء النباتات العربية القديمة ( ص ١٠١ - ١٠٥ ) ألفاظاً فارسية بمعناها . كذلك يبين الباب الذى عقده للكلمات الأعجمية في كلام العرب ( ص ٥٢٦ - ٥٣٣ ) إلى أى حد حفلت اللغة الدارجة في القرن الثالث المجرى بالعناصر الفارسية . وأكثر إفادة ( في هذا المضمار ) القسم الثالث الأساسي ، وهو كتاب تقويم اللسان ( ص ٣٣٣ - ٤٦٠ ) بما استعمل عليه من طوائف من الكلمات التى يعدها المترمتون اللغويون من قبيل اللحن أو الردى<sup>(٩)</sup> . وفي هذا يرتب ابن قتيبة الأحوال المختلفة الظروف ، الناشئة من صورة الكتابة بين الصحيح والخطأ ، ترتيباً شكلياً خالصاً ،

(١) ص ٢٣٣ - ٢١ .

(٢) ص ٢٤ .

(٣) ص ٢٧ س ١ .

(٤) ص ٣٨ س ٦ .

(٥) ص ٣٩ س ١١ .

(٦) ص ٢٨ س ٨ .

(٧) ص ٣٥ س ١ .

(٨) ص ٤٠ س ٦ .

(٩) كثير من مادة هذا الكتاب ملخص من كتاب «إصلاح المنطق» لابن السكري بلغته انظر كتابنا : لحن العامة والتطور اللغوى ١٦٢ - ١٦١ (المترجم).

بحيث إن الأحوال التي ترجع إلى مجموعات مختلفة من جهة التكوين الصوتي ، والصيغة والقوالب ، والعمل النحوي ، تضم بعضها إلى بعض دون فرق بينها . فهو يرى من ناحية الصوت أن إسقاط الهمزة ، أو تحويل ما فاوه همزة من الأفعال إلى ما فاوه واو ، أو ما لامه همزة إلى ما لامه واو أو ياء ؛ كل هذا يؤدى إلى نشوء صيغة وقوالب جديدة معيبة عند المعنين بتقنية اللغة . ومن ناحية القوالب والصيغ يذكر ما تُشدّدَه العوام وما تخففه أو العكس ، مثل الباء في آخر الكلمة ، وإبدال فعاليل بفعالل في جمع الرباعي ، وغير ذلك . والصيغة المختبرعة مثل : أَخْيَرْ وأَشَرْ ، بدلاً من : خير وشر ، واطرراح الفرق المعنى بين اسم المرة : فَعْلَة ، واسم الهيئة : فِعْلَة ؛ وما يضم والعامة تكسره ، أو يكسر والعامة تفتحه أو تضمه ، إلى غير ذلك . ويعرض كتاب الأبنية (ص ٤٦٠ - ٥٥١) نظرة عامة في صيغ الأسماء والأفعال ، إذ يعقد فيه بعد تحديد بكل نوع سلسلة من الأبواب ، يبحث فيها هذه الصيغة ، مرتبة في طبقاتها المعنية ، ويعقد في ذلك باباً خاصاً بالحرروف ، يعرض فيه ما يتعدى بمحرفين ، والأحوال التي يستعمل فيها حرف مكان آخر ، وتعاون الأفعال اللاحمة والمتعددة (ص ٥٣٤ - ٥٥١ الخ) .

ولا يخرج ابن قتيبة في كتبه الأخرى على مسائل اللغة والتربية اللغوية إلا عرضاً . في كتابه : عيون الأخبار ، يعقد لمسألة التعبير الصحيح والخطأ ؛ بباباً خاصاً (باب الإعراب واللحن ٢ / ١٥٥ - ١٦٠) يحتوى بدون ترتيب منهجي على حكم وأشعار في الإشادة باللغة الصحيحة الفصيحة ، والبحث على دراسة القواعد والنحو ، كما يشتمل على قصص وأمثلة اللحن المختلف الأنواع ، مثل : الخطأ في النطق ، والمخالفة الفاحشة لقواعد النحوية ، والتركيب العددية المغلوطة ، ومخالفة الصواب في قراءة القرآن ، وبعض المفارقات الناشئة من سوء الفهم لاصطلاحات النحو ، وعقب ذلك مباشرة (١٦١/٢ - ١٦٦) يذكر ابن قتيبة نماذج من الأسلوب الدقيق (التشادق) ، واستعمال المهجور الغريب من مادة اللغة . وفي كتابه : الشعراء<sup>(١)</sup> ، يناقش بالتفصيل ما أخذ على أبي نواس من اللحن .

---

(١) الشعر والشعراء ٩، ٥٣٠-٧ Liber poesis ٥١٦.

- ١٤٣ -

هذا على أن المطالب التي فرضها ابن قتيبة لم راعاة صحة اللغة وسلامتها لم يؤدها معاصره على وجه الدقة ، بل لقد اصطدم هو نفسه هنا وهناك في مؤلفاته مع قواعده ، وحتى الشعر الرفيع في عصره لم يف بكل مطالب مبدأ «تنقية اللغة» ؛ فلن لغة البحترى (حوالى ٢٠٤ - ٢٨٤ هـ) ، لم تعدد من حيث فصاحتها مساوية لغة معاصره السابق عليه بقليل ، وابن قبيلته أيضاً : أبي تمام . حقاً إنها لبالغة حاذقة ، إذا وسمه ابن أبي طاهر<sup>(١)</sup> (٢٠٤ - ٥٢٨٠) في شعر يهجوه به ، بأنه : لاحن جاهل<sup>(٢)</sup> ؛ لا سيما وقد قيل عن هذا الخصم إنه كان عامياً كثير التصحيف ، وإنه أنشد شعراً واحداً فلم يلحظ في بضعة عشر موضعأ منه<sup>(٣)</sup> . وأرجح من هذا وزناً ، أن أحد المعجبين بالشاعر ، وهو الوزير أبو الفضل بن العميد ، يسلم أنه تعرض له أخطاء ، وأن في شعره الكسر والإحالات واللحن<sup>(٤)</sup> ؛ وقد استعمل مثلاً : نسيبه<sup>(٥)</sup> ، بإشباع الياء بدلاً من فتحها ، بسبب القافية ، ووضع صيغة المرفوع : مُثْنِي ، بدلاً من صيغة المتصوب : مُثْنِي ، في البيت :

يامادح الفتح ويَا آمَلَه لست امرئاً خاب ولا مثُنْ كذب<sup>(٦)</sup>

كما قال : مساعيك ، بالإشباع ، بدلاً من نصب الياء في البيت :  
ولو أنصف الحساد يوماً تأملوا مساعيك هل كانت بغدرك أليقا<sup>(٧)</sup>

واستعماله لفظ : طَلْحَات<sup>(٨)</sup> ، بسكون اللام بدلاً من فتحها ، في جمع طلحة ، يمكن الاعتدار منه – على أسوأ الاحتمالات – برخصة الشعر . وقد

(١) هو مؤلف كتاب : أخبار بغداد ويعرف بابن طيفور (الفهرست ص ٢٠٩) . وقد أخرج جزءاً منه مع ترجمته إلى الألمانية : H. Keller

(٢) الموسوعة من ٣٣٣ ص ٣٣٣ .

(٣) الفهرست ص ٢٠٩ .

(٤) الكشف عن مساوى المتنبي . للصاحب بن عباد (القاهرة ١٣٤٩) ص ٨ .

(٥) في الموضع السالف ص ٩ س ١ .

(٦) الموسوعة : ص ٣٣٣ س ١٤ .

(٧) الموسوعة من ٣٣٣ س ١٦ .

(٨) خزانة الأدب ٣٩٤/٣ .

- ١٤٤ -

حملت المحاكمات وضيق العطن خصوصه على أن عَدُوا عليه بعض تعبيرات أخرى من اللحن ، مثل التهافت في مطلع إحدى القصائد :

محل على القاطول أخلق دائره<sup>(١)</sup>

فإذا كان دائراً فكيف يخلق ؟ على أنه لا جرم كان يُعْتَنِي نفسه في سبيل صحة اللغة وسلامتها ، كما كان يلقى أشعاره في تصريح وإعجاب بنفسه<sup>(٢)</sup> :

وشاعر آخر لم يكن أقل شهرة في هذا العصر ، وهو ابن الروى (٢٢١) –  
 حوالي ٢٨٣ هـ ) يعتذر في قصيدة له من أخطاء لغوية زلت من قلمه في رسالة كتبها إلى صديق<sup>(٣)</sup> . كما أن أَحْمَدَ بْنَ الْمَدْبُرَ ، الَّذِي كَانَ يَتَقَلَّدُ إِدَارَةَ الْأَمْوَالِ فِي دِمْشَقَ حَوْلَى سَنَةِ ٢٤٠ هـ ، ثُمَّ نَقْلَ إِلَى مَثَلِ هَذَا الْعَمَلِ بِمَصْرَ سَنَةِ ٢٤٧ هـ<sup>(٤)</sup> ، ذَكَرَ فِي قصيدة وَاحِدَةً لِفَظَ : رَضِيَ ، بِإِشْبَاعِ الْكَسْرَةِ بَدْلًا مِنْ : رَضِيَ بِفَتْحِ الْيَاءِ ، وَرَفَعَ الْمَصَارِعَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ بَعْدَ أَدَاءِ النَّصْبِ<sup>(٥)</sup> (أن).

ومن المقيد هنا على وجه الخصوص ، حالة على بن محمد الحِمَّانِي العلوي<sup>(٦)</sup> .  
 لقد كان حفيداً لجعفر الصادق ، وابنا لحمد الدبياجة ، الذي دعا لنفسه بالخلافة في مكة سنة ٢٠٠ هـ ؛ بيد أنه غُلِيَّبَ على أمره ، وُجِلَ إلى بغداد ، ثُمَّ مات بعد ذلك بقليل في منفاه بخراسان . وعلى بن محمد نشأ بالكونفية في حي بني حِمَّانَ – ومن هنا نسبته –<sup>(٧)</sup> ، ونصب في وقت متأخر نقيباً للأشراف

(١) الموسوعة ٣٣٧ ص ١٨ .

(٢) انظر عرض أبي الفرج وتصويره في الأغافل ١٧٣/١٨ ؛ وذكره ياقوت في إرشاد الأربع ٤٠٤/٦ .

(٣) أدب الكتاب ١٣٣ ص .

(٤) انظر لدوره في هذا المنصب C. H. Becker, Beitraege zur Geschichte Aegyptens II ١٤٢-١٤٨، ١٥٤-١٦١ (Strassburg ١٩٠٣)

(٥) الموسوعة ٣٤٩ ؛ أما أن ابن المدبر أرسل بهذه القصيدة إلى ديك الجن الشاعر ، المخوق (كما في ابن خلكان ١/٥٢٥) سنة ٢٣٥ هـ ، على حين كان ابن المدبر المذكور والياؤ ابن طولون على دمشق ، فهذا لا يتفق ، لأن ابن طولون لم يستول على سوريا إلا سنة ٢٦٤ هـ .

(٦) المسعودي ٣٣٦/٧ - ٣٤٢ .

(٧) كذلك في البصرة نسب من سكن في حي بني حمان وإن لم يكن منهم ، اليهم ؛ انظر معجم البلدان ٣٣٠/٢ .

العلويين . ولقد كان من الشعر على عرق : وكثيراً ما تخطر له خواطر جيدة ؛ وكان يمكى قتلى بيته في أبيات مؤثرة ، حتى عده بعض الشيعة المتصوفين أشعر شعراء قرنه ؛ بيد أنه لم يتلق دراسة منتظمة في النحو ؛ وكان يستحبى ، وهو كبير السن ، أن يسأل غيره ؛ ولهذا وجدت في شعره أحطاء شنيعة ، كما يقول في محييا جميل :

[فِي وَجْهِ ذَلِكَ أَخْاطِبُ مَسَوَّدَةً] وفي مضاحك هذا الدر منثور

فالوجه أن يكون : منثوراً<sup>(١)</sup> . وله شعر آخر<sup>(٢)</sup> ، ادعاه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لنفسه ، يقول فيه :

\* أرقت وما ليل المصاص بنايم \* فيستعمل صيغة مفعول الرباعي ، المستعملة في اللغة الدارجة ، بدلاً من مفعول الثلاثي : متضيّم .

وكان حال اللغة الدارجة أسوأ من ذلك كثيراً . . وقد كان لابد أن أن ينحط مستوىها إذ كان عوام الأتراء هم أصحاب الكلمة في القصر . فقد وصل الأمر أخيراً إلى أن صار الوزير نفسه يتكلم اللغة الدارجة : روى أن إسماعيل بن بليل ، الذي ولى الوزارة في حكم المعتصم (من سنة ٢٦٥ - ٢٧٧هـ) قال في أحد المجالس : قد كان أنتي ، بضم الهمزة ، بدلاً من : قد كان ثني وقد أضاف خصمه ابن ثوابه إلى كلامه : في المفرع ، بصوت غير مسموع ، كما لو كان قد قال : قد كان أنتي في المخْرُء<sup>(٣)</sup> ؛ وجلب على نفسه بذلك ازدياد كره الوزير إياه . واستعمال صيغة الرباعي بدلاً من صيغة الثلاثي ظاهرة مألوفة في اللغة الدارجة ، بحيث لم يزل البصريون والسكوفيون ، منذ عهد الأصمى وقطرب ، يعالجون دائمًا موضوع فعلت وأفعلت<sup>(٤)</sup> .

(١) المرشح ص ٣٤٦ وهو يجوز أن يكون خبراً تتعلق به الجار والمحرر ، والدر مبتدأ . كما يجوز أن يكون (منثور) خبراً لمبدأ محنوف ، والتقدير : « وهو منثور » .

(٢) المرشح ص ٣٥٦ .

(٣) إرشاد الأريب ٣٩/٢ .

(٤) انظر الفهرست في أخبار النحوين والقويين وأسماء كتبهم في الفنون الثلاثة من المقالة الثانية ، كما يعالج ابن قتيبة هذا الموضوع في أدب الكاتب ٤٠٠ - ٣٩٨ (وانظر الاقتباس ١٩٣ - ١٩٥ وشرح الجواليق (٢٨١ - ٢٨٣) ، وكذلك عالجه ثلث في كتاب الفصيح ٥ - ٧ . (١٠ - العربية)

وبطبيعة الحال كانت هنا أيضاً فروق عظيمة، في طريقة التعبير اللغوي من ناحية الصحة اللغوية ، ترجع إلى التربية ، والنسب ، والمركز الاجتماعي . فرجال ، كالطاهريين ، كانوا لا يزالون يقيمون وزناً للغة الفصيحة . وقد كان جدهم طاهر بن الحسين ( ١٥٩ - ٢٠٧ هـ ) خراسانياً ، ولغته الأصلية الفارسية ؛ ويروى أن آخر مقاله هو : دَرْمَرْج نِيزْ مَرْدَى فَائِدُ<sup>(١)</sup> ( حتى في الموت يجب أن يكون الإنسان رجلاً ) . وروى إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، الذي عمر طويلاً ( ١٥٠ - ٢٣٥ هـ ) ، على لسان إسحاق بن إبراهيم المصعي ، من رهط طاهر المذكور ، أنه قال بالفارسية في قصيدة له من أخرىات قصائده : \* يَا مَرْدَمَى نَخَ<sup>(٢)</sup> \* ( يارجل اشرب خمراً ) . وإلى جانب هذا تمكن طاهر من العربية تملقاً تماماً باللسان والقلم . وقد اشتهرت بصورة خاصة رسائله التي يهنى فيها المؤمنون عند دخوله إلى بغداد<sup>(٣)</sup> ، وكتاب مطول له حافل بالصائح الغالية لابنه عبد الله عندما نصب هذا في عام ٢٠٦ واليأ على ديار بكر<sup>(٤)</sup> . ويروى أنه استاء أشد الاستباء عندما خاطبه أحد الكتاب بعبارة سقيمة ملحونة<sup>(٥)</sup> . والآن ، بعد جيلين من ذلك العهد ، كان حفيده محمد ابن عبد الله ( ٢٠٩ - ٢٥٣ هـ ) يحتسب في عداد أعلم الرجال وأوسعهم ثقافة في الدولة . ولما دعاه المتوكل إليه سنة ٢٣٧ هـ من خراسان إلى العراق ، ولاه ولية مضاعفة ، إذ جعله واليأ على الشرطة ببغداد ، وقيا على الجزية والخراج ، ولما كان نزيهاً في علاقاته ، وائقاً من نفسه ، لبقاً في مواقفه ، وإلى ذلك مسامراً حلو الحديث ، فسرعان ما انتهت إليه الكلمة في بلاط الخلافة . ولقد كان يقيم وزناً للغة المتخير ؛ وآخذ مرة حاجبه محمد بن أبي عون مازحاً له ، على كثرة استعماله لفظ : قد ، في البيتين التاليين اللذين بعث بهما إليه مع أزهار من بستانه وريحان :

(١) تاريخ الطبرى / ٣ / ١٠٦٣ .

(٢) الألغان / ٥ / ٨٥ .

(٣) الفهرست ص ١٧٠ .

(٤) ذكره الطبرى / ٣ / ١٠٤٦ - ١٠٦٢ ؛ وكتاب بغداد لابن أبي طاهر ص ٣٦ ؛ والكامل لابن الأثير / ٦ / ٢٥٨ .

(٥) إرشاد الأريب / ١ / ٢٤ .

- ١٤٧ -

قد بعشنا بطيس الريحان خير ما قد جُنِي من البستان  
قد تخيرته خير أمير زانه الله بالتنى والبيسان

[ حيث وقع على ظهر رقعته :

عون ياعون قد ضللت عن القصص  
ـ دو عمّيت عن دقيق المعانى  
حسو بيتك « قد وقد » فلليل كم ؟ <sup>(١)</sup>  
ـ قدك الله بالحسام اليانى [ ]

ومع هذا فقد كان محمد بن عبد الله نفسه غير ثابت القدم في قواعد النحو ، مثلاً في قواعد أسماء العدد ، فهو لم يكن يكتب : ألف درهم واحدة ، فحسب ، بل كان يغير الصيغة على هذا الوجه أيضاً كلما وقعت عينه على التعبير الصحيح : ألف درهم واحد ، في كتاب ، بل كان كتابه إذا أنكروا ذلك عليه يغاظ عليهم وبهابونه فلا يبتدئونه فيه بشيء ، ولم يستطع إلا ثعلب (٢٠٠) <sup>٥</sup> هـ أن يرشده في إحدى المناسبات إلى الصواب ، حينها علم بذلك ؛ فقد أخبره الأمير يوماً أن الفراء ألف كتابه : البهـ ، عبد الله أبيهـ ، بأمر من طاهر جدهـ ، فذكره ثعلب بكتاب : المذكر والمؤثر ، الذي ألفه الفراء أيضاً لآل طاهر ؟ ولما سأله محمدـ دون شعور – عن موضوع هذا الكتاب تعلمـ ، بهذه المناسبة ، من ثعلب ، أنه ينبغي أن يقال : ألف درهم واحد (٢) <sup>٦</sup> هـ . وأسوأ من هذا أن أخيه سليمان بن عبد الله – صاحب الشرطة ببغداد ـ (٢٥٥) <sup>٥</sup> هـ – صاغ مثني لاسم العدد : عشرون ، في شعر له :  
\* وقد مضت لي عشر ونان ثنتان (٣) \*

كما أن آخر النابحين من الطاهريين ، وهو الرفيع الثقة : عبيد الله بن عبد الله (٣٠٠ - ٢٣٣) هـ – كان نابه الذكر في تلحين الأغانى بوجه

(١) الموسوعة ٣٤٩ فـ بعدها .

(٢) إرشاد الأريب ١٣٧/٢ .

(٣) الموسوعة ٣٥٧ . وذكر الرقم : اثنين أو اثنين بعد المثلث ليس أمراً نادراً في العربية ؛ في القرآن الكريم : « زوجين اثنين » (سورة ٣/١٣) « اثنين اثنين » (سورة ١٦/٥١) وانظر أمثلة أخرى في كتاب Wright II 236 وما ألبأ الشاعر إلى التكرار وزن الشعر وقافية (شبيتالر) .

خاص<sup>(١)</sup> — جلب لنفسه المؤاخذة على شئ أنواع التساهل في أشعاره ، مثل استعمال : رَضِي ، بالإشباع بدلاً من فتح الياء<sup>(٢)</sup> .

هذا ، فالتربيـة النحوـية ، والإلـام الراسـخ باللغـة الفصـحـى ، لم يكونـا بعد إـذ ذاك ؛ حتى في الأوسـاط الراـقـية للمجـتمـع الإـسـلامـي ، أمـراً مـفـهـومـاً بالـبـداـهـة فـقد صـارـ الكلـام على طـرـيقـة الـبـدـو ، أـى بالـمـاحـفـظـة عـلـى جـمـيع ظـواـهر الإـعـرـاب — الـأـمـرـ الـذـى كـانـ يـعـدـ في الـقـرـنـ الثـالـثـ مـنـهـى التـقـرـيـطـ لـتـبـيـرـ أـحـدـ الـبـلـغـاء — يـعـتـدـ نـسـجـاً عـلـى الـطـرـازـ الـقـدـيمـ الـذـى لا يـسـاـيـرـ روـحـ الـعـصـرـ . ولـما زـارـ الـخـلـيفـةـ الـمـعـتـضـدـ مـديـنـةـ الـبـصـرـةـ سـنـةـ ٢٨٣ـ هـ . معـ وـزـيرـهـ القـاسـمـ بـنـ عـبـدـ اللهـ ، اـسـتـقـبـلـهـ أـعـيـانـ الـمـدـيـنـةـ وـجـمـعـ غـيـرـ مـنـ الشـعـبـ عـلـى الـقـوارـبـ وـالـسـفـنـ . وـقـدـ تـقـدـمـ إـذـ ذـاكـ أـبـوـ خـلـيفـةـ الـجـمـحـىـ الطـاعـنـ فـيـ السـنـ (ـحـوـالـىـ ٢٠٥ـ هـ)ـ اـبـنـ أـخـىـ الـعـلـامـ الـلـغـوـىـ : اـبـنـ سـلـامـ الـجـمـحـىـ ، وـتـلـمـيـدـهـ ، فـأـلـقـىـ شـكـاتـهـ بـخـصـرـةـ الـخـلـيفـةـ مـنـ الـبـلـاءـ الـشـدـيدـ الـذـى قـاسـتـهـ الـمـدـيـنـةـ مـنـ ثـورـةـ الـرـبـيعـ ، فـيـ لـغـةـ مـنـ ذـاكـ الـطـرـازـ الـقـدـيمـ الـبـالـىـ — إـذـ اـعـتـادـ إـلـيـرـابـ مـنـذـ صـبـاهـ ، حـتـىـ صـارـ فـطـرـةـ ثـانـيـةـ لـهـ — بـجـيـثـ دـهـشـ جـمـيعـ الـحـاضـرـينـ<sup>(٣)</sup> . كـماـ أـثـبـتـ أـبـوـ خـلـيفـةـ أـيـضاًـ أـنـ لـغـوـيـ مـتـزـمـتـ ، باـعـتـارـضـهـ عـلـىـ استـعـمالـ الـسـكـلـمـةـ الـقـارـسـيـةـ : هـمـ ، بـمـعـنـىـ أـيـضاًـ<sup>(٤)</sup> .

وـمـعـ هـذـاـ ، فـلـيـسـ أـوـضـعـ دـلـالـةـ عـلـىـ تـلـكـ الـهـوـةـ السـجـيـقـةـ ، الـتـىـ قـامـتـ فـيـ حـيـاةـ الـلـغـةـ عـلـىـ مـرـقـنـ الـثـالـثـ الـهـجـرـىـ /ـ التـاسـعـ الـمـيـلـادـىـ ، بـيـنـ الـعـرـبـيـةـ الـقـدـيمـةـ الـفـصـحـىـ ، وـالـعـرـبـيـةـ الـمـوـلـدـةـ الـآـخـدـةـ فـيـ الـاـنـتـشـارـ ، مـنـ أـنـ النـحـوـيـنـ أـنـفـسـهـمـ فـيـ خـتـامـ الـقـرـنـ الـمـذـكـورـ ، لـمـ يـكـونـواـ يـسـتـعـملـونـ الـلـغـةـ الـفـصـحـىـ فـيـ مـسـاـمـرـاـتـهـمـ وـمـخـاـوـرـاـتـهـمـ .

فـهـاـ هـوـ ذـاـ ثـلـبـ (ـحـوـالـىـ ٢٠٠ـ هـ)ـ لـمـ يـجـرـ فـيـ مـاضـرـاتـهـ عـلـىـ قـوـاعـدـ الـإـعـرـابـ ، إـذـ كـانـ يـدـخـلـ الـمـجـلـسـ ، فـيـقـومـ لـهـ تـلـمـيـدـهـ ، فـيـقـولـ لـهـ : أـقـدـواـ ، بـفـتـحـ الـهـمـزـةـ<sup>(٥)</sup> ، كـماـ فـيـ الـلـهـجـةـ الدـارـجـةـ إـذـ ذـاكـ ؛ بـيـدـ أـنـ الـعـالـمـ الـمـحـدـثـ الـكـبـيرـ :

(١) الأغاف ٤٤/٨ - ٥٥ .

(٢) الملوتح ص ٣٥٧ .

(٣) المسعودي (١٣٤٦ هـ) ٤٦٦/٢ .

(٤) تاريخ بغداد ١٩٤٤/٤ .

(٥) إرشاد الأريب ١٣٩/٢ .

إبراهيم الحربي (المتوفى ٢٨٥ هـ) لم يجد في ذلك شيئاً معييناً<sup>(١)</sup>. ولم يراع ثلث التحوّل في رسائله؛ فقد كان إذا كتب كتاباً إلى بعض إخوانه من أصحاب السلطان لا يخرج عن طبع العامة<sup>(٢)</sup>. وعلى الرغم من ذلك، كان ثلث أبرز ممثلي مدرسة الكوفة في عصره. وكتابه : *الفصيح*<sup>(٣)</sup> ، الذي يحتوى في ترتيب واضح، وأسلوب مختصر، على طائفة كبيرة من قوالب اللغة الفصحى التي كانت تهدّدها إذا ذاك قوالب أقل منها فصاحة، أو قوالب أخرى من لغة العامة، هو من أكثر الكتب الأساسية في مبدأ «تنقية اللغة العربية» تداولاً بين القراء. وكان له تأثير باقٍ الأثر بعده الخطر، بعد قرون طويلة؛ على الرغم من سوء حكم ابن الأثير عليه<sup>(٤)</sup>. وروى عن نحو آخر في هذا العصر، هو الكوفي محمد بن الحسن الأحوال أنه كان لحاناً يستعمل صيغًا من لغة العامة؛ وقد سمعه نبطويه (٢٤٠ - ٣٢٣ هـ) يقول مثلاً : لم يزلوا بدلاً من : لم يز الوا<sup>(٥)</sup>.

وهذا هو الأخشن الأصغر (حوالي ٢٣٥ - ٣١٥ هـ) الذي اشتهر قبل كل شيء بإخراج كتاب السكامل لأستاذه المبرد، وكتاب التوادر لأبي زيد، يستعمل الاسم المنسوب، في شعر نظمته ارتجالاً، كما لو كان حالياً من الإعراب<sup>(٦)</sup> ! وقد فعل مثلاً ذلك أيضاً - على غير أهبة واستعداد - معاصره المفجّع، (المتوفى ٣٢٧ هـ)؛ على حين أنه راعي التنوين في إحدى قصائده الفاخرة مراعاة دقيقة<sup>(٧)</sup>.

وبهذا توطّد تماماً الحد الفاصل، بين العربية الفصحى التي صارت منذ ذلك العهد لغة العلم والأدب، والعربة المولدة الدارجة، حوالي نهاية القرن الثالث، حتى في الأوساط المثقفة كذلك.

(١) تاريخ بغداد ٢٠٦/٥ .

(٢) إرشاد الأريب ١٤٢/٢ .

(٣) نشره : J. Barth ، في ليفزج سنة ١٨٧٦ م ، ثم نشره محمد أمين الخانجي بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ ، مع شرحه لأبي سهل الهروي في مجموعة «الطرف البهية لطلاب العلوم العربية». وقد أعاد نشره محمد عبد المنعم خفاجي بالقاهرة سنة ١٩٤٩ (المترجم).

(٤) المثل السائر ص ١٧٥ .

(٥) إرشاد الأريب ٤٨٣/٦ .

(٦) إرشاد الأريب ٣٢١/٥ .

(٧) إرشاد الأريب ٣١٩/٦ .

(٨)

## عربة الأدب في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)

أخذ النمو والانتشار اللغوي ، في خلال القرن الثالث المجري / التاسع الميلادي ، يطارد العربية الفصحى التي نظم النحاة قواعدها ، والتي قامت على أساس لغة البدو ، ويعن في عزها باطراد من جميع مناطق اللغة الدارجة . بيد أنها ظلت في الأدب الملكة المتوجة التي أقسم لها يمين الطاعة كل من انتهى إلى الثقافة بسبب أو نسب . لقد منحت كل أثر أدبي ثوبه اللائق به ، وإن كانت فروق الأسلوب بين الشعر الرفيع ، وأبيات الفرص والمناسبات ؛ وبين النثر الفني المنمق ، وأدب المسامرة والمحاورة ؛ وبين كتابة العلماء ، وكتب الأدب المتخصص؛ قد صبغت التعبير اللغوي بشتى الأصباغ والألوان. بيد أنها مع ذلك كله لم يعد يسمع رنينها في الخطاب الحي . وإن لهجات البدو أنفسهم تعدد مع نقائصها الأخرى القديم ، خشنة غير مهذبة . وعلى الرغم من ذلك فقد تركت — لأنها وحدتها كانت ذات قواعد ثابتة ، ومعايير مقدرة — آثاراً خفياً في الفظ المنطوق ، وإن كان مختلف الصور بحسب درجة المتكلم من الثقافة ، وباختلاف الوسط الذي يتراوح فيه الفظ .

والنتائج ، التي ترتب على النمو اللغوي المذكور بالنسبة للأسلوب ، أبرزها قدامة بن جعفر، في الحد الزمني الفاصل بين القرنين الثالث والرابع ، في كتابه: نقد النثر<sup>(١)</sup>. إنه يتحدث ، لا عن رأى نظرى فحسب ، بل لقد استفاد من التجارب العملية لكاتب لم يزل يتربى في أوساط الخدام الديوانية بدار السلام، ويترقى إلى أن صار كاتب الدولة في إحدى وزارات بغداد<sup>(٢)</sup> ،

(١) لقد ثبت علمياً زيف عنوان هذا الكتاب ، ونسبته إلى قدامة بن جعفر ، فاسمها في الحقيقة هو : « البرهان في وجوه البيان » ومؤلفه هو : أبو الحسين بن وهب الكاتب . وقد نشره الدكتور أحمد مطلوب في بغداد سنة ١٩٦٧ ، ثم نشره الدكتور حفيظ شرف بالقاهرة سنة ١٩٦٩ م (المترجم) .

(٢) إرشاد الأريب . ٢٠٥/٦ .

وعرف ما ينتظر من كاتب جيد الأسلوب ، وهو يفرق في الأسلوب بين السخيف الملحون ، والجزل الفصيح ( ص ١٢٠ ) ؛ فهذا من سمات الطبقات الحصيفة المثقفة من العلماء والحكماء ، وذلك من كلام الرعاع والعوام ، إلا أن الحكماء ربما استعملته في خطاب من لا يعرف غيره طليباً لفهمه ؛ وللفظ السخيف موضع آخر لا يجوز أن يستعمل فيه غيره ، وهو حكاية النوادر والمضاحك وألفاظ السخفاء والسفهاء ؛ فإنه متى حكهاها الإنسان على غير ما قالوه خرجت عن معنى ما أريد بها ، وبردت عند مستعملها ، وإذا حكهاها كما سمعها وعلى لفظ قائلها ، وقعت موقعها وبلغت غاية ما أريد بها ( ص ١٢٠ س ٤ - ٨ ) . أما في الصلات بين الخاصة والعلياء ، والعرب الفصحاء ، والكتاب الأدباء ، فالمقام للأسلوب الجزل ، وهو يتعلم بمجالسة الأدباء ، وعشيرة الخطباء ، وحفظ أشعار العرب ومناقلاتهم ، والختار من رسائل المؤلدين الأدباء ومكتباتهم . وللمران على ذلك ينبغي التبشير بتعليم الأولاد كتابة الرسائل ، ورواية أشعار القدماء ، وحفظ القرآن ( ص ١٢٠ أسفل الصفحة ) .

كذلك يتخد قدامة موقفاً خاصاً تجاه نقاء اللغة ، والحن فيها : فهو يرى أن الفصاحة الكاملة ، وصحة الإعراب ، لا تم إلا لأعرابي بدوى نشا حيث لا يسمع غير الفصاحة والإصابة ، فيتكلم حسب عادته وسيطته . نعم قد فقد بعض هؤلاء قوة السيطرة على لغتهم ، فوقعوا في الحن لقربهم من الحاضرة ، وزردهم على طريق السابلة ، فسقطت عند أهل اللغة منزلتهم ، ودُفعت ورُفقت لغتهم . أما الأعراب الخالص فإنهم متى خوطبوا بالحن لم يفهموا . وفيما عدا هؤلاء لا توجد اللغة الفصيحة إلا عند المؤلدين الذين تأديبوا ونظروا في النحو واللغة ، وأخذوا بها أنفسهم ، ومرروا عليهم لسانهم حتى صار ذلك عادة لهم . أما لغير هذين النوعين فليس يصح لعرب ، وهذا كثُر الخطأ في النحو ، وانتشر الحن والفساد ، بحيث أصبح متفرغاً بوجه عام .

نعم يرى قدامة من الطبيعي أن يستعمل الحن ويُعتمد له عند الرؤساء والملوك الذين يلحون ولا يعربون ؛ فإن الرئيس والملك لا يحب أن يرى أحداً من أتباعه فوقه ؛ ومتى رأى أن أحداً منهم قد فضله في حال من الأحوال

- ١٥٢ -

نافسه وعاده وأحب أن يضع منه ، كما صوب قدامة رأى رجل تكلم في مجلس بعض الخلفاء الذين كانوا يلحون ، فلحن ، فعوتب على ذلك ، فقال : لو كان الإعراب فضلاً لكان أمير المؤمنين إليه أسبق (ص ١٢٤) ؛ كما يذكر أن اللحن قد يستملح من الجواري والإماء ، وذوات الحداة من النساء لأنه يجرى مجرى الغرارة منهن وقلة التجربة . وفيما عدا ذلك يطلب ، إذ كان من المترمدين من رجال اللغة ، أن يتحرى الكاتب تجنب اللحن . على الأقل في اللفظ المكتوب ، الذى لا يغتفر فيه اللحن ؛ لأن الطرف يتكرر فيه ، والروية تحول في إصلاحه ؛ وليس كمثل الكلام الملفوظ الذى يجرى أكثره على غير رؤية ولا فكرة (ص ١٢٤ س ٤) .

وقد أضاف قدامة إلى مطالبة النظرية في « نقد النثر » الإرشاد العملي إلى الأسلوب الجزل في كتابه « جواهر الألفاظ <sup>(١)</sup> ». في المقدمة (ص ٨-٢) يبين في لفظ قليل دال ، المطالب التي ينبغي أن تتحقق في الأسلوب الجزل ، ويوضح أنواعه بأمثلة أحسن اختيارها .

ولما كان يعيش في عصر شهد النثر المسجوع فيه باكورة ازدهاره ببغداد <sup>(٢)</sup> فقد رأى من الطبيعي أن يستخدم الكاتب النثر السجع من حيث هو أداة من أدوات الأسلوب ، وألقى وزناً راجحاً لـكـالـأـسـلـوـبـ من حيث الشكل والقالب : غنى الترصيع ينبغي أن تكون الألفاظ متساوية البناء ، متفقة الانتهاء ، سليمة من عيب الاشتباه ، وشين التعسف والاستكرياء ، يتوخى في كل جزأين منها متوالين أن يكون لها جزان متقابلان : يوافقانهما في الوزن ، ويتفقان في مقاطع السجع ، من غير استكرياء ولا تعسف ، كقول بعضهم : « حتى عاد تعرى يضلك تصريحاً ، وصار تمريضك تصحيحاً ». <sup>(٣)</sup>

وي ينبغي أن يتسم البناء والسبع ، اتساقاً فنياً دقيقةاً ، كما في الحديث المنسوب إلى النبي [ صلى الله عليه وسلم ] أنه قاله جرير بن عبد الله البجلي <sup>(٤)</sup> :

(١) طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣٢ م .

(٢) انظر : Mez, Die Renaissance des Islams ٢٣١

(٣) كنز العمال ٤٤/٨ ؛ الجامع الصغير للسيوطى ، وهو ينقله عن : غريب الحديث لابن قتيبة .

- ١٥٣ -

« خير الماء الشّيم ، وخير المال الغَنم ، وخير المزعى الأَرَاكُ والسلَّم ،  
إذا سقط كان لَجِينَا ، وإذا يبس كان دَرِينَا ، وإذا أكل كان لَبِينَا ». .

كما ينبغي اعتدال الوزن ، كما في قوله : « اصبر على حَسْر اللقاء ،  
ومَضَض التزال ، وشدة المصاع ، ودoram المِراس ». على حين أنه لو قال :  
على حر الحرب ، ومضض المنازلة ، وشدة الطعن ، ومداومة المِراس ،  
يفقد ذلك التوازن .

ولكن قدامة لا يكتفى قط بهذه المطالب المتعلقة بالأسلوب الشكلي ، بل  
يعنى أيضاً عنابة فائقة بالموضوع . فثله الأعلى هو الانسجام بين القالب والمادة ،  
وهذا الانسجام يظهر أولًا في صحة التفسير بحيث يتعانق التعبير اللغوي تمامًا مع  
جري التفكير دون نقص ولا زيادة . . .

وفوق هذا يفترض هذا الانسجام أن يكون كل مقطع جزءاً من المعنى ،  
ويستقل في ذاته (توفير تمام الأقسام) . كما أن الجمل المتراوحة تقابل أيضاً  
في التفكير (تصحيح المقابلة) ؛ كما في المثال : « أهل الرأي والنصح ؛  
لا يساوهم ذُؤُو الأَفْن والغش ؛ وليس من جم إلى الكفاية الأمانة ، كمن  
جمع إلى العجز الخيانة ». .

وكذلك في وسائل التعبير ينصح قدامة ، إلى جانب ما يتصل بالقوالب ،  
كمراعة الاشتلاف في الجناس مثلاً ، استخدام ما يتعلق بالمعنى أيضاً به . فيبرز  
الفكرة إبرازاً جيلاً كالاستعارة ، والبالغة ، والتثليل ، وما سماه : إرداد  
اللواحق ، وهو نوع من الكناية فسره بأن تراد من اللفظ دلالة على معنى ،  
فلا يؤتى باللفظ الخاص بالدلالة على ذلك المعنى بنفسه ، بل بالفظ هو رده  
وتتابع له ضرورة ، ليكون في ذكر التابع دلالة على المتبع .

حقاً يحمل النثر الفنى في طياته دائمًا مظنة تغلب الأسلوب على الفكرة  
وقدامة نفسه لم يحتط لذلك ، بل ساعد عليه — من حيث لا يشعر — على الرغم  
من شدة حرصه على الانسجام الحقيقى بين الشكل والموضوع ؛ إذ جعل مكاناً  
في وسائل الأسلوب لكل من : « العكس » في نظم البناء ، أى صوغ الألفاظ ،

و « تكافؤ » المعانى في المقابلة والتوازى من جهة اللفظ أيضاً ؛ ففي كلتا الحالتين يخضع المعنى للفظ ، ويكون موقعاً عليه ، صادرآ عنه ؛ فمثل : اشكر من أنعم عليك ، يقتضى في العكس : وأنعم على من شكرك ؛ ويبقى بعد هذا النظر فيما إذا كان ذلك التعبير ذا معنى مقبول . وقد تولد أفكار عميقة على هذا النحو ، كما تدل عليه الجملة التي ذكرها قدامة عن عمرو بن عبيد : اللهم أغنني بالفقر إليك ، ولا تفقرني بالاستغناء عنك .

والامر كذلك في حالة « التكافؤ » ، إذ يعين عنصر المقابلة في الألفاظ مادة التفكير ، كما في قوله : كدر الجماعة ، خير من صفو الفرقة ؛ فإن التركيب الأول بكلام شقيه ؛ يتطلب التركيب الثاني بكلام شقيه أيضاً . وهذه الجملة تفيد معنى مقبولاً ، ولكن الأمثلة الأخرى التي ساقها قدامة تدل على مبلغ المسخ غير الطبيعي للأفكار ، الذى تؤدى إليه هذه الوسائل اللفظية ، إذا رفعت إلى مرتبة المبدأ والمذهب في الأساليب .

فثلا تستدعي صورة المدوح الذى يحصد بسيفه من يكفر نعمه ، عكس هذه الصورة ، أى أن يزرع بنعمه من يشكوه : إنما هو مالكَ وسيفك ، فازرع بهذا من شكرك ، واحصد بهذا من كفرك .

وهنا تظهر الخطوات الأولى لذلك التطور الذى جعل النثر العربى المسجوع يتحوال سريعاً إلى تلاع比 لا طائل تحته بالألفاظ الجوفاء، ينمّى تورّمه وانتفاخه كل فكرة طبيعية ثوّأ غير طبيعى ، ويهوى بها أخيراً إلى الفناء .

وعلى أثر هذه المقدمة يسوق قدامة فنوناً وألواناً من المترادفات العربية ، على أنها مادة الكتاب الأساسية ، تجمع في ترتيب موضوعى تلك الألفاظ والتعبيرات التى يجوز لصاحب الأسلوب الجيد أن يستخدمها .

على أن وضع الثروة اللفظية في ترتيب موضوعى لم يكن فكرة مبتكرة ، ولا سنة جديدة ؛ فمنذ القرن الثاني الهجرى / الثامن الميلادى ، وضع كثير من اللغويين شتى الموضوعات لعلم المفردات ، وجمعوا الثروة اللفظية المطلوبة في مجموعات متفرقة . ولكن موازنة بين كتاب قدامة ، وبين المترادفات

الناضجة تمام النضج إبان القرن الثالث ، في «كتاب الألفاظ»<sup>(١)</sup> لابن السكikt الكوف (المتوفى سنة ٢٤٤ هـ) ، تدل ، مع التوافق التام المتجلّى في تشابه المادة وتوافق الغرض ، على فروق عميقة الصدى على الرغم من ذلك .

فابن السكikt يجمع في طائفة من الموضوعات — يبدو أنه لم يمل عليه اختيارها نظره إلى الحاجة العملية لاستعمالها — تلك الثروة اللغوية الخاصة من لغة الأعراب البدو ، ويذكر في ذلك كثيراً من العبارات الغربية ، النادرة ، الخارجة عن دائرة الاستعمال ، مع كثرة استشهاده على ذلك ، إلى جانب الشعر القديم ، بأدب الأراجيز . على حين أن قدامة الذي يعرف الضرورات العملية حق معرفتها ، يقتصر على الثروة اللغوية العامة ، بالمستوى الذي يحتاج إليه الكاتب الإداري في معظم رسائله الرسمية ، وينختار الموضوعات التي تتفق عناوينها المختلفة مع ذلك الغرض طبقاً لذلك . يضاف إلى هذا انتقاءه في كل موضوع ألفاظاً وعبارات مطابقة للمقاييس الشديدة المترمة ، في مذهبه اللغوي المتطرف .

وبينا يعرض ابن السكikt مجموعة زاخرة بماء الحياة ، ومادة دسمة قوية من لهجات الأعراب الحية ، حتى في باب الفحش والسباب ، ويستمد من نبع لغوى معين ، أجرت سلسلة فرص الخواطر وإنفعال مختلف المؤثرات ، فإذا بنا لا نجد عند قدامة لفظاً بعيداً ، ولا استعمالاً غريباً ، بل لفظاً نابية غير شريفة ، أو عبارة مستهجنة غير متخير ، ولا متنخلة . بل عملياً واقعياً ينظم قدامة في سلك كل عنوان عن وعي ، ما يصح ويحسن في نظره من الألفاظ والعبارات ، وأصبحت مستيرة بعضها إلى جانب بعض ، مع الانحسار في سياق الشواهد والمصادر وكثيراً ما يعرض في ذلك أبغاعاً مزدوجة لكيلا يقتصر المراجع على استخدام اللفظ الذى يحتاج إليه ، بل ليجد كذلك لفظاً آخر ينتمي معه في قرآن .

ولم يكن قدامة كذلك ، أول من كتب مترادات عربية لسد حاجات الكاتب العملية ؟ فهو ينقد في عبارة مختصرة من المقدمة ، كتاباً على هذا

---

(١) أخرجه لويس شيخو في صورة كتاب : «تهذيب الألفاظ» للتربيزي ، بيروت ١٨٩٦ - ١٨٩٨ .

— ١٥٦ —

الطراز يبدو أنه ظهر قبل ذلك بقليل . ويستطيع القارئ بسهولة — وإن لم يصرح بما يعني — أن يعرف في ذلك «كتاب الألفاظ الكتابية»<sup>(١)</sup> لعبد الرحمن ابن عيسى الهمذاني . في الباب الأول من ذلك الكتاب توجد جميع الألفاظ التي نقدتها قديمة في مقدمة كتابه . وفوق هذا يظهر في كلا الكتابين ، وفي الترتيب الاختياري الذي سلكاها ، توافق بعيد المدى ، بحيث إنه لا بد أن يكون أحدهما ناقلاً عن الآخر ، إذا لم نرken إلى افتراض أنهما جمعياً يتبعان نظاماً واحداً لكتاب مشترك بينهما ، على الرغم من أنهما لا يتساولان في الحجم ، وأنهما أيضاً في الموضوعات المشابهة التي يعرضان لها<sup>(٢)</sup> قد اختارا عنوانين مختلفين تماماً في مدلول ألفاظها .

ويظهر أن الهمذاني كان معاصرآً لقديمة أكبر سنًا منه ؛ إذ كان كتاباً<sup>(٣)</sup> لبكر بن عبد العزيز بن أبي دلف<sup>(٤)</sup> الذي مات في طبرستان ٢٨٥ھ . وكانت وفاته في سنة ٣٢٠<sup>(٥)</sup> . وكتابه «الألفاظ الكتابية» لم يصل إلينا في صورته الأصلية ، بل تبدو فيه زيادات ترجع إلى التحوى ابن خالویه<sup>(٦)</sup> (المتوفى ٣٧٠ھ) ، ولكن لا على أنها تتفق كاملاً لكتاب ، بل مجرد تعقيبات<sup>(٧)</sup> وتصحيحات<sup>(٨)</sup> .

ويؤخذ من المقدمة أن الباعث للمؤلف إلى تأليف كتابه هو أنه وجد من المتأخرین في الكتابة قوماً أخطأهم الاتساع في الكلام ، فهم متعلقون في مخاطباتهم وكتبهم باللغة الغريبة ، والحرف الشاذ ، ليتميزوا بذلك من العامة ، ويرتفعوا عند الأغبياء عن طبقة الحشو ؛ ووجد آخرين قد توجهوا بعض

(١) نشر في بيروت ١٨٨٥ .

(٢) عارض : جواهر الألفاظ لقديمة ص ٤٥ - ٢٧ بالهمذاني ص ٥ - ٢٢ . وقدامة ص ٤٦ - ٥٢ بالهمذاني ص ٢٨ - ٤٦ وقدامة ٤٦٢ - ٣٦٨ بالهمذاني ص ٢٤٥ - ٢٥٦ .

(٣) تاريخ الطبرى ٣/٢١٨٥ .

(٤) الفهرست ص ١٩٧ .

(٥) هكذا في ترجمته التي كتبها في نسخة بيروت مع ملاحظة أنه قيل أيضاً غير ذلك .

(٦) مثل ص ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٠ من الألفاظ الكتابية .

(٧) انظر الألفاظ ص ٢٠٣ س ١ - ٤ ؛ ص ٢٠٦ س ٦ - ١٤ ؛ ٢٦٧ س ٨ - ١٤ .

(٨) انظر الألفاظ ص ١٠٢ ، ١٠٤ ، ٢٧٥ .

التوجه ، وعلوا عن هذه الطبقة ، غير أنهم يمزجون ألفاظاً يسيرة قد حفظوها من ألفاظ كتاب الرسائل ، بالفاظ كثيرة سخيفة من ألفاظ العامة ، استعانة بها ، وضرورة إليها ، لغة بضاعتهم . ولمساعدة كلتا الطائفتين جمع طائفة من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين بعيدة من الاشتباه والالتباس ، السليمة من التغير ، المحمولة على الاستعارة والتلويح ، الجارية على مذاهب الكتاب وأهل الخطابة . دون مذاهب المتشدقين والمتفاهمين ، من المتأدبين والمؤدبين<sup>١</sup> المتتكلفين .

وهو يريد بهذا أن يرسل نماذج من كتب الرسائل وأنوه الرجال ، وعرصات الدواوين ، ومحافل الرؤساء ، أي صوراً تختذل في كتابة الرسائل الخاصة فحسب ، كالتهانى والتعازى والبشرارة ، والوعد والوعيد ، والاحتجاج والاختصار ، والتذكرة ، والإذنار ، والاعتذار ، بل كذلك في كتابة الرسائل الرسمية والوثائق ؛ مالم يكن موضوعها ذا طابع فنى خاص .

وكتاب « قدامة » يحتوى أيضاً كتاباً للهمنداني ، في أبوابه الستة والستين والثلاثمائة ، على عبارات الأدب الجزل بصورة تجمع في كل باب ما يتصل بناحية معنية من المترادات ، وصيغ الاستعارة ، والأمثال . ونُشرت الشواهد في الكتاب باقتصاد . وأحياناً تساق حكمة مثالية لعظيم ، أو آية من القرآن ، أو حديث للرسول [ صلى الله عليه وسلم ] . والنصوص التحوية جداً نادرة . وقد يحضر من عبارة مستكرهه بقوله : لا يقال<sup>(١)</sup> ؛ أو قوله مثلاً<sup>(٢)</sup> : كاد يفعل ذلك ، وكاد أن يفعل لغة ضعيفة ؛ أو قوله مثلاً<sup>(٣)</sup> : « أغلفَ السيف » غير مستعمل ؛ وينبغى أن يميز المرء بين الإفراط والتفريط<sup>(٤)</sup>

أما أن كتاب « الألفاظ الكتابية » للهمنداني قد جمع أصنف لآلى الإنشاء العربي في صفحات قليلة ، فقد صرخ بذلك الصاحب بن عباد ، الذي كان

(١) مثل ص : ٢١ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١٦٤ .

(٢) ص ٢٣٣ .

(٣) ص ١٢١ .

(٤) ص ١٤٠ وانظر : دوزى في المادة ؛ وخزانة الأدب ٢٨١/١ .

هو نفسه أحد كبار الكتاب في القرن الرابع ؛ ولكن أدعى إلى الدهشة ذلك اللوم الذي عقب به على ذلك المدح : لقد جمع شنور العربية الجزلة في أوراق يسيرة ، فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب ، ورفع عن المتأدبين تعب الدروس ، والحفظ الكثير ، والمطالعة الكثيرة الدائمة<sup>(١)</sup> .

وهذا الحكم ، على لسان خبير ، يبين كيف أنه سرعان ما تحول النثر الفي إلى بريق لفظي أجواف في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي . فليكن كتاب الحمداني قد قدم الكتاب ، السطحيين الساذجِي التفكير ، المادة الازمة لتعبيرهم ؛ فإن سبب الانحطاط لم يكن راجعاً إليه ، بل إلى اتجاه الذوق الأدبي في ذلك العصر ، ذلك الاتجاه الذي أعلى مرتبة القالب على المعنى ، لمجرد الإعجاب برونق الفظ وملعنه .

على أن هذا التلذذ الجمالي باللغة ، من حيث جرس الألفاظ ورنيتها ، وزن لحنها الموسيقى ، كان دأباً وديداً للعرب منذ عهد سعيد . ففيما قبل الإسلام كان الخطيب إلى جانب الشاعر مقام عظيم ، إذا كان صاحب الكلمة العليا في القبيلة ، ولم يكن من النادر أن يستخدم النثر المسجوع<sup>(٢)</sup> . وقد كان السجع يرفع الفسّورات الانفعالية لدى الكهان القدماء فوق مستوى اللغة العادية ؛ كما كان أداة الأسلوب التي ميزت القرآن من ناحية الصورة ، من حيث هو كلام الله ، عن كلام الناس .

وكانت نتيجة كلتا الحالتين أن منع الأنقياء من استعماله حلية في كلام الناس . ولكن ، كما يحوط النغمة الرئيسية السائدة في الموسيقى إيقاع دائم متقلل ، بين أنصاف النغمات وأرباعها ، مع ما في ذلك من تعاقب مختلف الأوزان والألحان ، وتتنوع نغمات الختام ، إلى غير ذلك من التردیدات والتعقيّدات ؛ وكما يملأ الوشى والحلوى من النقش الرخيف ، الصادر عن حرية الرسام وذوقه المفتن ، لوحات الرسم في العمارة الهندسية الخاضعة لقوانين دقّيّقة الخطوط ؛ كذلك وجد مثل الجمال الأعلى في الكلام المشور أعلى درجات

(١) انظر ترجمة الميداني في مطلع كتاب الألفاظ الكتابية ؛ بيروت ١٨٨٥ .

(٢) انظر : دائرة المعارف الإسلامية ٩٩٥، EI, 2، مقالة :

- ١٥٩ -

كما له في النثر الفني ، الذي يصور السجع فيه النقاط الثابتة المادئة محفوظة بالتربيعات وتساوق الألحان ، واللعب بالألفاظ ، وفواصل الكلام وأجزاءه المختلفة .

ولهذا عالت كلمة النثر المسجوع تدريجياً على الرغم من كل الشبه والمعارضات الدينية ، وانعقد له إكميل النصر في كافة العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . ومنذ ذلك العهد لم يتنازل عن السجع كتاب نثرى يزيد أن يدعى بحق من الأسلوب الفني ..

وبهذا صار التعبير اللامشعوري الذي كان يوحى به التأثير النفسي العميق ، تعبيراً إرادياً محضاً ، تصوغره الصنعة والفن الرفيق . وهنا كان الأدباء الخصيصة الدهن ، الذين ملکوا زمام فنهم ، وحدقوا صنعتهم ، يصقلون ويقومون ثقاف السجع لنثرهم عن تعمد وقصد .

وهذه الكتب المختصرة ، مثل كتاب الهمداني ، كانت تقدم لهم في ذلك أجمل الخدمات .

(٩)

## العربية لهجات البدو

فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهِجْرِيِّ - الْعَاشِرِ المِيلَادِيِّ

أعلن مبدأ «تنقية اللغة العربية» ، منذ أول ظهوره في مختتم القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، لغة البدو مثلاً أعلى ، يحدُّر بالمسلم المثقف أن يتخلّه قدوة وإماماً . وكانت لهجات البدو ، حتى أواسط القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، هي النبع الراوح الخالد ، الذي يستقي منه النحاة وعلماء اللغة معارفهم عن العربية الفصحى .

وبنفس المستوى الذي نصحت به طرق التعبير في العربية المولدة بين الطبقات الوسطى والدنيا على لغة المجتمع الرفيع ، تغير نظر المثقفين إلى لهجات البدو من الأعراب . فالاحتذاء التام للغة البدو ، الذي كان حتى مختتم القرن الثاني ، أسمى مطامع الحضريين المثقفين ، صار على مرّ القرن الثالث نوعاً من التعبير الذي يختلف باختلاف الأحوال ، بين أن يكون مطلوباً ، أو داعياً إلى السخرية ، أو غير لائق .

وهكذا صارت العربية الفصحى ، في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، لغة للكتابة قطعت جميع أشواط نموها وتكوينها ، ولم تعد قابلة لزيادة من النمو الحي . فقد غدت لغة قديمة نموذجية ، وتغلب إشعاع الجمل الفي في قوالبها على الفاقة الخشنة ، والغراء المستكره ، في لهجات البدو المعاصرين .

حقاً لقد كانت لغة البدو إذ ذاك أيضاً في مستوى من التخلوص والنقاء لا تدانيه لغة الزراع والحضريين ، لا سيما إذا كانت أسلتهم لا تزال محفوظة بمعظاهر الإعراب والتصريف القديمة . بيد أنه في كل مكان كثُر فيه اختلاط البدو بغيرهم من طبقات السكان ، وكذلك عند تحولهم بوجه خاص إلى الإقامة

والاستقرار ، وبهذا إلى الاتصال الذي لا غنى عنه بالسكان الزراعي الذين كانوا يجدونهم أية سلوكوا ؛ فقدت لغتهم من صفاتها وخلوها قدرًا كبيراً .

وإلى أى حد كانت الأحوال متشابكة معقدة ؟ هذا ما يكشف عنه بيان المهداني (المتوفى ٣٣٤ هـ) عن الصلات اللغوية في جنوب الجزيرة العربية حوالي نهاية القرن الثالث<sup>(١)</sup> . فهنا كانت اللغة الحميرية الأصلية لا تزال تمعن في الاختفاء أمام عربية الشمال . ويقول المهداني<sup>(٢)</sup> إن اللغة الحميرية القصّحة المعقدة كانت سائدة بعد في المنطقة الممتدة من حقل قَسَاب (عند يَرِيم الحالية) إلى ذَمار . وقد كانت هذه هي المنطقة الخريطة بظفار عاصمة دولة حمير القديمة . أما في العاصمة الجديدة للإقليم وهي: صنعاء . في أهلها بقايا من العربية المحضرية ، ونبذ من كلام حمير (ص ١٣٥ س ٢٥) . ومدينة صنعاء مختلفة اللغات واللهجات ، لكل بقعة منها لغة ؛ لأنها كانت مدينة هامة إذ ذاك أيضًا . وعلى التقىض من ذلك يقع غرب صنعاء مركز ثان للغة الحميرية النحالية (الحميرية المحضرية ص ١٣٦ س ١) يمتد بين شِبَام أقيان عبر سلسلة جبال المصانع حتى جبل : تُخْشَلَى .

وكذلك كانت الحميرية كثيرة في منطقة : خَيْمَةَان ، الواقعة بعيداً نحو الشمال من صنعاء إلى ناحية صَعْدَة (ص ١٣٥ س ١٥) التي كانت تسود فيها عربية الشمال .

وفيما بعد هذا ، احتللت الألسنة الأصلية بعربيّة الشمال شتى وجوه الاحتكال ، إذا لم يكن قد قضى عليها الداخلون من عرب الشمال تماماً .

وقد ضاعف من عناء المهداني وتعبه في تصوير هذه الأختلاط من اللهجات ، أنه لم يكن يرى فقط أن لغة الكتابة هي القدوة والمثال ، بل كان يرى فوق ذلك أنها تصور اللغة الأصلية النحالية بعيدة عن التغيير والتبدل ، والتي

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٣٤ - ١٣٦ .

(٢) ص ١٣٥ س ٤ ، وفي كلمة : المتعقدة ، انظر الفهرس النحوى الذى عمله : دى غويه الكتاب .

تفرعت منها تدريجياً الألسنة واللهجات التي كانت سائدة في عصره بالفساد والتحريف.

وعلى هذا النحو وحده يتضح كيف استطاع أن يفترض (ص ١٣٥ س ٢٥) أن صناعه كانت فيهم بقايا من العربية المضمة ، أو أن يلاحظ أن أهل عدن لغتهم مولدة رديئة (ص ١٣٤ س ٢٤) ، وأن في بعضهم ثوكاً وحافة إلا من تأدب منهم .

ولا نستطيع أن نستنتج من مثل هذا الأسلوب في ملاحظة علاقات اللهجات بلغة الكتابة إلا أن المهداني يقيس كل لهجة بمقاييس النحو ، ويحكم عليها من حيث الفصاحة والعمق من وجهة نظر واحدة ، هي مطابقتها أو مخالفتها للقواعد . وهو ينظر بعد هذا ، هل هي معقدة صعبة الفهم على من يخرج عن محيطها ؟

وهكذا نراه لا يفترض أن للهجتين : المهرية والشحرية، أساساً من لغة أخرى ، تبتعد عن عربية الشمال إلى حد يتعذر معه التفاهم ؛ بل يصور سكان الشحر والأسماء على أنهم قوم لا ينطقون نطقاً فصيحاً ، والمهريين على أنهم عثّم يشاكلون العجم (ص ١٣٤ س ١٧) .

ولا يذكر أكثر من ذلك عن لهجات حضرموت ، فهو يكتفى بأنهم ليسوا بفصحاء ، وربما كان فيهم الفصيح ، وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف (ص ١٣٤ س ١٨) .

وهو يعد من الفصيبح كذلك تلك الألهجات التي يتكلّم بها في سرّه مذبح، وأمراب وبيشان، وحرّيب؛ ففي هذه المناطق الواقعة على طريق العطور والتجارة، التي كانت تتمدّ من مأرب عاصمة الدولة السبئية القديمة نحو الشمال الشرقي، كانت اللغة الرديئة أمرًا نادرًا (ص ١٣٤، س ١٩).

وَكَانَتْ فَصِيحةً أَيْضًا لِهُجَّةِ الْمَنْطَقَةِ بَيْنِ مَأْرِبٍ وَذَمَّارٍ ، الَّتِي يَحْدُّهَا الْهَمْدَانِي عَلَى الصُّورَةِ التَّالِيَةِ : جَبَلٌ لِإِسْبِيلِ الْوَاقِعِ فِي الشَّمَالِ الْشَّرْقِيِّ مِنْ ذَمَّارٍ ، وَإِقْلِيمٌ كَوْمَانَ الْمَتَاخِمُ لَهُ مِنَ الشَّمَالِ الْشَّرْقِيِّ أَيْضًا ، وَإِقْلِيمٌ الْحَسَدَا الْمُجَاوِرُ لَهُ ، وَجَبَلٌ

— ١٦٣ —

دِقرار الواقع في منطقة مأرب ، وأخيراً منطقة « قافقة » التي تعد من مناطق « مراد » (١٣٥ ص ٥) . وسكان كومان حميريون في الأصل ، ولكنهم صاروا على عهد المهداني من قبيلة مذحج (١) ؛ مما يدل على أن خلوص اللغة لا يرجع إلى الدم والنسب .

ويعد المهداني أيضاً فيمن يتكلمون بفصاحة أقساماً من منطقة همدان (٢) المتدة إلى الشمال الشرقي من صنعاء ومأرب حتى نجران ، وما جاور هذه الأقسام أيضاً، حيث تسكن قبائل بـلـحـارـثـ في الرحبة ؛ على حين أن صناف بالجوف الأعلى دون ذلك في الفصاحة (ص ١٣٥ ص ٢٠) .

كذلك يعد من الفصحاء سفيان بن أرحب ، وهو شعب من همدان ، على الرغم من أنهم يتخذون : أم ، بدلاً من : ألل ، أدادة للتعريف (٣) . ويستعملون المشتى بالألف في جميع الحالات (٤) .

وبنوا حرب ، فخذل من همدان في بلد : وادعة ، وهم أهل إمالة في جميع كلامهم ؛ على حين أن بنى عمهم (٥) بنى سعد أفصح (ص ١٣٥ ص ٢٣) . على أن المنطقة العظمى التي تغلب فيها الفصاحة تبدأ في الشمال من حدود اليمن الحقيقية عند وادعة ، وتمتد عبر سلسلة السروات على الساحل إلى غربي شبه الجزيرة .

(١) انظر المهداني ص ٩٢ ص ٢٢ (وأصلهم حميري وهم يسمّحون اليوم) .

(٢) يتوخى من ص ١٣٥ ص ١٩ أن هؤلاء هم : عذر مطرة ونهم ومرهبة وذبيان ، وهو مخالف لما ذكره في ص ١٢ من نفس الصفحة . وانظر في هذه القبائل : J. Schleifer ، في دائرة المعارف الإسلامية B 302 EI II

(٣) يعد هذا من خصائص لغة اليمن : انظر ابن يعيش على المفصل ص ١٢٢٠ ؛ اليمن ٤٤٥/١ ؛ ووردت أيضاً في مستند أحمد ٣٤٣/٥ في الحديث : ليس من أمر اصحابيام في اسفر» (وفي البخاري في كتاب الصوم : بأدابة التعريف المعتادة أى الألف واللام) ؛ ويسيرها آخرون لغة حمير ، وهي التسمية المشهورة . انظر الصحاح للجوهرى ومتنيبات من شمس العلوم لنشوان الحميري ٣٠ ٤١٠

(٤) ذكر ابن جنبي أن هذه لغة بلحـارـثـ ؛ انظر : O. Rescher, ZA 23 S. 23

(٥) انظر المهداني ص ٢٤٤ ص ٣ .

وقد ذكر الهمداني (في ص ١٣٦ س ٣) من القبائل التي تسكن هذه المنطقة التي يخترقها طريق القوافل، بعض أفراد من مدرج (جَنْب وَرُبِيد)، وقبضة (سِنْحَان وَنَهْد) وأزد شنوة (بني أسماء<sup>(١)</sup> وعنة)، ثم من خشم<sup>(٢)</sup> وهلال وعامر بن ربيعة؛ ثم بعد هذا مرأة أخرى فصائل من الأزد (الْحِجْرُ<sup>(٣)</sup> وَدَوْس وَغَامِد وَيَشْكُر)، ثم من فهم فتحيف بجبلة، وأخيراً طائفية يسميها بنى على. ولكنها ينبعه بوجه خاص إلى أن المجموعات التي تسكن سفوح الجبال الغربية من هذه القبائل (تجاه تهامة) أقل فصاحة من يعيشون في أعلى الجبال. وكما أثر جوار تهامة تأثيراً سيئاً في فصاحة اللغة في هذه المناطق، أثر أيضاً نفس التأثير في إقليم الجوف، كما يرى الهمداني (ص ١٣٥ س ٢١) إذ يقول إن سكان الجوف فصحاء إلا من خالطهم من جيرة لهم تهاميّن.

أما أن أهل تهامة ينطقون عربية رديئة، فهذا ما يستفاد بوضوح من ملاحظاته (ص ١٣٥ س ١٠)، حيث يقول إن بلد الأشعر وعل وحكم (من بنى سعد العشيرة) من بطن تهامة لا بأس بلغتهم إلا من سكن منهم القرى<sup>(٤)</sup>، وكما يقول في (ص ١٣٤ س ٢٥)، يوجد قبيلتان آخرتان في جوار الأشعيين، هم بنو واقد، الذين يعودون من ثقيف<sup>(٥)</sup>، وبنو مجید الحميريون في الأصل<sup>(٦)</sup>، وهما فصيحتان أيضاً.

كذلك في ناحية صعدة توجد العربية الفصيحة فقط عند بنى خولان، الذين ينحدرون في السهل، على حين أن بنى قبيلتهم الساكنين بالمنخفض (الغور) غثّم غير فصحاء (ص ١٣٦ س ٢).

ويصف الهمداني طبقات أخرى بأنها غير فصيحة، كالهجات الجارية

(١) انظر الهمداني ص ١١٨ س ١٥.

(٢) يسمى الهمداني (ص ١١٦ س ١١) خشم بن ربيعة بن عامر. ويبدو أنها من هوازن مثلها في ذلك مثل: هلال بن عامر بن صعصنة، وعامر بن ربيعة بن عامر بن صعصنة.

(٣) انظر ص ١١٩ س ٧.

(٤) كرر الهمداني في ص ١٣٥ س ١٨ أن «الأشعر وعل وبعض حكم... فصحاء».

(٥) ص ٥٣ س ٢٥.

(٦) ص ٥٣ س ٢٠.

- ١٦٥ -

بين ذمار وصنعاء (ص ١٣٥ س ٢٤) وطحة السكاكين التابعين لسكندة .

ويعد وسطاً في الفصاحة ، وإلى اللكتنة أقرب (ص ١٣٥ س ٦) لهجات بعض بقاع تقع في المنطقة الجبلية أهـان وأنيس ، (غربي ذمار) ؛ وإلى اللكتنة أقرب أيضاً ما جاور ذلك في جبال حـرـاز (ص ١٣٥ س ٧) وإن كان ينبعها ما هو متوسط بين الفصاحة واللكتنة ؛ على أن ينبعها أيضاً ما هو أدخل في الحميرية المتعقدة ، لا سيما في القبائل الساكنة في منطقة جبال الحضور .

وعن الجحادب الذين يدخلون ضمن القبائل الأخيرة يقول الهمداني (في ص ١٠٦ س ١٨) إن أصلهم حميري : والجحادب من حمير وقد يهمنون . وأبعد من ذلك نحو الشمال ، في هـدان ، كما يقول الهمداني (في ص ١٣٥ س ١٢) هناك إلى جانب عـلـسـرـ ، وهـسـتـوـمـ ، وـحـجـورـ الفصـحـاءـ، يوجد نـغـثـمـ أيضاً مثل بعض قـدـامـ ، وبعض الجـبـرـ . كذلك في النجد من هـدان ، تسود عـربـيـةـ مخلوـطـةـ بـهـمـيرـيـةـ فـيـ سـهـلـ الـبـوـنـ وـالـحـشـبـ<sup>(١)</sup> .

أما ظاهر هـدان ، النجـدـيـ ، أي النواحي الواقعـةـ عـلـىـ الأـطـرافـ منـ المـضـبـبةـ ، فـلـغـتـهاـ فـصـيـحـةـ أوـ أـقـرـبـ إـلـىـ الفـصـحـاءـ .

ولهـجـةـ جـبـلـانـ ، فـيـ المـنـطـقـةـ الجـبـلـيـةـ الـوـاقـعـةـ جـنـوـبـيـ جـبـالـ: أـهـانـ ، عـسـيـرـةـ الفـهـمـ ، فـيـهاـ تـعـقـدـ ، عـلـىـ حـيـنـ لـهـجـةـ أـنـ يـخـصـبـ<sup>(٢)</sup> وـرـعـيـشـ المـتـصـلـيـنـ بـجـبـلـانـ منـ جـهـةـ المـشـرـقـ أـفـصـحـ منـ جـبـلـانـ (ص ١٣٥ س ٢) ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـ الـأـخـيـرـيـنـ ، وـهـمـ رـعـيـشـ ، حـمـيرـيـونـ فـيـ الـأـصـلـ<sup>(٣)</sup> .

وكـذـلـكـ شـأـنـ الـعـلـاقـاتـ الـلـغـوـيـةـ فـيـ مـنـطـقـةـ السـكـلـائـعـ فـيـ الـجـنـوبـ (ص ١٣٤ س ٢٦) : فـيـ نـجـديـهاـ فـصـاحـةـ عـالـيـةـ ، مـعـ عـسـرـةـ مـنـ الـلـسـانـ الـهـمـيرـيـ (أـيـ مـنـ أـثـرـ الـبـقـايـاـ الـلـغـوـيـةـ الـهـمـيرـيـةـ فـيـهاـ يـظـهـرـ) . وـفـرـسـاتـهاـ أـيـ أـعـالـيـهاـ (الـمـنـاطـقـ الـجـبـلـيـةـ) تـعـقـدـ . وـتـسـودـ الـلـهـجـةـ الـهـمـيرـيـةـ تـمـامـاًـ فـيـ الـمـنـاطـقـ الـوـاقـعـةـ بـالـدـاخـلـ مـنـ الـنـواـحـيـ

(١) انظر في اختلاط سكانه : الهمداني ص ١١١ س ٩ .

(٢) كـتبـهاـ Müllerـ : يـخـصـبـ بـالـضـادـ الـمـعـجمـةـ ، انـظـرـ : مـلـاحـظـاتـهـ عـلـىـ صـ ١٠١ سـ ١ـ مـنـ كـتـابـ الـهـمـدـانـ .

(٣) الـهـمـدـانـ صـ ١٠١ سـ ٢٣ـ (حيـثـ يـقـولـ : وجـيـعـ خـلـافـ رـعـيـنـ لـاـ يـسـكـنـهـ إـلـىـ آـلـ ذـيـ رـعـيـنـ الـلـاخـ) .

- ١٦٦ -

الجبلية الوعرة من سررو حمير ، لا سيما بين من ينتمون — دون حق —<sup>(١)</sup> إلى جعدة بن كعب من هوازن التي هي من عرب الشهال ، ومساكنهم في منطقة الجبال الجنوبية المرتفعة على الطريق من عدن إلى صنعاء . ويقول الهمداني في وصف لهجتهم : ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير ويبحرون في كلامهم ويختلفون فيقولون : يابن معتم في : يابن العم ، و : سمع في : استماع (ص ١٣٤ س ٢١) .

وأبعد من ذلك إلى الجنوب ، توجد لهجة أفعى ، في لحج ، وأبين<sup>(٢)</sup> ، ودبابة ؛ والعامريون من كذلك والأوديون أفعى لهم .

ويصف الهمداني طحة السكاكين الساكينين بجوار مدينة جند ، بأنها متوسطة (ص ١٣٤ س ٢٦) .

ولهجات جيشان الواقعة جنوب إيمان ، وما جاورها من بقاع ، حميرية . مثل لهجة السرو (ص ١٣٥ س ١) .

وأخيراً في المعافر — في منطقة : تعز الحالية — ينطقون في سافلتها لهجة فيها غُثْمَة ، وفي علياها أفعى من ذلك (ص ١٣٤ س ٢٥ ، وانظر ص ٩٩ س ١٧) .

أما عن اللهجات التي يتكلم بها خارج إيمان ، فيكتفى الهمداني (ص ١٣٧ س ٨) بـ ملاحظة عامة : وأما العروض فيها الفصاحة ما خلا قراها ، وكذلك الحجاز فنجد السفل في الشام وإلى ديار مصر وإلى ديار ربيعة ، فيها الفصاحة إلا في قراها .

هذا ، بيد أنه لم تكن مراعاة هذا التنوع للحياة اللغوية المتجلّى في اللهجات هي العامل الوحيد الذي حمل المثقفين ، منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، على تغيير نظرهم إلى لغة البدو ؛ بل لقد كان أدعى إلى ذلك التطور هذه

(١) انظر الهمداني ص ٩٠ س ١ .

(٢) انظر ص ٨٨ س ٢٠ .

١٦٧ —

الحقيقة الثابتة ، من أنه قد حل في ذلك العهد ، محل النشاط في الجمع والوصف الذي كان يقوم به علماء اللغة القدامى ، علم للغة منظم تنظيمًا فلسفياً زاد الباحثين قوة وثقة من أنفسهم .

فهذه البداية المطلقة التي كان القرن الثاني الهجرى / الثامن الميلادى ، يعتمد بها كل أعرابى فصيح على أنه قاض لغوى غير متراء ، وكان ينحني لحكمه ، ويمثل لنطقه ، قد تركت مكاناً للرواية والنظر العلمى ، الذى لم يعد — كما كان في القرن الثالث الهجرى — يكتفى بأن يعرض على صيغ واستعمالات متفرقة من لغة الأعراب ؛ بل أخذ يبحث في نقد وتحقيق عن وجه معقول للتضاد بين لغة الأعراب وقواعد النحو .

وقد كان ابن جنى ( المتوفى ٣٩٢ هـ ) يختلط كثيراً في سن شبابه — إذ كان لا يزال يعيش في الموصل — بأعرابى من بني عقبيل ، هو محمد ابن العساف الشجيري الذى كان ابن جنى يقدر صفاء عربيته ، وناقشه معه بعض قضایا اللغة<sup>(١)</sup> . وعلى الرغم من ذلك فقد خصص ابن جنى في كتابه : الخصائص ، بباباً مستقلًا لأغلاط الأعراب<sup>(٢)</sup> ؛ ذهب فيه بالاتفاق مع أستاذه أبي علي الفارسي ( ٢٨٨ - ٣٣٧ هـ ) إلى أن الأعراب قد يقعون في الأحن ؛ لأنهم ليست لهم أصول يرجعونها ولا قوانين يستعصمون بها ، وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به ، فربما استهواهم الشيء فزاغوا عن القصد .

وها هو ذا مثلاً ينظر إلى الكلمات : حَلَّاتُ السُّوقِ ، بدلاً من : حَلَّتْ ورثات زوجي ، بدلاً من : رثيت ، ولبات بالحج ، بدلاً من ليئت ، واستسلمت الحجر ، بدلاً من : استلمت ، فلا يقدّر أنها لهجات خاصة أو لغات ذات نصيبي من الصيحة قل أو كثُر ، وقصاري أمرها أن يتتسائل : هل يجوز للكاتب البليغ استعمالها ؟ ولكنه يعدّها — ببساطة — من الغلط ، لأنها تصادر مع أصول الصيغة والقوالب .

(١) انظر : إرشاد الأديب ٤/٥٢٦ ، شرح الدرة للخاجي ص ١٤٨ س ٥ - ١٢ .

(٢) ذكره السيوطي في المزهر ٢٠٨/٢ - ٣١٠ .

وبما أن لفظ : مصيبة يرجع أصله إلى : ص و ب ، فمن الغلط إذا جمعه على : مصابب ، بدلاً من مصاوب ، وإن انتشرت هذه الصيغة المقيدة على صحائف خطأ في استعمال الأعواب اللغوي .

وعلى عكس ذلك يعد : أسللة ، جمعاً قياسياً صحيحاً للفظ : مسيل ، أى مجرى الماء ، لأنه لا يرى أنه مشتق من سال (س ل ) ، بل من : مسل معنف ، سال أيضاً .

وكذلك يرى الميم في : معين ، أي ماء جار ، أصلية ، لأنه في نظره ليس من : العين ، بل من قولهم : أمعن له بحقه إذا طاع له به ، فكذلك الماء إذا جرى من العين فقد أمعن بنفسه وأطاع بها .

هذا وكون التزاع في هذه الأمثلة راجعاً إلى أصل الكلمة واستيقاها، لم يأت من ابن جنى عرضاً واتفاقاً؛ فقد كان لابن جنى في هذا الموضوع بالذات، من حيث هو مؤسس مبدأ الاستيقا الكبير، رأى علمي ثابت. ولم يكن على استعداد أن يتنازل عنه ضحية لاستعمالات غير المثقفين منondo .

وعلى النقيض من ذلك ما وصل إلينا في ذلك التوجع الشعري الذي قاله عمار السكري يشكو من غرور النحاة وجرأتهم<sup>(١)</sup> :

ماذا لقينا من المستعربين ومن  
إن قلت قافية بكرأ يكون بها  
قالوا : لخت وهذا ليس متنصباً  
وحرّضوا بين عبد الله من حرق  
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم  
اما كان قوله مشروحاً لكم فخذلوا  
لأن أرضيَّ أرض لا تُشتبَّه بها

(١) إرشاد الأريب ٢٦ / ٥ . والأبيات مع اختلاف في الرواية في شرح الواحدى لديوان المتنبى ، نشر ديرتصى ٥٣٣ - ٥٣٤ (ومجموعها ١١ بيتاً منها ٧ في شرح المكبرى - القاهرة ١٨٠ / ١٣٠٨ ) ، والشاعر هو عمار الكلانى (شيتالر) .

- ١٦٩ -

ويروى أن قائل هذه الأبيات استعمل لفظ : مزعوج ، وجر بذلك على نفسه لوم النحاة الذين لا يجوزون إلا : مُزْعَج . وهذا من الأحوال التي استعمل فيها مفعول الثلاثي غلطًا بدلاً من مفعول الرباعي ، مثل : مأثور ، بمعنى مختار ، ومتعب بمعنى مُشَعَّب<sup>(١)</sup> ، ومفسود ، بمعنى مُفْسَد ، وبمفوض بمعنى مُبْغَض .

والحال الآنفة الذكر ذات فائدة خاصة من حيث دلالتها على أن التجديدات التي لا يزال يجرى استعمالها في اللهجات الحديثة لم تقتصر على المدن ، بل ظهرت كذلك عند البدو من الأعراب .

ومثل هذا الموقف المرتاب ، وتلك النظرة الناقدة إزاء عربية البدو . ظهرت عند الأزهرى صاحب تهذيب اللغة (المتوفى ٥٣٧هـ) . لقد امتحن بالإسرار عندما عارض القراءمة الحج بالمبير<sup>(٢)</sup> ، وكان ذلك عند رجوعه من الحج سنة ٣١١هـ ، وكان العرب الذين وقع أسيراً في أيديهم من قبيلة هوازن وفيهم جماعة من أسد وتميم ، وقد ظل عندهم دهرًا طويلاً ، وصيّبهم في مشتاهم ومصيّفهم . وفي مقدمة معجمه «التهذيب» اعترف بأن مخالطته لهم عادت على كتابه بفائدة عظيمة ، ولكنه قرن إلى ذلك أنهم كانوا يتكلمون بطبياتهم البدوية وفرائضهم التي اعتادوها ، ولا يكاد يكون في منطقهم لحن أو خطأ فاحش<sup>(٣)</sup> .

هذا ، فمن كان يقصد إلى البدو ، فإنما كان يفعل ذلك قصدًا إلى ثروتهم / الفظية ؛ وهكذا عاش المعجمي الأشهر : الجوهري ، في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى بعض الوقت بين قبائل ربيعة ومضر<sup>(٤)</sup> . ولا حرج في التلقى عن البدو في أي مكان ؛ ماداموا محتقظين بأساليب البداوة ؛ فقد حصل

(١) وردت هذه الصيغة أيضًا في النصوص النصرانية العربية ؛ انظر :

Graf, Sprachgebrauch 84

(٢) والمبير زرود في طريق مكة كانت عنده وقمة ابن أبي القرمعل بالحج سنة ٣١٢هـ (النجار) .

(٣) انظر تهذيب اللغة (اقتبسه Zettersteen, MO ١٤, ٧) ، وإرشاد الأريب ٢٩٩/٦ ؛ وابن خلكان ٢١٦/٢ ؛ وانظر أيضًا كلام الأزهرى عن : السليقة ، أي طريقة

البدو الطبيعية في الكلام . في ناج العروس ٣٨٣/٦ س ٣٠ .

(٤) إرشاد الأريب ٢٦٧/٢ .

- ١٧٠ -

الخارزنجي (المتوفى ٤٠٨ھ) على معارفه اللغوية الواسعة التي لفت بها الأنظار إليه في بغداد ، من الأعراب الذين نصبووا خيامهم بين طوس وبست<sup>(١)</sup> .

وذلك الحكم الناقد على هجات الأعراب يرجع – قبل كل شيء – إلى أن الطبقات الوسطى من المجتمع في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، لم تعد تحوط البداوة بذلك الإطار البديع من الكلف والشَّغَف ، والإعجاب العاطفي الشعري ، الذي كان لا يزال ، إبان القرن الثالث ، يرى في أبناء الصحراء الأحرار صوراً مجسدة للرجولة الحقة وجميع فضائل الإنسانية ، ومُثلاً علياً للوفاء والشرف ، والسماءة وكرم الضيافة .

وحروب القرامطة الرهيبة ، التي زعزعت الدولة منذ ٢٧٧ / ٨٩٠ ، وخربت أقاليم برمتها ، وأشلت حركة التجارة والمعاملة ، وأعملت السلب والنهب في قوافل الحجيج ، وبلغت أخيراً في سنة ٣١٧ / ٩٣٠ ، باختطافها الحجر الأسود من حرم الكعبة الحرام بمكة ، منهى قسوتها وفظاظتها التي اقشعر لها كل مسلم ؛ كل ذلك أدى على البداوة ضوءاً آخر ، فعرضها في صورة قطعان من اللصوص الجشعين الخونة ، الناقضين للعهود ، الغلاظ الأكيداد ، غير المقيمين ولا المهدفين ؛ وسرعان ما غير الرأي العام نظرته إليهم .

وقد ساوق هذا جنباً إلى جنب تغير في حكم الشعور بالجمال ، والذوق الفنى . في أيام المحافظ كان يعد من أنفس المتع الاستماع إلى الأعراب الفصحاء ؛ أما في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ، فيقرر ابن بسام (حوالي ٢٣٠ - ٣٠٢ھ) في أبيات يمتدح بها النحو ، أنه كثيراً ما سمع من الأعراب ألفاظاً مستكرهة قبيحة<sup>(٢)</sup> .

ومن المعایيب التي يطعن بها الصاحب بن عباد في المتنبي ، أنه يحرص على تعاطي التفاصح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة ، حتى كأنه ولد خباء ، أو غُنْدِرٍ بليلان النون ، ولم يطأ الحضر ، ولم يعرف المدر<sup>(٣)</sup> .

(١) إرشاد الأريب ٦٥/٢ .

(٢) إرشاد الأريب ٣٢٥/٥ ؛ العيدة ٢٠٦/٢ .

(٣) الكشف عن مساوى شعر المتنبي الصاحب بن عباد (القاهرة ١٣٤٩) ص ١٤ .

ومع ذلك لم يكن من رأى ابن عباد أن شاعرًا أيا كان يستطيع أن يبرر ذلك في الشعر دون إحاطة بغرير اللغة . فقد سجل أبو حيان التوحيدي في رسالته<sup>(١)</sup> التي كتبها في مطالب ابن عباد وابن العميد ، موقفاً أنكر فيه الصاحب على أحد الشعراء أن يتجرأ على قول الشعر وهو يجهل كثيراً من الغريب ، ثم سرد عليه — سائلاً — طائفة كبيرة من الكلمات النادرة المهجورة من لغة الأعراب ، كان يفخر الصاحب المعتد بنفسه إذ يحيط بمعرفتها ، فسأله عن المِبْلَع<sup>(٢)</sup> ، وهو اللَّقَمُ الْأَكْبُولُ ؛ والعَشَابِطُ<sup>(٣)</sup> ، وهو الابن الخاير الشixin ؛ والجَلْعَلْعَمُ<sup>(٤)</sup> ، وهو القندق وقيل الجُحَلْ ؛ والقَسْهُقَبُ ؛ بتخفيف الباء أو تشديدها ، وهو الضخم المنسن<sup>(٥)</sup> ، أو الطويل الرغيب ؛ والبازنجان ؛ والقَسْهُبَاسِ<sup>(٦)</sup> وهو المرأة الضخمة ؛ والخُزَعَشِيلَةُ ، وهي الباطل ؛ والقَذَعَسِيلَةُ ، وهي المرأة القصيرة الخسيسة ؛ والقَرْمُوط<sup>(٧)</sup> ، وهي ثمرة الغضى ؛ والجِرْفَاس ، وهو الرجل الضخم الشديد ؛ واللَّتْسُوسُ ، وهو الرجل الذوق ؛ والشَّعْشُلُ ، وهو الشيخ الأحقن ؛ والطَّرْبَالُ<sup>(٨)</sup> ، وهو كل بناء عال .

ثم سأله عن الفرق بين العَرِيم وهو الدَّسَمَ وبقية القدر ؛ والرَّدَم ، وهو السد ؛ والخدم ، وهو القطع ؛ والحرم ، وهو فصم الخرزة ونحوها ؛ والقضم وهو أكل الثناء اليابس ؛ والحضرم ، وهو القطع ؛ والفضوخ ، وهو كسر

(١) إرشاد الأريب ٣٠١/٢ .

(٢) القائقون قصيدة رقم ١٠١ بيت ٤٥ .

(٣) الْلَّبَأُ وَاللَّبَنُ لِأَبِي زِيدِ ص ١٤٤ س ٥ .

(٤) نقل صاحب تاج المرروس شرح هذه الكلمة عن ابن عباد .

(٥) انظر تهذيب الأنفاظ لابن السكريت ص ٣٧٣ .

(٦) في النسخ المتداولة ، كما في النسخة الأطلية : العروط ، وقد ذكر البستاني في محيط المحيط ص ١٤٧١ أنها صيغة شعبية للفظ : عرومط ، وهو المصقوى والمارد الصعلوك ، ولكنه غير ظاهر هنا ، ويرى فيه مرجليلوث لفظ الفرمونص مشيراً إلى كتاب الحيوان للماجست ٤٦/٣ ؛ ولكن هذا فيما يظهر تحرير مطبعي عن : قرمونص ، وهو عش للحمام ، وعند ابن الأعرابي : قرمومط ، بمعنى البحر الذي يضع فيه الجمل بيضه .

(٧) في النسخة المطبوعة : الطريال بالياء ، وهو غلط . وطربال ورد في شعر جرير : ديوان ص ٤٧٠ س ٣ ، وورد في شعر دكين الراجز ؛ انظر تاج المرروس ٧ / ٤١٦ ؛ انظر معاجم اللغة وانظر الاصطخرى ص ١٢٤ س ٧ . وليس كلمة « طربال » عربية بدوية ، وإنما هي فارسية : تربالي . انظر Vollers (شبيتال) .

الشيء الأجوف ؛ والرضخ وهو كسر مثل الحصى أو النوى . والقصم وهو الكسر من غير فصل ؛ والقصم، وهو كسر الشيء مع فصله ؛ والعبيقنس وهو الرجل جداته لأبويه أعمجيتان ؛ والفالنسن<sup>(١)</sup>، وهو الرجل أبوه مولى وأمه عربية، والخيتعر<sup>(٢)</sup> وهو الخداع الحال ؛ واليستور<sup>(٣)</sup> وهو الباطل .

ثم سأله عن : الشعنوف ، وهو قمة الجبل والخدزوف وهو لعبه للأطفال ( كالنحلة ) ؛ والخلزوون<sup>(٤)</sup> وهو دابة تكون في الرمت ؛ والقفندر<sup>(٥)</sup> ، وهو القبيح المنظر ؛ والجمليل ، وهو الذي يجمع كل شيء ، وعن غير ذلك من الألفاظ البدوية التي طرحت من الاستعمال ، ولكن الصاحب لم يمثل في أسئلته مبدأ « تنقية اللغة العربية » المنطرف ، الذي لا يقيم وزناً إلا للإهادة اللغوية الموجودة في شعر البدو من الأعراش ، بل نظر إلى استعمال ألفاظ الأعراب ، على أنه معتضلة من معضلات الأسلوب . وربما كان استيعابه للألفاظ اللغوية المستعملة خارج محيط الاستعمال البدوي الحالص ، هو سبب الطعن<sup>(٦)</sup> في معجمه اللغوي ذي السبعة الأجزاء : الحيط—الذى ألقه مع آخرين فيما يظهره بأنه غير الماده ولكنه فقير في الشواهد .

وما يدل على أن مبدأ « تنقية اللغة » كان بعيداً عن دائرة اهتمامه ، تلك الحقيقة المعروفة ، من أنه كان يسامر بلغة اللصوص والدجالين (بني ساسان) أبا دلف الخزرجي ، الذي كان أيضاً شاعراً أفاقاً حلس طريق ، وقدم الوزير

(١) في النسخة المطبوعة : والعلنكس بالعين المهملة ؛ ولكن انظر في التضاد بين العبارتين المذكورتين ، الألفاظ لابن السكبيت ٤٨٠ والماجم .

(٢) في النسخة المطبوعة : الحيشور ، بالثاء المثلثة وهو غلط ، وورد لفظ خيتمور مثلاً في ديوان هديلن ص ١٢٩ س ١ ؛ وفي الأغاني ١٥/٨٥ في بيت موضوع على آخر المراد .

(٣) ورد في شعر عروة بن الورد ؛ انظر الديوان نشرة : Nöldeke تصييدة ١ بيت ١٠ .

(٤) هذا الفظ المأخوذ من السريانية ، فسره الدميري بأنه دود في جوف أنبوة حجرية يوجد في سواحل البحر وشطوط الأنبار ؛ والظاهر أن هذا المعنى كان غريباً على البدو .

(٥) ورد هذا الفظ في شعر أبي النجم ؛ انظر تاج المروس ٤٠٤/٣ ، وتهذيب الألفاظ لابن السكبيت ص ٢٤٦ (دون تسمية القائل) ؛ وفي النسخة الخطيّة الفقender بالفاء قبل القاف ، وقد رأى مخرج الكتاب أنه محرف عن قفender بالدال ، والصواب : قفender بالراء كما ذكر .

(٦) كشف الظنون (استانبول ١٣٠١) ٣٩٦/٢ .

قصيدة (القصيدة الساسانية) يصف فيها حياة الأفاقين والدجالين وسعدهم، مع استعمال اصطلاحاتهم ورموزهم في استفاضة وتوسيع<sup>(١)</sup>.

ولتكن على حين يرى ابن عباد معرفة غريب اللغة أمراً لا مناص منه، يرى أبو حيان في تعقيبه على الموقف الذي صوره آنفاً<sup>(٢)</sup>، أن أحداً لا يفهم بمثل هذه الألفاظ غير ابن فارس، أستاذ ابن العميد، وأن الشاعر لا يصنع بمثل هذه الألفاظ شيئاً. وماذا بين الشاعر وهذا الضرب من الألفاظ؟ الشاعر يطلب لفظاً حرّاً، ومعنى بديعاً، ونظمأً حلوأً، وكلمة رشيقه، ومثلاً سهلاً، وزاناً مقبولاً.

فالسهولة والرشاقة، والصدق والانتقاء، هي المطالب التي تُتوخى في الأسلوب البليغ. وهذه الأمور تعد معايير في النثر كما في الشعر، أى في جميع النتاج اللغوي الفني لذلك العصر الإسلامي الأوسط؛ وهي مع الإبداع والأصالة الفكرية من حيث المعنى والخيال، تغير ذلك النتاج الأدبي للقرن المذكور طابعاً عقلياً يتوجه إلى الغوص والتعمق.

وهكذا يصبح الشعر الرفيع ضرباً من بلاغة التعبير يقترب من النثر، وعلى العكس يكتسب النثر المسجوع صبغة شعرية فنية. وبينما كان يفرق من قبل تفريقاً واضحاً بين الشاعر والناثر، صارت القاعدة أن الكاتب البليغ يعرف كيف يتصرف في التعبير بين الخطاب المنظوم والخطاب المثور.

ولا توجد بين كبار رجال النثر في القرن الرابع، من لم يقرض أيضاً الشعر الشيق، والنظم الأنيدق: الخوارزمي، البديع المحمذاني، ابن العميد، الصاحب ابن عباد، المهلي، الإسكافي... وغيرهم.

ولى أى حد رسم الشعور والإحساس بشدة القرابة، وقوة الرابطة، بين النثر والشعر؟ هذا يتصدى لبيانه كتاب «الصناعتين» لأبي هلال العسكري الذي يعالج كل الأسلوبين جنحياً في النتاج الأدبي.

(١) نحو مائة بيت من الشعر ذكرها الشعالي في الينية ١٧٦/٣؛ وانظر في هذا:

Goldziher, Muh. Studien 2, 165, Mez, Renaissance des Islames 238

(٢) إرشاد الأربّ ٣٠٢/٢.

(١٠)

## «العربية» واللغة المولدة

في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي

آذن انحلال الدولة العباسية نهائياً إلى أكثر من عشر دويلات مستقلة سنة ٩٣٦ / ٣٢٤ ؛ بابتداء عهد جديد للغة المولدة .

فاكتساب التحرر الجديد من سلطان بغداد ، لم يظهر أثره في السياسة والاقتصاد ، في كل إقليم ، فحسب ؛ بل كان كذلك بعيد الآثار في الدائرة اللغوية .

وقد انضمت لهجات كل إقليم ، بعضها إلى بعض ، وتألفت مجموعات من اللهجات تمتاز كل منها عن الأخرى امتيازاً مختلفاً ، قوة وضعفاً ، باشتراكها في كيفية خاصة من الأصوات ، والصيغ ، وقواعد التركيب ، والثروة الفظوية .

وهذه اللهجات الإقليمية ، في العراق وبلاط الرافدين ، وسوريا ، وفلسطين ، ومصر ، وشمال أفريقيا ، وأسبانيا ؛ تضمنت على لغة المثقفين ، وأكسبتها في كل إقليم لوناً محلياً ذا طابع خاص ؛ بحيث أقدم «المقدسى» في كتاب رحلته المكتوب سنة ٩٨٥ / ٣٧٥ ، وفي وصفه للعالم الإسلامي إذ ذاك ، على محاولة تمييز كل إقليم ، من الوجهة اللغوية ، بذكر التعبيرات المحلية الخاصة به .

وبهذا كان كتابه ، الذي يصور ذروة الأدب الجغرافي للعصر الإسلامي الأوسط ، كنزًاً للتاريخ العربي المولدة ، ندين له ببيانات نفيسة القيمة ، لاسيما بالنظر إلى جغرافية الكلمات .

ومن ناحية أخرى بي مقام العربية الفصحى ، من حيث هي لغة الأدب الوحيدة في العالم الإسلامي ، ثابتًاً غير منازع ، بنظرآً لبقاء وحدة الثقافة في الدولة كاملة غير منقوصة ؛ بل لقد ازداد انتشار هذه العربية الفصحى عن ذي قبل ؛ لأن جميع الأقاليم أخذت تساهم في إقامة صرح الأدب العربي بنشاط أعظم من الأوقات التي كان أدب العراق يحتل فيها مقام الأول .

لم تضع حدود الأقاليم حواجز وفواصل في سبيل الأدباء والعلماء والكتاب والشعراء؛ فالقالي (٢٨٨-٣٥٦هـ) الذي نشأ في أرمينية، وتأدب ببغداد، علّم وأنتج في إسبانيا، والخوارزمي (المتوفى ٣٨٣هـ) غادر وطنه إلى العراق؛ وخدم سيف الدولة في حلب؛ والبلعمي في بخارى؛ والميكالى في نيسابور؛ والشار في سجستان؛ والصاحب في أصفهان؛ وعاصد الدولة في شيراز؛ وخت حياة مغامراته في نيسابور<sup>(١)</sup>. ومثل ذلك طوّف بدبيع الزمان الهمدانى في خراسان؛ وسجستان؛ وأفغانستان؛ قبل أن يستوطن هراة، حيث توفي بها سنة ٣٩٨هـ عن نحو أربعين عاماً<sup>(٢)</sup>.

وتقدم لنا مثلا آخر حياة المنبى، التي كان مجدها بين العراق، وسوريا، ومصر، وفارس.

ومثل هذه الحياة في التجول والمعارض لم يكن أمراً غير مألوف؛ بل كان هو القاعدة المطردة. وهو يبين إلى أي مدى تشابهت إذ ذاك في جميع البلدان نظم الحياة الأدبية وشروطها. فقد طرحت طبقة كبيرة من الأدباء الجوالين في محيط العالم الإسلامي من أدناها إلى أقصاها، وكفلت بذلك نشاطاً دائرياً في تبادل الأفكار والمذاهب؛ وحفظت هذا اللغة الأدب طابعها القديم؛ كما جعلها أيضاً لغة العلم والثقافة في العالم الإسلامي كله، التي كانت تفهم أيضاً خارج المحيط العربي.

هذا، وقد ساعد على اتساع دائرة نفوذ العربية، أنها صارت لغة فصحى في درجة ثابتة كاملة الحلقات، ولم يعد لها تأثير حتى متداول مع لهجات البدو فلم يعد من المستطاع أن ينشأ المرض ويترعرع معها في بيئه لغوية حية؛ بل كان عليه أن يتعلمها كما يتعلم لغة ميتة دائرة.

وتشير إلى وجاهة نظر الدوائر الإسلامية إذ ذاك حول هذه المسألة، دعوى المقدسي: أن أسمى درجات العربية كان يتكلّم في فارس، أي في

(١) ينمية الدهر ٤/١٢٣ فا بعدها.

(٢) الكتاب المذكور ٤/١٦٨ فا بعدها.

— ١٧٦ —

أرض غير عربية اللغة ، لأن الناس هناك كانوا يبذلون اجتهاداً عظيماً في دراستها .

وفي ذلك العهد كان يعد فصيحاً من سلم من الخطا في مراعاة الإعراب والتصريف ، ولاحظ قواعد العربية في صوغ الأفعال والأسماء ، وتجنب العبارات الدارجة في اختيار الألفاظ . وإنذ فقد صارت الفصاحة وسلامة اللغة أمراً محصوراً في الثقافة المكتسبة ؛ ومن هنا خلت حذقاً فنياً يحسنه المرء على تفاوت كبير في المراتب والدرجات .

وكان لا يعد إذ ذاك من اللحن اللغوي إلا الاصطدام الشنيع مع قواعد النحو ؛ فلم يعد ينشأ اللحن من الاختلاف بين الاستعمال اللغوي القديم والحديث في مجري التعبير الحي .

وكثير من التصادم مع روح العربية الفصحى القديمة يواجهنا عند جميع المنشئين في أوائل العصر الإسلامي الأوسط ، لأن صلب الأسلوب في لغتهم قد صار فعلاً من العربية المولدة .

وحتى لغة المنبي (٣٥٤ هـ - ٣٠٣ هـ) التي تأثرت تأثراً قوياً بمثل لهجات البدو [قضى الشاعر ما يزيد على سنتين وهو صبي من سنة ٣١٣ هـ إلى ٣١٥ هـ في قبيلة كلب في أرض السواقة<sup>(١)</sup>] تحمل سمات من العربية المولدة .

فهو يتحدث عن رُكَّب ناقته<sup>(٢)</sup> ، فيجمعها على صيغة: رُكْبَاتِهَا ، بدلاً من صيغة الثنوية: رُكْبَتِهَا . وهذا لا يصح توجيهه ، كما ذهب إليه الواحدى ، بالإشارة إلى آية سورة التحرير ٦٦ / ٤ : [إِن تَوَبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَّتْ] قلوبكمَا ؛ ولا إلى البيت الذى يتكرر الاستشهاد به كثيراً : ظهراماً مثل ظهور الشَّرْسَيْنِ<sup>(٣)</sup> . إذ إن الثنوية في هاتين الحالتين مفهومة من ثنوية الضمير المضاف إليه ، أو من الاسم المثنى المضاف إليه<sup>(٤)</sup> . بل هو اتجاه إلى الظاهرة

(١) Blachere EI III 844

(٢) انظر : المثل السائر ص ١١ (ديوانه من ٧٣٨ Diet ٧٣٨) .

(٣) انظر فهارس الشواهد لمفيشر ٢٥٨ .

(٤) انظر الشواهد والأمثلة التي ذكرها : Reckendorf, Arab. Synta S. ١٣٨

— ١٧٧ —

الملحوظة اليوم في كثير من اللهجات العربية . وهي مطردة الجمع للمثنى وتغلبه عليه .

وшибه بهذا استعمال لفظ الجمع : أيدى ، بل جمع الجمع : أيدادى <sup>(١)</sup> ، في مكان المثنى . في عهد الصفدي <sup>(٢)</sup> (٦٩٤ - ٧٦٤ هـ) كانت جمهرة علماء اللغة تكتب في رسائلها الخاصة : المملوك يقبل الأيدادى السكريعة ؟ وكان الإحساس اللغوى عند الصفدى تجاه المثنى ضعيفاً بحيث عدم وضع لفظ : الأيدى ، بدلًا من : الأيدادى ، في ذلك التعبير الخاطئ ، وسيلة كافية لتصحيحه ، ووضعه في قالب فصيح .

ومن العربية المولدة — عدا ما ذكر — عند المتنبي ، استعماله فعل المطاوعة : انهوى ، بمعنى هوى وسقط <sup>(٣)</sup> ; وتعديته فعل : بعث ، بالباء وإلى جيما :

[فَأَجْرَكَ إِلَهٌ عَلَى عَلِيلٍ]      بعثت إلى المسيح به طيبا <sup>(٤)</sup>

واستعماله لفظ : رؤيا بمعنى الحلم ، بدلًا من الرؤية ، بمعنى النظر <sup>(٥)</sup> ، يرجع إلى أن علامات التأييث ، كالنائمة والألف المقصورة ، والممدودة ، قد اختلطت ، كما في الكلام الدارج في اللهجات الحديثة .

ويبدو أن هذه الظاهرة بدت مبكرة في هذين اللفظين : رؤيا ورؤبة <sup>(٦)</sup> ، ففسروا القرآن من أهل السنة يعدون لفظ : رؤيا ، في آية سورة الإسراء

(١) يراد من الأيدادى ، في اللغة العربية القديمة غالباً : النم والمسنات حتى في مثال الأغانى ١٤٠ / ١٤٠ الذى ذكره ركتنورف في كتابه السابق ص ١٣٨ .

(٢) انظر الكشكوك للعامل (١٢٨٨ هـ) ص ٢١٥ .

(٣) شرح الديوان للواحدى (Diet) ص ٤٦٤ وانظر : شرح درة الفوادن للفاجى ص ٦٣ وانظر : Fleischer I ١٧٣

(٤) من القصيدة ص ٩٩ في شرح الديوان ج ١ (طبع بولاق ١٢٨٧ هـ) ; وانظر درة الفوادن ص ٢١ .

(٥) مطلع القصيدة ص ١٥ من الديوان ج ١ ، وانظر : درة الفوادن ص ٩٥ .

(٦) بل ساق ابن برى (المعرف ٥٨٢) بيت الراعى ، ذكره الشهاب الخماجى في شرح درة الفوادن ص ١٤٢ :

فَسَكَبَ لِرَؤْيَا وَهُشْ قَوَادِهِ      وبَشَرَ نَفَسًا كَانَ قَبْلَ يَلْوِمَهَا  
انظر الموضع المذكور .

١٧ / ٦٠ في قصة المراجج بمعنى المشاهدة الحقيقة ، عن نظر في العلانية ،  
لا بمعنى الحلم <sup>(١)</sup> .

ويقرن الشاعر أن الناصبة بالفعل المضارع المرفوع ، كآخرین من سبقة <sup>(٢)</sup> ؛ كذلك يصوغ أ فعل التفضيل من أسماء الألوان <sup>(٣)</sup> : لأنت أسود في عيني من الظلم .

أما استعماله أ فعل التفضيل من الرباعي حيث قال : أذهب للغيط <sup>(٤)</sup> ، فقد وجد ما يشبهه في القرآن والشعر القديم <sup>(٥)</sup> ؛ وإن طالب المتزمتون في اللغة بتغيير ذلك إلى أشد ذهابا للغيط ، لزيادة الإيقاض والبيان .

وفي مثل هذه الأحوال لا يتيسر الفصل في إرجاع الأمر إلى الاستعمال اللغوي للعربية المولدة ، أو إلى رخصة الشعر جرياً على طريقة اللغة الشعرية القديمة .

وهكذا يتكرر في شعر المتنبي ما عاشه النحاة القدامى ، وإن قاله الكميـت ، وأجازـه ثعلـب ، وهو استعمال : أـبرـق <sup>(٦)</sup> ، (بالمـعـنىـ المـجاـزـيـ) ، واستـعمالـ لـفـظـ : ذـوـ ، معـ الصـمـيرـ ، بـعـنىـ صـاحـبـ <sup>(٧)</sup> ، لـهـ شـبـهـ فيـ بـيـتـ الـكمـيـتـ <sup>(٨)</sup> ، كـماـ فـيـ النـثـرـ أـيـضـاـ <sup>(٩)</sup> .

(١) انظر شرح ديوان المتنبي لا واحدى ص ٢٤١ (نشر Diet) ، وانظر كتب التفسير في الآية المذكورة .

(٢) انظر : Diet في الشرح المذكور ص ٥٠، ٣٥٠ و ملاحظته ص ٧١ .

(٣) انظر Diet ص ٥٢ ، درة الفراصين ٣١ ، خزانة الأدب ٤٨٤ / ٤٨١ ، ٤٨٦-٤٨٤ .

(٤) شرح الديوان الواحدى ص ٣٣ .

(٥) انظر Fleischer Beitraege 249-252 Reckendorf, Syntax, 4، 95 S. وانظر كذلك مقدمة الدرة الفاخرة في الأمثال على أ فعل لمعزة الإصفهانى (المترجم) .

(٦) انظر ص ١٧ من شرح الواحدى المذكور .

(٧) ذواتها ، في مطلع القصيدة ص ١٥٧ من شرح العكبرى على الديوان ج ١ .

(٨) انظر ابن يعيش ص ٣٥٥ و ص ٦٣ .

(٩) صبحن المزرجية مرهفات أبان ذرى أرومتها ذرووها )

وقد نسب هذا البيت إلى كعب بن زهير - دون حق - في أشعار الحماسة ٤٤٢ وفي ابن يعيش أيضاً .

(١٠) انظر : فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٣٢ س ٧ (نشر دى غويه) .

- ١٧٩ -

وإدخال أداة الاستثناء : إلا ، على الضمير المتصل <sup>(١)</sup> ، هو وإن كان لم يرد في الشعر القديم ، فإن الفراء (المتوفى ٢٠٧ هـ) وضع يده على بيت استشهد به على ذلك <sup>(٢)</sup> .

والجمع الشاذ : آخاء <sup>(٣)</sup> ، أى إخوة ، المصوغ على مثال آباء ، كان معروفاً عند يونس <sup>(٤)</sup> شيخ سيبويه .

والجمع غير القياسي : رُؤُس <sup>(٥)</sup> ، = رؤوس بدلًا من رعوس ، استشهد عليه الواحدى ببيت ، هو وإن نسبة خطأ لامرئ القيس <sup>(٦)</sup> ، فإنه أقدم من المتنبى على كل حال .

كذلك ترخييم اسم العلم : عمرو بن حابس ، إلى عمرو بن حاب ، في غير النداء <sup>(٧)</sup> ليس أمراً عديم النظير <sup>(٨)</sup> وإذا استعمل المتنبى لفظ : حال <sup>(٩)</sup> ، في الشعر ، بدلًا من لفظ حال ، بالتشديد ، غير الممكن في الاستعمال الشعري ، فإنه يلجأ فيه إلى رخصة الشعر التي كان يلجأ إليها الشعراء في مختتم القرن الأول <sup>(١٠)</sup> .

والأمثلة التي ذكرت أخيراً تنقلنا إلى الحالات التي يتجلّى فيها أسلوب

(١) إلاك ص ١٣٢ شرح الديوان للمكبرى ج ٢ ؛ وانظر : درة الفواص ص ١١٠ .

(٢) خزانة الأدب ٤٠٦/٢ .

(٣) انظر : الكشف عن مساوى شعر المتنبى للصاحب بن عباد ص ١٦ ، العمدة ٢٠٥/٢ (وفي الديوان شرح الواحدى : كل آباء ، بدلًا من : كل آخاء) وفي شرح المكبرى على الأصل .

(٤) انظر تاج المرروس ١١/١٠ .

(٥) انظر شرح الواحدى ص ٩٥ .

(٦) انظر : ملحق ديوانه ق ٢/٢٨ (أهلوت) .

(٧) شرح الواحدى المذكور ص ٥٩٢ .

(٨) انظر خزانة الأدب ٣٨١/١ .

(٩) انظر شرح الواحدى ص ١٧٩ ، وابن الأثير في المثل السائر ص ١٨٤ .

(١٠) استعمل قتب بن أم صاحب لفظ : ضنوا (ضئارات ابن الشجري ص ٨ ) ؛ والعجاج لفظ : أظلل (أرجوزة رقم ٨٨/٢٩ ) ؛ وانظر نوادر أبي زيد ص ٤٣ ؛ سيبويه ١٠/١ (١٣١٦ هـ) ؛ الموشح ص ٩٤ ؛ وهناك مثال من التتر عند القالي في الأمالى ١/٢٥٩ (الطبعة الثانية) ، وآخر في حديث ؛ انظر الأكلى للمكبرى ص ٥٧٦ ) .

- ١٨٠ -

الشاعر الخاص في اختيار الألفاظ وصوغ الكلام . ويتعلق بهذا لإثارة أسماء الإشارة : ذا ؛ ذى ؛ هذا ؛ هذى ؛ بدلا من : هو والذى <sup>(١)</sup> ، وإغراقه في ذلك حتى ذكر في بيت واحد إلى جانب ذا ، ذلك اللفظ المهجور تماما ، وهو : الَّذِي ، بدل الذى ؛ واللفظ الدارج : هُوَ (بدل من : هُوَ) ، أي بالإشاع بدلًا من فتح الواو <sup>(٢)</sup> .

وفي مطلع القصيدة السادسة والخمسين ، الذي كثُر حوله الجدل :

### أحاد أم سداس في أحاداد لَيْلَتُنَا المنوطة بالتنادي

أخذ عليه <sup>(٣)</sup> — بحق — استعماله لفظ : أحاداد ، التقسيمي [ مثلا : جاءوا أحاداد أى متفرقين ] وسداس أيضاً ، بدلًا من اسم العدد المضى : واحدة ، وستة . يضاف إلى هذا أن هذه الصيغة إنما جرى بها الاستعمال في أسماء العدد الأربع الأولى ، وإن أجاز الكيت لنفسه ذات مرة لفظ : عشار <sup>(٤)</sup> . وفي نفس البيت عد لفظ : ليلا خطأ من حيث الصيغة والدلالة ؛ إذ الصواب يقتضى . لَيْلَيْلَيْة <sup>(٥)</sup> ؛ ثم إنه وإن كان لفظ : دوبيبة ، معناه الداهية العظيمة ، فلا يقتضى هذا استعمال كل تصغير بمعنى التعظيم . ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أيضاً أن حذف أدلة الاستفهام في هذا البيت من ظواهر العربية المولدة .

كذلك خاصية أخرى من خصائص أسلوب المتنبى ، وهى تأليفه للجمل والألفاظ على وجه اختيارى إرادى متصنّع للغاية ، تعد أمارة ظاهرة على طابع العربية المولدة في حقيقة أسلوبه اللغوى . وفي الواقع يناسب العربية المولدة — لفقدانها الإعراب — نوع ثابت من نظام الجملة . وعلى النقيض

(١) العمدة لابن رشيق ٥٧/٢ .

(٢) انظر الديوان ص ٢٠١ (نشر Diet: ) .

(٣) انظر شرح الواحدى والمعجرى على المطلع المذكور ، والحريرى في درة الفواصص ص ١٤٨ .

(٤) انظر الأغانى ١٤٥/١٣ ؛ أدب الكاتب ص ٥٩١ .

(٥) انظر : Fleischer, Beiträge 4, 241 .

من ذلك نظام الجملة في اللغة الفصحى القديمة ، فهو فيها حر وإن لم يخل من تقييد [ بعض الأمثلة على فساد التأليف وفاحاً النقد حقها من التشهير<sup>(١)</sup> ] . أما الاختيار الذى يؤلف المتنبي نظمه على مقتضاه سقها مضطرباً ، فيتجلى فيه عجزه عن التعبير الموافق لروح العربية القديمة ؛ على العكس من تقديم المسند إليه في الجملة الفعلية ، فهو ظاهرة خاصة بالعربية المولدة ، كذلك زيادة ضمير<sup>(٢)</sup> الإسناد المنفصل مع الجملة الفعلية أيضاً دون حصر ولا تأكيد كما<sup>(٣)</sup> في البيت المشهور<sup>(٤)</sup> .

**إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللثيم تمرا**

وعلى الرغم من ذلك كله ، لم تسترع هذه الظواهر المختلفة للفصحى في شعر المتنبي انتباه معاصرية كثيراً ، بل الإحساس بأنها من اللحن . ويidel على ذلك جدل الصاحب بن عباد في الرسالة التي كتبها في نقد المتنبي بعنوان الكشف عن مساوى شعر المتنبي<sup>(٥)</sup> . وقد كان الصاحب بن عباد دعا الشاعر إلى زيارته بالرى ، حينما جاء إلى شيراز سنة ٣٥٤ هـ ، ولكن الشاعر الأبي النفس لم يره أهلاً لذلك ، فانتقم الصاحب لنفسه في رسالته المذكورة من أجل هذه الإهانة .

(١) انظر الكامل للبرد ص ١٨ ; الملوش ١٠٢ - ١٠٤ ; سيبويه ٩/١ (ديرنبورج) .

(٢) زيادة هذا الضمير هنا أمر شائع جداً وقديم ( وقد أخبرني بذلك فلك مؤخرأ ) ويتحدث Reckendorf عن هذه الظاهرة في كتابه Synt. Verh, 380 مع شواهد لبيه والمدللين . ومن الواضح أن زيادة الضمير هنا ليست ضرورة شعرية ، بدليل ورودة في التتر في مثل قوله تعالى : « وإن أتت ضررهم » ( ١٠٦/٥ ) وقوله أيضاً « فإذا هي تلتفت » ( ١١٧/٧ ) شبيهalar .

(٣) ص ٢٠٠ في شرح العكبري ج ١ ص ٥٣٣ في شرح الواحدى .

(٤) أكثر ما أخذه المؤلف على شعر المتنبي تبع فيه رأى النحاة البصريين ، وهم الذين يقصدون دائماً بوصف المترمين في اللغة ، ولكن المتنبي قد عرف بمتابة السكونيين ، وهم يعتمدون كل ماورد عن العرب بوجه من الوجوه . وقد عرف أنهم أوسع روایة من البصريين ؛ على أن كثيراً مما أخذه المؤلف على المتنبي ورد في بعض القراءات القرآنية ، فضلاً عن النصوص العربية ( النجgar ) .

(٥) طبع في القاهرة ( ١٣٤٩ هـ ) ويشتمل الجزء الأول من اليتيمة للشاعري على مضمون الكتاب المذكور . وقد ذكر الفزان القيروانى ( المتوفى سنة ٤١٢ هـ ) شيئاً من أخطاء المتنبي في مقدمة كتابه « ما يجوز للشاعر في الضرورة » ( المترجم ) .

والرسالة في صورة خطاب إلى خير بالشعر طلب إلى الصاحب أن يعرب — كتابة — عن رأيه النقدي في وضع المتنبي عن مستوى الرفيع . وهو يتظاهر بإبعاد نفسه عن مظنة التحامل في الحكم — وأى عالم لا يهفو ، وأى صارم لا ينبو ، وأى جواد لا يكتو — وأنه لا يبغى إلا حقه في تعلييل حكمه ، وهو حق تمسك به محتذياً حلو الوزير العظيم : أبي الفضل بن العميد ، الذي ساق الصاحب رأيه الحر في البحترى وأبي تمام ؛ ثم ذكر الصاحب أن الدعوى الخاطئة ، من أن علماء اللغة وحدهم هم الإخصائيون الذين يحذفون النقد ، دعوى على غير أساس ، مشيراً إلى اختيارات ابن الخطاط<sup>(١)</sup> التي جمعها دون ذرة من الذوق الأدبي . وبعد أن أزال الصاحب بهذه المقدمة الطويلة ، التي تعدل ثلث هذه الرسالة القصيرة ، هيبة القارئ ورهبته تجاه الفن الرفيع ، وأعده في مهارة وحذق للجرأة على نقد الشعراء ، خلص أخيراً إلى موضوعه ، بادئاً بما خذه على أبيات متفرقة للمتنبي (ص ١١ - ٢٦) دون جرى على نظام ثابت .

وهو يتهمه كثيراً بالسرقة ، ويرمي به بفساد الحسن ، وسوء أدب النفس<sup>(٢)</sup> في مرثيته لأم سيف الدولة ، ويستخر من تعقيد أسلوبه وعسر فهمه ، بحيث لا يعد أسلوب أبي يزيد البسطامي المشهور بالتعقيد شيئاً إليه<sup>(٣)</sup> .

كما يغمز إلى أشعاره الحكمة التي حظيت بإعجاب الكثرين (ص ١٦ س ١١) ويحط من قيمة عدد من أفحش مطالعه ، ويزأ من ثقة الشاعر بنفسه ، ويتندر بأسلوبه ، حيث لا يتورع ابن عباد أيضاً عن إساءات للفهم مقصودة عن خبث ونكاية (ص ٢٦ س ١) .

وفي هذا يجد الصاحب في لوازם المتنبي وخصائص لغته مداعاة قوية للهزء والسخرية مثل ميل المتنبي إلى تكرير اللفظ ، وولعه بتردد طرق

(١) كان شيخ الصاحب بن عباد ومات ٣٢٠ هـ ؛ انظر الفهرست ص ١٢١ ٤ إرشاد الأريب ٢٨٣ / ٦ .

(٢) انظر في هذه المرتبة : العمدة لابن رشيق ١٢٤ / ٢ ؛ المثل الساُرُّ ص ٤٩٦ .

(٣) انظر الرسالة الخامسة (نشر البستانى بيروت ١٩٣١) ٤٧٥ - ٤٣٩ O. Rescher, Islca 2, 439 - 475:

- ١٨٣ -

التعبير<sup>(١)</sup> - ذكر في بيتين ستة عشر وصفاً متتاليات<sup>(٢)</sup> - والتعسف في الأطراد<sup>(٣)</sup> ، والتفاصح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة ، مثل كلمة : التوارب ، بدلاً من التراب (ص ١٤ س ٦) ، وكلمة : جَفَسْخَتْ<sup>(٤)</sup> ، أي فخرت (ص ٢٥ س ٦) .

ييد أنه ، على الرغم من أنه لم يدع فرصة تمر دون النيل من الشاعر والسخرية منه ، وعد حرية الشعر عليه خطأً فاحشاً ، لم يوجه إليه تهمة اللحن في اللغة أصلاً ، مع أن في الأبيات التي ساقها كثيراً من الأمثلة على اللحن في الاستعمال اللغوي . وحتى في هذا البيت :

أحاد أم سداس في أحاد لييلتنا المنوطة بالتنادى

الذى يدعو لحنه إلى النقد دعاء صريحاً ، لم يعلق الصاحب (ص ٢٠) إلا بأنه من عيون قصائده التى تحيير الأفهام ، وتفوت الأوهام ، وتجمم من الحساب مala يدرك إلا بالأرثماطيق وبالإعداد الموضوعة للموسيقى ، وتصور كلام الحكل ، ورطانة الزط .

وكذلك في البيت :

أطعنك طوع الدهر يا ابن يوسف لشهوتنا والخاسدو لك بالرغم  
اقتصر على تحفظه التركيب : الخاسدو لك .

وفي تعرضه للناحية اللغوية لا يتناول إلا ما تعلق بالأسلوب ؛ فهو يجد كلمة : جبرين (ص ٢٠ س ١) ، بدلاً من جبريل<sup>(٥)</sup> ، التي يستعملها

(١) انظر في التكرار العمدة لابن رشيق ٥٩/٢ فما بعدها ، وفي الترديد العمدة ٢/٢.

(٢) ص ١٨٤ من شرح الواحدى وهناك مثال آخر به ٢١ وصفاً في ص ٩١ ومجموعة من أفعال الأمر في ص ٤٩٣ ؛ ٤٩٥ انظر : العمدة ٢٤/٢ فما بعدها ، وانظر المثل السائر ص ١٨١ ، ١٨٣ .

(٣) انظر : العمدة ٦٨/٢ .

(٤) انظر : المثل السائر ص ٩٨ .

(٥) انظر في هذه الصيغة وما شاكلها (إسرائين ، إسرافين ، إسماعين إلخ) أمالى القالى .

٤٤/٢ (طبع دار الكتب) .

المتنبي لضرورة الشعر ؛ غريبة بغية ؛ كما يرى (ص ١٩ س ١٥) أن حذف كلمة : **الدُّنْيَا** ، جمع دنيا ، في شعر المتنبي ، خير من ذكرها ، ويتسائل (ص ١٦ س ١٥) في سخرية من البيت :

شديد بعد من شرب الشَّمْوَلِ تُرْنِجُ<sup>(١)</sup> الهند أو طلع التخييل  
هل استهلال الأبيات أحسن، أم المعنى أبدع، أم قوله : ترنج ، أفصح؟.

وهذا التساهل والتتجاهل التام الذي يبدو من ابن عباد تجاه اللحن اللغوي في شعر المتنبي ، هو ظاهرة عامة للموقف الذي أخذه الأدباء في أوائل العصر الإسلامي الأوسط ، من مسألة الفصاحة وسلامة اللغة ؛ فيبين الحين والآخر يتذكر أحد علماء اللغة ، على ضوء معارفه عن أدب القواعد القديمة ، أن هذا التركيب أو ذلك خاطئ في قانون اللغة الفصحى القديمة ؛ ولكن مثل هذه الملاحظات تأخذ تدريجياً في الندرة عند أدب الشروح ، حيث يأخذ تفسير الشعر هنا طابع الذوق الأدبي ، الذي لم يعد يصدر في حكمه عن القواعد وال نحو ، بل عن مقاييس الأسلوب بوجه خاص .

وكذلك من نتائج ذلك الطابع الصناعي الفنى للغة الأدب ، احتياج دواوين الشعر الرفيع ، والثُّرُّ الفنى البديع – في ذلك العصر – إلى الشرح والتفسير ، حتى انتشرت لدى الرأى العام فكرة أنه كلما تعسر فهم الأثر الأدبي الفنى ، رجح وزنه وعلا قدره .

ومتنبي لم يكن يقتصر على إنشاد شعره فحسب ، بل كان يشفع ذلك أيضاً بالشرح والتوضيح . ومن رواه ابن جنى السالف الذكر (المتوفى ٣٩٢هـ) الذي يروى أن الشاعر كان يلقى وزناً كبيراً لحكمه بحيث كان يحيط سائليه في مختلف الأحوال عليه . وقد ذُكر من الأمثلة على ذلك<sup>(٢)</sup> ماورد في شعر المتنبي من تصغير لفظ : إنسان ، على : أنيسيان<sup>(٣)</sup> ؛ قوله<sup>(٤)</sup> :

(١) ترنج لغة في : أترج ، انظر أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٠١ (نشر : Grünert).

(٢) إرشاد الأريب ٢٥/٥ .

(٣) انظر تاج العروس ٤/١٠٢ . والراجح عندي أن أنيسيان كلمة منحوتة من : أنيسي (مصفر إنسى) وإنسان (شبيتال) .

(٤) ابن خلكان ١/٥٦٣ ؛ وذكره الدميري في حياة الحيوان ١/٤٦١ (١٣٤٧هـ) .

بادِ هواك صبرت ألم تصبرا  
بنصب المضارع - في ظاهر الكلام - بعد : لم الجازمة<sup>(١)</sup>.

ومهما يكن من أمر ، فن الثابت أن ابن جنى كتب شرحبيل لديوان المتنبي<sup>(٢)</sup> ، أحدهما وهو : الفسر<sup>(٣)</sup> لشرح ديوان أبي الطيب ، مقصور في جملته على شرح معانى الألفاظ ، على حين يعنى الآخر ، كما يعبر عن ذلك عنوانه : معانى أبيات المتنبي ، بما يحتويه شعره من أفكار .

ولم يكن ابن جنى على الرغم من ذلك - إذا أخذنا بحكم الواحدى في مقدمته لشرح ديوان المتنبي ، المكتوب ٤٦٢ هـ - أبا عذرها في تقرير فهم الأشعار الحديثة للقارئ . إذ يفترض شرح مثل هذه الأشعار - زيادة على الدراسة العميقية باللغة والموضوع - تذوقاً لفنون الأدب ، وإحساساً بالجمال الفنى ، وحكمأ ثابتاً صحيحاً . على حين أن ملكرة ابن جنى كانت ذات وجهة واحدة ، هي ميدان علم اللغة . ولذلك كان يرى عمله ينحصر في توسيع العبارات التي يستعملها الشاعر ، وبيان صيغها وعملها التحوى . وهو يرثى العنان في ذلك كثيراً لتزوجه إلى بسط دقائق التحوى العربي ، بحيث يشتمل شرحه على القسم الأعظم من التوارد اللغوية التي جمعها أبو زيد ، ويعالج كثيراً من المسائل التي أثارها سيبويه .

وقد أورد كتابه لشرح الطواهر اللغوية النادرة (الغرير) نحو عشرين ألفاً من الشواهد (يحتوى ديوان المتنبي بأكمله على ٥٤٠٠ بيت) ؛ كما حفل بمجموعة كبيرة من الأقاصيص المقدرة التي لا تساعد أدنى مساعدة على فهم

(١) في هذه الفرورة الشعرية التي جرى استعمالها في كثير من شعر الأولائل (الأمشي قصيدة ١٧ بيت ٢٠ ؛ المجاج رقم ٥١ بيت ١٠ وغير ذلك ، انظر فهارس الشواهد لفيشر ص ٢٥٢) يحمل على أنه أبدل الألف من نون التوكيد الحقيقة في حالة الوقف ، انظر : خزانة الأدب ٥٦٩/٤) نعم يزعم اللعياني (نزهة الألباء ص ٢٣٦) أن نصب المضارع بعدم ، هجية من هجيات العرب ، وروى قراءة شاذة في ألم نشرح لك صدرك ؛ بفتح الفعل بعدم ! ولكن ابن جنى في المحتسب رفض هذه القراءة ولم يسوغها .

(٢) الفهرست ص ١٢٨ .

(٣) نشره الدكتور صفاه خلوصى الجزء الأول منه في بغداد ١٣٩٠ هـ (المترجم) .

- ١٨٦ -

شعر المتنبي . وعلى الرغم من ذلك ينقص ابن جنى الفهم العميق ، والتفاذا في دائرة المعانى . فمثلاً يتحدث المتنبي ، في ذلك الأسلوب التصويري المألف في شعر الغزل ، عن مطر الدموع الذى يسكنه الحب المغرم ، إذا أظهرت الحسناً المتذلة المتتجافية أسنانها البراقة عند الابتسام :

تبلّ خَدَىٰ كَلَّا ابْتَسَمَتْ مِنْ مَطْرِ بُرْقَه ثَنَيَا هَا

فيفسر ابن جنى هذا المطر بريق الحبوبة الذى يسيل من فها إذا ضحكت<sup>(١)</sup> . وهذا العجز عن الإحساس والشعور بمقاصد الشعر ومراميه يزيد من بخس شرحه وخفة وزنه ، إذا لا حظنا أن مثل هذا الديوان الموسوم بطابع البلاغة القوى ، يتوقف هضمه ، والتفاذا إلى عالم تفكير شاعره ، على الفهم الذى لا يتيسر بسهولة لاستعاراته ومجازاته وأخيالاته الكثيرة ، التي تحجب أفكاره أكثر مما تكشف عنها الغطاء .

ومن هنا أيضاً يتتجنب شرح ابن جنى ، اللامقاص بغير دلائل الألفاظ ، جانب المعانى ، وتقدم الأفكار والابتكار فيها ، والبناء الداخلى للشعر . وبهذا يغفل الطابع الخاص الذى يميز الشعر العربى الحديث تمييزاً أساسياً عن شعر البدو . فى هذا الأخير ربما جاز اكتفاء الشارح بتفسير بعض المفردات ، وعبارات الكلام ، وتوضيح غرض الشاعر ومرماه ، بذكر ألفاظ دالة مختصرة مثل : مدح ، هجاء ، فخر ، أو نحو ذلك . أما فى شعر الحديثين ، ولا سيما شعر المتنبي بوجه خاص ، فإن بناء الشعر وتكوينه الداخلى يلعب دوراً عظيماً ، بحيث لا يجوز إغفاله فى الشرح والتفسير .

فها يدل على أن القصيدة بتمامها كانت ماثلة أمام نظر المتنبي ، من حيث هي وحدة تامة للأجزاء عند الشروع فى إنشائها ، ما يروى<sup>(٢)</sup> من أنه كان إذا نظم قصيدة يتغنى بأبياتها بيتاً بيتاً ، وكلها توقف مرة بدأ يتغنى من أول القصيدة ؛ وكان يبذل جهداً كبيراً فى الانتقال من جزء إلى آخر .

(١) انظر : المثل السائر ص ٢٢٩ .

(٢) انظر العمدة لابن رشيق ١/٤١ .

وقد اشتهرت بعض قصائده لإبداعه ، وابتکاره في أبيات مطالعها ؛ على حين حظيت بعض قصائده الأخرى بالإعجاب بمحنة في أبيات خواتيمها. ولكن الإمام بمثل هذه الدقائق لم يكن من فن ابن جنى ولا طبيعته .

ولم يغفل النقاد عن تبيان عيوب شرحة ؛ فقد حمل عليه معاصره ابن فورجَه<sup>(١)</sup> حملة شعواء في كتابين يطابق عنوانهما موضوعها : الفتح على أبي الفتح<sup>(٢)</sup> ؛ والتجني على ابن جنى ؛ ولم يتورع في ذلك ؛ كما يشير إليه نص من كتاب الفتح<sup>(٣)</sup> . عن طעنه بهم تخدش الشرف . ويشهد له الواحدى الذي قرأ الكتابين<sup>(٤)</sup> ، بأنه محق فيما ذهب إليه في غالب الأحوال .

كذلك كتب أبو حيان التوحيدي (المتوفى ٤٠٠ هـ) ردًا عليه بعنوان : الرد على ابن جنى في شعر المتنبى<sup>(٥)</sup> .

كما أن الشريف المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ) نقيب الأشراف العلوى الدائع الشهرة ، اشترك في التزاع بكتابه : تتبع الأبيات التي تكلم عليها ابن جنى<sup>(٦)</sup> .

وآخر أيضًا ، هو أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الإصفهانى ، صنف لبهاء الدولة البوهيمى (حكم ٣٧٩ - ٤٠٣ هـ) تهدىًأً لشرح ابن جنى الكبير في قالب مصحح مختصر<sup>(٧)</sup> .

(١) إرشاد الأريب ٤/٧ ؛ بنية الوعاة ص ٣٩ ؛ وانظر : فريدة مصر لأحمد الحق من ٧١٥ - ٧١٨ ؛ وتسميه : ابن فورجه ، التي ذكرها ياقوت بالتشديد ، هي في الظاهر صيغة أخرى إلى جانب : ابن فوركه .

(٢) نشر عبد الكريم الدجيل في بغداد سنة ١٩٧٣ (المترجم)

(٣) إرشاد الأريب ١/١٢٥ .

(٤) ديوان المتنبى ، بشرح الواحدى (نشر : Dieterici) ص ٣ .

(٥) إرشاد الأريب ٥/٣٨١ .

(٦) انظر : إرشاد الأريب ٥/١٧٤ ؛ لسان الميزان ٤/٢٢٤ ، وقد عرف هذا الكتاب فذكره بعنوان : الرد على ابن جنى في شرح ديوان المتنبى . وانظر : كشف الحجب الكثوري ص ٩٧ وفهرست الطوسي ٢١٩ (شبرنجير) .

(٧) وقد أخذت عنه ترجمة المتنبى المستفيضة في خزانة الأدب ١/٣٨٢ - ٣٨٩ .

وأغلب الظن أن ابن وكيع (المتوفى ٣٩٣ هـ) قد حمل أيضاً على ابن جنى ، في كتابه : المنصف ، الذي عالج فيه مسألة ابتكار المتنبي ومتابعته لمن سبقه ، مع نقد وتحقيق ؛ لأن ابن جنى ألف ما يسمى : كتاب النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتحقيقه<sup>(١)</sup> .

وعلى كل حال يبدو أن ابن جنى احتفظ بأسلوب الشرح الذي اختاره ، على الرغم من جميع النقد الذي وجه إليه بسببه ؛ إذ إنه ألف كتاباً خاصاً في شرح بيت واحد نظمه عضيد الدولة البوهيمى<sup>(٢)</sup> ، وألف أيضاً في العقد الأخير من حياته شرحاً لأربع مراتير من شعر تلميذه : الشريف الرضى (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ) عنوانه : تفسير العلويات ، في أربعة أجزاء ، لكل مرثية جزء<sup>(٣)</sup> .

هذا الطابع ، العلمي الأدبي ، للشعر الفنى ، الذي جعل ذلك الشعر وقفاً ، أو حقاً ممتازاً لشريذمة قليلة من علية المثقفين الضليعين في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، ازدادت قوته في القرن الثالى ؛ بحيث قرن أبو العلاء المعرى بعض دواوينه بالشرح والتفسير ، تيسيراً لفهمها على القارئ .

فأشعار شبابه في سقط الزند ، التي تم على تأثر قوى بالمتنبي ، والتي صيغت في أسلوب حافل بالأخيلة والمجازات ، احتاجت إلى شرح سقط الزند (ضوء السقط) .

كذلك النثر المسجوع في كتابه : الفصول والغایات أنشأه في سن متاخرة كما يظهر ، والذي قال فيه الرحالة الفارسى : ناصرى خسرو (٣٩٤ - ٤٥٢ هـ) حينما زار الشاعر سنة ٤٣٩ هـ : إنه بي غير مفهوم في القسم الأعظم منه حتى لتأميم الأستاذ أنفسهم .

(١) إرشاد الأريب ٥ / ٣١ .

(٢) إرشاد الأريب في الموضع السالف .

(٣) إرشاد الأريب ٥ / ٣٠ .

(١١)

## استعمال اللغة الدارجة في أشعار القرن الرابع المجري – العاشر الميلادي

يحمل شعر القرص والمناسبات طابع العربية المولدة ، بمقدار أعظم وأظهر كثيراً من الشعر الفى الرفيع ؛ كما تعرض مادة غزيرة ، من الشواهد على ذلك ، اختارات المشهورة من أشعار القرن الرابع ، التي تشتمل عليها يتيمة الدهر للشعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) .

ويقدم الفصل المعقود لابن الحجاج على الأنصب (المتوفى سنة ٣٩١ هـ) تصويراً جم الفوائد<sup>(١)</sup> ؛ فهذا الشاعر الموهوب ، وإن كان زمِّراً للخلق والمروعة ، والذى ينتمى إلى أسرة رفيعة من ذوى الجاه والمناصب ، والذى شغل منصب « الخ提ب » ببغداد رحماً من الدهر فى ظل سُخْتَيَار البوهيمى (حكم ٣٥٦ – ٣٦٧ هـ) ، ولكنه آخر أخيراً أن يبتز الأموال ، بأهاجيه وملحه ، من ذوى المناصب والرتب؛ هذا الشاعر يعد أنهى ممثل أسلوب المجنون والسفاف .

وهذه وجهة فنية تحلى من جميع القيود المفروضة على صناعة الفن التقليدى ، واختارت – على معارضه متعمدة للشعر الرفيع – الأسلوب المبتذل الدارج ، بما فيه من ضعة ، وبذاعة ، وقدر ، ووضر .

وفى معارضته لوسائل الأسلوب القديم ، يدعى ابن حجاج النبوة فى السخاف ، ويطلب إلى عشر السخافاء أن يؤمّنا بالمعجزات التى لا تجاري فى أبياته العارية من الحباء<sup>(٢)</sup> .

وقد طابق الموضوع المبتذل الدارج أسلوب مبتذل دارج ؛ إذ تتجنب الثروة اللغوية من ذلك الشعر الماجن – فى الأعم الأغلب – كل مختار دقيق

(١) يتيمة الدهر ٢١١ / ٢ - ٢٧٠ .

(٢) إرشاد الأريب ٤ / ٧ .

من العبارات الجاربة في الأسلوب الرفيع مادام هو لا يعارضه ولا يجاريه - وما دام لا يعارض وسائل الأسلوب في الشعر القديم - وهو يولع بدلًا من هذا بتفضيل لغة العامة ، متزلا إلى لهجات الشحاذين ، والعيّارين والخلديين ، والسكندين . بغداد (١) .

ويرجع إلى هذا الدخيل من لغة بغداد الدارجة ، ما يشيع في أشعاره من الألفاظ الفارسية ، مثل : (٢) لَقْلَاقَ (ص ٢٤٦ س ١٦) وهو طائر ؛ والقصيص لَقْلَاقٌ : وهو لفظ دارج ، وأخذ استعماله (٣) على المتنبي (٤) : [يصبح الحصى فيها صياغ اللقالق] ، وجُلَّانَارٌ (ص ٢٦١ س ١) ؛ بَلُورٌ فيها صياغ اللقالق] ، وجُلَّانَارٌ (ص ٢٦١ س ١) ؛ بَلُورٌ في الفارسية الحديثة : بِلْرُ [ (ص ٢٤٣ س ١٩) ؛ دُورَقٌ [ في الفارسية الحديثة : دُورَه [ (ص ٢٤٦ س ١٥) ؛ نَمْكُسُودٌ (٦) : اللحم الملح (ص ٢٥٢ س ١) ؛ سِكْباجٌ (٧) : لحم مطبوخ على طريقة خاصة (ص ٢٢٠ س ١) وفي البيت (ص ٢٤٩ س ١٠) وردت الكلمات : دِكْشَابٌ أَى ليلة أمس ؛ دُوْغَبَاجٌ ، أَى اللبن الحامض ؛ وزِيرَاجٌ ، أَى مرق اللحم .

ونذكر العبارات الفارسية بوجه خاص في قصيده في غزل المذكور (ص ٢٦٤ س ٧ - ١٥) التي يسوق فيها حواره مع غلام أعمجمي .

(١) انظر : يتيمة الهر ٢١١/٢ ، والعيار : الذكي الكثير التطاويف ، وأطلق على الدجال الواسع الحيلة . والملطى : نسبة إلى حي في بغداد ، اشتهر بكثرة أهل الحليل على الارتزاق . والسكندي من السكندية وهي شدة الهر ، ويراد به أيضًا الفقراء المتسولون .

(٢) ترجع أرقام الصفحات المذكورة إلى الجزء الثاني من يتيمة الهر (طبع دمشق ١٣٠١)

(٣) المثل السائر من ١٠٨ .

(٤) شرح المكبرى على الديوان ص ٤٨٩ (بولاق) .

(٥) في الفارسية الحديثة : جلنار ، بسكون اللام وتسمى به النساء آيفاً ، وكان اسم أم بشار بن برد جلنار (انظر الأغافن ٢٠، ٧٤/٢) .

(٦) يرد هذا اللفظ كثيراً في كتاب المقدسي : أحسن التقاسيم ، انظر فهرس الأماكن فيه . Dozy, في مادته ومادة (نمكسود) !

(٧) في الفارسية الحديثة : سكبا ، وسكباجة كثير في كلام المباحث ، وذكر في تاريخ بغداد ١٤/٣٥٩ س ١٧ ، والأغافن ١٠/١٢٥ س ٧ ، وورد كتاب في الأطبخة بعنوان : كتاب السكباج بمحضة وآخر لمزيد الله بن أبي طاهر ، انظر الفهرست ، وورد لفظ سكباج لقباً ؛ تاريخ بغداد ٣٥٧/٣ .

- ١٩١ -

وفي ص ٢٤٨ س ١٩ ، يستعمل لفظ : هَمْ ، بمعنى أيضاً ، الذي عابه من قبل أبو خليفة الجمحي في القرن الثالث ، والذى أنكر استعماله من بعد كل من الحريرى (المتوفى ٥١٦ هـ) في درة الغواص<sup>(١)</sup> ، وفي القرن السابع الطبيب المشهور بكتابه في أخبار مصر ، موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى (٥٥٧ - ٦٢٩ هـ) في كتاب الذيل الذى ألهه تعقيباً على فصيح ثعلب<sup>(٢)</sup> .

ويدل على أن ابن حجاج كان يحسن الفارسية لفظ : خَرْكُوش (ص ٢٣٥ س ١) الذى معناه في الفارسية : أربب ، وشبه به في الشعر كلياً سلوفياً سريع العدو على المعنى الأصلى للفظ : له أذنا حمار .

كذلك مادة الألفاظ العربية عند هذا الشاعر ، كثيراً ما يستمدھا من لهجة بغداد الدارجة : (ستّي ، راسمال ، شووش أى أزعج) . وهى غنية بالتعبيرات الدارجة على الأ شخص في غزل المذكر ، مثل الكلمة المولدة : سُرْم ، بمعنى الدبر ، والصيغة الشعبية لها صرم ؛ وقد تجنب الكتاب الملتزمون للدقة ، بسبب ذلك ، المشترك اللفظي لهذه الكلمة وهو : الصرم ، بمعنى الهجر . وأخذ ابن الأثير<sup>(٣)</sup> على المتنى استعماله هذا اللفظ الفصيح الذى يكثر في الشعر القديم .

ويعبر الشاعر في ص ٢١٢ س ١٤ عن تحبيره لمبدأ «تنقية اللغة» تعبيراً حاداً عنيفاً .

وهو وإن استعمل لغة الكتابة كذلك ، فقد اشتغلت أشعاره المزالية بوجه خاص ، على سمات مولدة كثيرة : فقد ترك الممز إلى أحد بعيد (ص ٢٢١ س ١٧ برى بدلاً من : برى ؟؛ ص ٢٦٨ س ٢٠ قران بدلاً من : قرآن ؛ ص ٢٣٩ س ٤ أظلا بدلاً من أظما ، الخ) ؛ كما ترك حركات أو آخر

(١) ص ١٨٣ .

(٢) انظر المزهر للسيوطى ١٨٠ / ١ .

(٣) المثل السارٌ ص ١٠٧ س ١٠ .

- ١٩٢ -

الكلمات في أحوال مثل : ( ص ٢٣٧ س ٧ رُؤى بدلا من : رُؤى ؛ ص ٢٣٠ بَقِيَ، بدلا من : بَقَيَ ) ؛ وأهل تشديد ياء النسبة باطراد في القافية ؛ ( مثل ص ٢٢٠ أَسْفَل ) ؛ واستعمل لفظ : مَسْعَ ، ساكن العين باطراد بدلا من فتحها ، واستعمل هُوَ وهِيَ بالإشباع باطراد بدلا من فتح الواو والياء ( ص ٢٣٨ س ١ ؛ ص ٢٤٩ أَسْفَل ؛ ص ٢١٤ س ٢ ) .

ومن مخالفة القواعد استعمال المؤنث على : غضبانه<sup>(١)</sup> . بدلا من : غضبجي ( ص ٢٥١ س ١٦ ) .

ويدل على قلق<sup>(٢)</sup> في قواعد الإعراب والتصريف استعماله : الوَصِيَ . بالإضافة بدلا من تشديد الياء ونصبها ؛ واستعماله : لا بد أن تمحكى ( ص ٢٦٥ س ١٨ ) ، أيضاً بإشباع الياء بدلا من فتحها واستعمال المضارع المرفوع بعد حتى ( انظر ص ٢٢١ س ١٥ ؛ ص ٢٤٩ أَسْفَل ) ، ومثل : أو ترني بدلا من أو ترافي ( ص ٢٤٥ س ٢ ) .

ولقد شهد كذلك غربى العالم الإسلامي في القرن الرابع تحرراً من الماذج والقوانين المتوارثة ، التي أقرها العرف الأدبي في ميدان الشعر .

بيد أنه في الوقت الذي اتجهت فيه حركة التحرر المذكورة في الشرق إلى الموضوع بوجه خاص ، واستنفت قوتها في خبث التصوير للزذيلة والسقوط ، واستخدام أساليب المعارضنة في تحفيز رفيع الخلال ، وكريم الخصال ، عمد الشعر الأسباني العربي باختراع « الموشح » إلى إبداع قالب فني أعلن ثورة في الأسلوب على العروض القديم .

(١) ثبت أنها لغة لبني أسد .

(٢) لا يصح أن يوصف النلط في الإعراب وقواعد التصريف على أنه قلق وتردد ؛ فكل المصائص المولدة في هذه الأمثلة المسورة هنا عبارة عن استخدام لصيغ عامية ، غير أنه لا يمكن القطع دائماً بسبولة بالسبب المؤدي إلى ذلك : فهو الضرورة الشعرية ، أم الأسلوب العامي الساقط ؟ (شبيتالر) .

١٩٣ -

حقاً لقد ظهر من قبل بالشرق في باكورة العصر العباسي شعر الأدوار من المزدوجة والخمسة ؛ ولكن هذا لم يختلف عن قالب الشعر القديم اختلافاً هاماً إلا من حيث الربط بين اثنين أو أكثر من أنصاف الأبيات - وغالباً من بحر الرجز - بقافية واحدة ، لتكوين دور واحد (على طريقة أ ، ب ب ، ج ج ، الخ ) ، أو من حيث التأليف بين جميع مصاريع كل دور بواسطة قافية خاصة به ، مع تقوية المصراع الأخير من كل دور إلى نهاية الشعر بقافية مشتركة بين جميع أدوار القصيدة (على طريقة أ ، ب ب ، ج ج ، الخ ) .

كذلك ما يشبه الأدوار الشعرية من تأليف أنصاف الأبيات على صورة التصريح أى الأجزاء المسجوعة ، لم تشهد في أوزانها عن طريقة العروض القديم . وأغلب الظن أن أقدم شعر الأدوار في إسبانيا يحول أيضاً في دائرة بحور العروض الأولى ؛ ولكنه حطم بعد ذلك أسوارها .

وعلى ما ذكر ابن بسام<sup>(١)</sup> ، أنشأ قديماً أحد الشعراء في بلاط الأموي الأسباني عبد الله بن محمد (حكم ٢٧٥ - ٣٠٥) ، واسمه محمد بن محمود المقربى الضرير<sup>(٢)</sup> مoshahat في القوالب المستحدثة [ عبارته : وكان يصنعها على أشطار الأشعار غير أن أكثرها على الأعارات المهملة غير المستعملة ] وهذا لا يكاد يفهم منه إلا أن المoshahat قد أخذت هذه الثروة المتنوعة القوالب من حيث العروض في القرن الثالث المجرى ، تلك الثروة التي ظهر إلى جانبها الشعر القديم ، بأوزانه الستة عشر ، فغيراً موحد المغمات .

بيد أن ابن بسام قد عد الأدب الحقيقي لهذا الفن الجديد عبادة بن ماء السماء (المتوفى ٤٢٢ أو ٤١٩ هـ) الذي أبدع فناً ثابت الدعائم ، وابتكر على الأخص أسلوب « التضفير » الذي فسره ابن بسام بأنه يعتمد فيه على مواضع الوقف في المراكز .

(١) ذكره ابن شاكر الكتبى في : فوات الوفيات (١٩٩٥) / ١ .

(٢) انظر : M. Hartmann, Das arabische Strophengedicht I Das Muwassah, S. 69 f.

- ١٩٤ -

والظاهر أن مراده بهذا هو الموشحات ذات الأطفال ، التي تتكون من أدوار ، كل دور منها ذو أبيات مجزأة ، توحد صدورها قافية ، وتوحد أعيجازها قافية أخرى ؛ مع استقلال كل دور عن الآخر في قوافي صدوره وأعيجازه ، ثم يختتم كل دور بالقفل ؛ وهذا الأخير تتحد قوافييه السائدة في جميع القصيدة .

وفي الحق تدل موشحتنا عبادة ، اللتان ساقهما الكتبى ، على عناية فاتقة بإبداع القالب ؛ وكمنوذج لذلك نذكر الدور الثاني من الموشح الثاني ، مع قفله :

رشيقـة المـعـاطـف	كـالـغـصـنـ فـيـ الـقـوـامـ
شـهـسـدـيـةـ المـرـاـشـفـ	كـالـدـلـرـ فـيـ النـظـامـ
دـِعـُصـِيـَّـةـ السـرـوـادـفـ	وـالـخـصـرـ ذـوـ اـنـهـضـامـ

\* \* \*

جوالة القلاـده محلولة عـِقدـ الإـزارـ

حسـنـهـ أـبـدـعـ منـ حـسـنـ ذـيـاكـ الغـزالـ أـكـحلـ المـدـمـعـ

فالـأـجزاءـ الـسـتـةـ الـأـوـلـىـ تـوـلـفـ الدـورـ ؛ـ وـمـاـ بـعـدـ ذـلـكـ هـوـ الـقـفـلـ الـذـىـ يـشـتـملـ عـلـىـ الـقـوـافـيـ الـمـكـرـرـةـ فـيـ جـمـيعـ الـمـوـشـحـةـ ،ـ وـكـلـ دـورـ تـقـنـيـ أـحـزـأـهـ تـقـفـيـةـ خـاصـةـ كـمـاـ ذـكـرـنـاـ .ـ فـاـلـمـوـشـحـةـ الـمـذـكـورـةـ تـتـأـلـفـ مـنـ سـتـةـ دـورـ ؛ـ مـطـلـعـ الدـورـ الـأـوـلـ :

للـهـ ذـاتـ حـسـنـ	مـلـيـحـةـ الـحـيـئـاـ
ومـطـلـعـ الثـالـثـ	لـيلـيـةـ الـذـوـائبـ
ومـطـلـعـ الرـابـعـ	وـوـجهـهـاـ نـهـارـ
ومـطـلـعـ الخـامـسـ	سـفـرـجـلـ الـهـنـودـ
	فـيـ مـرـمـرـ الصـدـورـ
	نـقـيـةـ الـذـيـوـلـ
	عـفـيـفـةـ الـثـيـابـ

ويـتـحدـ الـجـزـءـ الـأـوـلـ مـنـ الـقـفـلـ مـعـ أـجـزـاءـ الدـورـ فـقـطـ ،ـ أـىـ لـأـنـ الـقـافـيـةـ ،ـ عـلـىـ حـينـ تـخـتـلـفـ بـقـيـةـ الـأـجـزـاءـ عـنـهـاـ فـيـ الـوزـنـ وـالـقـافـيـةـ ،ـ وـلـاـ تـتـحدـ

- ١٩٥ -

أجزاء القفل بعضها مع بعض ، ولكنها تتحد مع أجزاء بقية الأقوال في الموسحة كلها ، كما ذكر ، أي أن كل جزء يتحد مع الجزء المقابل له ، فقبل الدور الثالث مثلاً كما يلي :

ناديت وافرادي من غادة ذات افتدار  
لحظها أقطع من حد مصقول النصالِ في الفقى الأشجع  
و قبل الدور الأخير :

في النوم لى شراراًده و حكمها حكم افتدار  
كلما أمنع منها ، فإن طيف الخيال زارني أهجمع

والقفل الأخير من الموسحة ، وهو الذي يسمى : الخرجة ، هو القمة التي تتجه الموسحة كلها إليها ؛ ولذلك يحسب حسابها من أول الشروع فيها ؛ فجميع الأدوار الأولى ، عليها أن تجمع من شتات انتباه السامع لتوجهه إلى القفل الأخير . وهذا عليه أن يرضى نطلع السامع وتشوفه بمفاجأة معنوية ولنفسية تشبع ميله ، وتقنع فضوله ؛ كما يؤخذ معنى ذلك من : « دار الطراز » لابن سناء الملك ، في القفل الأخير من هذه الموسحة ، تؤثر هذه الكلمات الأخيرة أعظم التأثير :

.. . فإن طيف الخيال زارني أهجمع

وفي هذه الموسحة ، كافية كل موسحة تامة ، تقدم ، على جميع الأدوار ، قفل مماثل لجميع الأقوال ، ويسمى : مطلع الموسحة :

حب المها عباده من كل بسماں السوار  
قر يطلع من حسن آفاق الكمال حسنة الأبدع

هذا الفن المتنحّل الدقيق من التقافية والتسميط ، الذي يضفر أجزاء متباude من الموسحة ويدخلها بعضها في بعض ، ويطبع الموسحات بأسمى طابع من الكمال الفني الناضج ، ربما كان هو المعنى « بالتصغير » الذي يعد « عبادة ابن ماء السماء » أباً عذرته .

- ١٩٦ -

كذلك الموسيقى التي كانت تلحن هذه المoshحات [ كل المoshحات كان هدفها الغناء ] كان عليها أن تراعي هذا التنويع والافتتان ، وأن تأخذ أيضاً طابع التعقيد الحافل بالكمال الفني .

ولم يكن هذا التكوين العروضي البديع ، المعتمد في بناء هيكله على قواعد غريبة على الشعر البدوي الفصيح ، ولا ذلك الفن الغنائي المتنخل في التقافية والتصرير ، ولا تلك الموسيقى الرفيعة المعقدة ، هي كل الخصائص التي ميزت بين المoshحات ، والشعر الفني القديم . بل كذلك يحملنا القالب اللغوي لهذا الفن الجديد على ملاحظة التحرر أيضاً من القيود الأولى .

فعلى رأى ابن سناء الملك<sup>(١)</sup> ، ينبغي أن تكون « الخرجة » – فيما عدا المدح لأنها تتضمن اسم المدح في هذه الحالة – بعيدة عن أسلوب السخف الحسيجتاجي ( نسبة إلى ابن حجاج الماجن الذي ذكر آنفأ ) ، وأن تكون صيغتها على قالب ابن فزمان ، أي في أسلوب ملحون مجرد من الإعراب ، كما يحسن أن تشتمل على عبارات دخلية وكلمات أعمجمية اللغة<sup>(٢)</sup> .

نعم لم يكن من السهل ، مع ذلك التغيير الشديد الذي أحدهه ترك الإعراب في مواد الألفاظ ، صوغ عبارات من اللغة الشعبية تصلح للذلك النظام العروضي العسير ، الذي يعتمد على مقاييس الحركات ، ولا يتحمل التطويل الزائد ، ولا المقاطع المغلقة غالباً ؛ وعلى ابن سناء الملك أن يذعن لأن الخرجة في أحوال كثيرة لا بد أن تكون في أسلوب نحوى فصيح ، بل هنا هو المستفيض الغالب فيما بقى من المoshحات .

أما أن رأى ابن سناء الملك في ضرورة صوغ « الخرجة » باللغة الشعبية الدارجة لم يكن مجرد نظرية مفترضة ، بل حقيقة عملية ، فهذا مالا تنحصر الدلالة عليه فيما ورد من المoshحات الجارية على ذلك ؛ بل ما تدل عليه النماذج

(١) انظر تلخيص أقواله في كتاب M. Hartmann السالف الذكر ص ٩٩ فما بعدها .

(٢) ص ١٠١ من الكتاب المذكور .

- ١٩٧ -

الواردة في ديوان: يهودا هالليفي (المتوفى ١١٤١ م) ، والتي تستعمل العبارات العربية والأسبانية القديمة مختلفاً بعضها ببعض على سوء؛ كما تدل على ذلك قبل كل شيء موشحات ابن قزمان (المتوفى ٥٥٥ هـ) التي صيغ كل ما وصل إلينا منها باللغة الدارجة .

ذلك أن محاولة نظم «الزجل» أى الموسحة الشعبية الأسلوب ، إنما يمكن التجاسر عليها بعد أن تقدمت المoshحات الفصيحة باقتباس عبارات وجمل مبتذلة من لغة الشعب ، وهيات بذلك الصيغة والقوالب في لغة العامة للاندماج في أوزان الموسحة . على أنه يتراهى أن هذا المزيج والتقريب بين لغة الكتابة الفصيحة ، واللغة الدارجة العامية ، في الاستعمال الفنى ، بي مقصوراً على الأنجلو-أمريكيين ؛ على الرغم من أن أسلوب الموسحة قد شق مجالاً لاحتذائه وتقليله خارج الأنجلو-أمريكي ، وشمال أفريقيا ، ومصر ، وسوريا ، وببلاد الرافدين .

أما لماذا لم ينحدر إلى العراق<sup>(١)</sup>؟ فربمارجع ذلك إلى أن الموسيقى الفارسية هنا كانت أسبق إلى التغلغل والاستيطان ، إذ إن الموسحة ترتبط بالموسيقى العربية أشد الارتباط ، وحتى يومنا هذا تكون الموسحة جزءاً أساسياً لا يستهان به في محيط الموسيقى العربية<sup>(٢)</sup> .

(١) العراق هو بلاد الرافدين ، والمولف هنا متناقض في أقواله ! (المترجم) .

(٢) يشتمل كتاب الأغاني المصرية لحمود حمدى البولاق المسى «المغنى المصرى» على

٥٠٠ صوت منها ١٣٤ موسحة قصيرة ، القاهرة ١٣٦٦ / ١٩٠٨ .

(١٢)

## وصف المقدسى للصلات اللغوية في المحيط الاسلامى إبان القرن الرابع الهجرى - العاشر الميلادى

كتاب : أحسن التقسيم ، في معرفة الأقاليم ، الذى أكله أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسى <sup>(١)</sup> سنة ٣٧٥ / ٩٥٥ ، والذى يعد أنضج نتاج العصر الإسلامى الأوسط فى ميدان وصف الدول والبلدان ، لا يحتوى على طائفة صالحة من الأخبار عن الأمور اللغوية فحسب ، بل هو فى نفس الوقت عظيم الفائدة من حيث أسلوبه الخالص .

فـكما بلغ المؤلف النزرة فى كلا مقصديه على سواء : من حيث استيعاب النظرة ، وقوة الملاحظة تجاه البلدان والشعوب ؛ ومن حيث الإحساس الدقيق ، والذوق المرهف ، أمام الأسلوب الأدبى ، والتعبير اللغوى ، عرف أيضاً كيف يوفق بين مطالب الكتابة فى الناحية العلمية الخاصة ، ومذاهب الأسلوب الأدبى الرفيع .

ويدل استخدامه ذلك التعبير البلاغى : التقسيم [ يعبر لنفس التقسيم فى اصطلاح البلاغة عن استيفاء أقسام المعنى المراد بيانه ] على توفر الميل الأدبى عند المقدسى ، كما يدل على ولعه بالثر المسجوع ، الذى لم يقتصر على استعماله فى المقدمة ، بل تعاطاه فى مواضع كثيرة من صلب الكتاب .

ولشدة تعلقه بالسجع لا يندر أن يؤثر عبارات متنحطة متاخرة ، مثل استعماله لفظ : أيام ، بمعنى خطيئة ، مریداً به الخمر ( ٤١٠ س ٥ ) ولفظ : د قال ، أى قلاع ، بمعنى السفن ( ص ٤٥٩ س ١٥ ) .

كما حبب إليه تحلية عبارته بالاقتباس القرآنى ، مثل : من كل فج عميق

(١) « كتاب أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم » نشره M.J. De Goeje المرة الثانية سنة ١٩٠٦ (المكتبة الجغرافية العربية ٣) .

(ص ٢٧٨ س ٧ سورة الحج / ٢٢ / ٢٧) ؛ وما يدريلك (ص ٣٧٨ س ٤)،  
وغير ذلك .

وأحياناً يضمن عبارات أدبية من الذاكرة ، مثل تعبيره عن قصان  
الدروع القديمة التي رآها في تيماء ، والتي بطل استعمالها في أزياء السلاح لعهده  
بالدروع الداودية (ص ٢٥٣ س ٤) .

وبحكم اعتياده على ملاحظة الفروق بين مختلف البلدان الإسلامية في  
الكلام ، والأصوات ، واللغة ، لم يقتصر على ذكر قائمة من العبارات  
المحلية (ص ٣٠ س ١٥ – ٣٢ س ٣) بل أكد أيضاً أنه سينكلم في وصف  
كل إقليم بلسانه ، ويناظر على طريقته ، ويضرب من أمثاله ، فإذا تكلم في  
غير الأقاليم – من أجزاء الكتاب – تكلم بلغة الشام لأنها إقليمه الذي به  
نشأ<sup>(١)</sup> .

وما يدل على أن مراده من لغة الأقاليم التي يتكلم بها لغة المثقفين لا لغة  
الشعب الدارجة ، دعوه أن أصبح العربية يتكلم بها في الشرق ، أى في  
الإقليم اللغوي الفارسي ، لأنهم يتكلفونها تكلفاً ويتعلمونها تلقفاً ؛ (ص ٣٢  
س ٨) .

ومن هذه الناحية كان ذلك الكتاب كنزًا ثميناً من الوجهة اللغوية . فهو  
يدرك (ص ٩٦ س ١١ – ٩٧ س ٢) أن أصبح العربية في جزيرة العرب عند  
هذين ، ثم في قسمى نجد ، ثم أخيراً بقية الحجاز ، على حين يصف لغة  
بلاد السواحل (الأحقاف) بأن لسانهم (وحش)<sup>(٢)</sup> .

وفي مدينة الشغر : محمار ، تسود اللغة الفارسية ، في التجارة والمعاملة .  
كذلك الثغران : جدة وعدن ، أكثر أهلهما فرس ، ييد أن العربية هي لغة  
الكتابة والتفاهم .

ويذكر المقدسى الحميرية التي لا تفهم بسهولة .

(١) ص ٣٢ س ٤ .

(٢) «وحش» عبارة يولع المقدسى بكثرة إستعمالها ، انظر دى غويه في الفهرست اللغوى  
للكتاب .

— ٢٠٠ —

ومن خصائص لهجة عدن التزام المثنى في جميع الأحوال : يَدِينَهُ ورِجْلِيهِ ، مع الجمجم بين النون والإضافة ، وجعلهم الجيم كافاً ، أو جيماً غير معطشة<sup>(١)</sup> وساق مثلاً لذلك الحديث الذي روى فيه بدل لفظ : رِجْس ، رِكْس<sup>(٢)</sup> .

وهو يصف عربية العراق (ص ١٢٨ س ٧ - ٩) بأنها حسنة فاسدة ، والظاهر أن مراده أنها حسنة الواقع في الأذن وإن لم تطابق قواعد التحوّل ؛ بل هو يعد لهجة بغداد أجمل اللهجات العربية وأحسنها لساناً (ص ٣٤ س ١٤)، على الرغم من اعترافه في موضع آخر بأنه طالما خجل من اللحن اللغوي على لسان قاضي القضاة ببغداد ، دون أن يرى أحد في ذلك عيباً<sup>(٣)</sup> .

ولهجة الكوفة أصبح نسبياً لقربهم من البادية وبعدهم عن النبط ، أما ضرة الكوفة القديمة : البصرة ، فإنها منذ استيلاء الزنج عليها سنة ٢٥٧ هـ تأخرت كثيراً ، بحيث لم يرها المقدسي أهلاً لعدها في هذا السياق أصلاً ؛ فهو يقتصر على ملاحظة أن اللهجة العربية في البطائح (المستنقعات بين البصرة وواسط) ركيكة قبيحة (ص ٣٢ س ٩ ؛ ٣٤ س ١٦) ؛ ولا شك أن هذا نشأ من اختلاف السكان هناك بين قبائل عربية ، وأنباط . وأخلاف السكان الآراميين القديمي ، وأ مشاج الزط الذين أسكنهم الحجاج هناك<sup>(٤)</sup> ، وأخيراً العدد الذي لا يحصى من الزنج ، وهو يقول عن سكان البطائح النبط باختصار : ليس لهم لسان ولا عقل .

ومثل عربية العراق ، كذلك عربية إقليم ما بين النهرين في حكم المقدسي (ص ١٤٦ س ٢ - ٣) حسنة ، أي حسنة الجرس في السمع ، وإن لم تكن سليمة من جهة التحوّل ؛ وعلى كل حال فهي من هذه الوجهة أصلح من لغة سورية ، لأن سكان ما بين النهرين عرب بدؤ في الأعم الأغلب ،

(١) انظر في هذا : Marcais, EI I, 1090

(٢) انظر البخاري في كتاب الوضوء ولفظ رجس في Wensinck, Concordance

(٣) ص ١٨٣ س ٥ ، وعباراته : كنت إذا حضرت مجلس قاضي القضاة ببغداد أخجل من كثرة ما يلحن ولا يرون ذلك عيباً .

(٤) انظر : دائرة المعارف الإسلامية ١٣٣٧ EI, IV

كما تدل على ذلك أسماء مناطقها : ديار بكر ، ديار ربيعة ، ديار مصر ؛ وهو يمدح على المخصوص لهجة الموصل بأنها أحسن لهجاتها ؛ كما تمتاز صيدا بين مناطق سورية ، بأنها (أوشن) لهجتها (ص ٣٤ س ١٥) .

وعلى الرغم من أن لغة أهل النوبة بمصر (أى المسيحيين) هي القبطية (ص ٢٠٣ س ٥) ، فإن لغة البلاد هي العربية ، وإن كانت لهجة يصفها المقدسي بالركاكة والرخواة (أى الإهمال من جهة التحو ) ، لأن السكان اتكلوا على لسانهم فلم يتكلفوا الأدب ، والكتاب الذين يتمتعون بهذه الثقافة ، يختارون من النصارى (ص ١٨٣ س ٥) .

وأخيراً يجد المقدسي لهجة المغرب شديدة الاختلاف عن عربية البلدان الإسلامية الأخرى ، منغلقة عسيرة الفهم ، أما البربرية فلا يستطيع فهمها أصلاً ، (ص ٢٤٣ س ١١) .

وعلمية الفائدة — بوجه خاص — تلك القائمة ، المشار إليها آنفاً . من الاستعمالات الخالية ؛ فهي تشتمل على مترادات من أوصاف الأشخاص والأشياء التي يحتاج إليها المسافر ، وتبادر إلى ذهنه : أنواع السفن ، وأوصاف رجالها ، ومفردات خاصة باللاحقة ، واصطلاحات جغرافية ، وألفاظ المكس ورجاله ، والمقييسes والموازين ، واللحانات والفنادق والعبيد والخدم ، والمراتب المختلفة ، والأسواق والمتاجر ، والتجار والبضائع ، والأقمشة والثياب ، وأدوات النعال ، والأوعية ، والنباتات ، والحيوانات الأليفة — يضاف إلى ذلك قائمة تشتمل على ٤٩ صنفاً من أجناس التر ، و ٢٤ نوعاً من سمك دجلة الذي يجلب إلى سوق البصرة (ص ١٣٠ ملحوظة P) — والصيادين ورطانتهم ، وعجلات الري والسقى ، والقنوات ومجاري المياه ، وأخيراً اصطلاحات الإدارة والحكم

نعم هو لا يحدد في ذلك مناطق استعمال كل تعبير ، بيد أن مواضع أخرى من كتابه ، وورود الكلمات في مظان أخرى ، واشتقاقها اللغوي ، أو بعض التقييدات التي توجد عند كتاب آخرين ، كل ذلك يساعد أحياناً على ذلك التحديد .

وهكذا يبين فهرست أسماء السفن في حكاية أبي القاسم بن المطهر<sup>(١)</sup> مثلاً، أن أكثر أسماء السفن الخمسة والثلاثين التي عدها المقدسي<sup>(٢)</sup> كانت تستعمل في العراق – وإن لم يلزم من ذلك اختصاص العراق بها – : جاسوس : سفينة التفتيش ؛ خَيْرِ طَبِيعَةٍ : سفينة من خشب البلوط الهندى لا توثق ألواحها بالمسامير بل بالياف التخل ؛ زَبَّابٌ : قارب حربى صغير ؛ طَيَّارٌ : قارب سريع للتجديف خاصة ببغداد والعراق ؛ شَدِىٌّ : قارب حربى ؛ كَمَا يذَكُر لفظٌ : قارب، المنتشر استعماله في المغرب وكذلك لفظٌ بُرْمَةٌ التي لا يعرف أصلها.

ويبدو أن من خصائص العراق أيضاً لفظٌ : زورق<sup>(٣)</sup> (قارب) ؛ وَمِعْبَرٌ (معدية).

ومن المستعمل في البلدان الواقعة على المحيط الهندى : بِيرْجَهٌ : سفينة لصوص البحر ؛ دُونِيجٌ : سفينة ذات قلع واحد تسير على السواحل ؛ وما يدخل هنا أيضاً فيما يظهر : شَنْكُولِيَّةٌ<sup>(٤)</sup> وزَتْبُوقٌ Sambuk في حالة ما إذا جعل ذلك بدلاً من المطبوع شَبُوقٌ<sup>(٥)</sup> (ص ٣٢ س ٢).

ومما يختص بالبحر الأبيض : شَلَّانِىٌّ: مركب بيزنطى لنقل الجنود ؛ شِينَانٌ (سفينة بيزنطية كثيرة القلاع Galeere).

وللتعبير عن محرك السفينة (الدفَّة) تعد الكلمة: سُكَّانٌ، أصلية الموطن بالعراق لصحة وجودها في اللغة المندامية<sup>(٦)</sup> واللغة الأكادية في صيغة :

Abulkasim ein bagdader Sittenbild, hrsg. von A. Mez, (١)

Heidelberg 1902:107

(٢) جمعت المواد المتصلة بهذه الكلمات في أطروحة الدكتوراه التي قدمها في مدينة (بون) الألمانية : Schiff im Arabischen, Zwickau 1934

Kindermann : القصيدة ٣ بيت ١٥ وديوان رؤية القصيدة ٢٧ بيت ٢٠ وملحق ديوان الزفاف

(٣) ورد هذا اللفظ في شعر ذي الرمة قصيدة رقم ٢٠ بيت ١٥ وملحق ديوان الزفاف

قصيدة ٣ بيت ١٥ وديوان رؤية القصيدة ٢٧ بيت ٣٠ و ٤١ / ٦٥ .

(٤) فسرها دي غويه في فهرست المفاظ الكتاب بسفينة لصوص البحر ، على أنها مأخوذة من : شنجول : لعن في الفارسية.

(٥) انظر : Kindermann في الأطروحة المشار إليها من ٤٥ .

Johannesbuch 152, I Lidsbarski (٦)

- ٢٠٤ -

سِكَانُ ، وقد استعمله طرفة بن العبد (ق ٢٨/٤) في سفينة بنهر دجلة ، والفرزدق (ديوانه ص ٨٦٨) في وصف السفن في الخليج الفارسي<sup>(١)</sup> .

أما في المغرب<sup>(٢)</sup> فيستعملون في ذلك لفظ رِجْنُلْ . وربما كان ذلك أيضاً في سوريا<sup>(٣)</sup> .

وللتعبير عن الملاح يستعمل في سوريا لفظ : نَوْتَى ، كما ذكره الجوهري وهو مأخوذه عن اليونانية ، على حين أن لفظ : ملاح ، الذي يرجع أخيراً إلى السومرية ، ربما كان خاصاً بالعراق .

ويعبر الملاحون العراقيون عن السير إلى أسفل النهر : شِبَالَاً ، وإلى أعلى النهر : زِقاْفَاً<sup>(٤)</sup> ؛ وقد ذكر المقدسى الأصطلاحين في وصفه للعراق ولغته (ص ١٢٤ س ٧) .

وتسمى الريح المساعدة في العراق : شَرْتَه<sup>(٥)</sup> ؛ وفي غيرها (ربما في سوريا؟) : طَارُوسْ .

كذلك لفظ قَلْسَنْ ، المأْخوذ عن اليونانية ، بمعنى حبل السفينة ، الذي ذكره المقدسى إلى جانب لفظ : حبل ، كان مستعملاً في العراق بشهادة ابن دريد<sup>(٦)</sup> .

وعظيمة هي الفروق في دائرة أسماء المقاييس والموازين والتقى ؛ فثلا لفظ : مَنْ<sup>(٧)</sup> (Mine) معروف في جميع المحيط الإسلامي بمعنى رطلين ، إلا في مكة حيث يستعمل لفظ : رطل (ص ٩٩ س ٤) ؛ كذلك يستعمل

(١) ذكرت مظان أخرى في : Fraenkel, Fremdwörter 222

(٢) ذكر Dozy شواهد مستخرجة من رحلة ابن جعير ص ٣٢١ س ٥ والشرح المغربي لشعر مسلم بن الوليد ١٩/١٢ .

(٣) انظر المسعودي ١/٢٨٢ طبع باريس ، يوافق ١/٧٨ س ٧ (طبع القاهرة ١٣٤٦ هـ) .

(٤) انظر حكاية أبي القاسم السالفة الذكر من ١٠٨ س ١ ، وكذا الفظهين مأْخوذ عن الآرامية .

(٥) انظر فهرس ألفاظ الكتاب وحكاية أبي القاسم ١٠٨ .

(٦) انظر : A. Siddiqi, Ibn Duraid 737

في مكة بدلاً من لفظ : قنطار ، لفظ : بهار ، ويزن ثلاثة رطل (ص ٩٩ س ٩) . وأصغر النذر في كل مكان عادة لفظ : حبّة ، واسمها في عمان : طسوه<sup>(١)</sup> . وهو دليل على اتصال هذا الإقليم بالدولة الساسانية من الناحية الاقتصادية . فكلمة : تاسوك في الفارسية الوسطى ، وتسو ، في الفارسية الحديثة ، وطسوج ، في العربية ، تعبر عادة — بحسب الأصل — عن ربع الدافن ، وبهذا عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الدينار ، ثم بطريق المجاز عن جزء من الأرض يمكن سقيه بربع من الماء . وأخيراً عبر به عن الناحية ، لأنها تصور أقل وحدة من وحدات التنظيم الإداري .

وذكر المقدسى من وسائل السوق والوى إلى جانب لفظ : دولاب (الساقة أو عجلة الماء) الفارسى ، ولفظ : حشانة ، الغرف ، لفظ زرثوق بمعنى البئر ، وهو لفظ ينتمى إلى الآرامية<sup>(٢)</sup> ولا يزال حياً إلى اليوم عند أهل نجد<sup>(٣)</sup> وفي خوزستان تسمى السوق : نوعاير ، جمع ناعورة أو ناعور ، وهذا اللفظ الآرامى الأصل<sup>(٤)</sup> ، كان غير معروف في المغرب ، بحيث وجد المقدسى من اللازم التعبير عنه بلفظ : دواليب (ص ٤١١ س ١١) .

ومن الألفاظ الدالة على سكان الريف ، في مقابلة كل من سكان البايدية وسكان الحضر ، يظهر أن لفظ : قرستاق<sup>(٥)</sup> من ألفاظ اللهجة السورية ، ولفظ سوادى من ألفاظ العراق<sup>(٦)</sup> ، كلفظ : رستاقى ، نسبة إلى : رستاق ، من البهلوية رستاك<sup>(٧)</sup> .

(١) هذا ما يؤخذ من ص ٩٩ س ٤ ومن عطفة طسوج على حبة في ص ٣١ س ٣ .

(٢) انظر : ١٣٤ Fraenkel, Fremdwoerter واحتلط هذا اللفظ على Mez في كتابه : Renaissance ص ٤٢٤ بلفظ : زرثور .

(٣) Bräunlich, The Well in Ancient Anribia ٣١ f.

(٤) Fraenkel في الكتاب السابق ص ١٣٤ و Mez في Renaissance ٤٢٤

(٥) وهي نسبة شاذة إلى الجميع المولود : قريات بفتح الراء ذكرها المقدسى في ص ١٧٣ س ٦ . انظر دي غويه في فهرس الألفاظ . واستعمل الباحث لفظ : قروى في البيان ٦٨/١ س ٢٧ ، ٤/٢ س ٢٧ في مقابل : بدوى .

(٦) انظر : حكاية أبن القاسم ص ١٠٧ س ٨ .

(٧) لسان الرستاق ص ٤٧١ س ١١ هي لغة السهل من كرمان .

ومن الألفاظ الدالة على السنور، ثبت استعمال لفظ هِرّ، اسمًا مؤنثًا في العربية القديمة؛ ولفظ دَمْتَة، المأخذون من: دَمَتْ، الحبشية، يبدو أنه كان مستعملًا في جنوب الجزيرة<sup>(١)</sup>. ولفظ قطة كلفظ قَطْسٌ، يبدو رجوعه إلى اللغة المصرية، وهو منتشر في سوريا ومصر وشمال أفريقيا. ولفظ سنُور، مستفيض في الكتابة القديمة بالعراق<sup>(٢)</sup>.

وفي إسبانيا يسمى عقد العنب : كَرْمَة، ويستعمل المقدسي كثيراً  
يُجْعَلُ على : كِرَامَاتٍ - وقد أثبتت «دى غويه» أنه مغربي في فهرس الألفاظ -  
في وصفه للأندلس . وفي المشرق يستعمل بدلاً من ذلك لفظ : دالية ،  
المأخوذ من الآرامية . وفي موضع آخر (ص ٢٣٥ س ٦) نستفيد عرضاً أن  
الحقيقة تسمى بالأندلس: مُشْنَيَّة؛ وهناك أيضاً ينبع إلى أن لفظ : إقليم ، يدل  
في إسبانيا على ما يقابل رستاق وهو المنطقة الريفية .

وفي أحوال أخرى يدل الاختلاف اللغوي على اختلاف الثقافة وتضادها بين سكان الباادية ، وسكان الحضر المستقررين ، ذلك التضاد الذي يبلغ من بعد بحيث تصور اللهجات البدوية إلى اليوم وحدة لغوية مستقلة .

**مثالاً لفظ :** أثاف ، أي حجارة الموقد ، لفظ بدوى ، على حين لفظ موقدة ، الذى لم يذكره الجوهري ، مستعمل عند سكان الحضر . زيادة على ذلك يستعمل المقدسى (ص ٣٦٤ س ١٣) لفظ : ديكدان ، (الاثاف أيضاً) الفارسى ، في وصف بناء سد يأجوج وأموج ، لإعارة هذا الوصف صيغة محلية .

ويبدو أنه يقصد إلى تنوع الكلام وتجميله أكثر مما يرمي إلى التلوين بالصيغة الجملية ، في ذكر التعبيرات المختلفة عن : الخصي ؛ لفظ : خصي ، القديم الجاف ، قد خفف إلى لفظ : خادم ؛ ولما كانت التربية كثيرة من صنعة الخصي ، فقد خوطبوا تأديباً بالفاظ : معلم ، أستاذ ، شيخ . وهكذا

(١) انظر دوزی فی المادة . وكذلك نولد که : NBSS 58 :

(٢) انظر كليات أخرى يعني القطة في حياة الحيوان للدميري تحت كلمة : سنور ولما

مقابلها، المغرب انظر مقالة فيشر في : ZDMG 71, 217

- ٢٠٦ -

يتحدث المقدسي (ص ٢٤٢ س ١٣) مع « عَرِيب » الخادم عن أمر الخدم، ويوجه الخطاب إليه بلفظ : المعلم ، ثم استعمل هذه الألفاظ أيضاً في غير الخطاب بمعنى « الخصي » .

وأحياناً يتعاطى المقدسي ألفاظاً خارجة عن محيط اللغة العربية ، كما في التعبير عن مجتمع الأبنية التي لا تقتصر على تقديم أماكن لراحة المسافرين الأجانب – على وجه الخصوص – ومحطات لرحامن ، بل تشتمل أيضاً ، كما هو الحال في كبار الفنادق الحالية ، على مخازن ومتاجر ومصانع ، وتقرن بين صفة دار الضيافة وصفة السوق العامة ؛ وفي هذا يعد لفظ : فندق ، المأخوذ من : باندكيون اليونانية ، من خصائص سورية ومصر وشمال إفريقية أي منطقة نفوذ الدولة البيزنطية ؛ مثل لفظ : خان في فارس ؛ ولفظ : تيم فيما وراء النهر ، الذي يستعمله المقدسي كثيراً في وصفها ، وإلى هذا يستخدم أيضاً اللفظ العربي : دار التجار <sup>(١)</sup> .

وإذا كان المقدسي يستعمل زيادة على ذلك للدلالة على ساحات السوق لفظ : قيسارية ، فربما جاز لنا أن نرى في هذا اللفظ أثر اللهجة السورية ، لأنه راجع إلى أصل يوناني كان جارياً في تلك البلاد التي خضعت سالفاً للسلطان البيزنطي <sup>(٢)</sup> .

وفي التعبير عن استحكامات الأبنية ، يبدو أن لفظ : حصن ، مقصور على جزيرة العرب وسوريا وفلسطين ، على حين كان لفظ : قلعة ، يتردد في محيط أوسع انتشاراً ، وعلى الأخص في شمال إفريقية وأسبانيا ؛ ويطابقه في المنطقة اللغوية الإيرانية لفظ : كلات <sup>(٣)</sup> ؛ وفي خراسان وما وراء النهر تسمى القلعة التي توجد في كل مدينة تقريباً : قُهَبَنْدَر <sup>(٤)</sup> ، ومعناه الأصلي: الحصن القديم .

(١) وعلى عكس ذلك يدل لفظ : خانقاہ علی « الدیر » في كرمان ، انظر دی غویه في فهرس الألفاظ .

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية : Strcek El 2,706

(٣) انظر في هذا اللفظ : دائرة المعارف الإسلامية .

(٤) انظر في لفظ : قهندز ، المرتب للبواليق ص ١٢٢ س ٣ ؛ معجم البلدان ٤ / ٢١٠ ؛

تاج العروس في المادة ، وهو يطابق في المقرب لفظ : قصبة ، انظر : El 2. 838

— ٤٧ —

بيد أن عناية المقدسي اللغوية لم تقتصر على العربية ، بل تمتد إلى جميع اللغات التي يجري الكلام بها في العالم الإسلامي . ومن المهم حديثه عن الصلات اللغوية في إيران لذلك العهد<sup>(١)</sup> . وكلامه صريح في أنه كان يفهم الفارسية إلى حد كبير ، حتى إنه كان يستطيع أن يحكم على لهجاتها بحسب مكانتها من لغة الأدب .

فهو يسم لهجة نيسابور ( ص ٣٣٤ ) بأنها فصيحة مفهومة غير أنهم يكسرن أوائل الكلم (علامة الفعل الأصلية: ب) مثل بِيشَوْ ، أى كُنْ ، ويزيدون السين بلا فائدة مثل : يِكْسَفَتَشَتِي .

ويعد لهجتي طوس ونسا قريتين إلى لهجة نيسابور ، بل أحسن لساناً ؟ كذلك لسان بُسْتَ حسنة ، ولهجة سجستان فيها تحامل وخصوصة ، يخربون الكلام من صدورهم ويجهرون فيه ؛ على حين أن لسان مرو ومروروز له مهابة وعظمة ، غير أن فيه تحاماً وطولاً ومدّاً في أواخر الكلم ، كذلك لهجة بلخ حسنة إلا أن فيها كلمات تستقيب .

وغایة في القسوة حكمه على لسان هرآة (الوحش) ، وهنا يمحكي قصة عن بعض ملوك خراسان إذ جمع رجالاً من خمس كور خراسان الأساسية ، فلما حضروا تكلموا جميعاً ، فقال عن السجستان : هذا لسان يصلح للقتال ، وإنحراساني يصلح للتقاضي ، والمرزوقي يصلح للوزارة ، والبلخي يصلح للرسالة (لكتاب الرسائل) ، أما لسان هرآة فيصلح للسكنيف (٣٣٤) .

وتشبه اللهجة المروزية لهجة سَرَّخْسٍ وأَبِيُورَدٍ ؛ وبين المروزية والهرمية لهجة ( جَرْجِستان جَرَج الشار ) ؛ وبين المروزية والبلخية لهجة جوزجان . وأخيراً تشبه البلخية لهجتا طخارستان وباميان ، إلا أن هاتين منغلاقتان عسيرتا الفهم . أما لغة خوارزم فهي لا تفهم أصلاً . وقد لفت نظره في اللهجة البخارية تكرار كلمات من الحشو الذي لا طائل تحته ؛ مثل : يكى ، أداة للتفكير ،

(١) انظر ص ٣٣٤ س ٧ ، ٣٣٦ س ١ ، ٣٦٨ س ١١ ، ٣٩٨ س ٧ - ١٠ ، ٤١٨ س ١ ، ٤٧١ س ١١ - ١٢ ، ٤٨٢ س ٩ .

— ٢٠٨ —

إلى جانب حرف : ي (باء التنكير) أو : دَائِسْتَى ، هل تعلم ؟ ولكنها لغة البلاط (دَرِيَّة) ؛ لأن بخارى كانت عاصمة الصقريين .

وفي السمرقندية لاحظ المقدسي صوتاً بين الكاف والقاف ، والظاهر أنه نوع من الجيم ؛ وعد من لهجات الهيطل لغة الشاش أحسنها . والصغدية تشبه لغة القرويين في بخارى ؛ وهنا يستطرد ملاحظاً أن الناس في كل إقاليم من الأقاليم التي ذكرها يتكلمون في الريف (الرساتيق) بسان مغایر للهجة الحضر .

وفي اللهجتين المتقاربتين : لهجتي قومس وجرجان ، اللتين يصفهما بالحلابة ، يستعملون علامة الفعل الأولى : هَا ، بدلاً من : ب ، مثل : هَاكُن : افعلن .

ونستفيد في موضع آخر (ص ٣٦٩ س ٤) أن العالم في جرجان يسمى : معلماً ، وأن : لوك ، معناه جيد . وقريب إلى ذلك لسان طبرستان الذي يقول المقدسي إن فيه عجلة . أما الدليلية فهي ذات صبغة مختلفة لما تقدم منغلاقة عسيرة الفهم . ولفت نظره في الجيلانية حرف الخاء ؛ والخزالية عسيرة الفهم ؛ واللهجة الري (ص ٣٩٨ س ٨) تستعمل اللاحقة الفعلية : رَ ، مثل : رَادِه ، رَاكُن ؛ وفي همدان يقولون : وَاتَّم . وفي اللهجة قزوين يستعمل حرف القاف ، ويقولون للجيد : نِيج (بدلاً من : نك . والأصفهانية طحة (وحشة) فيها مد .

. ووصف المقدسي حالة اللغة (في ص ٤١٨ س ١ - ١١) في خوزستان وصفاً مفصلاً، فقال : إنهم يمزجون بين العربية والفارسية إذ يحسنون اللغتين على سواء ، وأحسن ما تراهم يتكلمون بالفارسية حتى ينتقلوا إلى العربية . والسكرمانية (ص ٤٧١ س ١١ - ١٢) تشبه الخراسانية ، وهي سهلة الفهم على النقيض من البلوچية التي تشبه لغة السندي .

ثم يصف لغة مكران (ص ٤٨٢ س ٩) بأنها (وحشة) .

وجريدة باللحظة أن المقدسي يسوق حديثاً مذهبياً يصرح بروح العداء للفرس : «أبغض الكلام إلى الله الفارسية ، وكلام الشياطين الخروزية ،

- ٢٠٩ -

وكلام أهل النار البخارية ، وكلام أهل الجنة العربية »<sup>(١)</sup> . وهذا الخبر الذي كشف النقاد المسلمين<sup>(٢)</sup> عن شدة اجرأة في وضعه ، تعلمه المقدسي في رامهرمز حيث كانت اللغة الخوزية ، التي لا صلة لها بالعربية ولا بالفارسية ، لا تزال مستعملة على ألسنة السكان .

كذلك نستفيد طرفاً من أسماء الأعلام المعتمد استعمالها في فارس (ص ٣٩٨ س ٤ - ٦) . ففي الرى يقولون بدلًا من : على ، حسن ، أحمد : علّكا ، مسّكا ، حبّكا ، للتلميح . وفي همدان يقولون بدلًا من : أحمد ، محمد ، عائشة : أَمْهَلَا ، محمد لا ، عيشلا ؛ فيضييف الأولون مقطع - كا ، والآخرون مقطع : - لا ، إلى الأسماء . وفي ساوية يضييفون مقطع : آن ، أبو العباس ، حسنان ، جعفران . وفي كرمان أحّب الكني : أبو جعفر ؛ أما في أصفهان فهو : أبو مسلم ؛ وأخيراً في قزوين : أبو الحسين .

هذا ، وإن ذلك الطلاء البلاغي ، والافتنان في أنواع الأساليب التي حل بها المقدسي كتابه ، لا يمكن أن يخدع النظر عن أن لغته في جوهرها من العربية المولدة .

فهو لا يعني كثيراً بالتفرق بين المقصور والممدوح ، وهو يسوق في قافية السجع (ص ١٥١) مع لفظ : دنيا ، الكلمتين : لأوى (بدلًا من لأواء) وأميّا ، الذي هو بدوره جمع مولد للفظ : ماء<sup>(٣)</sup> ؛ ومثل (ص ٤٤ س ١٤) لفظ : كِرَاء ، بدلًا من : كراء .

ووردت عنده صيغة « تفاعل » من رأي : ترايا . وهو يصوغ (ص ٢٢٥ س ٧ ، ١٢) جماعاً للفظ : مأجن : على مواجهين ؛ وللفظ : أذاة ، ضرر (ص ٢٠٢ س ٣) على : أذایات .

(١) ص ٤١٨ س ٦ - ١١ ؛ انظر : تهذيب التهذيب ١ / ٢٢٩ ، ويوجد حديث في كنز الحال ٢/١٨٤ يحرم استعمال الفارسية في المحاجة .

(٢) انظر ابن حبان (ذكره ابن حجر في الموضع السابق) ، والذهبى في ميزان الاعتراض ، وابن حجر في لسان الميزان ، تحت : إسماعيل بن زياد .

(٣) انظر : Nöldeke NBSS ٢٦٨

- ٢١٠ -

ومن المولد استعماله لفظ : **أخْيَر** (ص ٣٤ س ١٧) بدلًا من : خير<sup>(١)</sup>.  
ومن الاستعمال الشعبي الدارج معاملته التركيب الإضافي معاملة اللفظ المفرد ،  
وصوغه النسبة إليه على هذا الأساس (ص ٢٠٣ س ٤) كان شعويًّا  
أبو عمريًّا (أى شافعى المذهب يقرأ على طريقة أبي عمرو<sup>(٢)</sup>) .

وكثيرًا ما يستعمل أوصافاً مختومة بمحنطع : - آنى ، مثل : بلغاني  
(ص ٤٧٩ س ٩) ، ذنباني ، كالذيل (ص ٤٠٣ س ١٨) ، طولاني ،  
طويل (ص ٤٨٧ س ٣) .

وهو يستعمل لفظ : **منبُوت** ، بمعنى مُشَبَّت (ص ١٨٣ س ١٩)  
وداخل ، مكان : أدخل ؛ ويستعمل مضارع المعلوم : يزن ، يجد ، يقد ،  
وربما أيضًا : يقف ، بمعنى مضارع المجهول .

وهو يقول (ص ٤٥٠ تعلق) : أدخلوا به ، أى دخلوا به ، وهو تعبير  
خطأ الحريري<sup>(٣)</sup> .

وهو يعدى خطب بالام أو على ، في حديثه عن الأمير الذي يتم له  
الاعتراف بالولاية بإلقاء الخطبة .

وإلى جانب استعماله لفظ : خاصة ، عند التخصيص ، يستعمل أيضًا  
لفظ : وبخاصية ، وبخاصية .

وتجدر باللحظة من تعبيرات الاستعارة بالأداة على تحديد الغرض  
استعماله : **برَسَم** ، بمعنى : لأجل (ص ١٨٨ تعلق) .

ومن الاستعمال الشعبي الدارج استعماله : **ترى** ، بمعنى : فإذا ، فيكون  
(ص ٣٦٤ س ٩) .

وهو يستعمل أحيانًا : ما ، بمعنى أى شيء .

(١) Fleischer, Beiträge 4, 248

(٢) يقصد أبو الطيب بن غلبون (المتوفى ٢٨٩ھ) ، انظر : تاريخ القرآن المولدك ،

٢١٧ ، ١٧٢/٣

(٣) درة الفوادص ، ص ١٦ .

وهو يجري على قواعد الإعراب والتصريف بوجه عام ، وإن دل تعبيره (ص ٣٥٨ س ٥) وترام . . . حزان ، بدلا من : حزبين ، ورما أيضاً (ص ٣٧٧ س ٨) شبه ثوران ، بدلا من : ثورين [ القراءة في كلتا الحالتين مؤكدة السجع ] على أن الشعور الحى عنده إزاء الإعراب غير قوى .

وكذلك في الجمل الشرطية تظهر التغيرات المولدة في استعمال المضارع مع إذا ، بدلا من إن مع الماضي .

ومن العربية المولدة قبل كل شيء الثروة اللغوية . ذلك لأن وصف البلدان والشعوب الإسلامية ، ليس من السهل اليسير بواسطه اللغة العربية القديمة . فنتائج الصناعة ، ومحاصيل الزراعة ، والمهن ، والحرف ، والظواهر المختلفة المتنوعة للحياة اليومية ، ينبغي التعبير عنها بالمصطلحات المتعارفة ؛ وفي هذا تلعب اللغة الفارسية دوراً عظيماً . على أنه هناك أيضاً ، حيث لا توجد أسباب واقعية يجب إليه أن يستخدم ألفاظاً وعبارات مولدة . ومن أمثل هذه الألفاظ القريبة إليه : على كل حال ؛ بما يدور ، بمعنى تخلق؛ بليد ، بمعنى قدر (من الفارسية الحديثة : بليد) ، بلاده ، قداره ؛ سخاف ، غلبة ، بمعنى العصبية .

ومن المعروف أن النسخة التي نشرها دي غويه De Goeje تعتمد على مخطوطتين متغيرتين ، تقدمان صورتين مختلفتين للكتاب . فكثيراً ما تقدم إحداهما صيغة شعبية ، على حين تذكر الأخرى صيغة فصيحة مكانها . وفي مثل هذه الأحوال عمد الناشر غالباً – طبقاً للسنة المتتبعة في القرن الماضي – إلى اختيار الصيغة الفصيحة في النص ، والتنبيه إلى الأخرى في التعليق ، وإن ذكرها أيضاً في الكشاف لألفاظ الكتاب .

على أنه لا يقتصر الأمر على احتمال تسرب عبارات شعبية إلى النص بسبب تساهل الكتاب – وهذا ينطبق أيضاً بصفة أساسية على جميع النصوص التي لا تتناول بالعناية الدقيقة في الرواية المدرسية ، ولذلك كانت ضحية لإهمال الكتاب وتساهليهم – بل قد حصل العكس أيضاً ، حيث عمد الكتاب أحياناً إلى تصحیح عبارات دارجة في النص من تلقاء أنفسهم .

- ٤١٢ -

فثلا (ص ١٢٥ س ٢) كتب أحد الكتاب على هامش النسخة : B معلقاً على الجمع الدارج : الأفواه (وضع دى غويه : الأفواه اعتقاداً على نسخة : C) ملاحظته الاستنكارية : لا يصدق أن المؤلف يقع في مثل هذا الخطأ الشنيع .

فلو وجدت نسخة أخرى مشهورة ، أخذت عن نسخة : B تلك ، لربماقرأنا فيها العبارة الصحيحة : الأفواه ، بعد التصحيح بناء على التعليق المذكور .

وفي مكان آخر (ص ٣٩٤ س ٣) ساقت - على عكس ما سبق - نسخه : C أقام (أو بعبارة أخرى على سبيل التصحيح : أقام)؛ ولنولدكه NBSS ١٧٥ (Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft) كل الحق إذ ذكر هذا الجمع : الأفواه ، من خصائص المقدسي .

كذلك يوجد (ص ٣٠٤ س ١٣) في نسخة : B الحقائب ، وفي نسخة : C الحقيات ، و (ص ٤٠ س ١٥) وكذلك (ص ٢٣٨ س ٤) الحمولة في : B ، والحمولة في : C على حين تقدم كلتا النسختين (ص ٤٨١ س ١٠) الصيغة الملحونة : بهو علون<sup>(١)</sup> .

أما مسألة : كيف كتب المقدسي نفسه في حقيقة الأمر ، فلا يمكن الجسم فيها بصفة عامة . بل لا بد في كل حالة خاصة من الفحص الدقيق ..

وعلى حين يلقى المقدسي وزناً للأسلوب المحدود المتخال ، ويكتب فوق هذا في نثر مسجوع ، يتخلّى كتاب متخصصون آخرون ، في قمة العصر الإسلامي الأوسط ، عن كل طلاء بلاخي ، ويستخدمون في كتابهم لغة تعدد من العربية المولدة ، لا من حيث قوالبها الداخلية فحسب ، بل كذلك من حيث ثروتها اللفظية وعباراتها الخاصة كذلك .

وقد حفظ هؤلاء الكتاب من الانزلاق في الشعبية الدارجة بالكلية ، أنهم كانوا لا يزالون يعيشون في جو التراث الحي للثقافة الإسلامية ، والتربيـة

(١) أهاء في أول الميلـة والمـوعلـة يمكنـ أن تكونـ بالـقياسـ عـلـىـ المـيلـةـ (قولـ : أـهـاءـ وـسـهـلاـ)ـ أماـ الـواـوـ فـيـ المـوـعلـةـ فـهـيـ قـيـاسـ عـلـىـ الـحـوقـلـةـ (شـيـتـالـ)ـ .

- ٢١٣ -

اللغوية . فبواسطة المدرسة والمدارسة ، التي أحاطتهم علمًا بالعربية القديمة وأعلامها الأوائل ، وبسبب اعتمادهم في علومهم الخاصة على أسلافهم أيضًا من الوجهة اللغوية ، نجدهم مخصوصين قليلاً أو كثيراً بسياج من قوانين النحو ، يراعون قواعدها ولو إلى حد معلوم ، يختلف باختلاف الأشخاص .

وهكذا نجد مثلاً التروء اللفظية التي يستعملها ابن النديم في كتابه الفهرست<sup>(١)</sup> الذي ألفه سنة ٣٧٧ ، مولدة في الكثير الغالب : أسباب (ص ٥٣ س ١٦) بمعنى أقارب<sup>(٢)</sup> ؛ طنز (ص ٨٦ س ١٠) بمعنى مزاح<sup>(٣)</sup> ؛ طيب (ص ٤٤ س ١٢ ؛ ص ١٥٢ س ١٦) بمعنى : ذكي ، واستعمله الباحث أيضًا من قبل<sup>(٤)</sup> ؛ حكاية بمعنى : خبر<sup>(٥)</sup> . سائر ، بمعنى جميع<sup>(٦)</sup> ، وهو متعدد عند المترمدين اللغويين .

وهو يستعمل أيضًا صيغًا مولدة مثل : حلاب ، جمع حلبية (ص ١١٣ س ٢٨) ، ومثل ما ذكر ابن خالويه<sup>(٧)</sup> أنه مأْخوذ من رطانة صبيان الكتاب : حوميم (ص ٢٦ س ١٤) بدلاً من آل حاميم ؛ ومثل النسبة على : جسماني وروحاني (١٠ س ٢٣) وهيلانى ، أى مادي (ص ١٠ س ٧) وصناعوى أى كيميائى (٣٥١ س ١٨) وكثير من الألفاظ الدخيلة .

وهو لا يكتفى بصوغ لفظ : أولاً ، على الظرفية ، بل يصوغ منه أيضًا مؤنثًا على : أولة ؛ وهو مaudه الحريري<sup>(٨)</sup> (حوالى سنة ٥٠٠) خطأً لغوياً شنيعاً على ألسنة العوام .

(١) آخر جه فلوجل في ليفزج ١٨٧١ م .

(٢) توجد أمثلة أخرى لذلك الاستعمال في : إرشاد الأريب ٢ / ١٣٦ س ٤ ٤ ٢٤ ٢١٠ / ٢١٠ س ٦ وغيرها ؛ تاريخ بغداد ١٨٤ / ٣ س ٢١ وغيرها ؛ الأغانى ٢٠ / ١٥٣ س ١٣ وغيرها .

(٣) قال الجوهري عن ذلك : معرب أو مولد ، وانظر جولدزير ٦ ٨ (١٩١٢) JRAS .

(٤) انظر البخلاء للباحث (نشر فان فلوتن وملحظته على ذلك من VIII) .

(٥) انظر ماكدونالد في دائرة المعارف الإسلامية : EI II ٣٢٢

(٦) انظر درة الفواص ، ص ٣ .

(٧) كتاب ليس ، حكايات المزهار ١ ١٨٠ / ١ .

(٨) درة الفواص ، ص ١٢٦ ، وانظر : Flcischer, Beiträge ٥، ١٢٣

- ٢١٤ -

ومن الشعبي أيضاً هذا التعبير : رجع فعل (ص ٣٣١ س ١٤) بمعنى كرر الفعل . وقوله : وستة سوري (ص ٣٣٦ س ٨) أى وستة كتب سورية ، لم يطابق بين الوصف والمحض ، كما في اللهجات الحديثة في الوقت الحاضر <sup>(١)</sup> .

وكثيراً ما يفصل بين المضاف والمضاف إليه بلفظ معطوف على المضاف مثل : (ص ٧٧ س ٨) أسماء وأخبار جماعة من علماء النحوين واللغويين من خلط المذهبين <sup>(٢)</sup> ، بدلاً من الصحيح : أسماء جماعة من علماء النحوين واللغويين من خلط المذهبين وأخبارهم . وكما في هذا المثال المذكور : علماء النحوين واللغويين ، نجد أنه مختلف في مواضع مختلفة أداة التعريف من اللفظ المضاف لوصفه : مشايخ البصريين (ص ٢٨ س ١٤) أو علماء البصريين (ص ٥٤ س ٢٣) .

وهذا التركيب له نظائر قديمة في : يوم الأحد ، ربيع الأول ، على سبيل الإضافة ، وما يشبه ذلك ، وإن لم تجد اعترافاً من النحاة ؛ وهي جارية باطراد في الاستعمال الحديث .

كذلك من لغة العامة استعمال المجرور بدلاً من المرفوع ، مثل (ص ٣٢٩ س ٣) كونين ، بدلاً من : كونان ؛ ونسختين ، بدلاً من نسختان (ص ٢٧٤ س ٢٦ ؛ ٢٧٥ س ٥ ؛ ٢٧٦ س ٦) .

---

(١) انظر : قواعد اللغة المصرية العامة تأليف : Spitta Bey ص ٣٩٨ . وانظر كذلك ركتنورف ف : 13 KI. Schriften II وفير ف: 39/40(1943) ZDMG 97 (شيتال).

(٢) ورد مثل ذلك نادراً في الشعر القديم ، انظر الأعشى قصيدة ٢٠ بيت ٤٩ . أما اليوم فهو كثير الاستعمال .

( ١٣ )

## اللغة العربية في عهد السلاجوقيين

لم تكن تعمّر قرنين من الزمان مرحلة « عربية الأدب الفصحي » في أوائل العصر الإسلامي الأوسط ، تلك المرحلة التي بدأت في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، مع الانخالل النهائي للدولة العباسية ، والتي نشرت لواءً عربية الأدب فوق كافة ربوع العالم الإسلامي ، شعاراً موحداً ، ورباطاً وثيقاً .

ذلك أن الغارات التي نشطت منذ بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، فيما وراء النهرين ، والتي أشعّل نيرانها السلاجوقيون ، بعد أن دخلوا في الرقعة الإسلامية قبل بضع عشرات من السنين ، مقبلين من أبعد نقطة في حدوده الشماليّة الشرقيّة ، لم تؤدِّ تلك الغارات من الناحية السياسية فقط إلى إنشاء دولة مدت ظلها ، مع الدول التي خلفتها بحكم التوارث الإقطاعي ، على مناطق متراوحة الأطراف في آسيا الوسطى والصغرى حتى أواسط القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، في مدة وجيبة ؛ بل لقد أحدثت أيضاً تغييرات أساسية في ناحية الإدارة والاقتصاد .

فباستيلاء السلاجوقيين على الحكم وصل الأتراك ، الذين ينتمون إلى أواسط آسيا ، والذين اعتنقوا الإسلام فيما وراء النهرين وخراسان ، إلى الريادة والسلطان ؛ فاتخذوا دولة السامانيين ونظمها نموذجاً لهم ، وصارت الفارسية على عهد السلاجوقيين لغة البلاط ، والسفارات الرسمية ، والسياسة ، والأدب والشعر ؛ وأخذت تنافس العربية من خراسان إلى داخل سوريا .

وقد كتب بهذه اللغة كل من كتابي : « سياسة نامه » ، الذي ألفه الوزير نظام الملك سنة ٤٨٤ هـ ليقدمه إلى سيده : السلطان ملك شاه ؛ و« التبر المسؤول » الذي ألفه الغزالى لحمد ، خلف ملك شاه .

- ٢١٦ -

ولذا نسب إلى السلطان محمود بن محمد هذا ( حكم ٥١١ - ٥٢٨ هـ ) أنه كان جيد الدرية بالعربية<sup>(١)</sup> ، فلا يقصد من ذلك إلا أنه تلقى فيها تعليماً مؤسساً ، لأن العربية حفظت مكانتها الفذة من حيث هي لغة القرآن ، والعبادة والفقه الشرعي ؛ ووجدت من أثر السياسة الدينية الشديدة الحافظة ، التي سار عليها السلاجوقيون ، عناء أكثر من أى عهد سابق .

نعم طالما تمنع العلماء والكتاب والشعراء ورجال الفنون من قبل ذلك بالحظوة عند الأمراء ، فعادت هذه الحياة الأدبية على تلاميذهم أيضاً عن طريق مباشر ؛ ولكن الأمراء السلاجوقيين هم الذين ربطوا تشجيعهم ومؤازرتهم لرجال العلم بالتكليف الرسمي ، والإسناد العملي .

ولما كانوا مقتنيين بأن بقاء سلطانهم ، وأمان دولتهم ، متوقف على طائفة من القضاة ، ورجال الإدارة ، راسخة القدم في المذهب السنى المحافظ فقد أسس السلاطين والوزراء والولاة وكبار أصحاب المناصب في الدولة ، منذ أواسط القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى ، مدارس قام فيها العلماء المقربون ( وأحياناً كبار القضاة ) على تخريج النشء المطلوب ، لإدارة الضرائب والدخل والخارج ، ورعاية الفقه والقوانين .

وقد كان من أثر التحديد العملى هدف طبيعة التعليم المذكور ، أن صار الفقه الشرعى محوراً لمنهج التعليم بالضرورة . أما دراسة النحو ، فلم تكن لها إلا دلالة علم اللغة المقدس (sacra philologia) وكان هدفها تعريف التلاميذ باللغة الفصحى .

وتسمح لنا بنظرة في نوع هذا التعليم وطريقته ، كتب أبي زكريا التبريزى ( ٤٢١ / ١٠٣٠ - ١١٠٩ / ٥٠٢ ) ، الذى ظل عشرات من السنين أستاذأً للعربية في مدرسة الدولة الأولى : المدرسة النظامية بيغداد ، التي أأسست سنة ٤٥٩ هـ للفقير الشافعى أبي إسحاق الشيرازى :

---

(١) ابن خلkan ٢ / ٥١٩ (١٢٩٩).

فهو يذكر في مقدمة كتابه المعروف : شرح ديوان الحماسة ، كيف اهتدى إلى التفكير في شرح هذا النص . وهو يصدر في هذه المقدمة عن الرأي المحافظ المشهور : من أن أشرف العلوم كلها علم الكتاب والسنة ؛ ولا يصححقيقة معرفتهما إلا بعلم الإعراب ، الدال على الخطأ من الصواب ؛ وعلم اللغة الموضحة عن حقيقة العبارات ، المفصحة عن المجاز والاستعارات ؛ وعلم الأشعار . وهو يسوق ، للتبنيه على قيمة الشعر ، الحديث المروى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسْحَرًا ، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لِحَكْمًا »<sup>(١)</sup> ؛ ويذكر أيضاً خبراً عن ابن عباس أنه لم يفسر آية من كتاب الله عز وجل إلا نزع فيها بيتاً من الشعر<sup>(٢)</sup> .

وقد ساقه ذلك إلى أشهر اختارات من أشعار العرب : حماسة أبي تمام ، الفصيحة التي تناولها كثير من الشرائح . وهو أيضاً كان قد شرحها شرعاً مستوفياً ، غير أنه وجد أن أكثر تلاميذه يطلبون شرحاً يفسر الأشعار بيتاً بيتاً ، ليسهل عليهم معرفة ما يشكل في كل بيت منه ؛ وهكذا عقد عزم على شرح اختارات مرة أخرى ، وهو يريد في ذلك أن يبين اشتراقاً أساساً للشعراء ثم يفسر الأشعار بيتاً بيتاً على الولاء ، مع شرح الغريب ، والإعراب ، والمعنى ، وذكر اختلاف آراء الشرائح السابقين في الموضع التي اختلفوا فيها ، وإبراد الأخبار ، أي الأسباب والدواعي التي دعت إلى إنشاء الشعر .

وتبيان مقدمة التبريزى المشار إليها أن طلاب العلم ، في أول مدرسة عليا للدولة ، لم يكونوا بحالة تسمح لهم بفهم الأشعار الفصيحة دون شرح أولى .

(١) الترمذى : أدب ، وانظر مراجع الحديث في : فتح البارى ٤٤٦/١٠ ؛ كنز العمال ١١٧/٢ والصواب : لحكمة بصيغة الجمجم ، كما في عيون الأخبار (نشر بروكلمان) ١٠/٤٠٩ والأغانى ١٧:٤٩/٢١ والحماسة ١٣/١٠ ومن المأثور رواية المثل بالفرد كذلك (لحكمة) وهو كذلك في الترمذى : أدب . وانظر : معجم فنسن١/٤٩١ ب ١٣ (شيبتالر) .

(٢) ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ١٢١ س ٢ ؛ ويتعلق بذلك خبر المخارجي نافع بن الأزرق عن ابن عباس ، المتضمن أسللة عن مواضع من القرآن ، وتفسير ابن عباس لها ، مستشهدأ على تفسيره بأقوال من شعر العرب ، وقد وردت هذه الرواية على صور مختلفة كثيرة ؛ انظر : الكامل ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ؛ مقدمة بجهرة أشعار العرب ، الإتقان ص ٣٠٩ - ٢٨١ وغير ذلك . ونشرها الدكتور إبراهيم السامرائي في بنداد ١٩٦٨ م (المترجم)

وشرح التبريزى ، الذى أريد به أن يسد هذه الحاجة ، والذى احتفظ بمكانته ، من حيث إنه عون مريخ على قراءة هذا الديوان ، حتى يومنا هذا<sup>(١)</sup> إنما هو مجموعة تضم ، في مهارة وصدق ، نتائج الجهد الذى بذلها علماء اللغة القدامى<sup>(٢)</sup> .

فتلا اشتقاق أسماء شعراء الديوان ، مأخوذ برمه من مختصر ابن جنى (المتوفى ٣٩٢ هـ) المختص بهذا الموضوع : المبحج في أسماء شعراء ديوان الحماسة<sup>(٣)</sup> ، دون تسمية ذلك المصدر في كل حالة .

كما يظهر أن الأخبار عن الحوادث التي هيأت الدواعي الخاصة لإنشاء الأشعار ، ترجع بصورة عامة كما يبدو إلى شرح أبي رياش<sup>(٤)</sup> .

وكذلك شرح التبريزى للمعلقات ، لايزيد زيادة تذكر على خلاصة بحوث علماء اللغة ، في القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى ، كما يتبيّن ذلك من موازنته بشرح ابن الأبارى السابق عليه ؛ ول肯ه يمتاز أيضاً باختصاره وشموله .

ويمىء مع هذه الطريقة المتوجهة اتجاهًا كلياً إلى سد حاجات التعليم ، أن التبريزى قد تناول كلاماً من كتاب الألفاظ ، وإصلاح المنطق<sup>(٥)</sup> لابن السكikt بالتهذيب الدقيق ، حيث أكمل النصوص ، وذكر أسماء الشعراء ،

(١) انظر في ضد هذا الحكم الإيجاب على شرح الحماسة للبريزى مقالة ريتز في مجلة : Oriens II(1949) 249 (شيفالر) .

(٢) الحقيقة أن التبريزى كان في بعده شرحه حالة على المرزوقي في شرحه للحماسة . انظر مقدمة عبد السلام هارون للشرح الأخير ص ١٦ (المترجم) .

(٣) طبع بالقاهرة ١٣٤٨ هـ .

(٤) انظر في أبي رياش : إرشاد الأريب ١/٧٤ فما بعدها ، وشرحه لديوان الحماسة ذكر في خزانة الأدب عدة مرات .

(٥) ثبت كذلك أن التبريزى نقل معظم كتابه تهذيب إصلاح المنطق ، من شرح شواهد إصلاح المنطق لابن السيراف . انظر : رسالة تلميذنا محمد صالح التكرى في تحقيق الكتاب الأخير (المترجم) .

- ٢١٩ -

### وشرح الغامض من أبيات الشواهد لفظاً ومعنى<sup>(١)</sup>.

وخلف التبريزى في المدرسة النظامية زميله ، وسليل وطنه : من مدينة أستراباذ : على بن أبي زيد (المتوفى ٥١٦ هـ)<sup>(٢)</sup>.

وتدل نسبة التي عرف بها : الفصيحى ، على وجهته وهدفه العلمي : وهو يدين بهذه النسبة لولعه بكتاب الفصيح لشلب ؛ الذي كان يحفظه ويكثر من قراءته على تلاميذه<sup>(٣)</sup>.

ولما كان مجاهراً بتزنته الشيعية ، لا يدارى فيها ولا يوارى ، فقد اضطر إلى التزول عن التدريس بالمدرسة النظامية لأبي منصور الجوابي (٤٦٦ - ٥٣٩ هـ)<sup>(٤)</sup> الذي تسامت عقیدته السُّنْنِيَّة على كل مظنة .

وقد عنى الجوابي - على التقىض من أستاذة التبريزى - عنابة خاصة بمن اللغة العربية . وكتاب المرب<sup>(٥)</sup> ، من بين مؤلفاته ، يعد مختصرأً مريحاً ، لأعمال أجيال سالفة من الباحثين ، ولكنه لا يكاد يحتوى على رأى جديد<sup>(٦)</sup> كما أن شرحة على كتاب : أدب السَّكَاتِ لابن قتيبة<sup>(٧)</sup> ، مجهد جد متواضع

(١) كانت لغة التبريزى الأصلية الفارسية بلهجة أذربىجان ؛ انظر القصة المروية في ذلك عند السمعان في الأنساب ١١٠ ب ، وذكرها ياقوت في الإرشاد ١٧٣/١ ؛ ونقل ياقوت في معجم البلدان ٨٢٣/١ عن التبريزى أنه كان ينطق : تبريز ، بكسر التاء ؛ وليس معنى هذا أنها تطلق كذلك في الفارسية ، وإنما هو ترتيب منه لذلك اللفظ ، لأن المترمتن اللغويين لا يمترون باسم حل وزدن تفعيل بالفتح .

(٢) انظر : نزهة الألباء ص ٤٤٨ ؛ إرشاد الأريب ٤١٥/٥ - ٤٢٠ ؛ بقية الوعاء ٣٥ .

(٣) وكذلك الحال في « البقال » تلميذ الزخيري ، فقد لقب بالأدبي ؛ لحفظه موسوعة الأدب المعروفة في النحو . انظر : الجواهر المضية ٣٧٢/٢ .

(٤) نزهة الألباء ٤٧٣ ؛ إرشاد الأريب ٧/١٩٧ - ٤٠١ ؛ بقية الوعاء .

(٥) نشره إدوارد سخاو في ليفزج سنة ١٨٦٧ م ، عن مخطوط في ليدن ؛ وأكل شينيتايك بعض مائمه من السقط عن طريق مخطوطين في دار الكتب المصرية (ZDMG 33, 208 - 224) وهنالك نسخة مكتوبة في القرن السابع ناقصة من الأول والآخر في ميونيخ . ؛ فهرست جلازر ١٢٣ كما نشره الشيخ أحد شاكر بالقاهرة سنة ١٣٦١ هـ (المترجم) .

(٦) انظر المرب ص ٢٦ من ١١ .

(٧) طبع بالقاهرة ١٣٥٠ هـ .

- ٢٤٠ -

يتلاشى أمام الأعين ، إذا وازناه قبل كل شيء بالشرح النفيس القيمة للنقدة  
البطليوسى .

والصورة التي يقدمها التبريزى لأنحطاط مستوى الثقافة اللغوية فى بغداد  
إبان القرن الخامس المجرى/الحادى عشر الميلادى ، تجدر ما يؤيدتها ويكللها  
في كتاب عن اللحن اللغوى ، على ألسنة الطبقات المثقفة : درة الغواص ، في  
أوهام الخواص<sup>(١)</sup> ، الذى ألفه معاصر للتبريزى ، هو الحريرى ، صاحب  
المقامات المشهور (المتوفى سنة ٥١٦ / ١١٢٢).

وكما يؤذن به العنوان ، لا يعني الكتاب المذكور بالأنحطاط اللغوية الجاربة  
على لسان الجماهير العامة من الشعب ، الذى كان يوجد إذ ذاك عدد كبير من  
المؤلفات فيها ، بل بأنحطاط الطبقات الرفيعة<sup>(٢)</sup> ، أى الأوساط التى كان  
الحريرى نفسه ينتمى إليها بأصله ومرتبته .

فقد كان الحريرى صاحب الأخبار بالبصرة ، كما أن أباء لم يكن من  
الأغنياء فحسب ، بل كان كذلك رجلاً ذات ثقافة خاصة<sup>(٣)</sup> ، بحيث اهتم  
بأن يلتقي ابنه العلم على أشهر نحاة البصرة لذلك العهد : الفضل بن محمد  
القصبائى<sup>(٤)</sup> .

والحريرى يمثل مبدأ « تقنية اللغة العربية » المتزرت ، والأنحطاط الذى  
يشيرها في درة الغواص ، هي في أغلب الحالات نفس الأنحطاط الذى لاحظها  
ابن قتيبة قبل ذلك بقرنين ونصف في كتابه : أدب الكاتب ؛ محليات تسربت  
تدريجياً إلى لغة المثقفين .

(١) نشره : Thorbeeke في ليفربول ١٨٧١ ؛ وتشتمل طبعة الجنوبي باسطنبول سنة ١٢٩٩ على شرح الشهاب المخاجي على درة الغواص أيضاً .

(٢) وهو الحال كذلك في كل الكتب المؤلفة في لحن العامة في العربية . انظر كتابنا :  
حن العامة والتطور اللغوي ٦٤ (المترجم) .

(٣) يؤخذ هذا من درة الغواص ص ٧٩ .

(٤) ذكره الحريرى في درة الغواص ، ص ٣١ ، ٤٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ، ٤  
ويؤخذ من نزهة الألباد لابن الأنباري ص ٤٢٥ (انظر : إرشاد الأريب ١٤٣/٦ وبقية الوعاء  
ص ٣٧٣) أنه مات في السادس من صفر ٤٤٤ هـ ؛ فإذا صبح هذا فلا يكون ميلاد الحريرى  
كما قيل في سنة ٤٤٦ بل يمكن متقدماً على ذلك بعشرين سنوات على الأقل .

- ٤٤١ -

ييد أن أعظم من تلك الأحوال إفاده ، ما ذكره الحريرى من الأخطاء التي وقع فيها معاصروه من شدة حرصهم على سلامة التعبير ، فلم يصيروا القصد ، لتلاشى الشعور اللغوى ، والذوق العربى السليم عندهم ، تجاه طبيعة اللغة النصيحة .

وهكذا نراهم يستعملون مثلا الإعراب ، في حالة سرد الألفاظ دون تركيب جمل؛ فهم يعدون : واحد، اثنان ، ثلاثة "الخ (ص ١٧١) بالإعراب مع أن الإعراب إنما يصح في حالة التركيب ، وفي سياق الجملة ؛ وهذا تستغنى بمجاميع الحروف المذكورة في أوائل السور (الحروف المقطعة) عن كل إعراب ، ولا تقبل الجمع ؛ فمثل صيغة : حواميم ، بمعنى السور المبدوعة بحامي ، إنما هي مستخرج وضع بدلا من : آل حاميم ، أو ذوات حاميم .

ومن الترتيب الحالى من الإعراب : بينَ بينَ ، صباحَ مساءَ ؛ وهما ليسا منصوبين على الظرفية ، وإنما ختما بالفتحة مراعاة لجهال الصوت . ولكن معاصرى الحريرى يقولون بدلا من التعبير الأول : بينَ البيتين (ص ٦٣) ، على حين يستبدلون من الثاني خطأ : صباحَ مساءَ ، على الإضافة أيضاً (ص ١٩٣) .

ويدل على اضطرابهم وعدم تمكّنهم في استعمال الإعراب بما لا يحيط به الحريرى من أنهم يخلطون بين : بكم ثوبك مصبوغاً ، وبكم ثوبك مصبوج : فال الأول سؤال عن ثمن الثوب ، والثانى سؤال عن ثمن الصباغة ؛ والفرق بينهما مثل الفرق بين : في الدار زيد قائمًا ، أى زيد في الدار وهو قائم ؛ وفي الدار زيد قائم ، أى زيد قائم في الدار (١) (ص ١٩٤) ..

كذلك تلاشى عندهم الشعور الحى بالفرق بين المضارع المرفوع والمضاروب والمحزوم ؛ ولذلك استعملوا في أمر الغائب صيغة المضارع المرفوع : يعتمد ، بدلا من الصحيح : ليعتمد (ص ١١٦) .

---

(١) النظر المفاجئ على درة الفواص ، ص ٢٤٧ س ١ .

— ٤٤٢ —

وكذلك لم تعد لهم ألفة بصيغة المضارع المؤنث للمخاطب والغائب في حالة الجمع ، التي استعيض عنها في اللغة الدارجة بصيغة المذكر ، والتي امتازت في اللغة الفصيحة بنون النسوة ، مثل : يكتبون وتكلبن ، إزاء المذكر : يكتبون وتكلبن ، فعمدوا إلى التفرقة بين الجنسين بمجرد التاء أول الفعل في حالة جمع المؤنث الغائب ( تكتبن ) ظناً منهم أن التاء هي علامة التأنيث في صيغة المضارع ( ص ١٣٨ ) .

وعلى عهد الحريري كان التنوين قد أهمل في اللغة الدارجة منذ زمن طويل ، وهذا كان خطأً للثقفين في استعماله غير قليل . فقد صاغوا مثلاً : دنياً ، أى عالماً ( ص ٧٠ ) ، وهو استعمال غلط ؛ شد ابن الأعرابي فدافع عنه ، كما تسرب إلى الحديث الشريف في نصوص البخاري <sup>(١)</sup> ، على الرغم من أن أكثر النحاة قد أدركوا الوجه الصحيح من أن « دنياً » على أنه وصف المؤنث ( أدنى ) غلت عليه الاسمية ، لا يقبل التنوين في حالة التنكير كذلك .

ويزيد على ذلك ، اختلطت في العربية المولدة علامات التأنيث ، من التاء والألفين المقصورة والممدودة ، وهذا يوضح أن معاصري الحريري غيروا لفظ : عزّلاء بمعنى فم المزاد ، إلى عزّلة <sup>(٢)</sup> ( ص ١٦٦ ) ، وانجذبوا أيضاً الفرق بين ألف القطع وألف الوصل ، ونشأ من ذلك أن وقع بعض المثقفين في أخطاء من هذا النوع .

ويتحدى الحريري بشدة اللائمة ( ص ١١٨ ) على صيغة : لم يُنْسِتْ ، بكسر الباء مع همزة الوصل ، وهي خلط بين صيغتي : بنت وابنة .

وأجرى حكم الفعل المعتل الياء على الفعل المضعف في اللغة الدارجة ؟ ولهذا بالغ معاصرو الحريري في إجراء الفعل المضعف مجرى السالم ، فقالوا : سارره ، بدلًا من : سازه ( ص ٨٥ ) ؛ كما صاغوا من أفعال معتلة أوزاناً :

(١) القسطنطيني ٥٦ / ١ .

(٢) تروى « عزلة » بدلًا من : « عزّلاء » مثلاً عند أسماء ( نشر دير نورج ) ٥ / ٧٣ : « ومن خراء يدميان بالدم كالعزّلتين » وأشار إلى ذلك فون كريمر في WZKM ٢٦٧ ( ١٨٨٨ ) ٢ ( شبئال ) .

- ٢٢٣ -

على قياس الفعل الصحيح ، مثل : **مَشُورَة** ، بدلاً من **مَشُورَة** (ص ٢١) ، وكما في اسم المفعول : **مبِيع** ، بدلاً من : **مبِيع** ، **وَمَصْوُون** ، بدلاً من : **مَصْوُون** (ص ٥٩) .

كذلك لم تتوفر لديهم الخبرة باستعمال فعل المدح والذم : **نعم وبِشَن** ، لعدم جريانهما في اللغة الشعبية ، ففي اللغة الفصيحة يتطلب كلا الفعلين إلى جانب الاسم المستند إليه المدح أو الذم ، إيماءً مرفوعاً آخر يعين موضوع الجملة برمتها : **نعم الرجل زيد** ، بمعنى : أى رجل جدير بالمدح هو زيد ، أما : **نعم الرجل فقط** ، فهو مدح لهم بلام الجنس ، يحتاج إلى التمييز . وإذا قيل : **نعم مافعلت** ، فهو كذلك تحتاج إلى تمييز المفعول ؛ وعلى هذا خطأ الحريري ما يقوله معاصروه، مثل : **نعم من مدحت وبِشَن من ذمته**<sup>(١)</sup> (ص ١٤٤) .

وكان اسم الموصول القديم في اللغة الشعبية قد تحول إلى الصيغة الجامدة : **اللَّيْ** ؛ واستعمل أيضاً في مصدر الجملة المصدرية ، مثل : أن فعل **كَذَا** ؛ وهذا استعمل المثقفون على عهد الحريري صيغة اسم الموصول القديم أيضاً : **الذَّى** ، متقدمة الجملة المصدرية ، فقالوا مثلاً : **الحمد لله الذَّى كان كَذَا**<sup>(٢)</sup> أي : أن كان كَذَا (ص ١٦٢) .

ومن المشهور في قواعد النحو أن الفعل المستند إلى المثنى والجمع الظاهرين الواقعين بعد الفعل ، يلزمه حالة الإفراد ، ولكن اللغة الشعبية طابت<sup>(٣)</sup> هنا أيضاً بين الفعل والفاعل ( كما في لغة أكلوني البراغيث ) ، وعلى هذا طابق معاصرو الحريري أيضاً بينهما (ص ١٠٨) .

كما عاملوا لفظي : **كَلا** و**كَلَّاتا** معاملة المثنى ، فأخبروا عنها بصيغة المثنى وقالوا : **كَلا الرَّجُلَيْن خرْجا** ، **وَكَلَّاتا الْمَرْأَتَيْن خرْجَتَا** ، مع أن الفصيح :

(١) انظر شرح درة الفواد الشهاب المُهاجِي ص ١٨٨ وانظر ٢١٩ Nöldeke NBSS

(٢) انظر في ذلك البحث القيم الذي كتبه أستاذنا شيبالر في مجلة Oriens (١٩٦٢) ١٥-٩٧/١٤

(٣) هذه المطابقة قديمة جداً في اللغات السامية . انظر مقالتنا عن « الرِّكَام اللُّفُوي الظواهر المتداولة في اللغة » في المجلة العربية ( ١٩٧٧ ) المجلد الثاني / ١٥٩-٦٠ ( المترجم ) .

خرج وخرجت ؛ وإن ورد الاستعانان في شعر الفرزدق<sup>(١)</sup> ، ديوان  
ص ٣٤ بيت ١ (درة ص ١٠٣) .

وعلى حين تقع في الأمثلة التي ذكرنا أخطاء ناشئة من شدة الحرص على سلامة اللغة ، وموافقة القواعد ، تدل أخطاء أخرى ذكرها الحريري أيضاً على ميلغ ضعف شعور المثقفين ، وقلة خبرتهم بالعربية الفصيحة .

فهم لم يعودوا يلاحظون أن أسماء الآلات تتميز باليم المكسورة في أول الكلمة عن أسماء الأمكنة والأزمنة ؛ ولذلك يستعملون مثلا لفظ : مَرْوَحة ، لا في معنى الموضوع السكير الريح ، بل في معنى ما يرُوَّح به (ص ١٥٦) .

كما لم يفرقوا بين الاسم الدال على المرة الواحدة وهو : فَعُلْمَة بفتح الفاء ،  
والاسم الدال على هيئة الحديث وهو : فَعُلْمَة بكسر الفاء ، والاسم الدال على  
القلة ، وهو : فَعُلْمَة بضم الفاء ( ص ١٧١ ) .

وأهملوا جمع القلة ، فقالوا مثلا : ثلاثة شهور ، بدلا من : ثلاثة أشهر  
(ص ١٦٣) .

واستعملوا في صيغة الاستفهام لفظي : أو ، وأم ، دون فرق ولا تمييز ، على حين أن اللغة الفصيحة تستعمل : أو ، في الاستفهام عن أحد الشيئين ، مثل : أزيد عندك أو عمرو ؟ بمعنى هل أحد هذين عندك ؟ وفي الإجابة على ذلك يقال : نعم أولا . و تستعمل : أم ، في الاستفهام عن التعيين ، نحو : أزيد عندك أم عمرو ؟ بمعنى قد علمت أن أحد هما عندك ، ولكن أيهما الذي عندك ؟ ( ص ١٩٥ ) .

كما لم يفرقوا بين : نعم وبلى ، فيضعون كلاً منها موضع الآخر ؛  
وموضع نعم هو جواب الاستئناف المجرد من النفي ، وموضع بلى هو جواب

(١) وقد اجتمعوا في قوله :

كلاها حين جد الجرى يبيهنا قد أقلموا وكلا أنفيهما رأبى  
وانظر الخاتمة على الورقة ص ٤٧ .

- ٤٢٥ -

الاستخبار عن النفي ؛ ولهذا وقعت في جواب قوله تعالى : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ »  
 (سورة الأعراف ٧ / ١٧٢) ؛ قال ابن عباس : لو أنهم قالوا : نعم لکفروا ،  
 (ص ١٩١) .

وأخيراً يمكن التنبية إلى الأحوال التي لم يلاحظ فيها معاصر و الحريري  
 قواعد حذف تاء التأنيث وإثباتها . فقد صاغوا قولب مثل : امرأة شكورة  
 وصبوره ، على حين أن هذه التاء إنما تدخل في اللغة الفصيحة على وزن :  
 فعول بمعنى مفعول ، لا بمعنى فاعل (ص ١١٢) ؛ ومثل هذا قولهم جبنة  
 خلقة ، والصواب جبنة خلائق ، لأن العرب ساوت فيه بين نعت المذكر والمؤنث  
 (ص ١٦٣) . وكما قالوا ضبعة (ص ٧٤) وربخلة وهي الأنثى من ولد  
 الصبان ، والصواب : ضبع وربخل ، لأنهما لا يكونان إلا مؤنثين (ص ٩٧) .

وينكر الحريري جمع : جُوَالق على : جُوَالقات ، وصوابه : جَوَاليق ؛  
 والجُوَالق الغرارة . (ص ١٩٠) ؛ على أن جمع المؤنث السالم قد انتشر انتشاراً  
 واسعاً ، على حساب جمع التكسير للمفرد المذكر ، بحيث ذكر الحريري  
 عدداً كبيراً من الشواذ في ذلك الباب : جمع حَسَام ، خَيَال ، جَوَاب ، مَكتوب ،  
 مَقام ، مَصَاص ، إِوان ، وهو حديدة تكون مع الراءضن ، ويowan بكسر الباء  
 وضمها وهو عمود في الخبراء ؛ وجمع أسماء الشهور : شعبان ، شوال ، الحرم ،  
 والألفاظ الأعجمية : سَبَاط ، سَرَادق ، إِيوان ، هَاوُن ، سِيجِل ؛ كما في  
 جمع تصغير المفرد المذكر مثل : دريهمات وثوبات .

وهذه الحرب التي حمل الحريري لوعها في درة الغواص ، لم تخدم تجاه  
 أخطاء متفرقة من الحالات اللغوية ، أو الاستعمالات الشعبية ، بل هي موجهة  
 إلى روح العربية المولدة على الإطلاق .

وهو يمثل مذهب اللغويين البصريين المتطرف المترمت في « تنقية اللغة  
 العربية » ؛ فهو يتطلب مثلاً أن يقال : جاء القوم بأجْمَعِهم ، بضم الميم (ص ١٦٧)  
 على أنه بضم للفظ : جَمْع ؛ على حين يجوز ابن قتيبة<sup>(١)</sup> وابن السكريت<sup>(٢)</sup> ، إلى

(١) أدب الكاتب ص ٤٤٣ .

(٢) إصلاح المنطق ٢١٢/١ .

- ٢٢٦ -

جانب هذا ، أن يقال : بأجمعهم ، بفتح الميم ، على أنه لفظ : أجمع ، المستعمل في التأكيد .

وهو يقصر استعمال لفظ : ثدي ، على : ثدي المرأة (ص ١٨٧) على الرغم من ورود هذا اللفظ للرجل أيضاً ، حتى في الحديث<sup>(١)</sup> .

وفي تاريخ الأيام يغلّط الطريقة المتبعة (ص ٧٥) : في عدم أيام الشهور .  
بأن يقولوا : لأول يوم من الشهر ، مستهل الشهر ، لعشرين خلت من شهر  
كذا ؛ سالكاً في التاريخ مذهب المترمّتين القدماء<sup>(٢)</sup> كما ذكره أبو علي  
الفارسي في تذكرةه : وعلى هذا يقال في أول الشهر : أَوْلَ يوم من شهر كذا ،  
أو غرة شهر كذا ؛ واليوم الثاني : لليتين خلتا ؛ واليوم الثالث إلى العاشر :  
لثلاث ليال خلون ، لأربع ليال خلون الخ ؛ واليوم الحادى عشر إلى الخامس  
عشر : لإحدى عشرة ليلة خلت الخ ، واليوم الخامس عشر : منتصف شهر  
كذا ؛ واليوم السادس عشر إلى اليوم العشرين : لأربع عشرة ليلة بقيت من  
شهر كذا الخ ؛ واليوم الحادى والعشرين إلى الثامن والعشرين : لعشر ليال  
بقين من شهر كذا الخ ؛ واليوم التاسع والعشرين للليتين بقينا من شهر كذا ؛  
والاليوم الثلاثين : سلخ شهر كذا<sup>(٣)</sup> .

ويتمسّك الحريري ، في النظرية المتعلقة بلفظي : من ومنذ ، بمذهب  
سيبويه ، الذي يخصّص الأولى بابتداء المكان ، والثانية بابتداء الزمان (ص ٧٧)  
ولم تقتصر معارضته ذلك على الكوفيين ، بل عارضه أيضاً بعض العلماء من  
صفوف البصريين ، كالمبرد<sup>(٤)</sup> .

وفي مسألة الألفاظ الأعجمية ، يمثل الحريري الرأى القائل بوجوب وضع  
اللفظ الأعجمي في قالب عربي ، وطبعه على ذلك النحو بالطبع العربي .

(١) انظر الشهاب الخفاجي على درة الفواص ، وانظر : NBSS ١٢١ Nöldeke

(٢) انظر أدب الكتاب للصوبي ص ١٨٠ فما بعدها .

(٣) هذا التزمت في التعبير لا يمول عليه أكثر العلماء ؛ انظر الشهاب الخفاجي على الدرة  
ص ١١٤ - ١١٧ .

(٤) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ص ١٦٣ فما بعدها .

وعلى هذا يجب أن يقال : شِطْرُنج بكسر الشين ، بدلاً من من فتحها ، ودستور بضم الدال بدلاً من فتحها ، وسرداب بكسر السين بدلاً من فتحها ، وهاون بضم الواو بدلاً من فتحها (ص ١٣١ ، ١٠١ ، ٤٩ ، ١٧٧) ولكنها قوالب بقيت غريبة في الاستعمال الحي ، لأنها لديه غير مألوفة ، وجرأتها في بعض الأحيان – على تحويل المعنى والدلالة في تغيير اسم المدينة المعروفة : سامراء ، إلى : سُرَّ مَنْ رأى (ص ١٨٠) .

كما تمسك الحريري بمذهب البصريين في النسبة ، من وجوب النسب إلى صيغة المفرد ، ما لم تكن صيغة الجمع تمامًا (ص ١٥٣) على الرغم من ورود صيغة قديمة ، مثل : الأنصارى .

وجدد التنبيه – الذي لم يغُنْ فتيلاً – إلى منع النسب إلى مجموع صيغة التركيب الإضافي وما شاكله ، فلا يقال : رامهرمزى ، ودارقطنى ، وأثناعشرية ، بل رأى ودارى (ص ١٥٣) .

أما تصحيحه تصغير مختار على : مُسْخَرٌ (ص ١٠٠) وتحفظته مختير ، فهو ضرب من ضروب الترمذ البالغ أقصى درجات التطرف ، ومثلها كثير في أوزان التصغير<sup>(١)</sup> .

وفي كل هذا ، لم يخل الحريري من الترجيح الاختياري ، بل التصحيح الخاطئ تماماً في بعض الأحيان ؛ فهو يذهب (ص ٩٩) – مع ان قتيبة<sup>(٢)</sup> – إلى أن لفظ : بَصَرٌ ، بضم الصاد ، خاص برؤية البصيرة ، وأبصر ، خاص برؤية العين ؛ على حين أن في آية سورة القصص (١١/٢٨) : « فَبَصَرَتِ يَهُ عَنْ جِنْبٍ » ، أى رأته (أخت موسى) بالعين .

وهو يرى أن لفظ : ركاب : أى موكب السلطان مثلاً ، خطأ ، لأنه يرى أن الركاب اسم يختص بالإبل (ص ١٣٠) ، ولكنه أخطأ في ذلك ، لأن معنى الركاب هنا هو آلة الركوب المعلقة في السرج ، ويستعمل في كل

(١) انظر نُزُهَةُ الْأَلْبَاءِ ص ٢٠٠ .

(٢) أدب الكاتب ص ٣٨٠ .

- ٢٢٨ -

من الفارسية والتركية أيضاً ، كالعربية ، كنایة عن سير الملك ، تأدياً مع الملوك<sup>(١)</sup> .

وهو يريد تفسير لفظ : زوج ، بأنه أحد الزوجين ، المرأة أو الرجل ، وينحط إطلاقه على مجموع الاثنين أيضاً (ص ١٨٥) وهو خطأ ، لأن الاستعمال الثاني أيضاً معروف قديماً وحديثاً .

ولفظ : قَيْسَة : معناه في لغة العرب الجارية المغنية بوجه خاص ، والأمة بوجه عام ؛ وإذا قصره الحريري على التفسير الأخير ، مزيقاً الأول (ص ١٩٧) فهو يتابع في ذلك أبا عمرو بن العلاء<sup>(٢)</sup> ، الذي ربط هذا اللفظ بكلمتى : قين ، أي حداد ، وقان القينُ الحديد ، سَوَاه ، ووجد معنى : الأمة ، بذلك أنساب ، لما فيه من معنى الخدمة والامتنان .

وينتقد الحريري (ص ١٢٩) مع ثلث<sup>(٣)</sup> : ركض الحصان بمعنى جرى ، مفسراً معناه بضرب الحصان بالرجلين لكي يسرع . وهذا خطأ لأن الفعل ورد لازماً بمعنى جرى ، ومتعدياً بالمعنى الذي ذكره .

وهو يفرق بحق بين : بَشَارة بفتح الباء ، وبِشَارة بكسرها ، وبُشَارة ، بضمها (ص ١٤١) فهي بالفتح الجمال والحسن ، وبالكسر مابشرت به من بشري ، وبالضم حق ما يعطى على البشرة بالكسر ؛ أما قوله : إن البشرة بالكسر تستعمل في الشر كذلك ، فقد اعتمد في هذا على حالة التحكم باستعمال الضد ، في مثل قوله تعالى : «فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» (سورة الانشقاق ٢٤/٨٤)

أراد الحريري أن ينفع من روحه في العربية القديمة الفصيحة ، ليبعثها إلى الحياة من جديد ؛ بيد أن القوة السكانية التي لا تبارى ، في اللغة الدارجة الحياة ، كانت أقوى من كل مبادئ المترمدين وتعاليهم .

(١) انظر الشهاب المخاجي ص ١٧٣ ؛ وانظر : دائرة المعارف الإسلامية : ١٢٥١ EI III

(٢) انظر في هذا : Geyer : Zwei Gedichten (SWA 192,3) ١٦١

(٣) فصيح ثلث ص ٩ س ٢ (نشر : Barth)

- ٢٢٩ -

نعم ، بل لقد انزلت الحريرى نفسه فى التيار ، فلم يندر عنده اللحن والخروج على القواعد التى قررها فى « الدرة » .

فبدلا من لفظ : أَوْلُ ، بضم اللام ، تغير قلمه فكتب : أَوْلَا<sup>(١)</sup> ، اللفظ الذى خطأه (في ١٢٦) .

وعلى التقييس من تعاليمه (ص ١٨٢) ، استعمل لفظ : حساب ، معنى : حِسْبَان<sup>(٢)</sup> .

وهو يعلم (ص ١٢٩) أن فعل : سُقِطَ في يده ، فعل غير شخصي ملازم للبناء للمجهول ، ومع ذلك يكتب في مقاماته (ص ٣٩٦ س ٣) سُقِطَ الفى في يده .

وهو يؤكّد في الدرة (ص ٩٥) أنه لا يجوز صوغ الرباعي المضعف من أسماء العدد ، بل الثلاثي فقط مع أنه يقول في مقاماته (ص ٣٢٩ س ٤) : فتربيع صاحب ميمنته في نظمه ، وتسبع صاحب ميسّره على رغمه ؛ فيخالف نفسه .

وهو ينبئ في كلامه (ص ٤٣) إلى أن لفظ كافية لا يعرف باللام ولا بالإضافة ، وأنه لابد من تنكيره ونصبه على الحال ، حتى وإن قال ابن قرية القاضي (المتوفى ٣٦٧)<sup>(٣)</sup> ؛ في بعض حكمه : الكافية ؛ ومع ذلك يقول الحريرى في موضع آخر (ص ١٧٦) : اتفق كافية أهل الملل .

وهو يزعم (ص ٢٦) أن وزن : افعل<sup>٤</sup> ، يقال فيها تمسّك واستقر وثبت واستمر ، أما إذا كان الاون عرض بسبب يزول ومعنى يحول فيقال فيه : افعال<sup>٥</sup> ، مثل اصفار واحمار . ولكن هذه الدعوى غير معروفة : على حين أنه نفسه يقول في المقادمة الحرامية (ص ٤٨ س ٧) : فازورت مقلتاه واحرت وجنتاه ؛ وقال في موضع آخر : اسود العيش الأبيض .

(١) مثلاً : درة الفواص ص ٧٦ س ١٤ .

(٢) انظر الخفاجي ص ٢٣٣ س ٣ .

(٣) انظر : تاريخ بغداد ٢/٣٢٠ - ٣١٧ وابن خلkan ٤/٢ وما بعدها .

- ٢٣٠ -

وهو يحذر من سوء استعمال علامات التأنيث ، ولكنه يقول (في المقامات ص ٥٥ س ٤) : غرالة ، بمعنى ظبية .

وبهذا يقدم الحريري البرهان على أن الملاحظات العميقية ، والتعليمات الدقيقة للذهب المترمتن الذي يمثله في الدرة ، لم تكن – عملياً – مستطاعة التنفيذ .

هذا ، بيد أن كلا من الناتج الأدبي المرموق ، كمقامات الحريري ، والملاحظات الدقيقة ، البعيدة الغوص على الأخطاء اللغوية ، عند المتفقين ، كدرة الغواص ، لم تستطع أن تقف التطوير اللغوي في سبيله التي سلّكها .

فلا ذلك الاتصال المطرد في الدول الإسلامية ، ولا الاضطرابات الداخلية في دولة السلاجقة ، ولا تلك الحروب العنيفة المستخدمة في وجه الصليبيين (١٠٩٥ - ١٢٩١ م) ، ولا الدوليات التي قامت بالشرق ، كانت تسمح بتهيئة الجو الصالح . والبيئة المؤاتمة للعناية بالتراث الأدبي التأييد .

حقاً لقد لقيت كتابة الحريري عن اللحن اللغوي في دوائر الطبقات الخاصة ، اهتماماً كبيراً عند صدورها ، وأثارت حلقات من التزاع المستعر الذي تجاذبه عدد من مشاهير اللغويين في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي . بيد أن كتب مناقشاتهم ومنازعاتهم إن دلت على شيء ، فإنما تدل على مبلغ ضعف الإحساس اللغوي العام ، وفي دوائر اللغويين الإخصائيين بوجه خاص ؛ كما تدل على مدى ضعف مملكة النقد والتبييض عندهم ، بحيث لم يعودوا يستطيعون إدراك الفروق الأساسية بين العربية الفصيحة ، والعربية المولدة ، فاتجهوا إلى الاعتراف باللفاظ ، وقوالب ، وتعابيرات مولدة ، بل شعبية دارجة أحياناً ، على أنها صحيحة في العربية الفصيحة ، مادام قد ثبتت ورودها في كتابة القرون الثلاثة الإسلامية الأولى ؛ وحملوا من أجل ذلك على تزمنت الحريري حملة شعواء ، واحتلقو فيما بينهم على أي الظواهر اللغوية التي غالّطها الحريري يمكن تصحيحها وتسويغها ؟

وهكذا كتب ابن برى المصرى (٤٩٩ - ٥٨٢ هـ) المعروف بحواشيه على الصحاح ، تعليقات برهن فيها على صحة عدد كبير من العبارات التي خطأها

الحريرى ، وعدها ابن وطنه الشهاب الخفاجى (حوالى ٩٧٩ - ١٠٦٩ هـ) بعد حوالى خمسة عشر عام ، متأثراً بمذهبه ، جديرة بإدماجه فى شرحه على درة الغواص (١)

وهذه التعليقات تم على ضعف وتخاذل كبير فى مملكة النقد والحكم الصحيح ؛ فثلا لا يستطيع ابن برى أن ينكر أن مادة : ش و ش ، غريبة على العربية ، وأنها من خصائص اللغة المولدة (٢) ؛ بيد أنه يصحح عريتها ، اعتقاداً على أن الليث صرخ بذلك (٣) .

كما حاول أن يمحو الفرق الواضح بين عبارتى : مَخُوف ، أى حصل الخوف منه ، و مُخِيف ، أى مولد للمخوف ، بأنه فى حالة قولنا : الطريق مخوف لابد من تقدير مفعول مخوف ، تقديره : أخاف الطريق زيداً الملاك ، وإذا قلنا الطريق مخيف ، فالطريق ليس هو المخوف منه فى المعنى ، وإنما المخوف منه فى المعنى هو الملاك والعطب ، واستنتاج من ذلك أن مآل المعنين واحد ، وكلا التعبيرين صحيح (٤) .

وكذلك الأمر فى حُجَّيَّة الحديث فى شئون اللغة ، فكون الحديث غير حجة فى أمور اللغة ، لعدم التبعد بلحظه ، حقيقة كان فى وسع كل عالم باللغة ، حتى فى هذا العصر المتأخر ، أن يكون على علم منها ؛ ولكن ابن برى لا يكتفى بالتخاذل الحديث مصدرأً للغة ، بل يعول فى ذلك أيضاً على الروايات التى ثبت ضعفها ، حيث آثر الأخذ بالرواية : « بَعْثَتْ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَبِيسِنْ » بدلاً من الرواية المستفيضة « بَعْثَتْ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْرَرْ » ، أى إلى العرب والجم ، واستدل بذلك على صحة التعبير الأول فى المعنى المذكور (٥) .

أما ما كان يفهمه ابن برى من مبدأ « تنقية اللغة العربية » فيدل على ذلك

(١) انظر الشرح المذكور من ٦٣ س ١١ ، ص ١١ س ٧٣ ، ص ٩٨ ش ١٧ .

(٢) انظر فى تسربها من الآرامية : 537 Nöldeke. ZDMG 37,

(٣) الخفاجى ص ٦٢ س ١٧ .

(٤) الخفاجى ص ٢٤٨ س ٣ .

(٥) الخفاجى ص ٢١٩ ، وانظر فى الحديث : مسلم كتاب المساجد .

- ٢٣٢ -

كتابه : « أغلاط الصعفاء من أهل الفقه من أقطار مختلفة »<sup>(١)</sup> ، وهو عبارة عن ثبت جاف لنحو مائة حالة من الاستعمالات اللغوية المنتشرة بين الفقهاء التي ييدلها ابن بري بعبارات يعدها فصيحة . دون شرح ولا تعليق<sup>(٢)</sup> . ويوجد بينها بعض الأحوال المعروفة من الكتب القديمة لعلماء اللغة المتشددين على أنها أخطاء مشهورة : مثل حذف همزة المدى في الكلمة : ولاء ، أى السيادة على الرقيق (ص ٢١٨ س ٣) ، ومثل معاملة الفعل المهموز اللام على نمط المعتل اللام (ص ٢١٥ س ٣) : بداية ، بدلا من : بُدأة ؛ (ص ٢١٥ س ٦) ميضاة ، بدلا من ميضاة ؛ ومثل إبدال حرف بحرف عن طريق الماهلة الجزئية ، مثل (ص ٢١٩ س ١٢) مَزْدَغَة ، بدلا من : مِضْنَغَة ؛ ومثل الإبدال غير القياسي (ص ٢١٩ س ٤) نخاس ، بدلا من : نخاس ، تاجر الرقيق ؛ (ص ٢١٩ س ٣) هَدَر ، أسرع ، بدلا من حَدَر ؛ (ص ٢١٩ س ٢) بَشِيمَة ، بدلا من : مَتَشِيمَة ، محل الولد ؛ (ص ٢١٩ س ١٢) دشيش أى الدقيق الخشن ، بدلا من : جشيش<sup>(٣)</sup> . ومثل الخلط بين : قسم بكسر القاف (ص ٢١٨ س ٥) بمعنى : حصة ونصيب ، وقسم بفتح القاف بمعنى المصدر أى التقسيم ؛ ثم الأحوال الكثيرة التي استعملت فيها صيغ مولدة ، مثل : مُصَلَّة ، بدلا من : مصلى (ص ٢٢٠ س ١٤) ، ومثل : أجيَّة ، بمعنى حدائق (ص ٢١٦ س ٢) وأصنُع جعَالصَّبَاع بدلا من أصْنَع (ص ٢١٨ س ٧) ومثل : حَزْرَات بسكون الزاي ، بدلا من فتحها ، بمعنى خيار المال (ص ٢١٧ س ٢) ؛ ثم أحوال مثل : جَلْدَة بسكون الذال بدلا من فتحها ، بمعنى الحَمَل الصغير (ص ٢١٧ س ٣) وبكَرَة بتحرير الكاف بدلا من تسكينها ، بمعنى العجلة التي يدور عليها حبل البئر (ص ٢١٦ س ٤) ومثل : شَوْرَة العروسة ، بدلا من : شُوَّار العروس (ص ٢٢٠ س ١٤) .

(١) نشرة : Ch. Torrey: Nöldeke-Festschrift, Orientalische Studien I, ف:

٢١١ - ٢٢٤

(٢) ومعظمها منقول من كتاب : « تثقيف السان وتلقيح الجنان » لابن مكي الصقل ، دون إشارة . قارن الكتابين (المترجم) .

(٣) انظر : R. Mielck, Terminologie und Technologie der Müller und Bäcker im islamischen Mittelalter 37

وفي الأفعال يهم بوجه خاص بالخلط في تصريف الفعل ، ولا سيما في أسماء الفاعل والمفعول (مثل ص ٢٢٠ س ٢ ، ص ٢٢٢ س ٥) ، واستعمال المجهول خطأ (مثل ص ٢٢١ س ٢ ، ص ٢٢١ س ١٠) .

كما اهتم اهتماماً خاصاً بالألفاظ الأعجمية التي ينظر إليها ابن بري بنظرة المترمدين اللغويين ، فهو يطلب : صابورة (ص ٢١٩ س ١٠) ، وهو ما تنقل به السفن من متابع ، بدلاً من : سابورة ، من الكلمة اللاتينية Saburra و معناها الرمل أو الثقل في قعر السفينة ؛ ويطلب : قدس (ص ٢٢١ س ٢) ويجمع على قداس ، ومعناه السطل ، بدلاً من الكلمة ، اليونانية الأصل بنفس المعنى : قادوس ؛ ويطلب : جِصْ (ص ٢١٩ س ٩) ، بدلاً من : جِبْس ، ويطلب : زِبْيل (ص ٢٢١ س ١٣) بكسر الزاي أو زَبِيل ، بدلاً من : زِبْيل ، بفتحها ؛ ويطلب : مَرْوُرُود (ص ٢٢١ س ١٢) بتحقيق الراء الثانية بدلاً من تشديدها<sup>(١)</sup> ، وهي كلمة معربة عن : مَرْوُرُود ، ناحية من فارس ؛ ومره اسم نهر . ويطلب جمع اللفظ القبطي : قُبْش ، على : قوامسة ، بدلاً من قوامسة (ص ٢١٩ س ١٦) ، خالطاً في ذلك بين الكلمة القبطية المذكورة بمعنى نائب البطريرك ، والكلمة اللاتينية الأصل : قُوْمِس ، وهي تسمية كانت تطلق بالأندلس على رئيس الطوائف المسيحية .

كما التبس عليه (ص ٢٢٠ س ٦) لفظ : باعوث ، الوارد في كتاب منسوب إلى الخليفة عمر<sup>(٢)</sup> ، بمعنى عيد الفصح عند المسيحيين ، فطلب تصحيحه على : باعوث ، بالغين المعجمة . ولفظ باعوث يرجع إلى السريانية باعوثا ، ومعناه فيها بحسب الأصل : صلاة ، ولا يدل فيها بوجه عام على مطلق التغنى بالدعاء ، بل معناه عند المسيحيين الملكانيين ، أغنية خاصة<sup>(٣)</sup> . كذلك في تفسير الغريب الوارد في الحديث ، لا يصادف ابن بري دائماً كثير من التوفيق ؛ نعم هو يفرق تفرقة صحيحة بين لفظي : باسور وناسور

(١) هكذا يجب أن تقرأ . انظر : معجم البلدان ٤/٥٠٦ .

(٢) كنز العمال ٢/٣٠٢

(٣) انظر : G. Graf, ZS 7, 240 und 244

- ٢٣٤ -

(ص ٢٢٠ س ٨) ، و ٥ اتعبير ان وردا في مجتمع السنة مختلطين مختلفين <sup>(١)</sup> ؛ ولتكنه ينطوي حيث يصحح (ص ٢١٩ س ١٤) لفظ : أرض بَوْرَ <sup>(٢)</sup> بفتح الباء ؛ لأنضم الباء الذي ينطويه هو ، يؤيده اللفظ السرياني : بُورَا ، الذي أخذ منه اللفظ العربي .

هذا ، وقد كتب أيضاً تعليقات في مناقشة « درة الغواص » ابن ظفر <sup>(٣)</sup> ، الذي توفي في « حماة » بعد مغامرات كثيرة سنة ٥٦٧ أو ٥٦٨ <sup>(٤)</sup> ، والذي كتب أيضاً شرحين على مقامات الحريري ، وألف فوق هذا شرحاً لغريب ألفاظ المقامات .

وعلى نفس الطريقة أيضاً كتب العالم اللغوي البغدادي : ابن الخشاب (المتوفى ٥٦٧ هـ) نقداً على الدرة ، ووقع من أجل ذلك في نزاع مع « ابن برى » الذي كتب كتاباً في الرد عليه <sup>(٥)</sup> . والظاهر أن ذلك الاختلاف حول تصحيح بعض العبارات التي خطأها الحريري .

وأخيراً تلاشى الإحساس اللغوي تجاه سلامه اللغة كل التلاشي ، حتى عد بعض النحاة ظواهر لغوية مولدة ، من اللغة الصحيحة الفصيحة ، لمجرد أنها وردت عرضاً في حديث ينسب على أي وجه إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

(١) انظر البخاري : تقصير الصلاة ، حيث ذكر : بواسير ، على الوجه الصحيح . وسن أبي داود : صلاة ؛ وابن ماجه : إقامة الصلاة ، حيث ورد على عكس ذلك : ناسور .

(٢) لم يقتصر ورود هذا اللفظ على الحديث المذكور في لسان الميزان ٤٢٦/٣ ، كما ذكره العقيلي ، بل ورد كذلك في مواضع أخرى ، مثل كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أكيدر صاحب دومة الجندي ؛ ابن سعد ج ١٢ ص ٣٦ س ٢١ .

(٣) انظر : إرشاد الأريب ١٠٣/٧ ؛ حاجي خليفة ٤٨٤/١ (١٣١٠ هـ) وقد ظن أنه شخصان لا شخص واحد .

(٤) كذا ذكره ابن الماد الأصفهاني الذي كان من معارفه . أما التاريخ الذي ذكره ياقوت في الإرشاد ٧ / ١٠٢ والذى يذكر في مواضع أخرى وهو ٥٦٥ فهو لا يكاد يصدق ، لأنه قد ثبت أن ابن ظفر ظل مارس التعليم والإقراء حتى سنة ٥٥٦٦، وانظر : ZDMG 42,626 Anm. ١ .

(٥) انظر : كشف الظنون ٤٨٥/١ .

فقد أراد بعضهم أن يصحح العبارة التي وردت في شعر رؤبة (قطعة رقم ٢١ / ٢ أهلورت) : كاد أن يفعل ، بدلاً من الفصيحة : كاد يفعل ، اعتماداً على أنها وردت في الخبر : كاد الفقر أن يكون كفراً<sup>(١)</sup> ، على أن أبا البركات بن الأنباري (٥٧٧ - ٦١٣ هـ) قد رد على ذلك بأن «هذا الحديث إن صلح [لم يرد هذا الحديث في الماجمיע الصحيح] فزيادة : أن» ، من كلام الراوى لا من كلامه عليه السلام ، لأنه صلوات الله عليه أفصح من نطق بالضاد»<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من هذا فقد لقى الرأى القائل بمحجية الحديث في أمور اللغة تأييداً مطرداً . ويقال<sup>(٣)</sup> إن أول من اعتمد على الأحاديث من حيث هي حجة في أمور اللغة<sup>(٤)</sup> هو النحوى : ابن خروف<sup>(٥)</sup> ، الأندلسى ، الذى اخترع في آخر عمره ، ومات في حلب في أوائل القرن السابع الهجرى ، والذى نال شرحة على : «الكتاب» لسيوطى ، و«الجسمال» لزجاجى ، حظوة كبيرة.

وبعده في ذلك أشهر نحاة القرن السابع : ابن مالك ؛ وقد كان عظيم الاعتزاد والاهتمام بالحديث ، حتى إنه عاون «اليونينى» على تصحيح نسخة من البخارى ، وألف مصنفاً خاصاً في تفسير بعض النصوص المشكلة من الحديث<sup>(٦)</sup> . وهو يرى أن القرآن هو أوثق المصادر وأصحها في أمور اللغة ،

(١) الجامع الصغير لسيوطى ، وانظر : تميز الطيب من الحديث لابن الدبيع ص ١١٤ ، (طبع ١٢٤٧ هـ) وفيها أحاديث أخرى تشتمل على ذلك التعبير .

(٢) الإنفاق ص ٢٣٤ (نشر : Weil)

(٣) انظر ابن الصانع في شرح الجمل ، كما هو مذكور في خزانة الأدب ١/٥ ص ١٢

(٤) لم يكن ابن خروف أول من استشهد بالحديث كما توهم هذه العبارة ، فمنذ سيفويه وأئى على الفارسى بعض الأحاديث . ولكن كان ابن خروف أول من أكثر من الاستشهاد بالحديث . وهذا هو نص عبارة ابن الصانع في خزانة الأدب ١/٥ : «قال : وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً» فلتتحرر عبارة المؤلف (المترجم) .

(٥) نفح الطيب ١/٩٠٠ ؛ بغية الوعاة ص ٣٥٤ ؛ إرشاد الأريب ٥/٤٢٠ وتحتفل الروايات في هذه المراجع اختلافاً كبيراً .

(٦) انظر : f 81, ZDMG 92 واسم كتابه : «شوأد التصحح والتوضيح لمشكلات الجامع الصحيح» نشره محمد فؤاد عبد الباقي بالقاهرة سنة ١٩٥٧ م (المترجم) .

وتجيء أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد ذلك مباشرة في المرتبة الثانية ؛ على حين أن كلام البدو من الأعراب في المرتبة الثالثة<sup>(١)</sup> . وقد أدى به هذا إلى تصحيح تعبير مثل : أكلوني البراغيث ، لمجرد أنه ورد مثله في حديث رواه البخاري ومسلم ، وصيغته : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار<sup>(٢)</sup> » .

وتوسّع الأستراباذى ، الذي كتب حوالي سنة ٦٨٣ هـ شرحه المشهور على متن الكافية لابن الحاجب<sup>(٣)</sup> ، في صحة الاستشهاد في أمور اللغة أيضاً حتى بأهل البيت . وبهذا طرأ على طبيعة العربية تحول حاسم .

وهكذا لم تعد عربية الأدب في العصر الإسلامي الأوسط ، منذ مختتم القرن المجري الثالث ، لساناً طبيعياً لطائفة لغوية من الشعوب ، بل لقد تحولت إلى لغة أقامت قواعد النحو ومبادئها أساساً لتكوينها الحقيقي ، وطابعها الداخلي ، ولم تعد العناية بسلامة اللغة من حيث ظواهر الإعراب والتصريف ، التي ضعف إحساس الكتاب بها ، أهم من العناية بخشد طائفة من العبارات القديمة ، والاستعمالات العربية الغريبة ، التي ت quam إقحاماً ولكن دون اقتصار على حدود استعمالها البدوى القديم .

وقد كان مبلغ تمسك الكاتب باللغة الصحيحة ، ووقفه عند مبدأ تنقية اللغة ، يختلف كثيراً عن ذى قبل إما باختلاف الموضوع الذى يتناوله ، أو باختلاف الثقافة اللغوية التى حصل عليها ؛ وفي بعض الأحيان كانت لهجة وطنه الذى نشأ فيه ، تلعب كذلك دوراً هاماً في تحديد تعبيره .

وكلا أخذت الرابطة التى كانت تربط بين جميع البلدان الإسلامية من ناحية الثقافة والعلم ، تضطرب عرّاها ، وتضعف أواصرها ، بسبب الحروب

(١) فوات الوفيات ٢٨٨/٢ (طبع ١٢٩٩) ؛ بنية الوعاة ص ٥٥ ، المقرى ٦٠٨/١.

(٢) البخاري : موافقة الصلاة ، التوحيد ؛ مسلم : مساجد ؛ موطاً مالك (الزرقاني ٣٠٨/١) ؛ النسائي : الصلاة ؛ وفي البخاري : بدء الخلق ، ورد التعبير الفصيح : الملائكة يتعاقبون إلخ ؛ وأظهر من ذلك نص الموطاً (الزرقاني ٣٠٩/١) إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ يَتَعَاقِبُونَ إِلخ .

(٣) انظر : خزانة الأدب ١/٤ وفي ترجمته انظر الخزانة أيضاً ١٢/١ - ١٤

المتالية ، ازداد الانحلال والانحطاط في المستوى اللغوي والثقافي العام ، واستقل كل إقليم بثقافة خاصة ، ولهجة لغوية محلية .

وقول ابن الصلاح (٥٧٧ - ٦٤٣ هـ) إن كثيراً من شيوخ عصره لا يدرؤون ما يررون ، ولا يضبطون ما في كتبهم ضبطاً يصلح لأن يعتمد عليه في ثبوته ، لا ينطبق على المحدثين فحسب ، بل على جميع العلماء في عصر السلاجقويين بوجه عام<sup>(١)</sup>

ولإزاء هذا التحول الكبير ، لم يكن من المستغرب أن تتكاثر الأخطاء واللحن في قواعد العربية الفصيحة ، وأن تنضج اللهجات المولدة بقوة أشد من ذى قبل على لغة الأدب ، وأن تأخذ هذه اللغة في كل إقليم طابعها المحلي .

وهكذا يجرى الفارس العربي المشهور : أسامة بن منقد (٤٨٨ / ٤٩٥ - ٥٨٤ / ١١٨٨) على الحدود والقوالب العربية المتوارثة في أشعاره ؛ ييد أنه في الحديث عن ذكرياته ، ومخامراته التي شهدتها في حياته [تردد مجرى حياته في المرحلة الكثيرة الزراعي والقلالي المحدودة، باستيلاء الصليبيين على بيت المقدس سنة ٤٩٢ / ١٠٩٩ واسترجاع صلاح الدين لها سنة ٥٨٣ / ١١٨٨] يخرج عن قيود اللغة الأدبية ، فيكتب في أسلوب عربي طبيعى سهل ، يبدو فيه كثير من الطابع العام المتعارف اليوم في اللغة العربية السورية .

وحتى النحوى ابن يعيش (٥٥٣ / ١١٥٨ - ٦٤٣ / ١٢٤٥) يتنازل في شرحه للمفصل عن التظاهر بالأدب ، فيكتب في أسلوب عادى ركيك .

وفي تراجم الأطباء التي كتبها معاصره المتأخر عنه قليلاً: ابن أبي أصبيعة<sup>(٢)</sup> (٦٠٠ / ١٢٠٣ - ٦٦٨ / ١٢٧٠) نستفيد معرفة لغة المسامرة والحديث ، التي كانت سائدة بالقاهرة بين الطبقات المفقمة لذلك العهد .

وفي ذلك تقدم لغة كل كاتب في ذلك العصر المتأخر ، مشاكلها الخاصة ؛ ولا بد من محاولات كثيرة لكشف النقاب عن جميع هذه التفاصيل .

(١) انظر عبارة ابن الصلاح المذكورة بتامها في شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (عل هامش القسطنطيني ٢٠ / ١).

(٢) انظر : Aug. Müller, Ueber Text-und Sprachgebrauch von Ibn abi Usaibiase Geschichte der Aerzte,in SMA 1884,853-977

(١٦)

## نظرة خاطفة

جاء السيل المغولي ، الذى أصاب فى الصميم بلداننا ، كان لها التصدير فى قيادة ركب الثقافة والمدنية فى العالم الإسلامى ، والذى اكتسح خلافة بغداد (٦٥٦ / ١٢٥٨) فأكمل حلقة اختتام فى مراحل الانحلال الغوى التى بدأت بظهور السلاجقة ؛ وبهذا تقطعت الخيوط الأخيرة من الثقافة التليدة المتوارثة فى الأقاليم التى تغلغل فيها المغول . وما ظهر بعد ذلك فى تلك الأقاليم من حركات تتجه إلى التهوض على استحياء ، لم تكن له صلة مباشرة بالقديم الغابر .

وقد برزت « مصر » إلى المكان الأول بين بلدان العالم الإسلامي منذ ذلك العهد ؛ فقد نجت من عاصفة المغول ، وصارت تحت إمرة سلاطين المماليك ، بعد رد الصليبيين على أعقابهم ، أولى دول الإسلام العظمى .

ذلك أن التراء الواسع العريض ، الذى قام بمصر على أساس التجارة الهندية الواسعة المدى ، في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين) ، قد هيأ الأسباب الضرورية لنشاط الحياة العقلية ، وساعد على إنشاء نهضة أدبية في مصر وسوريا ، تميزت من الوجهة اللغوية – بظهور التعبيرات الخلية المصرية .

ولقد دامت هذه النهضة قرنين من الزمان ، ولكن كشف البرتغاليين طريق البحر إلى شرق الهند ، كان من أثره المباشر القضاء على امتياز مصر التجارى ، والقضاء على ذلك التراء العظيم . وبهذا فقدت مصر سلطانها المسيطر واستولى العثمانيون عليها في سنة ٩٢٣ / ١٥١٧

وعلى غرار مصر ، خضعت كل البلدان الناطقة بالفداد ، على وجه التقرير – ما عدا مراكش – شيئاً فشيئاً ، لسلطان العثمانيين .

- ٤٣٩ -

وتشمل المرحلة التي بدأت بذلك العهد ، متدة إلى آخر القرن التاسع عشر الميلادي ، أحلك قرون التاريخ العربي ، لا من الوجهة السياسية فحسب ، بل من الوجهة اللغوية كذلك .

وعلى النقيض من هذا تبدو المرحلة الحديثة ، التي تلت ذلك ، <sup>تيسيرًا</sup> مشرقة مشمولة بالنور التاريخي الساطع . وتبدأ هذه المرحلة الأخيرة بحملة « نابليون » على مصر سنة ١٧٩٨ م ، مقرنة بشعار تنظيم نفسها ، وترتيب أمرها ، تجاه العالم الغربي .

فإدخال النظم الغربية الذي بدأ على يد « محمد على » وإقامة المدارس والمعاهد على النط الأوربي ، وتغذيتها بالعلماء الأوروبيين ، وإرسال الشباب المصري إلى الجامعات الأوروبية ، وتأسيس مطبعة للدولة ، وإصدار صحيفة رسمية ، وإنشاء مكاتب للترجمة ، تقوم بنقل عدد لا يحصى من المؤلفات الأوروبية في شتى أنواع العلوم والفنون إلى العربية ، تيسيرًا لتناولها في العالم العربي ؛ كل ذلك عاد على اللغة العربية — في مصر بادئ ذي بدء — بآثار بعيدة المدى في التأثير .

وما يشهد بذلك تلك الألفاظ الدخيلة من اللغات الأوروبية : أولاً من الفرنسية والإيطالية ، وأخيراً من الإنجليزية .

وقد أدت كثرة ذلك الغريب ، المهدّد لكيان العربية ، إلى قيام حركة مضادة ، تدعى إلى استحضار الماضي العظيم ، وإحياء تليد الحضارة والثقافة من التراث القديم . وقد أعلنت تلك الحركة عن نفسها ببعث لغوى جديد ؛ فطبع منذ ذلك العهد ما لا يحصى من كتب الأدب العربي، في جميع العصور بالقاهرة وغيرها ، وأدى الاشتغال بالآثار الأدبية من مختلفات العصور الغابرة إلى بirth حركة « الترقية اللغوية » مرة أخرى .

ولم يقف الأمر عند نشر المؤلفات الكثيرة في النحو العربي ، وما إليه من المعاجم العديدة الأجزاء ، بل اشتدت العناية أيضاً بالبحث في مسائل الاستعمال اللغوي ، وصواب التعبير . وقد استعيض فعلاً عن كثير من الكلمات الأجنبية ، بألفاظ عربية حديثة .

- ٢٤٠ -

ومن أعمال الجمعين العلميين في القاهرة ودمشق، إيجاد ألفاظ مناسبة للعدد الوفير من المدلولات، لا سيما في دائرة الشئون الهندسية، والآلية، والطبية، والكيميائية، والطبيعية، وغيرها مما جلبته الحضارة الغربية الحديثة.

وهذا الكفاح في وجه «الغريب اللغوي» يدور في الأعم الأغلب حول مشكلة استعمال الكلمة، واستخدام المادة اللغوية المولدة، وتيسير النقل المجازي، ومسألة الوضع الحديث.

على أنه لا يتعرض بمساس للنقل من الغرب في الأمور العملية، واقتباس الأشياء والمدلولات الغربية الأصل. فثلا الحقيقة الثابتة من أن الشرق مدين للغرب بالسيارة، لا يمحوها استعمال هذا اللفظ الفصيح: سيارة، ومعناه الأصلي: قافلة، بدلاً من: أوتوموبيل.

وأهم من ذلك أن حركة «تنقية اللغة» تقتصر نقدها غالباً على ظواهر وسائل التعبير، على حين أن مواطن القوالب العربية معرضة لتأثير القوالب الأوروبية، المتغلغل خفيّاً دون انقطاع. فالمجرى الحديث الذي يستعمل مثلاً هذا التعبير: (تحية) قلبية، في موضع *herzlich*, *heartily*، يعترف بالتأثير الغربي من وجاهة مضاعفة: فهو يصوغ على نموذج أوربي، من اسم عربي، بوساطة نسبة عربية، وصفاً لا يجوز حسب القواعد العربية الفصحة صوغه من أسماء الأعضاء الجسمية<sup>(١)</sup>؛ كما أنه من ناحية أخرى يخالف مذهب لغته التي تعد القلب مركز العقل والشجاعة، فينسب إليه مشارق وإنسات تنسبها العربية الأصيلة إلى الكبد أو الصلوع أو الأحشاء.

ومثل هذه الترجمة المعنية، التي هي العادة المتبعة في عربية الصحافة بوجه خاص، تقرب الشقة بين العربية الحديثة، واللغات الأوروبية الراقية تقربياً بيّناً، بحيث قد يتأقى في المستقبل عدّها عضواً في الرابطة اللغوية الأوروبية بالمعنى الذي قصد إليه: Trubetzkoy، تروبتسكوى.

(١) لستاندروي علام اعتمد المؤلف في هذا الحكم، فالنسبة إلى أسماء الأعضاء جائز في العربية جوازه في غيرها (المترجم).

- ٤٦ -

ييد أن الآثار البعيدة العمق ، التي تركها الغرب في العربية الحديثة ، لا تقتصر على العربية الفصيحة ، بل كذلك اللهجات المحلية آخذة في التغير البطيء المتواصل النطوي بوساطة التأثر بالغرب<sup>(١)</sup> . فقد كان من أثر انكماش الأمية أن تغلغلت لغة الكتابة الحديثة بقواعدها ، ومفرداتها في دوائر كانت لا تعرف من قبل سوى العامة ، كما تعمل الصحافة عملها أيضاً في ذلك الاتجاه .

وما يوحّد الألسنة وينهى الفروق اللغوية ، التجنيد في الخدمة العسكرية ، إذ يجمع الرجال من المناطق اللغوية المختلفة في حياة واحدة .

وأبعد من ذلك أثراً ما تقوم به في هذا السبيل مسارح السمر الشعبي ، التي تقدم الأغانى والمقطوعات الفنية .

وما يعمل على الانسجام وتقريب الألسنة بوجه خاص : المذيع ، والحاكي ، والخيالة (السينما) الناطقة .

ولما كانت مصر قد تقدمت خطوات فسيحة في ميادين النقل الآلي والفن المشار إليها ، فقد يكون متيسراً أن تصبح لغة التحدث القاهرة هي المثل الأعلى للعالم العربي خارج مصر في نواحي النطق الصوتي ، والتعبير السائد ، والثروة лингвisticية ؛ وأن يعيد التاريخ ثانية لمصر تلك المكانة التي حققت لها التصدر في طليعة البلدان الناطقة بالضاد على عهد الماليك في القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) .

وقد ظهر أخيراً في ميدان اللغة أثر آخر من آثار التأثر بالغرب ، حيث علت أصوات في دوائر بعض دعاة الإصلاح في مصر ، تتحدى بالنقد على العربية الفصيحة نفسها ، وتحدث عن صيغ التعليم اللغوى بصيغة جديدة ، توائم قواعد التربية اللغوية الحديثة .

I. Lecerf, Atti del III. congresso internationale dei Linguisti: (١) انظر: (سنة ١٩٣٥) ص ١٨١ - ١٨٦ (العربية)

وقد كان لزاماً على العربية الفصيحة أن تقضى على تلك الحركة ، لأن انتصارها قد لا يبيّن أثراً للنحو العربي ، بل لما هو أهون من ذلك ، وهو أن الحركة المذكورة تراعي اللهجة المحلية رعاية قوية يتعرّض لها بغيرها استخدام اللغة الجديدة رباطاً عاماً لـ كل البلدان الناطقة بالعربية . وبهذا يمتد الإشكال ، ويخرج من الدوائر اللغوية الضيقة إلى دوائر الثقافة الإسلامية عامة .

ولأن العربية الفصحي لتدين حتى يومنا هذا يمركزها العالمي أساسياً لهذه الحقيقة الثابتة ، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية ، وما عدتها من الأقاليم الداخلية في المحيط الإسلامي ، رمزاً لغويّاً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية .

ولقد برهن جبروت التراث العربي التالد الخالد ، على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحي عن مقامها المسيطر .

ولإذا صدق البوادر ، ولم تخطئ الدلائل ، فستحتفظ أيضاً بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ، ما بقيت هناك مدنية إسلامية .

## ملحق

### مادة: لـ حـ نـ، ومشتقاتها

يتطلب معنى اللحن اللغوي أن يكون الصواب متقدماً عليه . وكلاهما يمكن حصوله وتصوره إذا تجاوز التفكير في اللغة خطوات نشأتها الأولى . بيد أن مثل هذا التفكير والتأمل في نشوء اللغة كان بعيداً كل البعد عن عرب الباذية قبل الإسلام .

حقاً كان لهم ذوق مرهف ، وإحساس ناضج كل النضج بجهال اللفظ المنطوق : سواء في الخطاب البسيط المأثور ، أم في النثر الفني المسجوع ، أم في الكلام الموزون المنظوم . كما عرروا أيضاً تلك العوائق الحسية والتفسية التي تعرّض النطق ، وتؤثر في المنطق ، فيعيا<sup>(١)</sup> الخطيب أو يُترجم عليه .

والاحظوا كذلك عيوب اللسان كاللفة ، والرثة<sup>(٢)</sup> ، واللجلجة ، والثبستة ، بل لاحظوا أيضاً خصائص من اللهيجات واللغات الخاصة<sup>(٣)</sup>؛ ولكنهم لم يعرفوا كنهاً للخطأ في القواعد والخروج على النحو .

وهذا اللفظ القديم : اللحن ، الذي يطلقه علماء اللغة والنحو اصطلاحاً على : الخطأ في اللغة ، إنما اكتسب هذا المدلول نتيجة لاتفاق عرف على تغيير معناه الأصلي في وقت متأخر نسبياً .

والمدلول الأصلي للفظ : لـ حـ نـ ، بفتح الحاء، هو : مال؛ وتفسر المعاجم دون ذكر الشاهد : لحن إلى ، بمعنى : مال إلى<sup>(٤)</sup> . ومن هنا تدل مشتقات

(١) انظر مثلاً المفضليات قصيدة رقم ٩١ بيت ٢٣؛ ديوان الخطيبة ص ٧٧ س ١٩ .

(٢) انظر التسمية بالأورت مثلاً (الاشتقاق لابن دريد ٢٣٧ س ١٥) .

(٣) انظر الكامل المبرد ص ٣٦٤ (نشر : Wright) .

(٤) قرن الزمخشري في كتابه : الفائق ٢٢١/٢ لحن إلى لـ حـ نـ بمعنى ضل؛ ومسألة تتعلق بالمادتين مع : لـ حـ ، بمعنى أصل واحد ، ترجع إلى مبحث الاشتقاد الأكبر .

- ٢٤٤ -

هذه المادة على معانٍ تتميز بالإشارة إلى الميل والتحول عن الهيئة المألوفة . وهذا لا يعني أن الحالة المألوفة هي الصواب ، وأن الميل والتحول عنها يؤدى إلى الانحراف والخطأ ؛ كما لا يعني أن المقصود هو التحول إلى الصواب . الحق .

وعلى هذا فمعنى : لَحِنْ على وزن فَطِنْ ، سريع الميل والالتفات ، أي حُوَلْ مُفْلَبْ ، وهذا معناه الفطن الأرير ؛ وهكذا يصف لبيد مثلاً (قصيدة رقم ١٣ بيت ٣ ؛ ص ٦١ نشر الخالدي) وليداً يمانياً مَرِنَا على الكتابة :

مَتَعَوَّدْ لَحِنْ يَعِدْ بِكَفَهْ قَلْمًا عَلَى عَسْبَبْ ذَبَلْنَ وَبَانِ  
وَفَعْلْ : لحن بكسر الحاء يفسر على ذلك بمعنى : فطن ؛ ومصدره : اللحن بفتح الحاء ، كما في بيت قعنب بن أم صاحب<sup>(١)</sup> الذي عاش في عهد الوليد بن الملك :

[غَمَسْتُ عَنْهُمْ وَمَا ظَنَّ مُخَافِقَهُمْ] وسوف يعرفهم ذو اللثُبُ وَاللَّهَنْ<sup>(٢)</sup>  
وقد روى أيضاً<sup>(٣)</sup> أن اللحن بسكون الحاء مصدر لحن بفتحها ، ورد  
معنى الإصابة والفتنة كذلك .

وأفضل التفضيل : لحن ، ورد في حديث مستفيض ، روى في كل مجاميع السنة<sup>(٤)</sup> يبحث المؤمنين على الصدق والحق إذا تقاضوا إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) : «إنما أنا بشر مثلكم ، وإنكم تختصون إلى ، فلعل بعضكم أن يكون لحن بحجه من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئاً ، فإنما أقطع له قطعة من النار» .

(١) انظر البريزى فى : شرح المسامة ص ٦٣٦ (نشر : Freytag ) .

(٢) أدب الكتاب ص ١٣٢ ؛ والظاهر أن هذا البيت من الأبيات التي رواها ابن الشجرى لعنب المذكور في مختاراته ص ٧ - ٩ وإذا كان هذا البيت من قصيدة المختارات حقاً ، كان به إقراء لأن القصيدة من روى التون المنسومة (شيبة الر) .

(٣) انظر أمال القال ١ / ٥ ص ١ .

(٤) الموطأ ، كتاب الأقضية (الزرقاني على الموطأ ١٧٩/٣ ؛ البخاري : كتاب الأحكام ) (وانظر فسنك فى : فهارس الأحاديث ٣٧/٢) .

ولما كان معنى اللحن في هذا المثال الأخير متحققاً في أن يكون أحد الخصمين أعرف بإلباس حالته حلاًّة من البلاغة المُقْسَنة في بعض الروايات بدلًا من : لعل بعضكم أن يكون الحن : لعل بعضكم أن يكون أبلغ<sup>(١)</sup> – فقد استعمل لفظ : اللحن ، بسكون الحاء ، في معنى : التعبير بصورة مخالفة للمأثور بوجه عام ، ويدخل في ذلك الغناء، بمعنى أن اللحن غالباً هو النغمة<sup>(٢)</sup> المخالفة للمأثور في أصوات الغناء .

ويمكن استعمال اللحن مجازاً أيضاً في هديل الحال وغنائه<sup>(٣)</sup> . فقد قال شاعر بدوى من شعراء القرن الثاني : هو جهم بن خلف<sup>(٤)</sup> ، في أبيات له<sup>(٥)</sup>

تَغَثَّتْ عَلَيْهِ بِلْحَنِ هَذَا يُبَهِّجُ لِلصَّبْ مَا قَدْ مَضِي  
وَقَالَ فِي مَكَانٍ آخَرَ<sup>(٦)</sup> :

مَأْلُوفَةُ الْأَلْهَانِ مَطْرَابُ الصَّحْنِ تَبَكَّى بِشْجُونِ دَامِمٍ وَتَوَجَّحُ  
وَفِي قَصِيْدَةٍ نَسْبَتْ إِلَى جَهْدَرِ ، أَحَدُ لِصُوصَ الْعَرَبِ وَمَعَاصرِ الْحَجَاجِ  
قَالَ فِي حَمَاتِينَ<sup>(٧)</sup> :

(١) البخاري : كتاب المظالم (وانظر فنسنكت في المرجع السابق ١/٢١٧) .

(٢) وهذا هو المقصود دائمًا في الأغاف لأبي الفرج . وإلى جانب ألحان ولحون ذكر الزمخشري أيضاً في أساس البلاغة : ملحن ، في صيغة الجميع . وإطلاق اللحن على النغمة مستفيض في اللهجة اليهودية العربية ، ويرد كثيراً في ديوان يهودا هاليفي . وفي النصوص النصرانية العربية معناه نوع خاص من النساء الدين . انظر : G. Graf ZS 9, 245 .

(٣) هكذا البكري في الآلئى من ٢١ ص ٢١ س ٢ خلافاً لأبي القالى ١/٩ حيث يرد أن يفسر ألحان الحمام باللغات على أن المحن هو اللغة .

(٤) الفهرست ص ٧٠ .

(٥) كتاب الحيوان للباحث ٣/٦١ .

(٦) حمسة ابن الشجري ص ١٧١ .

(٧) أمال القالى ١/٢٨٢ ؛ شرح شواهد المتن السيوطي ص ١٤٠ نقلًا عن تاريخ دمشق لابن عساكر ؛ الدميري ٢/٤٥١ ؛ خزانة الأدب ٤/٤٨٤ نقلًا عن كتاب المصووص للسكري ؛ معجم البلدان لياقوت ٢/٢١١ . والبيت في الكامل للبردي ٨٤ والعقد الفريد ( القاهرة ١٣٠٥ ) ٣/١٤٣ ( الزمردة الثانية في آخرها ، قوله في الحمام ) الأصنعيات ( نشر أهلورت ) رقم ٣٩ - ٣٨ ( لسوار بن المضرب ) وعيون الأخبار ١٨٤ / ١٢ ( المعلوط ) مع اختلافات قلت أو كثرت ( شبيتال ) .

تجاوبياً بلحن أعمجى على غصنين من غرب وبان  
ومثل هذا المفهوى ورد أيضاً في البيت الذي لم يسم قائله<sup>(١)</sup> :  
باتا على غصن بان في ذرئ فَسَنَ يرددان لحونا ذاتاً ألوان  
أما أن لفظ : لاحن ، على صيغة اسم الفاعل ، استعمل أيضاً بمعنى :  
حسن الصوت ، فيدل عليه المثل المعروف : « لحن من الجرادتين » : أي  
أحسن صوتاً وغناء .  
والجرادتان كانتا قينتين لمعاوية بن بكر العمليقي ، سيد العمالقة في سالف  
الدهر .

وكذلك المثل الآخر : « أَلْحَنَ مِنْ قِيَمِي يَزِيدٌ »<sup>(٢)</sup> ، وَالْمَرَادُ بِهِ حِبَّابَةُ وَسَلَامَةُ ، مَعْنِيَتَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلَكِ الْلَّاتَانَ قَيْلُ فِيهِمَا لِإِنْهُمَا كَانُتَا أَلْحَنَ مِنْ رُؤْيَى فِي إِسْلَامٍ مِنْ قِيَانِ النِّسَاءِ .

ويتصل بهذا المعنى فعل: لَسْحَّنَ بالتشديد، أي رَتَّلَ باللغَمَ القرآن مثلاً، حيث نُسِيَ المحفوظون عن ذلك<sup>(٣)</sup>.

وأخيراً صار لفظ : تلحين ( وجمعه : تلحين ) أي طريقة الغناء ، أو النغمة الرئيسية ، اصطلاحاً من اصطلاحات الموسيقى<sup>(٤)</sup> .

(١) أمال القال ٦/١؛ كتاب الأصداد لابن الأباري ص ٢١٠؛ تاج المروس ٩/٣٣١؛ وذكر القال مثالين آخر عن لهذا المعنـ .

(٢) بجميل الأمثال للميداني (١٣٤٢) / ٢ - ١٨٤ - ١٨٦ :

<sup>(٣)</sup> انظر مستند الدارمي : فضائل القرآن

(٤) انظر : Dozy, Supplement في المادة . وقد استعمل شاعر من عهد المأمون فعل : لحن في تقسيم أصوات الثناء ، وهو محمد بن حازم الباهلي (الأغاني ١٥٨/١٢ ) ، كما ذكره ابن قتيبة في : عميون الأخبار ٣/١٠٩ ، وبهذا ورد أيضاً في رواية ساقها الزجاجي في أماليه ص ٢٤٩ : كما ذكره أيضاً الحمداني في صفة جزيرة العرب ص ٣٢٠ س ٧ يعني تقسيم النساء أصوات الأغانى التي ينبعن بها على الموق إلخ .

- ٢٤٧ -

ويقصد من اللحن أيضاً : النطق على أسلوب مختلف للمألف ، كما يراد طريقة التعبير بوجه عام . وفي هذا المعنى يقول ذو الرمة<sup>(١)</sup> :

\* في لحنِه عن لغاتِ العربِ تعجم \*

ويقول عبيد بن أيوب ، أحد لصوص العرب في القرن الثاني للهجرة ،  
الغول :

أَرَنْتُ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ [وَأَوْقَدْتَ حَوَالَىَ نَيْرَانَّا تَلُوحَ وَتَزَهَّرَ] <sup>(٢)</sup>  
وَفِي بَيْتٍ لَمْ يُؤْسَمْ قَائِلَهُ <sup>(٣)</sup> :

وَقَوْمٌ هُمْ لَحْنٌ سُوَى لَحْنِ قَوْمِنَا      وَشَكْلٌ وَبَيْتٌ اللهُ لَسْنًا نَشَاكِلَهُ  
وَيَتَصلُّ بِذَلِكَ الْقَوْلِ الْمُأْثُورُ : «هَذَا لَيْسَ مِنْ لَحْنٍ وَلَا مِنْ لَحْنِ قَوْمٍ» ،  
سَنَاهُ تَقْرِيبًا : لَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِي وَلَا مِنْ طَرِيقِنِي <sup>(٤)</sup> .

وهذا المعنى : طريقة التعبير ، ورد في كثير من الأحاديث ، وإن كان الصعب التتحقق من قدمها وصحتها . فقد روى أن أبي ميسرة عمرو بن حبييل ( المتوفى ٦٣٥ ) أحد الصحابة المتأخرين ، استعمل هذا التعبير : أَيْمَنَ <sup>(٥)</sup> . ورأى كل من الأصممي وأبي زيد لفظ : لحن ، مرادفًا : لغة<sup>(٦)</sup> ؛ وعلى ذلك فمعنى : لحن ، نطق بلغته الخاصة <sup>(٧)</sup> .

(١) ديوان ذي الرمة قصيدة ٧٥ بيت ٤٤ (نشر : مكارني).

(٢) حيوان الماحظ ٦٥٠ ؛ الشعر والشعراء ص ٤٩٣ ؛ إعجاز القرآن للباقلي ص ٤٤ ؛ طلى في شرح شواهد المغني ص ١٠٧ ، خزانة الأدب ٢١٣/٣ ؛ واستعمله الفرزدق في عواه ، (آمال المرتفع ٤/٢٩) وفي مكانه بالديوان : نبح بدلاً من : لحن .

(٣) تاج العروس في المادة .

(٤) ذيل الآمال للقالى ص ٣٩ ؛ وذكره الزمخشري في الأساس ٢/٢٢٢ ؛ وكلاهما على أنه إسلام أبو مهدية الأعرابي أحد من يروى عنهم الأصممي (المعرف ص ١٧١) . الذي يروى به صممي هو أبو مهدى الباهلى ، أما أبو مهدية الكلاب فهو روى عنه أبو عبيدة . انظر كتابنا : مامدة والتطور اللغوى ، هامش ٢١ (المترجم) .

(٥) آمال القالى ١/٥ (اقرأ مع الفائق للزمخشري ٢/٢٢٢ أبو ميسرة) .

(٦) آمال القالى ١/٥ ؛ الفائق ٢/٢٢٢ ؛ وروى صاحب تاج العروس ٣٣١/٩ أن هذا بالمعنى المذكور خاص بلهجته بني كلاب .

(٧) آمال القالى ١/٦ ؛ الملحن لابن دريد ص ٧٧ (القاهرة ١٣٤٧ هـ) .

- ٢٤٨ -

وبهذا فسرت ثلاثة أقوال نسبت إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، وإن كان يظهر ضعف نسبتها إليه ، وهي : ( ١ ) تعلموا الفرائض والسنن واللحن<sup>(١)</sup> . ( ٢ ) تعلموا اللحن في القرآن<sup>(٢)</sup> . ( ٣ ) أبى أقرؤنا وإنما نرغب عن كثير من لحنه<sup>(٣)</sup> . على أن الغالب استعمال اللحن في معنى الطريقة غير المألوفة في التعبير ، بوجه من الوجوه : فقد يقصد من ذلك أن تزيد الشيء فتوراً عنه بقول آخر . وهذا المعنى يبرز بوضوح في بيت من قصيدة قالها القتال الكلابي الذي عاش في عهد مروان بن الحكم ، يلوم قومه لتخلفهم عن مساعدته :

ولقد لحت لكم لكيما تفهموا      وحيث<sup>(٤)</sup> وليس بالمرتاب<sup>(٥)</sup>

وفي مثال ثان لهذا التعبير يقول مالك بن أسماء صهر الحجاج بن يوسف في جارية تَسْغَنَّ بها :

منطق صائب وتلحن أحيا      ناً وخير الحديث ما كان لحنا<sup>(٦)</sup>

---

(١) أمال القائل ١/٥ وفي الأساس والفائق والنهاية لابن الأثير في المادة .

(٢) النهاية لابن الأثير ٤/٥٦ (١٣٢٢ هـ) .

(٣) الفائق ٢٢٢/٢ ؛ النهاية لابن الأثير ٤/٥٧ .

(٤) استعمال الثالث : وحي ، بدلاً من الرباعي : أوحي ، ورد في قراءات شاذة ، مثل : وحي إلى ، بدلاً من : أوحي إلى (آلية سورة الجن ١/٧٢) ، ومعناه الأصل يؤخذ من آية سورة مريم ١٩/١١ : « فأُوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا » أي أشار إليهم . ومن هذا المعنى يتفرغ المعنيان الآخرين : (١) الوحي الشرعي الذي ينزل على الرسول في صور مختلفة (ويتصل بما ذكره في دائرة المعارف الإسلامية ٤/١١٨١) من أن أصله في العبرية والأرامية السرعة ، وفي الحبشه يعني المعرفة ) (٢) الرسم ، الكتابة ، الخبر .

(٥) أمال القائل ١/٤ ، والبكرى في الالكل ١٣/١ ( كما ذكره أيضاً ابن حجر في الإصابة ٣/٩٤ طبع القاهرة ١٣٢٨ هـ) ؛ أدب الكتاب للصولى ص ١٣٠ ؛ تاج العروس ٩٣١/٩ الأضداد لابن الأنبارى ص ٢٠٩ ؛ رواه الزمخشري في الكشاف ص ١٣٧ ، ومحب الدين في شرح شوأده الكشاف ص ٤٢ : لكيما تعرفوا . ومن رواه دون تسمية قائلة روى الشطر الثاني : واللحن يعرفه ذو الألباب . وانظر الميدان ٢/١٨٥ وأمال المرتضى ١/١١ .

(٦) بيان الجاحظ ١/٩٢ ؛ عيون الأخبار<sup>ج</sup><sup>١</sup> في المقدمة ؛ الشعر والشعراء . ص ٤٩٢ . إرشاد الأربيب ١/٢٢ .

- ٢٤٩ -

ولما اشتهر لفظ اللحن في الاستعمال المتأخر بالمعنىين : الخطا اللغوی ، والغناء ، وهم الجاحظ فظن أن الشاعر أراد أنها تلحن في الكلام أى تخطىء ، وأن اللحن في الكلام مما يستحسن من النساء<sup>(١)</sup> .

نعم قد نبهه إلى وهمه العالم المشهور بين رجال القصور : على بن يحيى المنجم (المتوفى ٢٧٥ھ) ، ولكنه لم يستطع إصلاح ما كتبه في كتابه البيان والتبيين بعد أن سار في الآفاق وانتشر أيمًا انتشار<sup>(٢)</sup> .

ونظرًا لذلك التأثير البعيد الذي كان لكتب الجاحظ في الأجيال من بعده ، لم يكن غريباً أن يؤخذ تفسيره الخاطئ بالقبول في أوساط مختلفة ؛ كما فعل ذلك ابن قتيبة في «عيون الأخبار»<sup>(٣)</sup> ، وهو كتاب نال من الحظوظ مالا يكاد يقل عن كتاب البيان والتبيين ، وأسهم أيضاً في إذاعة ذلك التفسير.

نعم لم تخرس المعارضة دونه بين حين وآخر ، كما أملَى ابن دريد (المتوفى ٥٣٢ھ) على تلاميذه تصحيحاً مدعوماً بالحجج ، للتفسير الذي ذكره الجاحظ<sup>(٤)</sup> وكما فعل مثل ذلك في جيل آخر بعد ابن دريد أبو بكر الصوالي<sup>(٥)</sup> (المتوفى حوالي ٣٣٦ھ) .

وذكر ابن الأباري (المتوفى ٣٢٧ھ) – الذي يتفق شرحه للفظ اللحن مع شرح ابن الأعرابي (المتوفى ٢٣١ھ) الذي يرى الكلمة من كلمات الأضداد – أن مذهب ابن قتيبة من أن العرب تستحسن اللحن في كلام النساء غير صحيح ، إذ إن العرب لم تزل تستقيع اللحن من النساء كما تستقبحه من

(١) البيان ١/٦٢ .

(٢) الأغافل ٤٣/١٦ (ونقله عنه تاريخ بغداد ١٢/٤١٤ ؛ ١٢/١٧ ؛ ١٢/١٧) وله رواية مساوية عن المرزبان في أمال المرتفع ١٢/١ ؛ إرشاد الأريب ٦/٦٥ ؛ الروض الأنف ٢/١٩٠ .

(٣) انظر مقدمة عيون الأخبار .

(٤) الميداني ٢/١٨٥ عن حزة الأصحاب . وفي مقدمة كتاب الملحن يذكر ابن دريد التفسير الصحيح دون تعرض للجاحظ .

(٥) أدب الكتاب ص ١٣٠ .

- ٢٥٠ -

الرجال ؛ ثم عضد ذلك بشواهد في طيب حديث الصواحب <sup>(١)</sup> .

بيد أن ذلك التفسير الخاطئ لم يكن من السهل تلاشيه ؛ فقد ذكره قدامة ابن جعفر <sup>(٢)</sup> ، وإن فهم من كلامه أنه يأخذ به لعدم اتضاح تفسير آخر في نظره <sup>(٣)</sup> ؛ ويؤخذ من كلامه أيضاً عدم ارتياحه إلى أن الخطأ في كلام النساء يعد جيلاً .

وفي ختام القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) استطاع أحد حواريي الجاحظ وهو أبو حيّان التوحيدي أن يحاول توسيع حمل اللحن في هذا البيت على المعنى الذي ذكره الجاحظ ، أي انلحنًا في الكلام ، وإن لم ينف أيضاً احتمال تفسيره بالرمز والإشارة <sup>(٤)</sup> . وابتداء من القرن الخامس درج الناس على فهم التفسير الصحيح للبيت ، أي الرمز والإشارة <sup>(٥)</sup> .

وورد هذا المعنى في النثر في خبر عن غزوة الخندق . فقد أرسل النبي [ صلى الله عليه وسلم ] سعد بن معاذ وسعد بن عبدة وغيرهما إلىبني قريطة ؛ ليتبينوا ما إذا كانت قريطة تزيد أن تنكث عهدها معه ، وقال لهم : فإن كان حقاً فالخوانى لحنناً أعرفه <sup>(٦)</sup> » ، فلما رجع الرسل ذكروا للرسول [ صلى الله عليه وسلم ] لفظي : « عضل والقارة » وهما قبيلتان غدرتا بأصحاب النبي [ صلى الله عليه وسلم ] من قبل ، فعلم النبي [ صلى الله عليه وسلم ] من ذلك أن قريطة نكثت العهد .

(١) الأضداد لابن الأنباري ص ٢١٠ ( القاهرة ١٣٢٥ھ ) وتجدد مواضع من حديث الصواحب في البيان للجاحظ ١٠٩ / ١ ، عيون الأخبار ٨١ / ٨٤ - ٨٥ ؛ زهر الآداب (عل هامش العقد ١٣١٦ / ١ ) ١٢ / ١ ؛ حاست ابن الشمرى ص ١٩٥ ؛ أمال المرتفى ١٥٧ / ٢ ؛ حكاية أب القاسم ٥٤ ؛ تاج الرؤوس ٢٦٩ / ١٠ وغير ذلك .

(٢) نقد النثر ص ١٢٤ - ١٢٥ ( القاهرة ١٩٣٤ ) .

(٣) انظر قدامة في الموضع السابق . وهو يروي البيت : وخير الحديث . ولكن روى أيضاً : وأحل الحديث ، كما عند الجاحظ وابن قبيبة إلخ .

(٤) إرشاد الأربيب ٦٦ / ٦ .

(٥) المرتفى ، البكري ، الميدان ، الزمخشري في الموضع المذكور آنفًا ؛ وانظر ابن رشيق في العمدة ١ / ٢١٠ ؛ إرشاد الأربيب ١ / ٢١ ؛ ألف باه ١ / ٤٤ وغير ذلك .

(٦) ابن هشام ص ٦٧٥ ؛ الروض الأنف ٢ / ١٩٠ ؛ الواقدي : ص ١٩٧ ؛ الكامل المبرد ص ٦٣٢ .

واشتهر أيضاً على أنه مثال للحن بمعنى اللغز والتورية ، ما جاء في رسالة أرسلها أحد الأعراب في يوم الوقاية ، وهو يوم من أيام العرب في عهد فتنة عثمان ، إلى قومه يحذرهم من الغزو<sup>(١)</sup> ؛ قال : « قل لهم فليعودوا جمل الأحر ، وليركبوا ناقى العيساء » يعني ليتركوا عالية الصهان ويرحلوا إلى صحراء الدهماء .

وأخيراً ، يتصل بهذا ما جاء في آية سورة محمد [عليه السلام] [٤٧/٣٠] ، وهو الموضع الوحيد الذي ورد فيه لفظ اللحن في القرآن ، وفي هذه الآية ، التي نزلت بعد غزوة بدر بقليل ، يقول الله سبحانه عن المنافقين : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْعَانَهُمْ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرْيَانَا كُلُّهُمْ فَلَعْرَفُتُمُوهُ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفُنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ». ولا يوجد أفحص ولا أبلغ . ولا أنصع ولا أبين في إصابة المحرّر من ذلك التعبير : لحن القول ، فوصف طريقة التعبير المسولة التي لا يبدو في ظاهر جرسها سوء ، التي يرمز بها أعداء محمد [صلى الله عليه وسلم] إلى معان يفهمها إخوانهم في الرباء والتفاق .

ويتعلق بهذا السياق أيضاً فعل : لـَأَحَنَ (وهو مرادف لفعل : فَاطَّنَ<sup>(٢)</sup>) ، أي أظهر له ذكاءه وفطنته ، ولا سيما بتعاطي التورية والإلغاز ؛ كما في بيت الطرامح ، قصيدة ٤٧ بيت ٥<sup>(٣)</sup> :

وأدَّتْ إِلَى الْقَوْلِ عَنْهُنَّ رَوْلَةً تُسْلَاحِنْ أَوْ تُرْنُو لِقَوْلِ الْمَلَاحِنْ

وعلى حين يراد من اللحن بمعنى الأخير ، أي التورية والتعمية كما في الأمثلة الأخيرة ، الرمز إلى السامع بغير ما يفهم من صريح الكلام ، يستعمل اللحن أيضاً ، في أحوال أخرى ، بمعنى ما يقصد إليه المتكلم نفسه ، من معنى يقصده ولا يتبيّن من ظاهر النطق ، كما في حالة استعمال الألفاظ المشتركة في معان غير متبدلة منها .

(١) نقائض جرير والفرزدق ٣٥١/٤ ، وذكر ابن دريد رواية أخرى في الملحن ص ٤ ، ونقلها القال في الأمال ٦/١ (وعنه البكري في الآل ص ٢١) والمرتضى ١٢/١ ونوجد الكلمات التي ذكرها ابن دريد والقال في معان الشعر للأشناذاني ص ٥٧ .

(٢) أساس البلاغة ٢٢٢/٢ ، فسر : يلاحن الناس بقوله : يفاطهم وينالطهم بفعلته ودهائه .

(٣) ديوانه (نشر كرنكوس) ص ١٦٤ .

- ٢٥٢ -

وقد ظن كثيرون إذا أقسموا يميناً على شيء أنهم يرضون ضمائرهم بالقصد إلى معنى غير ما يفهمه السامع ؛ فإذا حلف إنسان : مسألت فلاناً حاجة قط ، قصدوا في أنفسهم من لفظ : حاجة ، أمراً معيناً .

وقد ذكر ابن دريد في كتابه : الملحن<sup>(١)</sup> ، مجموعة من مثل هذه الألفاظ الختملة لمعان مختلفة ، مع ملاحظاته على ذلك أن من يضطر إلى اليمين يستطيع استخدامها لينقذ نفسه من كيد المتسلط ، ويسلم مع ذلك من غضب القوى الجبار . وقد أمكنه أن يجمع من هذه الألفاظ نحو أربعينات كلمة من كلمات الحيل في القسم ، من بين العدد المائل من الألفاظ المشتركة في العربية :

وتنقل خطوات قليلة لفظاً : لحن ، من معنى التضليل والتعمية ، إلى معنى الخطأ في التعبير : لحن بفتح الحاء ، أخطأ في الكلام ؛ لحن بالتشديد ، عده لاحنا ، عد عليه لحنا ؛ لاحنان ولتحنانة ولتحننة ، كثير اللحن .

وإلى هذا اسم الفاعل : لاحن ، في قوله : قدح لاحن ، أي ليس يصافى الصوت عند الإفادة ، وقوس لاحنة عند الإنبعاض ، أي عند شد وترها للرمي<sup>(٢)</sup> .

وهذا المعنى ، أي الخطأ في الكلام ، يبدو في العهد الإسلامي في غير عربية البدو كثير الورود [ لم يقع هذا الاستعمال عن الانفراد في التعبير إلا استعمال اللحن بمعنى الغناء أيضاً ] بحيث تورط ابن الأعرابي النحوى الكوفي ( ١٥٠ - ٢٣١ هـ ) إذ ساقه اطراد ذلك الاستعمال إلى اعتقاد أن : لحن معناه أخطأ في الكلام ، أو فطن وأصحاب الصواب ، وأنه على ذلك من قبيل الأضداد<sup>(٣)</sup> .

(١) نشره H. Thorbecke سنة ١٨٨٢ في هايدلبرج ، وأنا أستخدم هنا طبعة القاهرة ١٣٤٧ هـ

(٢) انظر الأساس للمرخنرى ٢٢٢/٢

(٣) كتب أخيراً في طبيعة الأضداد في اللغة العربية هائز كفلر في تقادمه لكتاب الأضداد لقطرن ( المتوفى ٢٠٦ هـ ) الذي نشره أخيراً : وقطرن لا يذهب إلى أن كلمة لحن من قبيل الأضداد كما فعل ابن الأعرابي .

وهذا الرأى المنحرف يتفق مع مذهب ذلك الكوفي العجيب الذى يذهب  
مثلاً إلى جواز إبدال الصداب بالظاء حسب الرغبة والاختيار<sup>(١)</sup> ، والذى ينكر  
فضل أبي عبيدة والأصمى فى تحقير اللغة وجمعها<sup>(٢)</sup> ، والذى يعد شعر أبي  
نواس وغيره من الحديثين كالريحان يُشَمَّ ويَذْوَى فَيُرِمَّ بِهِ<sup>(٣)</sup>

ويظهر في باب اللحن من كتاب الأصداد لابن الأنباري<sup>(٤)</sup> (المتوفى  
٣٢٧ هـ) ما أدى إليه هذا التفسير الذى مسخ معنى ذلك اللفظ : اللحن ، في  
تفسير التعبيرات المترفة .

ومن الأمثلة لذلك ما ذكره ابن الأعرابى في شرح البيت المذكور آنفاً  
مالك بن أسماء :

منطق صائب وتلحن أحيا ناً وخير الحديث ما كان لحنناً  
إذ قال : منطق قاصد للصواب وإن لم يصب ، وتصيب وتفطن أحياناً ،  
وخير الحديث ما كان إصابة وفطنة .

وهذا التأويل المتهافت يجد شبيهه في تفسير ابن الأعرابى أيضاً، لبيت من  
شعر امرئ القيس في معلقته<sup>(٥)</sup> .

وليس من التطور اللغوى للكلمة استعمال « لحن » في لغة العوام والدجالين  
والمتسولين بمعنى : « أعطى ». وقد استخدماها بهذا المعنى « أبو دلف » في  
قصيدته الساسانية<sup>(٦)</sup> .

(١) ابن خلkan ٢٩٩/٢ (١٢٩٩ م).

(٢) تاريخ بغداد ٥/٢٨٢.

(٣) الموسوعة ٢٦٧ ، ٢٦٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، وكان ابن الأعرابى مت指控اً على أبي تمام بوجه  
خاص (الموسوعة ٣٠٤ ، ٣٢٩) ، ولذا ينكر عليه ابن الأنبارى كل حق في الكلام فيها  
يحصل باللوق الأدب (المثل السائر ص ٤٩٠) .

(٤) الأصداد لابن الأنباري ص ٢٠٧ - ٢١٤ (القاهرة ١٣٢٥ م).

(٥) انظر خزانة الأدب ١/٥٥٠ .

(٦) يتيمة الدهر الشعائري ٣/١٨٣ .

هذا ولا يزال ينقصنا كل دليل يبين متى تم نقل لفظ اللحن إلى معنى الخطأ في الكلام . وأغلب الظن أنه استعمل لأول مرة بهذا المعنى عندما تنبه العرب بعد اختلاطهم بالأعاجم إلى فرق ما بين التعبير الصحيح والتعبير المليحون . وكثير من هؤلاء لم يكونوا يستطيعون إخراج حروف الحلق والإبطاق بالدقة المعروفة في العربية من مخارجها ، فاستعواضا عنها بحروف أخف على الأسمى وأسهل على طباعهم . وكان من أثر هذا إلى جانب الراء العظيم في ألفاظ العربية ، أن نشأ من التحريف واختلاط الكلمات مالا مناص عنه في التفاهم العادي .

فإذا قال أعمجى مثلا : **أَهَلٌ** ، الذي معناه ظهر أو فرح ، بدلا من : **أَحَلٌ** ، بمعنى أجاز وأذن ؛ أو : **أَرْبُ** ، الذي معناه الحاجة أو العقل ، بدلا من : عرب جمع عربي ؛ أو : **سَارٌ** ، الذي معناه ذهب ، بدلا من : صار بمعنى : تحول ؛ أو : **دَلٌّ** الذي معناه هدى ، بدلا من : **ضَلٌّ** ، بمعنى غوى وحار ؛ أو : **تَرَكٌ** ، الذي معناه : ودع وأبقى بدلا من : طرق ، بمعنى دق على الباب ليلا ، ولم يكن من السهل على العربي أن يتبع كلامه بالفهم الصحيح وكان لا بد أن يؤدي ذلك إلى إدراك العربي معنى الخطأ اللغوي ، والخلط في التعبير .

وليكن هناك من الفرص قبل الإسلام أيضاً ما يسمح باختلاط العرب بغیرهم من الأعاجم في المناسبات المختلفة ؛ فإن الهجرة العربية الكبرى التي تمت في القرن الأول للإسلام ، وهيأت الفرصة العظمى لاحتكاك العرب بالأعاجم ، واصطدام لغتهم باللغات الأخرى ، هي التي يعود عليها بالنسبة لما ترتب عليها من آثار جماعية غير فردية .

وقد كانت نتائج ذلك ما لاحظناه في الأبواب المتقدمة ، وما قررناه من قيام مبدأ « تنقية اللغة العربية » في أواخر القرن الأول للهجرة ( السابع الميلادي ) .

ومن آثار نشأة ذلك المبدأ المترتب إطلاق لفظ اللحن على الخطأ اللغوي ، كما ورد مثلا في شعر رؤبة ، ويحيى بن نوفل .

وقد يجوز أن نضيف هنا إلى هذين الشاهدين بيتاً للحكم بن عبد الأسدى<sup>(١)</sup> وكان هذا الشاعر موالياً لوالى البصرة الأموي : عبد الملك بن بشر بن مروان (حكم البصرة في سنتي ١٠٢ - ١٠٣ هـ<sup>(٢)</sup>) ، وكانت بيته وبين حاجب الأمير ملاحة وخصوصة ، فأراد أن يحمل الأمير على إقالته من منصبه وقال:  
يهجوه :

ليت الأمير أطاعنى فشفتيه من كل من يُكْنِى القصيدة ويلحن<sup>(٣)</sup>  
هذا البيت إلى البيتين المشار إليهما من قبل ، يبدو – فيما أعلم – أنه أقدم  
الشواهد على استعمال الكلمة : لحن ، في معنى الحظ اللغوى .

(١) انظر الأغانى ١٤٨/٢ - ١٥٩.

(٢) Zambaur, S. 40

(٣) حيوان الملاحظ ١١٨/١.



## فهرس تحليلي لموضوعات الكتاب

مقدمة المترجم ٣ - ٤

تعليق المستشرق الألماني أنطون شبيتالر ٥ - ١٢

١ - تمهيد

(ص ١٣ - ١٧)

الإسلام يقرر مصير العربية — العربية لغة الدين والحضارة في العالم الإسلامي — سقوط الدولة الأموية لم يضعف العربية — العصر الذهبي للعربية في أوائل الدولة العباسية — العربية في عصر السلاجقين — ص ١٤ : مصر تزعم البلدان العربية — نقد بعض دعاة الإصلاح حديثاً لعقيدة العربية الفصحى — عسر ترسم صورة واضحة لنمو العربية في ١٣٠٠ عام — القواعد العربية بلغت مستوى عظيماً من السُّمال — لازال كتب التحو تحصد العربية لغة إعراب — تلاشى الإعراب منذ أجيال — الإعراب فارق بين الفصحى والمولدة — ص ١٤ : الإعراب وسيلة سطحية في تمييز اللغة الفصحى — جوهر القالب اللغوى هو المميز — فقدان الإعراب في جميع اللغات ماعدا العربية والبابلية القديمة — النزاع حول تاريخ تلاشى الإعراب في لغة التخاطب — أشعار البدية — اختلاف التحاة إلى عرب البدية — بعض البقايا الجامدة في لهجات البدو — أساليب العروض — القرآن — ص ١٥ : التركيب العربي كالتركيب اللاتيني — شهادة القرآن بعدم الفرق بينه وبين لغة العرب — لا يعارض هذا قيام فروق اللهجات — قواعد رسم المصحف تدل على فروق اللهجات المحلية — ص ١٧ : القرآن يعرض صورة لا يدانيها أثر عربي — اختلاف القرآن عن لغة الكهنة والعرفان — ص ١٧ : خالفة القرآن لقواعد ليس شذوذًا عن العربية — تطور العربية بعد وفاة الرسول . ( صلى الله عليه وسلم ) .

٢ - العلاقات اللغوية في عهد الدولة العربية (الأمية)

(ص ١٨ - ٥٨)

هجرة القبائل للتزوّد من شرق عصر جديد للعربية — تأثير العربية وتأثيرها بلغات الأقاليم الجديدة — اختلاف اللهجات لم يخل دون تفاهم العرب — ص ١٨ : فروق اللهجات التي لفتت أنظار التحاة — سياسة عمر العقوبي ( ١٧ - العربية )

- ٢٥٨ -

بإذاء العرب والعربية — معسكرات العرب أسسن للمدن الإسلامية من بعد — ص ١٩ : تغدر قيام حد فاصل بين العرب وأصحاب الديار الأصليين — نشأة طبقة عربية من عظام الملائكة — نشوء لغة مبسطة للتفاهم بين العرب ومن يتصلون بهم — ص ٢٠ Pidgin English — lingua franca — بعض ظواهر لغة التفاهم الجديد — ص ٢١ : الروايات العربية عن أوائل النحو غير تاريخية — الدافع إلى الملاحظات التحويية — اصطلاحات الخليل التحويية — اصطلاحات سيبويه — ص ٢٢ : حذف الزنوج للعربية في الجاهلية والإسلام — سكان المدن وألسنتهم وأنسابهم — إشارة القرآن إلى اللغة الأجنبية — معرفة بعض الصحابة بلغة أجنبية — ص ٢٣ : تأثير أسرى الفتح في العربية — الأسرى يكونون الطبقات الوسطى والدنيا في المجتمع الإسلامي — اختلاف طبقات المجتمع من الوجهة اللغوية — نشوء لغة دارجة محلية — ممارسة العربية للغات المحيطة بها — ص ٢٤ : الأنبط ولغتهم — الفارسية لسان الإدارة في الشرق — اليونانية لسان الإدارة في المغرب — الفارسية بالبصرة والكوفة في القرن الأول — العلاقات اللغوية بالبصرة — ص ٢٥ : أسورة البصرة — عبيد الله بن زياد وأسرته — سخريه ابن مفرغ من عبيد الله بن زياد — ص ٢٦ : حياة ابن مفرغ دليل على انتشار الفارسية بالبصرة — انتقام ابن زياد منه — ص ٢٧ : العلاقات اللغوية بالكوفة — الحيرة ومكانتها قبل الإسلام وبعده — العناصر الفارسية في الكوفة — ص ٢٨ : ديلم ، سكان الكوفة — الجاحظ يصف تأثير الفارسية في العربية — ص ٢٩ : الفارسية تنفذ إلى الوطن العربي القديم — الجاحظ يصف آثر الفارسية في المدينة وما حولها — ص ٣٠ : شواهد من شعر جرير والفرزدق — مناقشة الشواهد المذكورة — ص ٣١ : موازنة الشواهد بالفقه الإسلامي — القبطية في مصر — العربية مقصورة على المعسكرات — أغلب المهاجرين إلى مصر من قبائل يمنية — اليونانية هي اللغة الرسمية — متى صارت العربية لغة رسمية — ص ٣٢ : آثر القبطية ضئيل في العربية — تلاشي القبطية في القرن السادس — طبيعة الحياة العربية وأثرها في نشر اللغة — ص ٣٣ : أبناء الجواري في الإسلام — أبناء سمية — ص ٣٤ : أسرة المهاوبة — ص ٣٥ : نبوغ أبناء الجواري في أواخر القرن الأول — حرص الأمويين على خلوص الدم العربي — لإبعاد أبناء الجواري عن الخلافة واستثناء يزيد — ص ٣٦ : تأثر الحياة البدوية بالمؤثرات الأجنبية — ظهور

- ٢٥٩ -

الأخطاء اللغوية في دوائر المجتمع العليا — نشوء مبدأ : تنقية العربية — الأمويون حماة المبادئ العربية — ص ٣٧ : عبد الملك بن مروان — عمر بن عبد العزيز — ص ٣٨ : الحجاج — طعن خصوصه في لغته — ص ٣٨ : رؤبة — ص ٤٠ : خالد بن عبد الله القسري — ص ٤٠ : موقف الدوائر الإسلامية من حركة تنقية اللغة — الحسن البصري — ص ٤١ : مأخذ على قراءة الحسن — ص ٤٢ : ظهور خصائص أجنبية في اللسان المتمكن من العربية — لهجة الفقيه الدمشقي « مكحول » — لهجة « نافع » « شيخ مالك » — تعرض الشعر لمنافسة الأجانب — زياد الأعجم — ص ٤٤ : أبو عطاء السندي — ص ٤٥ : من الزنوج من ملك زمام العربية — أحد الزنوج يهجو جريراً — ص ٤٦ : رداعة التأليف في شعر الفرزدق — فتور الإحساس اللغوي عند شعراء أو آخر القرن الأول — شعر الطرامح — ص ٤٧ : مأخذ على الطرامح — ص ٤٩ : الكتبت بن زيد — مأخذ عليه — ص ٥٢ : شعر ذي الرمة و مأخذ عليه — ص ٥٤ : موازنة بين شعر الغزل بالحجاج و سائر الشعر في الدولة — ص ٥٤ : عمر بن أبي ربيعة — قصص الغرام في أوائل العصر الإسلامي — رأى ابن السكري في قصة جنون ليلي — قصص بني عذرة — الدوافع إلى دراسة النحو — ص ٥٦ : عبد الله ابن أبي إسحاق النحوي ينقد الفرزدق — هجاء الفرزدق إيه — ص ٥٧ : أبو عمرو بن العلاء ينقد المحن — ص ٥٨ : يونس بن حبيب ينقد ابن قبس الرقيات — نقد كثير .

### ٣— عربية الدولة ولغة الشعب في أوائل العصر العباسي

(ص ٥٩ - ٩٢)

سقوط الدولة لم يضعف العربية — لغة القرآن تصير جزءاً من حقيقة الإسلام — الأسرة العباسية تبرز الطابع الديني لسلطانها — الثقافة العربية مثل أعلى — الشعوبيون لم يستطعوا نقض مكانة العربية — العصر العباسي الأول يشهد باكورة العلم العربي — نحو الفارسي « سيبويه » — ص ٦٠ : كتاب سيبويه يدل على اعتقاد القواعد على استعمال عرب البايدية — لا يستشهد بشعر المحدثين — يستشهد بشعراء لم يعتمدهم أكثر علماء اللغة — ص ٦١ : لم يستشهد بأبي يحيى اللاحق — لم يستشهد ببشار — البدو حجة في جميع مسائل اللغة — الحوار بين سيبويه والكسائي — ص ٦١ : فصححاء الأعراب —

لم تعد الفصاحة أمراً طبيعياً في القرن الثاني - بعض من عرف بسلامة لغته بالبصرة - ص ٦٣ : موازنة بين الأمويين والعباسيين - ص ٦٣ : اثنان من الفرس في طليعة أدباء العربية : ابن المقفع وبشار - أدب ابن المقفع ولغته - ص ٦٤ : موازنة بين لغته ولغة عرب الباادية - ص ٦٥ : بشار ابن برد وأدبه ولغته - ص ٦٧ : تطور أسلوب ابن المقفع وبشار مرحلة جديدة في تاريخ العربية - ص ٦٧ : التطور الجديد يحمل سمات مولدة - محاورة بين أبي عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد مؤسس الاعتراف - ص ٦٨ : نقد الأصمعي للغة ابن المقفع وتصحيح ابن درستويه - بعض البدو ينقد لغة المنصور - ص ٦٩ : النحو يستبدل أحياناً في وضع قواعده - اللغويون لم يتلقوا دائمًا على الاستعمال اللغوي الصحيح - خلاف البصرة والكوفة في القياس النحوي وتفسير الظواهر اللغوية - تعصب اليزيدي لمدرسة البصرة - ص ٧٠ : غضبه على أئمة الكوفيين - انتشار العيب بالحن من بدء العصر العباسي - طعن يونس بن حبيب في حماد الرواية - ص ٨١ : الكمييت يرفض إملاء شعره على حماد - رأى المفضل الضبي في حماد - رأى أبي عمرو بن العلاء في حماد - سوء قصد البصريين بالковيين - جناد بن واصل الكوف ورأى يونس والتوزي فيه - ص ٧٢ : علماء الكوفة يعنون بمسائل سلامه اللغة - طعن حفص بن أبي ودة في شعر المرقش - رد حماد عجرد عليه - ص ٧٢: الطعن بالحن في دوائر علماء الفقه - أبو حنيفة وقصة لحنه - ص ٧٤: لحن أبي شيبة قاضي واسط - ص ٧٥: شبيب بن شبة - خالد بن صفوان - ص ٧٥: الاشتغال بالعربية في غير العراق - قلة عناية المدينة بدراسة العربية - رأى الأصمعي في المجتمع المدني - عيسى بن دأب - ص ٧٧ : رأى خلف الأحمر في ابن دأب وابن شوكر - عجب الأصمعي من لحن مالك بن أنس - مالك يستأنس لحن شيخه ربيعة الرق - ص ٧٨ : ملاحظة التساهل اللغوي في القراءات المدنية - قراءة نافع - ص ٧٩ : التساهل في النحو ظاهرة عامة عند الحمدثين - الجاحظ ينقل رأى ابن سخيرة في روایة الحديث بالحن - ص ٨٠ : هل جوز الشعبي تصحيح ماروى ملحوظاً من الحديث؟ - أیوب السختياني - هل تجنب مراعاة سلامه اللغة في روایة الحديث؟ - رأى الأعمش الكوفي - ص ٨١ : سعيد بن عبد العزيز التنوخي - حماد بن سلمة -

باعث سيبويه إلى دراسة النحو - ص ٨١ : عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي - وهب بن جرير - سفيان بن عيينة يرجع إلى ابن منذر في تفسير غريب الحديث - ص ٨٢ : لحن هشيم بن بشير محدث العراق - وكيع بن الجراح - ص ٨٣ : إسماعيل بن أبي خالد - أسرة أبي أيوب الطنافسي - عبد الأعلى بن عبد الأعلى البصري - مهدي بن مهلهل يتخلص من اللحن بالوقوف على أواخر الكلمات - موقف ابن المديني من تصحيح اللحن في الحديث - ص ٨٤ : ابن الطبرى المصرى - النسائى - الاستشهاد بروايات من الحديث على تصحيح اللحن - أقوال عن عمر في الحث على تعلم العربية - ص ٨٦ : نهى عمر عبد الله بن مسعود عن القراءة باسانه الهدلى - روايات عن ابن مسعود - ص ٨٦ : لم يسمهم أهل الحديث في حركة تنقية اللغة - لم يمنع اللحن أهل الحديث أن ينبعوا في فهم - ص ٨٧ : لم يقتصر ظهور اللحن على غير المثقفين - استيعاب النحاة لصيغ المقصور والممدوح بسبب اللحن فيما - الجاحظ يحكى لحن يوسف بن خالد التميمي - ص ٨٩ : خطأ «نولد كه» في الاحتجاج على صوغ أفعال التفضيل من أسماء العيوب الخلقية - ص ٩٠ : تعسر الحكم على لغة الطبقات الدنيا والوسطى في المدن والأقاليم - افتراض عدم انتشار العربية بين شعوب البلدان المفتوحة - ص ٩٠ : الفارسية كانت سائدة في مدن العراق - الأصمى كان يحسن الفارسية - ص ٩١ : إجاده الفارسية إلى جانب العربية كانت أمراً شائعاً - انتشار الألقاب الفارسية في الأسماء العربية .

#### ٤ - اللغة العربية في عصر هارون

(ص ٩٣ - ١٠٨ )

بلغت الدولة ذروة سلطانها في ظل هارون - ازدهار علوم العربية - اقترانها بأعلام العلامة - لغة البدو هي المثل الأعلى - خلاف علماء اللغة مع اللهجة الدارجة - البصريون يتمهون القراء باللحن - ص ٩٤ : الخليفة يظل العلماء بعطفه - فصاحة زبيدة - الأصمى يخطيء أبو يوسف المفقىء - ص ٩٥ بصر الكسائي باللغة - باعت الكسائي إلى تعلم النحو - ص ٩٥ : لم يحصل واحد من علماء اللغة على دراية كاملة بالعربية - أبو عبيدة يعجب من فصاحة أم الحريم الأعرابية - الخلاف حول من يرجع إليه في العربية - ابن الأعرابى

لا يعتد بالأصمعي ولا أبي عبيدة — عدم رسوخ ابن الأعرابي نفسه في اللغة — ص ٩٧ : قلة خبرته بالأنساب — أقدم الآثار الأدبية لحركة تنقية اللغة يناسب إلى الكسائي — ص ٩٨ : نقد تخليلي لنسبة الكتاب — الأصمعي ينظم الاستعمال اللغوي بتحديدات معنوية دقيقة — لم يسلم الأصمعي من مخالفة الاستعمال البدوى ص ٩٩ : البطليوسى يلوم ابن قتيبة على متابعته للأصمعي — الشعر الرفيع يعتقد مبدأ تنقية اللغة في جميع العصور — شعر أبي نواس — ص ١٠١ : وقوع شعراً الطبقة الثانية في الحن الصريح — العهانى — إبراهيم الموصلى — مسلم بن الوليد — ابن سباباً — ص ١٠٢ : الحن في أشعار القصورو أقل منه في شعر الفرص والمناسبات — أبو النضير يعد لغته لهجة — تهكم أبان منه — محمد بن يسرى البصرى وشعره — ص ١٠٤ : لغة الشعب تجد مساغاً في التعبير الأدبى لأول مرة في عصر هارون — رثاء البرامكة — ص ١٠٤ : أول من نظم المواليا — نشأة بحور الأغانى الشعبية — قالب المزوجة وأقدم نماذجه — ص ١٠٦ : تاريخ الدوبيت أو الرباعى — عربية الكلام في أواخر القرن الثانى — ص ١٠٧ : ابن منذر يوازن بين لهجة مكة والبصرة .

## ٥ — العربية المولدة

(ص ١٠٩ — ١١٨)

مبدأ «تنقية اللغة» يجعل عربية البدو مثلاً أعلى للكلام والتحرير — أثر الحضارة في اللغة — عربية الدولة واللغة الدارجة — العربية المولدة تكتسب مناطق جديدة — لم يتأثر المجتمع الراقى بالعربية المولدة حتى القرن الثالث — الأوساط البدوية أبعد من التأثير بها — اليهود والنصارى بالشرق يستخدمون اللغة الدارجة — ص ١٠٩ : الآثار المسيحية — العربية في القرن الثاني تقدم أول الوثائق للعربية المولدة — حظ اليهود والنصارى ضئيل من الثقافة العربية — خصائص مادتهم اللغوية لم تقو على تكوين لهجة خاصة — لهجة يهود المدينة في عهد الوحي تختلف عن لغة سكان المدينة — على التقىض من ذلك لهجة نصارى العرب — عربية الأدب اليهودى النصرانى تكونت خارج الجزيرة — ص ١١١ : خصائص اللغة المذكورة — حرف الضاد خاص بالعربية — ص ١٠٣ : الفرق الخاص بين المولدة والفصحي — ص ١١٤ : ترك الإعراب في اللغات السامية لا يتضمن أن يكون راجعاً في العربية إلى طبيعتها — سبب هذه الظاهرة —

نشأة قوالب جديدة من التعبير تأخذ صفة الإعراب النحوية - ص ١١٤ :  
 أثر اختلاف الترتيب في علاقات المطابقة - ص ١١٥ : الانتقال من النوع  
 اللغوي التركيبى إلى النوع التحليلي - الخلط في التصويف من ظواهر  
 التطور اللغوي لامن أسبابه - ص ١١٨ : النصوص العربية اليهودية والنصرانية  
 تعين على دراسات اللهجات الشعبية الحديثة .

## ٦ - العلاقات اللغوية في عصر المؤمن وعقيدة الاعتزاز الرسمية (ص ١١٩ - ١٣٧ )

امتداد عهد الازدهار بعد هارون حتى أواسط القرن الثالث - العصر  
 الذهبي للأدب العربي - كتب الجاحظ تكشف العلاقات اللغوية من أو اخر  
 القرن الثاني حتى النصف الأول من القرن الثالث - ص ١٢٠ : الجاحظ  
 يتنبه إلى لغة الأطفال - لهجة الأجنبي تم عليه - الجاحظ يتنبه إلى أثر تعدد  
 اللغات على لسان شخص واحد - موسى الأسوارى من أعاجيب الدنيا في  
 الفصاحة بالعربية والفارسية - ص ١٢١ : لم يعن الجاحظ باللغات الأجنبية  
 لذاتها - أول كتاب في اللغة الفارسية - ص ١٢١ : الجاحظ يوجه عناية  
 خاصة إلى عيوب الإنسان - الجاحظ يعقد فصلا طويلا عن واصل بن عطاء -  
 ص ١٢٢ : أسماء عيوب الإنسان عند الجاحظ - ص ١٢٤ : بيان الجاحظ عن  
 اللهجات واللغات الخاصة - الجاحظ يصف في كتاب البخلاء دوائر الأدب  
 في البصرة - تصوير الجاحظ للغة المحادثة بالبصرة - نظرة في رموز المحتالين -  
 في أدب المائدة - ص ١٢٥ : حديث الجاحظ عن الأعراب - الجاحظ يبين  
 مواضع وجوب استعمال الإعراب وإهماله - الجاحظ يذكر أول لحن سمع  
 بالبادية ويعقد باباً خاصاً للحن - ص ١٢٦ : الجاحظ يفصل أنواع التلشدق  
 والتصنيم في الكلام - ص ١٢٧ : نموذج الأسلوب المتغير وشخصية أبي  
 علقمة النحوى - استعمال الإعراب والتصريف كان يعد تعرضا على عهد  
 الجاحظ - ص ١٢٨ : لحن بشر بن غياث المريسي أحد تلاميذ أبي يوسف -  
 الأشعار على قافية الممزة - ص ١٢٩ : على بن الجهم يسقط من نظر المبرد  
 للجهة - ص ١٣٠ : لغة الأصبغاني معاصر أبي حنيفة الدينورى - تأثر لغة  
 الأعراب بالتحديقات المختلفة - سبب تقديم مدرسة البصرة على مدرسة الكوفة  
 في نظر الرياشى - عمارة بن عقيل حفيظ جرير وتأخذ النقاد عليه - ص ١٣١ :

- ٢٦٤ -

الشعر الرفيع في القرن الثالث يطابق المثل الأعلى في نظر النحاة — شعر أبي تمام — ص ١٣٢ : بعض المأذوذ عليه — ص ١٣٣ : أشعار الفرص والمصادفة أقوى تأثيراً باللغة الدارجة — شعر ابن زينب المراكبي — الجماز البصري وعبد الصمد بن العسدن — ص ١٣٤ : الحسن بن وهب الساكت — اللغة الدارجة تتبع باطرداد من الفوذج الصحيح — ص ١٣٥ : هناك فروق في لغة المحادثة — المأمون يؤخذ عماله على الحن — وزير المعتصم يعبر عن تفسير كلمة في إحدى الرسائل — ص ١٣٦ : ضعف ثقافة المعتصم — فوذ الأتراك على عهد المعتصم ، الفتح بن خاقان يشد بسعة الثقافة عن صفواف الأتراك — ص ١٣٧ : كتاب أخلاق الملوك ليس للباحث — فوذ الأتراك يخوض مستوى اللغة .

#### ٧ — العربية تصير لغة الأدب الفصحى في النصف الثاني من القرن

الثالث الهجري — التاسع الميلادى

(ص ١٣٨ — ١٤٩)

افتسم حلال الدولة وأثره في اضمحلال العربية — انتشار الأساليب المولدة — ص ١٣٨ : شكوى ابن قتيبة وتسجيده لفساد اللغة — ص ١٤٩ : كتاب أدب الكاتب ووصفه — موازنة بينه وبين الجاحظ — ابن قتيبة يذهب عن مبدأ تنقية اللغة المنطرف — ابن قتيبة لا يحيد عن رأي الأصمعي — بيان مصادر أدب الكاتب وتحليل أبوابه — ص ١٤٢ : لايعرف ابن قتيبة في كتبه الأخرى إلا عرضاً بمسائل اللغة — ص ١٤٣ : لم يجد ابن قتيبة صدى بعيداً عند معاصريه — لم يف هو نفسه بالتزام مطالبه — حتى الشعر الرفيع في عصره لم يجر على مبادئه — شعر البحترى — ص ١٤٤ : ابن الروى — أحمد بن المدبر — ص ١٤٤ : على بن محمد الحمانى العلوى — انحطاط اللغة الدارجة أيضاً بسبب فوذ عوام الأتراك في القصور — الوزير يتكلم اللغة الدارجة — ص ١٤٦ : ظهور الفروق العظيمة في التعبير بين الأوساط المختلفة — آل طاهر — ص ١٤٨ : ضعف التربية النحوية والملكة اللسانية — الكلام على طريقة الأعراب لم يعد يساير روح العصر — ص ١٤٨ : ضعف الملكة اللسانية عند النحويين في ختام القرن الثالث — ثعلب — الأخفش الأصغر — ص ١٤٩ : نهاية القرن الثالث تتضاع حداً فاصلاً بين العربية الفصحى والمولدة الدارجة .

- ٢٦٥ -

## ٨ - عربية الأدب في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي (ص ١٥٠ - ١٥٩)

النحو اللغوي يطارد العربية الفصحى - العربية ملكرة متوجة في دائرة الثقافة والأدب - أثر النحو اللغوي في الأساليب - قدامة بن جعفر يبرز نتائج النحو المذكور في كتابه : نقد النثر - تفرقته بين الأسلوبين السخيف والجزل - موقفه تجاه خلوص اللغة والحنن فيها - ص ١٥١ : قد يستحسن الحنن - الإرشاد العملى إلى الأسلوب الجزل في كتاب جواهر الألفاظ لقدامة - باكورة ازدهار السجع ببغداد في عصر قدامة - السجع أداة من أدوات الأسلوب - وسائل كمال الأسلوب - ص ١٥٢ : قدامة يعني أيضاً بالموضوع - الأسلوب اللقطى في النثر الفنى يطغى على الأفكار واتصالها - ص ١٥٣ : لم يحتفظ قدامة بذلك بل ساعد عليه - انحطاطات الأولى نحو تطور النثر إلى تلاعب بالألفاظ - ص ١٥٤ : لم يبتكر قدامة وضع الكنز اللغوى في ترتيب عملى - مبدأ الاتجاه إلى ذلك منذ القرن الثاني - موازنة بين كتاب قدامة وكتاب الألفاظ لابن السكيت - ص ١٥٥ : لم يكن قدامة أيضاً أول من حاول سد حاجات الكتاب العملية - كتاب الألفاظ الكتابية للهمданى - موازنة بين الكتابين - كتاب الألفاظ الكتابية يحتوى على زيادات لابن خالوته - ص ١٥٦ : الباعث للهمدانى إلى تأليف كتابه - ص ١٥٧ : رأى الصاحب ابن عباد في كتاب الهمدانى - دلالة هذا الرأى على انحطاط الأدب - سبب الانحطاط اتجاه الذوق الأدبي في ذلك العصر - التلذذ الذوق باللغة وجرسها ديدن العرب منذ قديم - مقام الخطيب إلى جانب الشاعر قبل الإسلام - السجع برفع الفورات الانفعالية لدى الكهان القدماء - السجع في القرآن - ص ١٥٩ : علو كلمة السجع تدريجاً .

## ٩ - العربية لهجات البدو في القرن الرابع الهجرى - العاشر الميلادي (ص ١٦٠ - ١٧٣)

تغير نظر المثقفين إلى لهجات البدو - احتذاء لغة البدو على عمر القرن الثالث نوع من التعغير - العربية الفصحى تصير لغة الكتابة في بدء القرن الرابع - اختلاط البدو بغيرهم أفقد لغتهم صفاءها وخلوها - ص ١٦١ : بيان الهمدانى عن العلاقات اللغوية في جنوب الجزيرة حوالى نهاية القرن الثالث -

- ٤٦٦ -

اختلاط الألسنة الأصلية بعربية الشمال - طريقة الهمداني ضاعفت من عنائه في تصوير أخلاق اللهجات - الهمداني يرى أن لغة الكتابة العربية هي اللغة الأصلية في جنوب الجزيرة - ص ١٦٢ : الهمداني يقيس كل لهجة بمقاييس النحو - لا يفترض للهجات اليمن أساساً من لغة أخرى غير عربية الشمال - ملاحظات الهمداني السطحية على اللهجات وتقسيمها إلى فصيحة ومقدمة - تفصيل لهجات القبائل الجنوبية - المهرية والشحرية - لهجات حضرموت - سرو مذحج - مأرب - بيحان - حريب - تحديد المنطقة بين مأرب وذمار - منطقة قائفه - كومان - ص ١٦٣ : منطقة همدان - لهجة سفيان ابن أرحب - بنو حرب - المنطقة العظمى التي تقلب فيها الفصاحة - القبائل التي تسكنها - ص ١٦٤ : أهل تهامة عربتهم رديئة - ناحية صعدة - بعض لهجات أخرى غير فصيحة - لهجات المنطقة الجبلية - أهان وأنيس غربي ذمار - جبال حراز - جبال الحضور - ص ١٦٥ : الجحادب - بعض قبائل غنم (غير فصيحة) - ظاهر همدان النجدي - لهجة جبلان - لهجة يحصب ورعين - منطقة الكلاع - سرو حمير - ص ١٦٦ : لحج وأبين ودئنة والعامريون - لهجة السكاكك - لهجات جيشان - المعافر في منطقة تعز الحالية - اللهجات خارج اليمن - العروض - الحجاز - الشام - ديار مصر - ديار ربيعة - نشوء علم اللغة في هذا العصر على أساس فلسفى بعد انقضاء عصر النشاط في جمع اللغة - ص ١٦٧ : ابن جنى يعتقد في كتاب الخصائص باباً لأغلاط الأعراب - ص ١٦٨ : عمار الكابي يشكوك من غرور النحاة وجرأتهم - ص ١٦٩ : الأزهري صاحب تهذيب اللغة - ص ١٧٠ : اختلاف نظرة الطبقات الوسطى إلى البدو عن ذي قبل - حروب القرامطة من أسباب تغيير رأى المجتمع في البدو - ابن بسام يسمع من الأعراب ألفاظاً مستكرهه - الصاحب بن عباد يعيّب على المتنبي تفاصحه بالألفاظ النافرة - موقف ابن عباد من غريب اللغة - ص ١٧١ : رسالة أبي حيان التوحيدى في تحقيق ابن عباد وابن العميد - ص ١٧٢ : لم يمثل ابن عباد مذهب تنقية اللغة المتطرف - الطعن في معجم ابن عباد اللغوى ذي السبعة الأجزاء - ص ١٧٣ : أبو حيان التوحيدى يعقب على موقف ابن عباد - المطالب الذى تتواتى في الأسلوب البليغ - تلاشى الفرق بين بلاغة التعبير في الشعر والنثر - كتاب الصناعتين لأبى هلال .

- ٢٦٧ -

## ١٠ - العربية واللغة المولدة في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي (ص ١٧٤ - ١٨٨)

انحلال الدولة العباسية مبدأ عهد جديد للغة المولدة - نشأة مجموعات متغيرة من اللهجات - المقدسى يحاول تمييز كل إقليم من الوجهة اللغوية - كتاب المقدسى نفيس القيمة في جغرافية الكلمات - اللغة الفصحى تبقى عنوان وحدة الثقافة في العالم الإسلامي - ص ١٧٥ : لم تقم حواجز بين الأقاليم الإسلامية تمنع التبادل العلمي - حياة التجول كانت قاعدة مطردة - العربية الفصحى صارت تكتسب بالتعلم لا بتأثير الوسط العربي - ص ١٧٥ : أسمى درجات العربية في فارس - مقياس فصاحة العربية في ذلك العهد - - مقياس الحن اللغوی - حتى لغة المتنبي تتأثر بالعربية المولدة - ص ١٧٧ : أمثلة من ذلك - خصائص في أسلوب المتنبي - ص ١٧٩ : أمثلة من ذلك - لم تلفت الظواهر الخاصة في شعر أنظار المتنبي معاصريه - الصاحب بن عباد يحمل على المتنبي في كتاب خاص - ص ١٨٢ : مطاعن الصاحب في المتنبي - ص ١٨٤ : تساهل ابن عباد تجاه الحن ظاهرة عامة عند أدباء العصر - ص ١٨٤ : حاجة العصر إلى شرح مصنفات الشعر والنثر - المتنبي يشفع شعره بالشرح - ابن جنى يكتب شرحيں لدیوان المتنبي - ص ١٨٥ : لم يكن ابن جنى عمدة في شرح الشعر وتذوق الجمال الفني - انحصر عمله في دائرة النحو واللغة - ص ١٨٦ : لا يجوز في الشرح إغفال التكوين الداخلي للشعر - طريقة المتنبي في نظم الشعر - من نقد ابن جنى من العلامة - ابن فورجه - ص ١٨٧ : أبو حيان التوحيدي - الشريفي المرتضى - أبو القاسم الأصفهاني - ابن وكيع - ابن جنى لا يتراجع عن طريقة في الشرح - يؤلف كتاباً في شرح بيت واحد - أربعة أجزاء في شرح أربع مرات للشريف الرضي - ص ١٨٨ : أبو العلاء المعري يقرن بعض دواوينه بالشرح - سقط الزند قوى التأثر بالمتنبي - الفصول والغايات .

## ١١ - ظهور اللغة الدارجة في أشعار القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي (ص ١٨٩ - ١٩٧)

شعر الفرس والمناسبات يحمل طابع العربية المولدة - يتيمة الدهر للشعالي - شعر ابن حجاج مرآه للغة عصره - مذهبة في الشعر - ص ١٩٠ : كثرة

- ٢٦٨ -

الدخيل من لغة بغداد في شعره - ص ١٩١ : ابن حجاج يحسن الفارسية - تحريره مبدأ تنقية اللغة - ص ١٩٢ : تحرر بلاد المغرب أيضاً من الماذج الأدبية المتعارفة - موازنة بين التحرر الموضوعي في الشرق والتحرر الأسلوبى في المغرب - اختراع «الموشح» في المغرب - أوليات الموشح في الشرق - ص ١٩٣ : أول من اختراع الموشح بالغرب - محمد بن محمود المقربى الصبرى - عبادة بن ماء السماء - ص ١٩٤ : نموذج من مoshahat عبادة - ص ١٩٥ : قالب التضفير - الموشح والموسيقى - خصائص المoshahat من عوامل التحرر اللغوى - ص ١٩٦ : اللغة الشعبية في المoshahat - محاولة نظم «الزجل» - المزج بين الفصيحة والدارجة في الاستعمال الفنى بالأندلس - ص ١٩٧: تقليد المشرق للمغرب في المoshahat - السبب في عدم نفوذ المoshahat إلى العراق .

## ١٢ - وصف المقدسى للعلاقات اللغوية في المحيط الإسلامي إبان القرن الرابع الهجرى - العاشر الميلادى

(ص ١٩٨ - ٢١٤)

كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - قيمته من ناحيتي الموضوع والأسلوب - ولع المقدسى بالثرى المسجوع - ميله إلى لاقبهاش - ص ١٩٩ : تضميمه لآثار الأدبية - تعبيره في وصف كل إقليم بلغة ذلك الإقليم - مراده لغة المثقفين لا لغة الشعب - أصبح العربية في فارس - مناطق الفصاحة اللغوية - في جزيرة العرب - التغور - لهجة عدن - ص ٢٠٠ : عربية العراق - لهجة الكوفة والبصرة - ما بين النهرين - ص ٢٠١ : مصر المغرب - قائمة من الاستعمالات المحلية في شتى الشئون - ص ٢٠٢ : فهرست أسماء السفن - ص ٢٠٣ : أسماء المقاييس والموازين والفقد - ص ٢٠٤ : وسائل السقى والرى - الألفاظ الدالة على سكان الريف - أسماء السنور - ص ٢٠٥ : الاختلاف اللغوى دليل اختلاف الثقافة - قصده إلى تنويع الكلام وتجميده أكثر من التلوين بالصيغة المحلية - استعماله ألفاظاً خارجة عن محيط العربية - ص ٢٠٧ : لم تقتصر عناية المقدسى على اللغة العربية بل تناولت اللهجات الفارسية لذلك العهد - كان يحسن الفارسية - لهجة نيسابور - ص ٢٠٧ : لهجتنا طوس ونسا - مروروذ - لسان هراة - سرخس وأبيورد - جرجستان - جوزجان - طخارستان وباميان - لهجة

خوارزم - لهجة بخارى - سمرقند - لهجات الهيطل - الصغدية - قومىس وجرجان - ص ٢٠٨: لسان طبرستان - الديلمية - الجيلانية - الخزرية - لهجة الرى - همدان - قزوين - الأصفهانية - خوزستان - الكرمانية والخراسانية - البلوصية ولغة السندي - لغة مكران - المقدسى يروى حديثاً مذهباً في اللغة الفارسية - أسماء الأعلام الشائعة في فارس - ص ٢٠٩ : لا يخدعنا الطلاء البلاغى في لغة المقدسى عن أن لغته مولدة - نماذج من التوليد في لغته - ص ١٢١: طريقة : «دى غويه» في نشر كتاب المقدسى - ص ٢١٢ : موازنة بين المقدسى ومعاصريه في أسلوب الكتابة - أسلوب ابن النديم .

### ١٣ - اللغة العربية في عهد السلاجوقيين

(ص ٢١٥ - ٢٣٧ )

لم تكُن العربية الفصحى تُعْرَفْ قرنين من الزمان - عوامل ذلك - الفارسية تصير لغة رسمية - استخدامها في التأليف - ص ٢١٦ : إتقان العربية بال التربية والتعليم - سياسة السلاجوقيين الدينية لحفظ العربية - تأسيس مدارس ذات هدف عملى للدولة - الفقه القانونى مركز الدائرة - كتب التبريزى تصوّر طريقة التعليم - تأسيس المدرسة النظامية ببغداد - ص ٢١٧ : شرح ديوان الحماسة للتبريزى - ص ٢١٨ : مصادر التبريزى في شرح الحماسة - تهذيب التبريزى لكتابي : الألفاظ وإصلاح المنطق - خلف التبريزى في المدرسة النظامية - ص ٢١٩ : الفصيحي - الجوابي - كتاب العرب - شرح أدب الكاتب للجوابي - موازنته بشرح البطليوسى - كتاب درة الغواص للحريرى - ص ٢٢٠ : بيتة الحريرى - يمثل مبدأ تنقية اللغة - مصادر درة الغواص - تلاشى الشعور اللغوى في عصر الحريرى - ص ٢٢١ : نماذج - ص ٢٢٥ : أمثلة من تزمنت الحريرى وتعسفه - ص ٢٢٧ : الترجيح الاختيارى والتصحيح الخاطئ عند الحريرى - نشاط اللغة الدارجة أقوى من مبادئ المترمدين - ص ٢٢٩ : الحريرى نفسه يتزلق في تيار اللحن - نماذج - ص ٢٣٠ : لم تستطع الملاحظات اللغوية وقف تطور اللغة - عوامل ضعف العناية بالتراث الأدبى - كتابة الحريرى تثير اهتماماً كبيراً - احتدام التزاع بين الحريرى ومشاهير اللغويين - دلالة ذلك على ضعف الإحساس اللغوى وملكة النقد - اعتراف اللغويين باللغة

- ٢٧٠ -

الشعبية — اختلافهم على تصحيح مخطوأ الحريري — تعليلات ابن بري على درة الغواص — الشهاب الخفاجي — ص ٢٣١ : تحليل هذه التعليقات ودلالتها على ضعف ملكة النقد — فكرة ابن بري عن مبدأ تنقية اللغة — كتاب أغلاط الضعفاء من أهل الفقه لابن بري — ص ٢٣٢ : نقد الكتاب المذكور وتحليله — تعليقات ابن ظفر على درة الغواص — ص ٢٣٤ : تعليقات ابن الخشاب — نزاعه مع ابن بري — تلاثي الإحساس اللغوي وأمثلة من ذلك — الاحتجاج بالحديث في أمور اللغة — ص ٢٣٥ : ابن خروف أول من اعتمد حجة الحديث — ابن مالك — الحافظ اليونيني — مراتب فصاحة اللغة في رأي ابن مالك — توسيع الاسترابة في الاحتجاج اللغوي — تحول عربية الأدب إلى لغة النحو والقواعد — ص ٢٣٦ : اختلاف الكتاب في التمسك باللغة الصحيحة — تقرير ابن الصلاح عن شيوخ عصره — اللهجات المولدة تنضح بقوة على لغة الأدب — أسلوب أسامة بن منقذ — ص ٢٣٧ : ابن يعيش النحو وأسلوبه — تراجم الأطباء لابن أبي أصيبيعة مرآة للغة المسامرة والحديث بالقاهرة .

#### ١٤ — نظرة خاطفة

(ص ٢٣٧—٢٤٢)

أثر السيل المغولي في تاريخ اللغة — مصر تتصدر بلدان العالم الإسلامي — النهضة الأدبية في مصر تستمر قرنين من الزمان — كشف البرتغاليين طريق البحر إلى الهند وأثر ذلك في انحطاط النهضة — خضوع البلدان الإسلامية للعثمانيين — ص ٢٣٩ : أحالك قرون التاريخ العربي — بدء المرحلة الحديثة بحملة «نابوليون» — إدخال النظم الغربية على يد محمد علي — الألفاظ الدخيلة حديثاً في العربية — نشوء معركة تنقية اللغة من جديد — ص ٢٤٠ : أعمال الجمعين العلميين في القاهرة ودمشق — طبيعة الكفاح في وجه الغريب — اقتراب العربية إلى طبيعة التعبير الأوروبي — ص ٢٤١ : لا يقتصر تأثير الغرب على العربية الفصحى بل يتناول اللهجات المحلية — أثر انكماش الأممية في تطور اللغة — الصحافة — الخدمة العسكرية — مسارح السمر الشعبي — المذيع والحاكي والخيالة (السينما) الناطقة — ازدهار الحضارة بمصر يجعل لغة التحاديث القاهرة مثلاً أعلى — استعادة مصر مكانتها في زعامة البلاد العربية —

أصوات النقد للعربية الفصيحة - العربية تقضي على حركة النقد - ص ٢٤٢ :  
العربية هي الرباط العام لكل البلدان الناطقة بالضاد - هي الرمز اللغوي  
لوحدة العالم الإسلامي - العربية لسان المدنية الإسلامية .

### ملحق - مادة : لحن ومشتقاتها

(ص ٢٤٣ - ٢٥٥)

عرب البدية لم يعرفوا اصطلاح الحن - كانوا يعرفون العوائق اللسانية -  
مدلول الحن نشأ عن اتفاق عرف - المدلول الأصلي للحن - ص ٢٤٤ :  
معنى لحن على وزن فطن - مصدر الحن بسكون الحاء - أ فعل التفضيل -  
وروده في الحديث - ص ٢٤٥ : الحن مجاز في هديل الحمام - ص ٢٤٦ :  
اسم الفاعل « لاحن » - ألحن من الجرادتين - لحن بالتشديد - تلحين -  
معنى آخر للحن - ص ٢٤٧ : لحن اليمن - أقوال مأثورة عن عمر في الحن -  
الحن بمعنى التورية - ص ٢٤٩ : وهم الباحظ في تفسير بيت مالك بن أسماء -  
تنبيه على بن يحيى المنجم للباحث - انتشار كتب الباحظ عاقد دون إصلاح  
الخطأ - ص ٢٤٩ : ابن دريد يصحح خطأ الباحظ - أبو بكر الصوالي -  
تأثير الباحظ في ابن قتيبة - نقد ابن الأباري لابن قتيبة - تأثير قدامة  
ابن جعفر بالباحث - ص ٢٥٠ : أبو جيان التوحيدى يدافع عن الباحظ -  
الحن بمعنى التورية والرمز في الحديث - في رسالة لأحد الأعراب - في  
سورة محمد عليه السلام - ص ٢٥١ : فعل لاحن - معنى آخر للحن -  
ابن دريد وكتابه : الملائج - ص ٢٥٢ : الحن بمعنى الخطأ في التعبير -  
قدح لحن وقوس لاحنة - اشتهر الحن في المعينين : الخطأ والغباء - خطأ  
ابن الأعرابى في عده الحن من قبيل الأضداد - انحراف مذهب ابن الأعرابى  
بووجه عام - ص ٢٥٤ : متى نقل لفظ الحن إلى الخطأ في الكلام - ص ٢٥٤  
ارتباط ذلك بمبدأ تنقية اللغة - بعض الشواهد القديمة .



- ٢٧٣ -

## فهرس الأعلام<sup>(١)</sup>

(المجزءة)

- آلورڈ Ahlwardt : ١٣/٥٦ ت ١/٣٩ : ٤/٣٩ : ٦/٤٧ : ٣/٥١ : ٤/٣٩ : ٦/١٢٩ : ٢/١١٠ : ١٥/١٠٠ : ٤/٩٩ : ٥/٩٧ : ١/٨٩ : ١٠/٥٦  
 ١٤/٢٤٥ : ٧/٢٣٥ : ٧/١٧٩
- أبان بن عبد الحميد ، أبو يحيى اللاحقى : ١/٦١ : ١٢/١٠٢ : ١٤/١٠٢ : ٦/٧٠ ت ١/١٠٥
- أبان بن الوليد البجلى : ٩/٤٧ ت ٣/٤٧
- أبان بن الوليد بن عقبة : ت ٨/٤٧
- إبراهيم بن أدهم : ت ٥/٧٨
- إبراهيم بن إسحاق بن بشير الحررى : ١٠/٧٣ : ١٠/٧٤ : ١/١٤٩ : ١/١٦٩ ت ٢٥/١٦
- إبراهيم بن إسماعيل العلوى بن طباطبا : ت ١١/١٢٢
- إبراهيم بن حبيب : ١٤/١٠٥
- إبراهيم السامرائي : ت ٩/٢١٧
- إبراهيم بن السرى الزجاج = الزجاج .
- إبراهيم بن سيابة = ابن سيابة .
- إبراهيم بن عثمان ، قاضى واسط : ١١/٧٤
- إبراهيم بن على = أبو إسحاق الشيرازى الفقيه الشافعى .
- إبراهيم بن على بن تميم الحصري = الحصري .
- إبراهيم بن محمد البهقى = البهقى .
- إبراهيم بن محمد بن عرفة ، نفطويه = نفطويه .
- إبراهيم الموصلى : ١/١٠٢ : ١/١٠٧ : ٢/١٠٧ : ٩/١٠٢ : ٦/١٠٧
- إبراهيم بن هرمة = ابن هرمة الشاعر .
- إبراهيم بن هشام بن إسماعيل : ١٠/٤٦

(١) الأرقام المذكورة بعد الحرف(ت) تبين مواضع ورود الأعلام في التعليق أسلف الصفحات .

- ٢٧٤ -

- إبرمان A. Ebermann : ت ١٣/٢٦ الإبشيبي : ت ١٢/١٢٣ ابن أبي إسحاق ، عبد الله الخضرمي التحوى : ١٢/٥٦ ؛ ٥/٥٦ ؛ ٢٢/٥٥  
ت ٥/٧٢ ؛ ٦/٥٦ ابن أبي أصيحة ، أحمد بن القاسم : ٨/١١٦ ؛ ٢/١١٦ ت ١٩/٢٣٧ ابن أبي البغل ، أبو القاسم أحمد بن يحيى : ت ١٤/١٢٢ ابن أبي سنة المغنى : ١٥/٩٦ ابن أبي شبة المغنى : ١٦/٩٦ ابن أبي طاهر ، أحمد بن طيفور : ٤/١٤٦ ؛ ٦/١٤٣ ت ٤/١٤٦ ابن أبي القرمطي : ت ٣/١٦٩ ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد بن الحسين : ت ١٤/٨٦ ابن الأثير المؤرخ ، علي بن محمد بن عبد الكريم ، عز الدين : ت ٥/٤٦ ؛ ١٠/٣٩ ابن الأثير الأديب ، أبو الفتح نصر الله بن محمد ، ضياء الدين : ٦/١٢  
٤/١٣٣ ت ٩/١٤٩ ؛ ٢/٢١ ؛ ٣/٧٩ ؛ ٦/٧٩ ؛ ١٠/١٧٩  
٤/٢٥٣ ؛ ١/٢٤٨ ؛ ٢/٢٤٨ : ١٥/١٩١ ابن الأخرم ، أستاذ الحكم الأصغر : ١٠/٨٧ ابن الأعرابي ، محمد بن زياد التحوى الكوفى : ١٢/٩٦ ؛ ٤/٨٣ ؛ ٦/٩٦ ؛ ١٢/٩٦  
١٥/٩٦ ؛ ١/٩٧ ؛ ١/٩٨ ؛ ٢١/٩٨ ؛ ٢٣/٩٨ ؛ ٢/٩٩ ؛ ١٦/٢٤٩  
٣/٢٥٣ ؛ ٨/٢٥٣ ؛ ٩/١٧١ ت ١٣/٢٥٣ ؛ ٦/٢٥٢  
١٧/٢٥٢ ابن الأنباري = أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله .  
ابن الأنباري = أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار .  
ابن برى ، عبد الله بن برى بن عبد الجبار المصرى : ٥/٢٣١ ؛ ٢٥/٢٣٠  
١٦/٢٣١ : ١٦/٢٣١ ؛ ٢١/٢٣١ ؛ ٣/٢٣٢ ؛ ٤/٢٣٣ ؛ ٢٣/٢٣٣ ؛ ٤/٢٣٤  
ت ٩/١٧٧ ابن بسام ، علي بن محمد بن نصر ، أبو الحسن : ١٣/١٩٣ ؛ ٢٠/١٧٠  
٢٢/١٩٣ ؛ ٢٠/١٩٣  
ابن ثوابه ، محمد بن أحمد ، أبو عبد الله : ١٦/١٤٥

- ٢٧٥ -

ابن جبیر ، محمد بن احمد ، أبو الحسن : ت ٢٠٣ : ١٢١

ابن الجراح ، محمد بن داود : ت ٥٧

ابن الجزری ، شمس الدين محمد بن محمد ، أبو الخیر : ت ١٦٧

ابن جنی ، أبو الفتح عثمان بن جنی : ١٠/١٦٧ : ٦/٨٦

: ١٢/١٦٧ : ٣/١٦٧

: ١١/١٨٥ : ٧/١٨٥ : ٣/١٨٤

: ١١/١٦٨ : ٣/١٦٨

: ٤/١٨٨ : ٦/١٨٧ : ٣/١٨٧

: ٤/٤٢ : ٢/٤٢ : ٨/٤١

: ٤/٤٢ : ٥/٢١٨ : ٧/٢٣٥

: ١/١٨٨ : ٥/١٨٨

: ٩/١٨٧ : ٦/١٨٥ : ١٠/١٦٣

: ٤/٨٨ : ٤/٥٥

ابن الحاجب النحوی ، عثمان بن عمر ، أبو بکر : ٧/٢٣٦

ابن حبان ، محمد بن أحمد بن حبان البستي : ت ٢٠٩ : ٨/٩١

ابن حجاج ، الحسين بن أحمد بن حجاج ، الشاعر البغدادی : ٧/١٨٩

: ١١/١٩٦ : ٧/١٩١

ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، شهاب الدين : ت ٢٣٣

: ٣/٣٥ : ٤/٣٥

: ٨/٣٥ : ٨/٣٧

: ٦/٤٢ : ٦/٤٢

: ١٠/٦٦ : ٣/٧٢

: ٣/٢٠٩ : ٦/١١٦

: ٨/٩١ : ٦/٨٥

: ١١/٨١ : ٩/٨٠

: ٧/٧٧

: ١٠/٢٤٨ : ٤/٢٠٩

ابن خالویه ، الحسين بن أحمد بن خالویه ، أبو عبد الله : ١٣/١٥٦

: ١٣/٦٨

: ١٢/٢١٣

: ٨/٣٨

: ٨/٤١

: ٢/٤٢

: ٥/٦٨

: ٤/٤٢

: ٩/١٣١

: ٦/٧٩

ابن خردادبه ، عبيد الله بن أحمد ، أبو القاسم : ٦/١٠٧

ابن خروف ، علي بن محمد النحوی : ١٠/٢٣٥

: ٥/٢٣٥

: ٦/٢٣٥

: ٧/٢٣٥

ابن الخشاب ، عبد الله بن أحمد البغدادی : ٩/٢٣٤

ابن خلکان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم : ت ٣٧

: ٤/٤٤

: ٥/٤٢

: ٤/٤٤

: ٨/٩٤

: ١٢/٨٢

: ٢/٧٨

: ٨/٧٥

: ٧/٧٣

: ٢/٦٥

: ٤/٩٤

: ١٢/١٢٢

: ٤/١٢٢

: ١١/١١٣

: ٦/١٢٢

: ٧/١١٢

: ٤/٩٧

: ١٢/١٢٢

: ٤/٩٧

: ١/٢٥٣

: ٣/٢٢٩

: ١/٢١٦

: ٥/١٨٤

: ٦/١٦٩

- ٢٧٦ -

- ابن الخطاط ، محمد بن أحمد بن منصور ، أبو بكر : ٨/١٨٢  
ابن درستويه ، عبيد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه ، أبو عبد الله : ١٢/٦٨  
ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن : ٩/٧٤ ؛ ٤/١٠٨ ؛ ١١/٢٤٩  
ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن : ١٣/٢٤٩  
ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن : ٤/٤٩ ؛ ١١/٢٦ ت ٤/٢٥٢  
ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن : ٧/٥١ ؛ ١١/٥٢  
ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن : ٥/٢٤٩ ؛ ١٣/٢٤٧  
ابن الدربيع ، عمرو بن علي بن محمد الزبيدي : ت ١٤/٣١ ؛ ١/٢٣٥  
ابن رائق : ٥/١٣٨  
ابن رسته ، أحمد بن عمر ، أبو علي : ت ٥/٣٤  
ابن رشيق ، أبو علي الحسن بن علي : ت ١/٤٦ ؛ ١/١٨٢ ؛ ١/١٨٠  
ابن رشيق ، أبو علي الحسن بن علي : ٣/١٨٢ ؛ ١/١٨٣  
ابن الرومي ، علي بن العباس : ٦/١٤٤  
ابن زينب المراكبي ، عبد الله بن إسماعيل : ٩/١٣٣  
ابن الزيات ، محمد بن عبد الملك : ٩/١٣٤  
ابن السراج ، محمد بن السري البغدادي النحوي : ت ٥/١٢٢  
ابن سعد ، محمد بن سعد ، كاتب الواقدي : ٥/٨٥ ت ٦/٣٣ ؛ ٧/٣٣  
ابن سعد ، محمد بن سعد ، كاتب الواقدي : ٤/٣٥ ؛ ٤/٣٧ ؛ ٨/٣٧  
ابن سعد ، محمد بن سعد ، كاتب الواقدي : ٥/٦٢ ؛ ٧/٧٤ ؛ ٧/٨٠ ؛ ٧/٨١  
ابن سعد ، محمد بن سعد ، كاتب الواقدي : ١٩/٨١ ؛ ١/٨١ ؛ ١/٨٠  
ابن سعد ، محمد بن سعد ، كاتب الواقدي : ٥/٨٤ ؛ ٤/٨٤ ؛ ٢/٨٨ ؛ ٧/٩١  
ابن سعد ، محمد بن سعد ، كاتب الواقدي : ٥/٢١٧ ؛ ١/١١٠ ؛ ٥/٨٤  
ابن سعد ، محمد بن سعد ، كاتب الواقدي : ٥/٢٣٤  
ابن السكيت ، يعقوب الكوفي : ٤/٨٣ ؛ ٤/١٣١ ؛ ١٧/١٣١ ؛ ٩/١٤٠  
ابن السكيت ، يعقوب الكوفي : ٤/١٥٥ ؛ ٤/١٥٥ ؛ ١٤/١٥٥  
ابن السكيت ، يعقوب الكوفي : ٤/١٥٥ ؛ ٤/١٥٥ ؛ ١٦/٢١٨  
ابن السكيت ، يعقوب الكوفي : ٤/١٥٥ ؛ ٤/١٥٥ ؛ ١٦/٢١٨  
ابن سلامة ، محمد بن سلام الجمحي : ١١/١٤٨ ت ١/٢١ ؛ ٤/٦٣٨  
ابن سلامة ، محمد بن سلام الجمحي : ٣/٥٥ ؛ ٤/٥٥  
ابن سناء الملك ، هبة الله بن جعفر : ١٤/١٩٥ ؛ ٩/١٩٦  
ابن سناء الملك ، هبة الله بن جعفر : ١٧/١٩٦  
ابن سيرين ، محمد : ١٨/٧٩  
ابن سيرين ، محمد : ٩/٢١٨

- ٢٧٧ -

- ابن سِيَّابة ، إبراهيم : ٧/١٠٢  
ابن شاذى وزير المعتصم : ١٩/١٣٥  
ابن شاكر الكتبى ، محمد : ٦/١٩٤ ت ١/١٩٣  
ابن الشجري ، هبة الله بن على : ت ٤٥ : ٦/٤٥ : ١١/٧٦ : ٣/٥٢ : ١١/١٧٩ : ٤/٢٤٤ : ٣/٢٥٠ : ٢/٢٤٥ : ١٠/٢٤٥  
ابن شوكر السندي : ٦/٧٧ : ٤/٧٧  
ابن الصلاح ، عثمان بن عمرو بن عثمان ، تقى الدين : ٣/٢٣٧ ت ١/٢٣٧  
ابن الصائع ، على بن محمد بن على : ت ٢٣٥ : ٤/٢٣٥  
ابن الطبرى المصرى : ١٥/٨٤  
ابن طيفور ، أحمد = ابن أبي طاهر .  
ابن طولون ، أحمد : ت ١٤٤ : ٩/١٤٤  
ابن ظفر ، محمد بن عبد الله : ٥/٢٣٤ ت ١٠/٢٣٤  
ابن عباد = الصاحب بن عباد .  
ابن عباس = عبد الله بن عباس .  
ابن عدى ، الهيثم : ٣/٨٧  
ابن العجاج ، عبد الحى بن أحمد بن محمد بن العجاج الحنبلى : ت ٢٣٤ : ٨/٢٣٤  
ابن العميد ، محمد بن الحسين ، أبو الفضل : ١٠/١٤٣ : ٣/١٧١ : ٤/١٧٣ : ٥/١٧٣ : ١٩/١٨٢ : ١٥/١٨٢  
ابن عساكر ، على بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم : ت ٤٥ : ١٢/٢٤٥  
ابن فارس ، أحمد بن فارس اللغوى : ٥/١٧٣ : ١٢/٧٣  
ابن فورجة ، محمد بن أحمد : ٥/١٨٧ ت ٣/١٨٧ : ٢/١٨٧  
ابن فورك = ابن فورجة .  
ابن قادم التحوى ، محمد بن عبد الله ، أبو جعفر : ٩/١٣٥  
ابن قتيبة الدينورى ، عبد الله بن مسلم : ٤/٤٣ : ١٨/٤٣ : ٤/٨٣ : ٤/٩٩  
٤/١١٤ : ٢٩/١١٤ : ٣/١٣٤ : ٣/١٣٨ : ٤/١٣٩ : ٤/١٣٩ : ٢٣/١٣٩  
٤/٢٦ : ١/١٨٤ : ١/١٤٣ : ٢٤/١٤٢ : ١٦/١٤٢ : ١٩/١٤١ : ١٢/١٤١  
٤/٩٧/٢٤٩ : ٩/٢٤٩ : ١٨/٢٢٧ : ٢٤/٢٢٥ : ١٨/٢٢٥ : ١٣/٢١٩  
٤/٦/٢٠ : ٦/٢١ : ٢/٢١ : ٩/٣٩ : ٢/٢٣ : ٢/٢٦ : ٧/٢٣ : ٢/٢٨ : ٩/٣٩

— ٢٧٨ —

- ٤ : ٩/٥١ ; ٥/٤٤  
 ٦/٧٨ ; ٣/٧٥ ; ٧/٧٠ ; ٤/٦٨ ; ٦/٥٦  
 ٧/٢٥٠ ; ٧/٢٤٦ ; ٤/١٥٢ ; ٦/١٤٥ ; ٦/١٢٥ ; ٢/١٠٠  
 ابن قحفان : ت ١٣/٩٠  
 ابن القرية ، أئوب بن يزيد : ت ٢/٣٨٨  
 ابن قريعة القاضي ، محمد بن عبد الرحمن : ١٥/٢٢٩  
 ابن قرمان ، محمد بن عبد الملك : ٣/١٩٧ ; ١٢/١٩٦  
 ابن القسطنطيني ، علي بن يوسف بن إبراهيم : ت ٣/٩٢٣  
 ابن الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب : ٨/٥٥ ، ١٦/٨٨ ت ١/٣٣  
 ابن كنافة ، أبو محمد عبد الله بن يحيى : ٧/٥٠  
 ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد : ت ٩/١٢٩  
 ١٣/٢٣٥ ; ١٩/١١١  
 ابن مالك التحوي ، جمال الدين محمد بن عبد الله : ١٣/٨٤  
 ابن المديني ، علي بن عبد الله بن جعفر : ١٠/٨٣  
 ابن المعتر ، عبد الله : ت ٢/١٣٢  
 ابن مفرغ ، يزيد بن ربيعة الحميري : ٩/٣٤ ; ١٢/٢٦ ، ٦/٢٦  
 ١/٣٣ ت ١١/٩١ ; ١٤/٢٥  
 ابن المقفع ، عبد الله : ٢/٦١  
 ٤/٦٥ ; ٥/٦٥ ; ٦/٦٥ ; ١١/٦٥  
 ٢٥/٦٥ ; ٢١/٦٥ ; ١٨/٦٥  
 ٤/٦٨ ; ٣/٦٧ ; ١٢/٦٦  
 ابن مكى الصقلى : ت ٣/٢٣٢  
 ابن منادر ، محمد : ٣/٨٢  
 ١١/٩١ ; ١٤/١٠٧  
 ١١/١٠٣  
 ابن المنجوم ، علي بن يحيى : ٢١/١٣٦  
 ٧/٢٢٩ ; ٤/٢٤٩  
 ٨/٣٦ ; ٥/٣٦  
 ابن النديم ، محمد بن إسحاق ، صاحب الفهرست : ٥/٢١٣  
 ابن هرمة ، إبراهيم : ١٩/١٢٨  
 ٢/١٢٩  
 ابن هشام ، عبد الملك : ت ٤/٣٣  
 ١١/٢٥٠ ; ٥/١٠٨  
 ابن وكيع : ١/١٨٨  
 ٣/١٨٨  
 ابن وهب أبو الحسين : ت ٢/١٥٠  
 ابن يعيش ، يعيش بن علي بن يعيش الحلبي التحوي : ٥/٥٧  
 ١٧/٢٣٧  
 ٧/٨٨٤٣ / ٧/٨٨٤٣  
 ٩/٩٩ ; ١١/١١٢  
 ٤/١٣٤ ; ١١/١١٢  
 ٥/١٦٣ ; ٤/١٣٤  
 ١٠/١٧٨ ; ٥/١٦٣  
 ١٢/١٧٨

- ٢٧٩ -

أبو الأبيض العنسي : ١٦/٨٩

أبو إسحاق الشيرازي الفقيه الشافعى ، إبراهيم بن علي : ٢٣/٢١٦

أبو الأسود الدؤلى ، ظالم بن عمرو بن جندل : ١٩/٢١ ت ١٩/٣١ : ٢/٢٥

أبو أيوب الصنافى : ٣/٨٤

أبو البركات بن الأنبارى ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله : ٤/٢٣٥

ت ٧/٤١ : ٥/٧٣ ; ٩/١١١ ; ٧/٢٢٠ : ٥/٢٢٦

أبو بكر بن الأنبارى ، محمد بن القاسم بن بشار : ١٢/٢١٨ : ١٥/٢٤٩

ت ٥/٢٥٣ : ١/٢٥٠ ; ١٢/٢٤٨ : ١١/٢٦

أبو بكر الخوارزمى ، محمد بن العباس : ١٩/١٧٣ : ٣/١٧٥

أبو بكر بن دريد ، محمد بن الحسن = ابن دريد .

أبو بكر الصديق ، عبد الله بن عتيق : ٧/٣٥

أبو بكر الصولى ، محمد بن يحيى : ١٣/٢٤٩ : ١/٩٤ ت ١٣/٢٤٩

أبو بكر بن على الصنهاجى : ت ٥/٣١

أبو بكرة نفيع بن سمية = نفيع بن سمية .

أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائى : ١٥/٨٩ : ١٣/١٣١ : ١٣/١٣١ : ١٩/١٣١

٣/٢٥٣ : ٣/١٣٢ : ٦/١٨٢ : ٢/١٣٢

أبو الجاموس ، ثور بن يزيد : ٢٦/٦٣

أبو حاتم السجستانى ، سهل بن محمد : ٢/١٣١ ت ١١/٧٦

أبو حامد الغزالى ، محمد بن محمد : ٢٢/٢١٥

أبو حباجب : ١٢/٥١ ت ١٨/٥١

أبو حزام العكلى ، غالب بن الحارث : ٤/١٢٩

أبو الحسن بن طباطبا : ت ١٥/١٢٢

أبو حنيفة الدينورى ، أحمد بن داود : ٥/١٣٠ ت ٦/١١٦

أبو حنيفة ، النعسان بن ثابت : ٢/٧٣ : ٦/٧٣ : ١٣/٧٣ : ١٩/٧٣

٤ : ٢/٧٤ : ٢/٧٤ ت ٥/٧٤

أبو حيان التوحيدى ، علي بن محمد بن العباس : ٢/١٧١ : ٤/١٧٣

٧/٢٥٠ : ٩/١٨٧

أبو حية التغirى ، الهيثم بن الربيع : ت ٢/٥٢

- ٢٨٠ -

أبو خليفة الجمحي ، الفضل بن الحباب : ٩/١٤٨ ؛ ١٤/١٤٨ ؛ ٢/١٩١

أبو داود السجستاني ، سليمان بن الأشعث الأزدي : ت ٨/١٢٢ ؛ ٢/٢٣٤

أبو الدرداء ، عويمر بن مالك الأنصارى : ١٠/٨١

أبو دلف الخزرجي ، مسعر بن مهلهل الينبوعى : ٩/١٢٤ ؛ ١٩/١٧٢

١٤/٢٥٣

أبو دلف العجلن ، القاسم بن عيسى بن معقل : ١٢/١٣٢

أبو داود الإيادى ، حارثة بن الحجاج : ١٣/٦٠ ت ١١/١٣١

أبو رمادة : ٢/١٢٢ ت ٢/١٢٢

أبو رياش ، أ Ahmad بن إبراهيم القيسى : ٩/٢١٨ ت ٦/٢١٨

أبو زكريا التبريزى ، يحيى بن على : ١/٢١٨ ، ١٨/٢١٧ ؛ ٢٠/٢١٦

٦/٢٢٠ ؛ ٣/٢٢٠ ؛ ١٠/٢١٩ ؛ ١٥/٢١٨ ؛ ١٠/٢١٨

ت ٤/٤٤ ؛ ١/٢١٩ ؛ ٨/٢١٨ ؛ ٣/٢١٨ ؛ ١/٢١٨ ؛ ١/١٥٥

١/٢٤٤ ؛ ٣/٢١٩

أبو الزناد ، عبد الله بن ذكوان الفقيه المدنى : ٤/٨٥

أبو زيد الأنصارى ، سعيد بن أوس بن ثابت : ١٠/٦٢ ؛ ١٤/٩٣ ؛ ١٦/٩٣

١٤/٢٤٧ ؛ ١٥/١٨٥ ؛ ١٤/١٤٩ ؛ ٨/١٣٠ ؛ ١٧/٩٧

١٢/١٧٩ ؛ ٣/١٧١ ؛ ١١/٦٢

أبو سعيد المعلم = أبو سعيد المؤدب ، محمد بن مسلم القضاوى : ٧/٦٢

١٥/٦٢

أبو سفيان ، صخر بن حرب بن أمية : ٧/٣٤

أبو سهل المروى : ت ٤/١٤٩

أبو شيبة الواسطى ، عبد الرحمن بن إسحاق : ١٢/٧٤

أبو صعصعة العامرى ، يزيد بن عوف : ٣/١٢٩

أبو صفرة : ١٥/٣٤ ت ١١/٣٤

أبو الصقر = إسماعيل بن بلبل .

أبو الطيب اللغوى ، عبد الواحد بن على : ت ٧/٧٦ ؛ ٧/٨٤

أبو الطيب بن غليون : ت ٢/٢١٠

أبو العاص بن عبد الوهاب الثقفى : ت ٧/٦٢

أبو عبادة الوليد بن عبيدة البحترى = البحترى .

- ٢٨١ -

أبو عبيدة ، معمر بن المثنى : ١٢/٣٤ : ١٧/٩١ : ١٨/٩١ : ١٤/٩٣ :  
٣/٢٥٣ : ٨/١٤٠ : ٨/١٣٠ : ٩/٩٦ : ٧/٩٦ : ١/٩٦ : ٢/٩٤  
ت ١٤/٥١ : ٢٨/١٦ : ٤/٩٦ : ١٤/٥١ : ١/١٢٣ :

أبو العتاھیة ، إسماعيل بن القاسم : ٧/١٠٩ : ٢٢/١٠٤

أبو عطاء السندي ، أفلح بن يسار : ٤/٤٤ : ٥/٤٤ : ١٢/٤٤ : ١٧/٦١ :  
أبو عکرمة الضبی : ت ٨/١٢٩

أبو العلاء المعري ، أحمد بن عبد الله بن سليمان : ١٢/١٨٨ ت ٤/٥٣

أبو علقمة التحوى : ٨/١٢٧ ت ١٠/١٢٧

أبو علي الفارسي ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار : ١٥/١٦٧ : ٧/٢٢٦  
ت ٦/٢٣٥

أبو علي القالى ، إسماعيل بن القاسم = القالى .

أبو علي المالکي : ت ١/٨٥

أبو عمرو الدانى ، عثمان بن سعيد : ت ٧/٥٧ : ٧/٥٧

أبو عمرو بن العلاء الخراعى التميمي : ٦/٤١ : ٥/٥٧ : ١/٥٨ : ١٣/٦٧ :  
٩ / ٧١ : ٢٠/٦٧  
٤/٢١٠ : ٥/٨٩ : ٨/٢٢٨ : ت ١٥/٥١  
٧/٥٧ : ٢/٥٧

أبو الفرج الإصفهانى ، علي بن الحسين : ١/٤٤ : ٢/١٤٤  
٢/٢٤٥

أبو الفضل الرياشى ، العباس بن الفرج : ١٤/١٣٠

أبو الفضل بن العميد ، محمد بن الحسين = ابن العميد .

أبو الفضل الميكالى ، عبيد الله بن أحمد : ٤/١٧٥

أبو القاسم بن طباطبا العلوى : ت ١٢/١٢٢

أبو القاسم بن المطهر : ١٤/١٢٤ ت ١/٢٠٢  
٤ / ٢٥٠ : ٩/٢٠٤  
٧/٢٠٣ : ٥/٢٠٣

أبو لهب ، عبد العزى بن عبد المطلب : ١١/٣٥

أبو محمد اليزيدى ، يحيى بن المبارك : ١٦/٦٩

أبو معمر عبد الله بن سخيرة : ١٣/٧٩

أبو منصور الجوالقى ، موهوب بن أحمد = الجوالقى .

- ٢٨٢ -

- أبو المنهال ، عتبان بن وصيلة : ١/٣٧  
أبو مهدي الباهلي : ت ٧/٢٤٧  
أبو مهدي الكلابي : ت ٦/٢٤٧ ، ٧/٢٤٧  
أبو موسى الأشعري ، عبد الله بن قيس : ٣/٨٦ ، ٢/٨٦ ، ٤/٨٦ ت  
أبو ميسرة ، عمرو بن شراحيل أو شرحبيل الصحابي : ١٢/٢٤٧  
أبو النجم العجل ، الفضل بن قدامة : ت ٨/١٧٢  
أبو نحيلة ، يعمر السعدي : ١٨/٦٠  
أبو النضير ، عمر بن عبد الملك : ١٣/١٠٢ ، ١٦/١٠٢  
أبو نواس ، الحسن بن هانئ : ٩/١٩٥ ، ٧/٩٩ ، ١٤/٩٩ ، ٧/١٠٢  
٤/٢٥٣ ت ٢/١٠٦  
أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل : ٢٢ / ١٧٣  
أبو وجزة ، يزيد بن أبي عبيد السعدي : ت ١٢/٥٢  
أبو يحيى اللاحق = أبان بن عبد الحميد .  
أبو يزيد البسطامي ، طيفور بن عيسى بن آدم : ١٦/١٨٢  
أبو اليقظان ، سليم بن حفص النسابة : ت ٩/٣٩  
أبو يوسف القاضى ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب : ١٢/٩٤ ، ١٥/٩٤  
١٥/١٢٨  
أبي بن كعب : ٣/٢٤٨  
الأحدب السعدي : ١١/٨٩  
أحمد بن أبي خالد ، وزير المأمون : ١٥/١٣٥  
أحمد بن الحسين ، أبو الفضل بذيع الزمان الهمذاني = البذيع الهمذاني .  
أحمد بن الحسين ، أبو الطيب المتنبي = المتنبي .  
أحمد الحق : ت ١/١٨٧  
أحمد بن حنبل : ت ٦/١٦٣  
أحمد زكي : ت ٣/١٣٧ ، ٢/٧٧  
أحمد شاكر : ت ١٣/٢١٩  
أحمد بن طيفور = ابن أبي طاهر .  
أحمد بن طولون : ت ٩/١٤٤

- ٢٨٣ -

أحمد بن علي بن ثابت = الخطيب البغدادي .

أحمد بن فارس ، أبو الحسين = ابن فارس اللغوي .

أحمد بن محمد بن إسماعيل ، أبو جعفر النحاس النحوى المصرى = النحاس .

أحمد بن محمد البشى الخازنچى = الخازنچى .

أحمد بن محمد بن الحسن المرزوق = المرزوق .

أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى = الخفاجى .

أحمد بن المدبر : ت ١٤٤ / ٨ / ٧

أحمد مطلوب : ت ١٥٠ / ٣

أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى = البلاذرى .

أحمد بن يحيى بن يسار ، ثعلب النحوى الإمام = ثعلب .

الأنخل ، غياث بن غوث ، أبو مالك : ٤٤٥ / ٤٥ : ١١٠ / ١٣ : ت ١٨ / ١١٠

الأخفش الأصغر ، علي بن سليمان : ١٤٩ / ١٣

الأخفش الأوسط ، سعيد بن مسعدة الجاشعى : ٦١ / ١٢

أزدة بنت سمية : ٣٤ / ٢

الأزرق ، أحمد بن إبراهيم : ت ١٠٨ / ٥

الأزهرى ، أبو منصور محمد بن أحمد : ٦ / ١٦٩ : ت ١٦٩ / ١٠

أسامة بن منقذ : ٢٣٧ / ١٠ : ت ٢٢٢ / ٢

الأستراباذى ، محمد بن الحسن الرضى الأستراباذى ، نجم الدين : ٦ / ٢٣٦

إسحاق بن إبراهيم المصبعى : ٦ / ١٣٥ : ١١ / ١٣٥ : ٨ / ١٣٥ : ٧ / ١٤٦

إسحاق بن إبراهيم الموصلى : ٦ / ١٤٦

الإسكافى ، علي بن محمد بن القاسم : ٣ / ١٧٣

إسماعيل بن أبي خالد هرمز الكوفى : ٣ / ٨٣

إسماعيل بن بليل ، أبو الصقر : ٥ / ١٤٥

إسماعيل بن حماد الجوهري = الجوهرى .

إسماعيل بن زياد : ت ٢٠٩ / ٤

إسماعيل بن عباد ، الصاحب = الصاحب بن عباد .

الأسود بن أبي كريمة : ٦ / ١٢١

- ٢٨٤ -

الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل : ت ٤٠ : ٢/٦٨

أشناس التركى : ٣ / ١٣٦ : ٤ / ١٣٦ : ١٤ / ١٣٦

الأستانداني ، أبو عثمان سعيد بن هارون : ت ٦٦ : ٤ / ٢٥١ : ٣ / ٢٥١

الاصطخرى ، إبراهيم بن محمد : ت ٧١ / ١٣

الأصمعى ، عبد الملك بن قريب : ت ٣٥ : ٩ / ٤٧ : ٥ / ٤٧ : ٥ / ٤٩ : ٥ / ٤٩

: ١٣ / ٦٠ : ٥ / ٥٤ : ١١ / ٥٢ : ٧ / ٥١ : ٨ / ٤٩

: ١٢ / ٧٧ : ٤ / ٧٧ : ١٠ / ٧٦ : ١ / ٧٦ : ٥ / ٦٨ : ١ / ٦٥ : ١٦ / ٦٠

: ٤ / ٩٤ : ١٣ / ٩٤ : ١٠ / ٩٤ : ١٤ / ٩٣ : ١٢ / ٩٠ : ١١ / ٩٠

: ٨ / ١٣٠ : ٣ / ٩٩ : ٢٤ / ٩٨ : ١٧ / ٩٨ : ٩ / ٩٦ : ٦ / ٩٦

: ٤ / ١١٥ : ٣ / ٣٨ : ٣ / ٢٥٣ : ١٤ / ٢٤٧ : ٢٠ / ١٤٥ : ٦ / ١٤٠

: ١١ / ٥١ : ٣ / ٥٤ : ٤ / ٥٤ : ٦ / ٥٤ : ٥ / ٧٦ : ٤ / ٥٤

الأعرج الطائى : ت ٧٧٩ : ٧ / ١٣٣

الأعشى ميمون بن قيس : ت ٦٦ : ٢ / ٢١٤ : ٩ / ٩٠ : ١ / ١٨٥

أعشى همدان ، عبد الرحمن أبو المصبح : ٦ / ٧٦ : ٨ / ٧٦

الأعمش ، سليمان بن مهران : ٦ / ٤٢ : ٧ / ٤٢

الياس برشانيا : ت ٣٩ / ٦

امروء القيس بن حجر الكلندي : ٧ / ١٧٩ : ١٤ / ٢٥٣ : ٢ / ٥٦

أم جعفر ، زبيدة = زبيدة .

أم الهيثم الأعرابية ، غنية : ١ / ٩٦

الأمين : ١٦ / ٩٩ : ١٨ / ٦٩

أميمة بن أبي الصلت : ١٥ / ٦٠ : ١٤ / ٥٠

أوجست فيشر = فيشر .

أيوب بن كيسان السختياني : ٧ / ٨٠

(ب)

بابك الخنزيري : ١٢ / ١٢٤

الباخرزى ، على بن الحسن بن على ، أبو على : ٦ / ٥٣ : ٥ / ٥٣

بارت Barth : ت ٥٨ : ٣ / ٢٢٨ : ٢ / ٥٨

- ٢٨٥ -

الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب : ت ٢٤٧ / ٢٤٧

البحترى ، أبو عبادة الوليد بن عبيد : ٤ / ١٤٣ : ٦ / ١٨٢ : ٥ / ٨٩

البخارى ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعنى : ٨ / ٨٧ : ٩٠ / ٢٢٢ : ٤ / ٩٠

١٥ / ٢٣٥ : ٤ / ٢٣٦ : ٩ / ٧٥ : ٧ / ١٦٣ : ٢ / ٢٠٠ : ٦ / ٢٣٤

١ / ٢٤٥ : ٦ / ٢٤٤ : ٤ / ٢٣٦ : ٣ / ٢٣٦

بنخيار البوىهى : ١٠ / ١٨٩

بدر الدين (ناشر ديوان بشار) : ت ٤ / ٦٦

البديع الهمذانى ، أبو الفضل أحمد بن الحسين : ١٩ / ١٧٣ : ٦ / ١٧٥

براؤن Browne : ت ٧ / ٦١

برجشتراسر Bergsträsser : ت ٦ / ٨٦

البردخت ، على بن الخليل : ٨ / ٧٢ : ١٠ / ٩١

برزویه : ٥ / ٦٤

برصومة (زامر الروشيد) : ٩ / ١١٢

بركلاند Berkland : ت ١٥ / ١٠

بروخ Broch : ١٧ / ٧٨

بروكليمان C. Brockelmann : ت ٧ / ٩ : ٦ / ٩٧ : ١١ / ٩٧ : ٦ / ١٠٠ .

٢ / ٢١٧ : ٧ / ١٢٩ : ٦ / ١٢٥

برويتلش Bräunlich : ت ٤ / ٢٠٤ : ٣ / ١٢٦ : ٢ / ٥٣

برويز : ت ٨ / ٢٨

بريتوريوس Praetorius : ٨ / ٩

بريفيه Brevier : ت ٦ / ١٧١ : ٢ / ٣٠

البستانى ، بطرس : ت ٤ / ١٨٢

بسخرة بن بهيودان : ت ٩ / ٣٤

بشر بن غيث المريسى : ١٤ / ١٢٨

بشر بن المعتمر المعتلى : ٨ / ١٠٥

بشر بن المفضل : ١١ / ٦٢

بشار بن برد : ٩ / ٦١ : ٩ / ٦٣ : ٢٣ / ٦٣ : ٢٢ / ٦٥ : ٢٥ / ٦٥ : ٥ / ٦٦

٤ : ٨ / ٦٦ : ١٤ / ٦٦ : ١٦ / ٦٦ : ٤ / ٦٧ : ١٠ / ١٠٦ : ٤ / ٦٧

٩ / ٩٠ ت ٧ / ١٠٩ : ١ / ١٠٧

- ٢٨٦ -

- بشكست النحوى المدنى : ت ١/٧٦  
البطليوسى ، عبد الله بن محمد بن السيد : ت ٥/١٤٠ : ١٠/١٤٠ : ٢/٢٢٠ : ٢/٩٧ : ٢/١٠٣ : ١١/١٠٣  
البقالى (تلميذ الزمخشري) : ت ٧/٢١٩  
بكير بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلنى : ١١/١٥٦  
البكرى ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد : ت ٥/٤١ : ٦/٥١  
٢/٢٥١ : ٩/٢٥٠ : ١٠/٢٤٨ : ١٤/١٧٩ : ١٤/٩٠ : ٢/٨٦  
البلاذرى ، أ Ahmad بن يحيى بن جابر : ت ١١/٢٧  
٤/٢٥ : ٢/٢٥ : ٤/٢٥ : ٣/٢٨ : ٦/٢٨ : ٩/٢٨ : ٧/٣٣ : ٢/٣٤ : ٥/٣٦ : ٥/٣٧  
١٤/١٧٨ : ٩/١١٣ : ٣/٨٦ : ١٠/٣٩ : ٥/٣٧  
بلاشير R. Blachère : ت ١/١٧٦  
بلال بن أبي بودة : ٦/٧٥ : ١/٣٩ : ١/٧٥  
بلال بن رباح الحبشي الصحابي : ٨/٢٣  
البلعمى ، أبو علي محمد البلعمى : ٤/١٧٥  
بهاء الدولة البوهيمى ، أبو نصر بن عضيد الدولة : ١٥/١٨٧  
بهاء الدين العاملى ، محمد بن الحسين : ت ٣/١٧٧  
بيتلجن F. Beathgen : ت ٧/٣٩  
بيدبى (بدبى) : ٨/٦٤  
بيلرسن Pederesen : ت ٢/١٥٨  
البيدق ، محمد الرواية المعروفة بالبيدق : ت ٢/٣١  
بيريس Perés : ت ٤/٥٨  
بيكر C. H. Becker : ت ٥/١٤٤  
البيهقى ، إبراهيم بن محمد : ت ٣/٣٧ : ٤/١٣٥ : ٤/١٣٦ : ٣/١٣٦  
بيغان Bevan : ت ٤/٣٠ : ٥٠/٣٠  
(ت)  
التبريزى = أبو زكريا التبريزى .  
تبغ : ١٤/٢٦

- 18 -

الترمذى ، أبو عيسى محمد بن عيسى : ت ٤/٩٠ ؛ ٩/٩١ ؛ ١/١٢٧  
٤/٢١٧ ؛ ١/٢١٧

٢٣/٢٤٠ : 'Trubetzkoy تروبتزکوی

Thorbecke : توربیکہ ۳/۰۱ : ۱/۲۲۰ : ۱/۲۵۲ :

توري Ch. Torry : ت ۶/۵۴ : ۱۷/۷۶ : ۱۱/۹۰ : ۱/۲۳۲ :

التوزي ، عبد الله بن محمد بن هارون : ١٤/٧١ ؛ ١٥/٧١

(٣)

الشعالي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: ٦/١٨٩ ت ١٧٣٤ / ١٨١٤ م

۸۰۳

ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار : ٧/٥٨ ؛ ١٤٧ / ١٠ ؛ ١٤٧ / ١٣ ؛

٤٨/٥١ : ت : ١١/٢٢٨ : ٦/١٩١ : ٣/١٤٩ : ٢٠/١٤٨ : ١٥/١٤٧

۲۰۱۴/۷/۱۸ + ۲۰۱۴/۷/۱۹ + ۲۰۱۴/۷/۲۰

ثور بن يزيلد = أبو الجاموس .

(c)

الباحث ، أبو عثمان عمرو بن بحر : ١٣/٢٨ ؛ ١٠/٢٩ ؛ ١٣/٢٨ ؛ ١/٣٠ ؛ ٤/٣٠ ؛ ٩/٣٠ ؛  
٤/٣٢ ؛ ١٥/٣٢ ؛ ١٤/٤٠ ؛ ٤/٦٩ ؛ ٢/٦٥ ؛ ١٨/٤١ ؛ ٣/٧٣ ؛ ٤/٧٣ ؛ ١٣/٧٩ ؛ ١٣/١١٥ ؛ ٥/١١٥ ؛  
١٧/١١٩ ؛ ٣/٨٨ ؛ ١٩/٨٧ ؛ ٤/٨٤ ؛ ٧/١٢١ ؛ ١٩/١٢٠ ؛ ١٢/١٢٠ ؛ ١٠/١٢٠ ؛ ١/١٢٠ ؛ ٢٠/١١٩  
٥/١٢٣ ؛ ١١/١٢٢ ؛ ٧/١٢٢ ؛ ١٧/١٢١ ؛ ٩/١٢١ ؛ ٨/١٢١  
١٥/١٢٥ ؛ ١٣/١٢٥ ؛ ٣/١٢٥ ؛ ٦/١٢٤ ؛ ٣/١٢٤ ؛ ١٣/١٢٣  
٣/١٢٨ ؛ ٤/١٢٧ ؛ ١/١٢٧ ؛ ١٣/١٢٦ ؛ ١٠/١٢٦ ؛ ١٧/١٢٥  
١٨/١٧٠ ؛ ٢٦/١٣٩ ؛ ٥/١٣٧ ؛ ٣/١٣٧ ؛ ١/١٣٠ ؛ ١٤/١٢٨  
٦/٢٠ ت : ٨/٢٥٠ ؛ ٧/٢٥٠ ؛ ١٢/٢٤٩ ؛ ٧/٢٤٩ ؛ ٢/٢٤٩  
٤/٢٧ ؛ ٩/٢٦ ؛ ٤/٢٣ ؛ ٣/٢٣ ؛ ١/٢٣ ؛ ٥/٢٣ ؛ ٢/٢٣  
٩/٣٨ ؛ ١/٣٨ ؛ ١١/٣٧ ؛ ٨/٣٧ ؛ ٥/٣٧ ؛ ٥/٣٦ ؛ ٢/٣٦  
٤/٤٣٦ ٢/٤٣ ؛ ١/٤٢ ؛ ٤/٤١ ؛ ١/٤١ ؛ ٧/٤٠ ؛ ٦/٤٠ ؛ ١/٤٠  
٥/٦٦ ؛ ٣/٦٥ ؛ ١٤/٦٢ ؛ ٦/٦٢ ؛ ٢/٥٢ ؛ ٩/٤٥ ؛ ٥/٤٥

- ٢٨٨ -

؛ ٣/٧٥ : ١١/٧٤ : ١/٧٣ : ٨/٧٢ : ٢/٧٢ : ٢/٦٩ : ١٣/٦٦  
 ؛ ٦/٨٠ : ٤/٨٠ : ١١/٧٩ : ٥/٧٨ : ٢/٧٧ : ٩/٧٦ : ٧/٧٥  
 ؛ ١٣/١٠٣ : ٥/٩٤ : ١١/٩١ : ١٠/٨٧ : ٣/٨٦ : ١٥/٨٥ : ٤/٨٣  
 ؛ ٢/١٢٠ : ١/١٢٠ : ٣/١١٥ : ٥/١١١ : ١/١٠٨ : ٢/١٠٥  
 ؛ ٩/١٢٠ : ٨/١٢٠ : ٦/١٢٠ : ٥/١٢٠ : ٤/١٢٠ : ٣/١٢٠  
 ؛ ٥/١٢٢ : ١/١٢٢ : ١١/١٢١ : ٧/١٢١ : ٦/١٢١ : ١/١٢١  
 ؛ ١٨/١٢٢ : ١٧/١٢٢ : ١٤/١٢٢ : ١١/١٢٢ : ٩/١٢٢  
 ؛ ٧/١٢٣ : ٦/١٢٣ : ٥/١٢٣ : ٤/١٢٣ : ٢/١٢٣ : ١/١٢٣  
 ؛ ١٣/١٢٤ : ٥/١٢٤ : ١/١٢٤ : ١٠/١٢٣ : ٩/١٢٣ : ٨/١٢٣  
 ؛ ٨/١٢٥ : ٥/١٢٥ : ٤/١٢٥ : ٣/١٢٥ : ٢/١٢٥ : ١/١٢٥  
 ؛ ٦/١٢٦ : ٥/١٢٦ : ٤/١٢٦ : ١/١٢٦ : ١٠/١٢٥ : ٩/١٢٥  
 ؛ ٤/١٢٨ : ٣/١٢٨ : ١٣/١٢٧ : ١٢/١٢٧ : ٧/١٢٧ : ٥/١٢٧  
 ؛ ٥/٢١٣ : ٨/٢١٣ : ٧/٢٠٤ : ١١/١٩٠ : ٨/١٧١ : ٤/١٣٥  
 ؛ ٧/٢٥٠ : ٢/٢٥٠ : ٦/٢٤٩ : ١٦/٢٤٨ : ٢/٢٤٧ : ٩/٢٤٥  
 ٣/٢٥٥

جابر Geyer : ت ١٦/٨ : ٢/٢٢٨ : ١٠/٩٠ : ١٣/١٠ : ١٠/١٢٣

جبريل بن بختشيوع : ٢/٩٢

جحدر ، أحد لصوص العرب : ١٢/٢٤٥

الجرادتان : ٧/٢٤٦

جراف G. Craf : ت ٥/١١٢ : ٦/١١٣ : ٥/١١٥ : ٥/١١٧ : ٤/١١٧

٥/٢٤٥ : ٣/٢٣٣ : ٢/١٦٩ : ١/١١٨

جرين بن حزم : ١٣/٦٢

جرين بن عبد الله البجلي : ٢٣/١٥٢

جرين بن عطية : ١٢/٣٠ : ٢٠/٣٠ : ٣/٣١ : ٢/٣٦ : ٤/٣٦

٤/٤٥ : ٩/٩١ : ٨/٩٩ : ٢٢/١٣٠ : ٢٠/١٣٠ : ١/١٣١

١/٢٣ : ١/٢٣ : ١/٢٥١ : ١١/١٧١ : ٧/٤٥

جروزت Grünert : ت ١/٥١ : ٢/٨٣ : ٢/١٣٤ : ١/١٣٩ : ١/١٨٤

جعن ، أخت الفرزدق : ٧/٣١ ، ٤/٣١

- ۲۸۹ -

جعفر بن سليمان الهاشمي : ٣/٧٦

جعفر الصادق : ١٤/١٤٤

جعفر بن يحيى بن خالد : ٨ / ١٠٤

جلازر Glaser : ت ۲۱۹ / ۱۳

جلد مایستر : ت ۱/۳۱ Gildemeister

جلستان ، أم بشار بن برد : ت ٨/١٩٠

الجمّاز البصري ، محمد بن عبد الله : ١٣ / ١٣٣

الجمحي ، محمد بن سلام الجمحى = ابن سلام .

جنتاد بن واصل : ١٢/٧١؛ ١٧٢/١

الجهشيارى ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس : ت ١٠٢٦ هـ ١٧٧٤ م

جهم بن خلف : ٨/٢٤٥

الجواليق ، أبو منصور موهوب بن أحمد بن الخضر : ١٠/٢١٩ ، ٨/٢١٩

ت ۱۱/۲۵ ؛ ۲/۰۱ ؛ ۷/۰۱ ؛ ۱۲/۶۶ ؛ ۱/۶۷ ؛ ۱۰/۸۳

4 10/130 6 6/130 6 7/121 6 2/97 6 10/93 6 12/90

0/2-7 : V/120

جورج یاکوب G. Jacob : ت ۶/۳۴

چولد تسیر I. Goldziher : ت ۱۰/۱۶ ; ۱۳/۳۴ ; ۱۰/۴۴

६ २/१७३ ६ ९/१२० ६ ४/१०१ ६ २/८७ ६ ३/८० ६ ७/७८ ६ ७/६६

٤/٢١٣

الجواب الكندي : ١٠/٩٥

الجوهرى ، إسماعيل بن حماد : ١٩/١٦٩ : ٨/٩٨ : ٥/٢٠٣ : ٤/٢٠٥ : ١٦/٢٠٥

ت ۱۶۳ : ۸ / ۲۱۳

(ج)

٦/٢٣٤ ، مصطفى بن عبد الله ، كاتب جلدي : ت ٩/٧٣

الحارث بن كلدة : ١٨/٣٣ ، ٢٢/٣٣ ، ١/٣٤

حرثة بن الحجاج = أبو دواد الإيادي .

الحاكم الأصغر : ٩/٨٧

جابة ، قينة بن عبد الملك : ٩/٢٤٦

(١٩) - العربية

- ٢٩٠ -

حبيب بن أوس الطائى = أبو تمام .

الحجاج بن يوسف الثقفى : ١٩/٢٠ ؛ ٤/٣٨ ؛ ٣/٣٨ ؛ ١/٣٨ ؛ ١٥/٣٨

١٤/٥١ ؛ ٢/٣٨ ؛ ٩/٢٤٨ ؛ ٤/١٢٧ ؛ ١٥/٨٩ ؛ ٦/٤١

حرب : ١٦/١٢٣

الحريرى ، أبو محمد القاسم بن على : ١٨/١١١ ؛ ٣/١٩١ ؛ ٤/١٧/٢١٣

٦/٢٢٠ ؛ ١٢/٢٢٠ ؛ ١٧/٢٢١ ؛ ١٣/٢٢١ ؛ ١/٢٢١

٤/١٠/٢٢٣ ؛ ٢١/٢٢٢ ؛ ١٨/٢٢٢ ؛ ١٤/٢٢٢

٤/١٣/٢٢٥ ؛ ١١/٢٢٥ ؛ ٤/٢٢٥ ؛ ٢٠/٢٢٣ ؛ ١٤/٢٢٣

٤/٧/٢٢٨ ؛ ١٦/٢٢٧ ؛ ٧/٢٢٧ ؛ ٢٠/٢٢٦ ؛ ١٦/٢٢٦

٤/١٩/٢٢٥ ؛ ٦/٢٢٣٠ ؛ ٣/٢٣٠ ؛ ١٧/٢٢٩ ؛ ١٩/٢٢٨

٤/١١/٢٢٨ ؛ ٤/١٣٠ ؛ ٧/٢٣٤ ؛ ١/٢٣١ ؛ ٢٤/٢٣٠

٤/٤/١٣٠ ؛ ١٢/٢٣٤ ؛ ١/٢٣١ ؛ ت : ت

٤/٣/١٨٠ ؛ ٤/١٠٦ ؛ ٩/٥٣

٨/٢٢٠ ؛ ٦/٢٢٠

حسان بن أبي حسان النبطى : ٧/٤٣

الحسن بن أحمد بن عبد الغفار = أبو علي الفارسى .

الحسن بن أحمد بن يعقوب ، أبو محمد الهمданى = الهمدانى .

حسين بن الحر : ت ٤/٨٦

الحسن بن عبد الله البصري : ٤/٤١ ؛ ت ١٠/٢٦

الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري = أبو هلال العسكري .

الحسن بن هانئ = أبو نواس .

الحسين بن وهب الكاتب : ٩/١٣٤

الحسين بن أحمد أبو عبد الله بن خالويه = ابن خالويه .

حسين بن الأصرم : ١٠/٩٥

حسين تورال : ت ٦/١١١

الخطيشة ، جرول بن أوس : ت ١/٢٤٣

حفص الأموي : ٣/١٢٩

حفص بن أبي ودّة : ٤/٧٢ ؛ ٥/٧٢

حفص بن عمر الحوضى : ٦/٨٧

حفى شرف : ٣/١٥٠

- ٢٩١ -

الحكم بن أبي العاص : ٦/٩١

الحكم بن عبد الأسدى : ١/٢٥٥

حمد الرواية ، أبو ليلى بن ميسرة أو ابن سابور : ٤٢٠/٧٠ ، ٤١٧/٧٠  
٤٢/٧٢ ، ٤١٢/٧١ ، ٤٩/٧١ ، ٤٥/٧١ ، ٤٤/٧١ ، ٤١/٧١  
٤٨/٧١ ، ٤٥/٧١ ، ٤٩/٨١ ت ٤/٧٢

حمد بن سلمة البصري : ٢/٨١

حمد عجرد بن يحيى ، أبو عمرو بن نبوي : ٧/٧٢

حزة بن ييض : ت ١٢/٣٩

حزة بن الحسن الأصفهانى : ت ١٢/١١٣ ، ٤٧/١٧٨ ، ٤١٢/١١٣  
٤٥/٢٤٩

(خ)

خارجة بن مصعب : ت ٧/٧٩

الحارزنجي ، أحمد بن محمد البشتي : ١/١٧٠

خالد بن الحارث المحدث : ١١/٦٢

خالد بن صفوان : ٣/٧٥

خالد بن عبد الله القسري : ٤٦/٤٠ ، ٤٩٠/٤٠ ، ٤١٢/٤٠ ، ٤١٥/٤٠  
ت ٤/٤٧ ، ٣/٤٧

خالد بن يزيد (خاليوه البصري) : ٩/١٢٤

الحالدى : ٧/٢٤٤

خشينشار : ١٦/٩١

الخطيب البغدادى ، أبو بكر أحمد بن على بن ثابت : ٤١٩/٧٣ ، ٤١٩/٧٤  
ت ٤١٠/٧٣

الخفاجى ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصرى : ١/٢٣١ ت ١٠/٣٧

٤١٠/٦٨ ، ٤١٠/٦٧ ، ٤٢/١٣١ ، ٤١٠/١٢٩ ، ٤١٤/١١٣ ، ٤١٠/٨٣

٤٣/٢٢٤ ، ٤١/٢٢٣ ، ٤٢/٢٢٠ ، ٤٩/١٧٧ ، ٤٤/١٧٧

٤٥/٢٣١ ، ٤٤/٢٣١ ، ٤٣/٢٣١ ، ٤٢/٢٢٩ ، ٤١/٢٢٨ ، ٤٣/٢٢٦ ، ٤١/٢٢٦

خلف الأحر : ٤/٧٧ ت ٣/٧٧

الخليل بن أحمد : ت ١/٦٣ ، ٤٣/٢٢

- ٢٩٢ -

خليل بن أبيك الصفدي = الصفدي .  
الخوارزمي ، محمد بن أحمد بن يوسف ، أبو علي (صاحب مفاتيح العلوم) :  
ت ١/٢٢

الخوارزمي ، محمد بن العباس أبو بكر = أبو بكر الخوارزمي .  
خواستي (جد أبي شيبة قاضي واسط) : ت ٩/٧٤  
الخطاط ، عبد الرحمن بن محمد بن عثمان : ت ٣/١٠٥

(د)

الدارمي ، علي بن عمرو : ت ٤/٢٤٦ .  
الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد = أبو عمرو الداني .  
دكين الراجز : ت ١٢/١٧١

الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى : ت ١٠/٣١ ؛ ١٠/٣٧ ؛ ٢/٥٢ ؛ ١/٣٧ ؛ ١٠/٣١ ؛ ٢/٥٢ ؛ ١/١٢٣ ؛ ١٠/١٢٣ ؛ ٦/١٧٢ ؛ ٥/١٨٤ ؛ ٢/٢٤٥ ؛ ٢/٢٠٥ ؛ ٥/١٨٤

دوزی Dozy: ت ٢/٤٨٨ ؛ ٦/١٢٦ ؛ ١٥/٧٨ ؛ ٤/١٥٧ ؛ ٤/٢٠٥ ؛ ١/٢٠٥ ؛ ٦/١٨٧ ؛ ٢/١٦٨ (Diet) Dietrici : ت ٣/٨

ديتریش Dietrich : ت ١/١٣٣ ؛ ١/١٨١ ؛ ١١/٨١ ؛ ٤/٥٠ : Derenbourg

٢/٢٢

دى غوچه De Goje : ت ٢/٢١٢ ؛ ٧/٢٠٥ ؛ ٧/٢٧ ؛ ١٥/٢١١ ؛ ٧/٢٠٥ ؛ ٢/١٠٢ : ٣/١٦١  
٤/١٩٨ ؛ ١٤/١٧٨ ؛ ١/١٩٨ ؛ ٢/١٩٩ ؛ ٧/٢٠٤ ؛ ٧/٢٠٢ ؛ ٧/٢٠٣ ؛ ١/٢٠٦

ديك الجن ، عبد السلام بن رغبان : ت ٧/١٤٤  
ديلم : ٧/٢٨  
الدينوري : ت ٦/١١٦

(ذ)

الذهبی ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : ت ٥/٤٢ ؛ ٦/٤٢ ؛ ١٢/٨٦ ؛ ٦/٧٧

ذو الإصبع العدواني ، حرثان بن الحارث : ت ٨/٩٩

- ٢٩٣ -

ذو الرمة ، غيلان بن عقبة : ت ١٤/٤٩ ; ٤/٥٢ ; ١٢/٥٢ ; ٨/٥٣  
 ١٥/٥٣ ; ٢/٥٤ ; ١٢/٥٢ ; ٧/٥٢ ت ٢/٢٤٧ ; ٤/٥٤ ; ٢/٥٤  
 ١/٢٤٧ ; ٥/٢٠٢ ; ٤/٦٧

(ر)

الراعي التميري الشاعر : ت ٩/١٧٧

رايت Wright : ت ٣/٢٤٣ ; ٥/١٤٧ ; ٢/٧٩

راينهارت Reinhardt : ت ٢/١١٣

رباب : ١٧/١٠٦

ربيعة الرأى بن أبي عبد الرحمن ، أبو عثمان : ١٥/٧٧

رسم : ٦/٢٨ ت ٤/٢٨

الرشك ، يزيد بن أبي يزيد : ١٢/٩١

الرشيد ، هارون = هارون الرشيد

رغيب بن قيس العنبرى : ت ٩/١١٢

رقبة بن مصقلة : ت ١٥/٧٤

ركندورف Reckendorf : ت ١٢/٤٣ ; ١١/٥٦ ; ٦/٦٨ ; ١١/٥٦ ; ٦/٨١

٢/٢١٤ ; ٤/١٧٦ ; ١٥/١١٦

الرماح بن أبود = ابن ميادة .

الرمادى : ت ٣/١٢٢

رمضان عبد التواب : ١٦/٤

رؤبة بن العجاج : ٤/٣٩ ; ١٩/٣٨ ; ٤/٤٠ ; ٦/٤١ ; ١/٤٠ ; ٤/٤٧ ; ١٧/٤١

٤/٤٧ ; ١١/٤٧ ; ٦/٤٧ ; ٣/١٨١ ; ٦/١٧٧ ; ٤/١٧٧

٦/٢٠٢ ; ١٩/١٢٢ ; ١٦/٤٧

رودو كاناكيس Rhodokanakis : ١٦/٥٧ ت ١٣/٥٧

رياح بن سنبح ، أورياح بن سنبح : ١٧/٤٥

ريتر H, Ritter : ت ١/٢١٨

ريشر O. Rescher : ت ١/١٣٠ ; ١٠/١٦٣ ; ٤/١٨٢

- ٢٩٤ -

(ز)

- زامباور Zambaur : ت ١٦/٢٦ ; ٣/١٣٥ ; ٥/٧٦ ; ٢/٦٦ ; ٢/٢٥٥ ; ٣/١٣٥ ; ٥/٩٤ ; ٥/٩٤  
زبيدة ، أم جعفر : ٦/٩٤ ; ٥/٩٤  
الزبير بن العوام : ت ٩/٨٨  
الرجاج النحوي ، إبراهيم بن السرى : ١٣/١١٣  
الزجاجي النحوي ، عبد الرحمن بن إسحاق : ت ١٢/٢٣٥ ; ٦/٣٨ ; ١/٣٨  
الزرقاني ، محمد بن عبد الباقى : ت ٦/٢٤٤ ; ٣/٢٣٦ ; ٥/٢٣٦  
الزفيان : ت ١٣/٥١ ; ١٣/٨٥ ; ٣/٨٠  
ذر بن حبيش : ١٠/٨٦  
زياد بن أبي حسان النبطي : ٧/٤٣  
زياد بن أبيه : ٤/١٣٤ ; ٧/٢١٩ ; ٣/٢٤٥ ; ٤/٢٤٣ ; ٦/٢٤٧ ; ١٠/٢٤٧  
زياد بن سلمة الأعجم : ١٦/٦٠ ; ٣/٤٤ ; ٩/٤٣ ; ٩/٤٣ ; ١٢/٤٣  
زياد بن معاوية ، أبو أمامة النابغة الذهبيانى = النابغة الذهبيانى .  
زيد الخيل الطائى : ت ٦/٨٩  
زيد بن على : ت ٨/٤٤ ; ١٧/٤١  
(سن)  
سالم بن محمد بن أبي بكر : ٧/٣٥  
سبّخت = أبو عبيدة عمر بن المشنى .  
سليم عبد بنى الحسحاس : ت ١١/٢٣ ; ٧/٩٩  
سقاو E.Sachau : ت ٦/٢٥ ; ١٠/٢٥ ; ١٠/١١٣ ; ١٠/٢١٩  
سرقة الباهلى : ت ١/٦٧  
سرجويه الطيب : ٢/٩١

- ٢٩٥ -

سعد بن أبي وقاص : ت ٥/٢٨

سعد بن عبادة : ١٢/٢٥٠

سعد بن معاذ : ١٢/٢٥٠

سعید بن أوس بن ثابت = أبو زيد الأنباري .

سعید بن جبیر : ٥/٤٢

سعید بن سلم بن قتيبة : ٢٤/٩٨

سعید بن عبد العزیز التنوخي الدمشقي : ١/٨١

سعید بن مساعدة المخاشعی = الأخفش الأوسط .

السفاح ، أبو العباس عبد الله بن محمد : ٤/٧٥ ؛ ٤/٩٣

سفیان بن عیینة : ٣/٨٢ ؛ ٦/٨٢ ؛ ٦/١٠٧

سفیح بن ریاح : ت ١١/٤٥

السکری ، أبو سعید الحسن بن الحسین : ت ٥/٨٩

سکوس B. Skoss : ت ٥/١١٢

سلامة ، قینة یزید بن عبد الملک : ١٠/٢٤٦

سلم بن عمرو الخاسر : ٩/١٠٦ ؛ ٩/١٠٦

سلم بن قتيبة الباهلي : ٣/٦٦

سلیمان بن سلیم بن کیسان الکابی : ١٤/٤٤ ؛ ١٣/٤٤

سلیمان بن عبد الله بن طاهر : ١٦/١٤٧

سلیمان بن عبد الملک : ٧/٣٧

سلیمان بن علی : ١/٦٤

سلیمان بن مهران الأعمش = الأعمش .

سلیمی : ٢٠/١٢٨

السمتی ، یوسف بن خالد الیثی السمتی الحنفی (صاحب أبي حنيفة) :

ت ١١/٩٥

السمعانی ، عبد الکریم بن محمد بن منصور : ت ٩/٨٣ ؛ ٩/٢١٩

سمیة : ٨/٣٤ ؛ ١٧/٣٣

السندوی : ت ٢/٥٦

سنیح بن ریاح : ١٨/٤٥ ت ١٠/٤٥

- ٢٩٦ -

سهل بن محمد أبو حاتم السجستاني = أبو حاتم السجستاني .

سهل بن هارون : ٨/١٢٨

سوار بن المضرب : ت ١٥/٢٤٥

سويد بن عمرو بن سلسلة الطائى : ت ٣/١٣٣

سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قبر : ٤/٦٦١ ؛ ٢/٦٠ ؛ ٢٤/٥٩ ؛ ١٣/٢٢  
٤/٧/٨١ ؛ ١١/٧٨ ؛ ٣/٧٤ ؛ ١٧/٧٠ ؛ ١٦/٦١ ؛ ١٢/٦١ ؛ ٩/٦١  
٤/٤٢٢ ؛ ٩/١٠ ؛ ١٢/٢٣٥ ؛ ١٧/٢٢٦ ؛ ٥/١٧٩ ؛ ٥/١٣٤  
٤/١٢/٨١ ؛ ١٢/٥٦ ؛ ٧/٥٠ ؛ ٢/٦٠ ؛ ١/٦٣ ؛ ٣/٦٠ ؛ ١/٦٣  
٤/٥/٢٣٥ ؛ ١/١٣٣ ؛ ١/٩٥ ؛ ١٢/٩٠

السيد الحميري ، إسماعيل بن محمد بن يزيد : ٨/١٠١

السيرافى ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان : ت ٤/٦٩ ، ٢/٤١  
٤/٦٩ ؛ ٦/٩٤ ؛ ٤/٩٤ ؛ ٦/٦٩  
٧/٩٤ ؛ ١٥/٧١ ؛ ٤/١٧٥

سيف الدولة ، علي بن عبد الله بن حمدان : ٤/١٧٥ ، ١٥/١٨٢

سليجزون Seligsohn : ت ١٠/٨٨

سيمون Simon : ت ٤/٣٢

السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان : ٨/٨٨ ت ٢٠/١١١  
٣/٢٤٧ ؛ ٩/٨٦ ؛ ٩/٨٥  
٣/١٥٢ ؛ ٣/١٥٢ ؛ ٢/١٦٧ ؛ ٤/١٢٣ ؛ ١/٢٤٥ ؛ ١١/٢٤٥

(ش)

الشار : ٥/١٧٥

شبتا بك Spitta Bey : ت ٨/٨٣ ؛ ٤/١١٦ ؛ ١/٢١٤ ؛ ٤/١١٦

شبيب بن البرصاء : ت ٦/١٣٤

شبيب بن شيبة : ٩/٧٥ ؛ ٤/٧٥ ؛ ١/٧٥

شيتالر A. Spitaler : ٤/٢٧٦ ؛ ١٢/٢٣ ؛ ٣/١٩  
٤/٢٧٦ ؛ ١٠/٣ ؛ ٦/٤ ؛ ٢/٥ ؛ ٦/٤  
٤/١٤/٩٠ ؛ ١٥/٧٦ ؛ ٥/٦٧ ؛ ٦/٥٣ ؛ ١/٥٣  
٤/١١/٣١ ؛ ٨/٢٩  
٤/٧/١٣٣ ؛ ٤/١٣٣ ؛ ١٦/١٢٧ ؛ ٧/١٢٥  
٤/١١/١١٦ ؛ ١١/١١٦  
٤/٥/١٩٢ ؛ ٤/١٨٤ ؛ ٥/١٨١ ؛ ١٤/١٧١  
٤/٣/١٦٨ ؛ ٦/١٤٧

- ٢٩٧ -

٤ ٢/٢٢٣ ٤ ٤/٢٢٢ ٤ ٢/٢١٨ ٤ ٤/٢١٧ ٤ ٢/٢١٤ ٤ ٢/٢١٢  
١٦/٢٤٥ ٤ ٤/٢٤٤

شيبيلبرج : Spiegelberg ت/٣٢  
شرنجر : Springer ت ١٠/١٨٧  
شتراك : Strack ت ٣/٢٠٦

شرف الدين ، الملك العظم : ١٧/٧٣ ٤ ١٧/٧٤ ٤ ١٧/٧٥

الشريف الرضي ، محمد بن الحسين بن موسى : ت ٨/١٨٨ ٤ ٥/١٢٧ ٤ ٤/١٢٧

الشريف المرتضي ، علي بن الحسين بن موسى : ت ١١/١٨٧ ٤ ٤/٢٤٧

٢/٢٥١ ٤ ٩/٢٥٠ ٤ ٣/٢٤٩ ٤ ١٤/٢٤٨

شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم : ت ١٣/٨٥ ٤ ٨/١٢٢

الشعبي ، عامر بن شراحيل الحميري الكوف : ١٤/٩٤ ٤ ١/٨٠

شليفر J. Schleifer : ت ٣/١٦٣

الشتمري ، أبو الحجاج الأعلم يوسف بن سليمان : ت ١/٤٦

الشهاب الخفاجي ، أحمد بن محمد بن عمر = الخفاجي .

شهاب الدين ، محمد بن إسماعيل (صاحب سفينة الملك) : ت ١/١٠٤

شوخارت Schuchardt : ت ٢/٣٠

شوشي (صاحب عبد الله بن خالد الأموي) : ٦/١٢٢

شوكر : ت ٦/٧٧ ٤ ٥/٧٧

الشوكرى : ت ٤/٧٧

شيخ بن رياح : ت ٩/٤٥

شيرويه : ١٣/٢٥ ٤ ١٢/٢٥ ٤ ١٤/٢٥

(ص)

الصاحب بن عباد : ٢٢/١٥٧ ٤ ٣/١٧١ ٤ ١/١٧١ ٤ ٢٢/١٧٠ ٤ ٣/١٧١ ٤ ١/١٧١

٤ ٣/١٧٣ ٤ ٣/١٧٣ ٤ ١٤/١٨١ ٤ ١٢/١٨١ ٤ ١١/١٨١ ٤ ٥/١٧٥ ٤ ٢٠/١٧٣

٤ ٤ ١٠/١٨٣ ٤ ٢١/١٨٢ ٤ ٩/١٨٢ ٤ ٦/١٨٢ ٤ ١٩/١٨٢ ٤ ١/١٨٢

٤ ٤ ٣/١٧٩ ٤ ٩/١٧٢ ٤ ٤/١٧١ ٤ ٣/١٧٠ ٤ ٥/١٤٣ ٤ ٦/١٨٤

٤ ١/١٨٢

الصاوي (ناشر ديوان الفرزدق) : ت ٨/٥٦ ٤ ٣/٥٦ ٤ ٣/٤٦

- ٢٩٨ -

صبيح بن رباح : ١٨/٤٥ .  
صخر بن حرب = أبو سفيان .

صلديقي A. Siddiqi : ت ٢٩ / ٦ / ٢٤٣ : ٣ / ١٢٤ : ٨ / ٢٠٣ .

صفاء خلوصى : ت ٨ / ١٨٥ .

الصفدى ، خليل بن أبيك : ٤ / ١٧٧ : ٦ / ١٧٧ .

صلاح الدين الأيوبي ، يوسف بن أبوب : ١٤ / ٢٣٧ .

صالحانى : بـ ٤ / ٤٥ .

ضهير بن سنان الصحابي : ٩ / ٢٣ : ٣ / ٢٣ .

الصولى ، أبو بكر محمد بن يحيى = أبو بكر الصولى .

( ط )

طالب الحق الخارجى : ت ٢ / ٧٦ .

طاهر بن الحسين : ٤ / ١٤٦ : ٨ / ١٤٦ : ١٠ / ١٤٦ .

طه محسن : ت ٨ / ١١١ .

طاوس بن كيسان ، أبو عبد الرحمن : ٥ / ٤٢ .

الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير : ت ٢٧ : ١ / ٣٩ : ٥ / ٤٧ : ٨ / ٤٤ : ٤ / ٤٧ .

٤ / ١٥٦ : ١ / ١٤٦ : ١ / ١٢١ .

طرفة بن العبد : ٦ / ٨٨ .

الطرماح بن حكيم : ٣ / ٤٧ : ٦ / ٤٧ : ١٠ / ٤٧ : ١ / ٤٨ : ٤ : ٢٢ / ٤٨ .

١٦ / ٤٧ : ٥ / ٥١ : ٦ / ٥١ : ١٦ / ٦٠ : ١٤ / ٩٦ : ١٥ / ٢٥١ : ١١ / ٤٧ .

طفيل الغنوى : ت ١١ / ٤٧ .

الطوسي : ت ١٠ / ١٨٧ .

الطيالسى ، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الفارسى : ت ١١ / ٦٦ .

طيفور بن عيسى بن آدم = أبو يزيد البسطامى .

( ع )

عامر بن شراحيل = الشعبي .

عامر بن طفيل : ٢٢ / ٦٧ .

عاشرة بنت طليحة : ١٥ / ٨٣ .

- ٢٩٩ -

- عبد بن زياد : ١/٢٧ ت ٥/٢٦  
عبادة بن ماء السماء : ٢٠/١٩٣ ، ٢٣/١٩٥  
العباس بن الأحنف : ٧/١٠٩  
العباس بن عبد المطلب : ٩/٦٣  
العباس بن الفرج = أبو الفضل الرياشي .  
عبد الأعلى بن عبد الأعلى السائى البصري : ٥/٨٤  
عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد العيشى : ١٦/٨٣  
عبد الرحمن بن عنبسة : ٣/٥٠
- عبد الرحمن بن عيسى الهمذانى : ٢١/١٥٧ ، ١٣/١٥٧ ، ١٠/١٥٦ ، ٤/١٥٦ ، ٢١/١٥٧  
١/١٥٨ ، ٣/١٥٦ ، ٢/١٥٦ ، ٧/١٥٨ ، ١٢/١٥٩  
عبد الرحمن بن محمد بن عبيدة الله = أبو البركات بن الأنبارى .  
عبد الرحمن بن محمد بن عثمان ، جلال الدين السيوطي = السيوطي .  
عبد السلام هارون : ت ٤/٢١٨  
عبد الصمد بن المعذل : ١٥/١٣٣  
عبد العزى بن عبد المطلب = أبو طه .  
عبد الكريم الدجيلى : ت ٤/١٨٧  
عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمى النحوى = ابن أبي إسحاق .  
عبد الله بن أبي عوف الخزاعى : ت ٨/٣١  
عبد الله بن أحمد = ابن الخشاب البغدادى .  
عبد الله بن أحمد بن محمد بن غلاب الباهلى = غلام خليل .  
عبد الله بن إدريس الأودى الكوفى : ١٢/٨١  
عبد الله بن إسماعيل = ابن زينب المراكبى .  
عبد الله بن برى بن عبد الجبار المصرى = ابن برى .  
عبد الله بن الحارث السهمى ، المعروف بالمبرق : ت ١٢/٥١  
عبد الله بن خالد الأموى : ٦/١٢٢  
عبد الله بن الزبير : ١٧/٨٩  
عبد الله بن سخيرة ، أبو معمر = أبو معمر .  
عبد الله بن طاهر : ١٢/١٤٦ ، ١٢/١٤٧

- ٣٠٠ -

- عبد الله بن عباس : ٢/٢٢٥ ت ٦/٢١٧  
عبد الله بن عبد الرحمن الإصفهانى ، أبو القاسم : ١٤/١٨٧  
عبد الله بن عتيق : ١٣/١١٠  
عبد الله بن عمر : ١٧/٤٢  
عبد الله بن محمد الأموي الأسپاني : ١٤/١٩٣  
عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى = البطليوسى .  
عبد الله بن مسعود : ٥/٨٦ ؛ ٨/٨٦  
عبد الله بن قتيبة = ابن قتيبة الدينورى .  
عبد الله بن مسلم المذلى : ٦/١٠٠  
عبد الله بن المقفع = ابن المقفع .  
عبد الله بن يحيى أبو محمد بن كناسة = ابن كناسة .  
عبد الملك بن بشر بن مروان (والى البصرة) : ٢/٢٥٥  
عبد الملك بن قریب = الأصمی .  
عبد الملك بن مروان : ت ٧/١٣٤  
عبد الملك بن هشام = ابن هشام .  
عبد مناف : ١٣/٣٥  
عبد الوارث بن سعید : ٣/٨١  
عبد الوهاب الثقفى : ٥/٩١  
عبيد بن الأبرص : ت ١/٥٣  
عبيد بن أيوب ، أحد لصوص العرب : ٤/٢٤٧  
عبيد الله بن أبي طاهر : ت ١٩/١٩٠  
عبيد الله بن أحمد ، أبو القاسم بن خرداذة = ابن خرداذة .  
عبيد الله بن زياد : ١٢/٢٥ ؛ ١٢/٢٧ ؛ ١/٢٦ ؛ ٥/٢٦ ؛ ٣/٢٧ ؛ ١١/٢٦  
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : ١٩/١٤٧ ؛ ٨/١٤٥  
عبيد الله بن قيس الرقيات : ١٤/٥٧  
عبيد الله بن محمد العيشى : ١٥/٨٣  
عتبان بن وصيلة = أبو المنھال .  
عتبة بن غزوان : ٢/٣٤

- ٣٠١ -

عثمان بن أبي العاص الثقفي : ١٦/٣٤

عثمان بن جنى ، أبو الفتح = ابن جنى .

عثمان بن عفان : ٣/٢٥١

العجاج الراجز : ١١/١٠٠ ت ١٤/٥١ ; ١٢/١٧٩ ; ١٢/١٨٥

العجلى (صاحب كتاب الجرح والتعديل) : ت ٨/٨٠

العديل بن الفرج العجلى : ١٤/٨٩ ، ت ١٣/٥١

على بن زيد : ١٢/٦٠

عروة بن الورد : ت ٥/١٧٢

عرب الخادم : ١/٢٠٦

العسکرى ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل = أبو هلال العسکرى .

عبد الدولة ، أبو شجاع فناخسر و : ٥/١٧٥ ; ٧/١٨٨

عقبة بن رؤبة : ٦/٦٦

العقيلي : ت ٤/٢٣٤

العکبرى ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين البغدادى : ت ٢/١٦٨ ; ٩/١٧٨

٦/١٩٠ ; ٤/١٧٩ ; ١/١٧٩

العلاء بن هلال : ت ١٣/٨٦

على بن أبي زيد الفصيحي = الفصيحي .

على بن أبي طالب : ٢١/٢١ ; ٦/٣٥

على بن أحمد بن محمد الواحدى = الواحدى .

على بن بسام أبو الحسن = ابن بسام .

على بن الجهم : ١١/١٢٩

على بن الحسين بن على البخارزى = البخارزى .

على بن الحسين الإصفهانى ، أبو الفرج = أبو الفرج الإصفهانى .

على بن الحسين بن موسى = الشريف المرتضى .

على بن حمزه أبو الحسن الكسائى = الكسائى .

على بن الخليل = البردخت .

على زين العابدين : ٦/٣٥

على بن سليمان (شارح سفر التكوان) : ت ٥/١١٢

- ٣٠٢ -

علي بن سليمان الأخفش = الأخفش الأصغر .

علي القارى بن سليمان الفاسى : ١١٢ / ١١٧ ، ١٤ / ١١٧ ، ١ / ١١٢ .

علي بن العباس بن جريج = ابن الرومي .

علي بن عبد الله بن حдан = سيف الدولة .

علي بن محمد الحنفى العلوى : ١٤٤ / ١٣ ، ١٤٤ / ١٦ .

علي بن محمد بن خروف النحوى = ابن خروف .

علي بن محمد بن العباس التوحيدى = أبو حيان التوحيدى .

علي بن محمد بن عبد الله المدائنى = المدائنى .

علي بن محمد الإسکافى ، أبو القاسم = الإسکافى .

علي بن يحيى المنجم = ابن المنجم .

عمر الكلبى : ١٦ / ١٦٨

عمر الكلبى : ت ٣ / ١٦٨

عمارة بن عقيل : ٢٠ / ١٣٠

العافى ، محمد بن ذؤيب : ١٠١ / ١٣

حمر بن أبي ربيعة : ٥٤ / ١٧

عمر بن الخطاب : ١٩ / ١٩ ، ١٢ / ١٩ ، ٨ / ٣٥ ، ٨ / ٨٥ ، ١١ / ٨٦ ، ٤ / ٨٦ ، ١٩ / ٢٣٣ ، ٤ ، ١٩ ،

١ / ٢٤٨

عمر بن شبة : ت ٧٧ / ٥

عمر بن عبد العزيز : ٣٧ / ١٣ ، ٤ / ٨٦

عمر بن عبد الملك ، أبو النضير الشاعر = أبو النضير .

عمر بن هبيرة : ٣٨ / ١٥

عمرو بن الأهم : ت ٧٥ / ٤

عمرو بن شراحيل ، أو شرحبيل الصحابي = أبو ميسرة .

عمرو بن عبيد : ٦٧ / ١٣ ، ٦٨ / ٣ ، ٦٧ / ٢٠ ، ٨٨ / ١ ، ٦٨ / ٣ ، ١٥٤ / ٥ .

عمرو بن عثمان بن قنبر = سيبويه .

عمرو بن مسلم ، أخو قتيبة بن مسلم : ٣٧ / ١١

عنبرة بن معدان : ت ٥٦ / ٧

عنترة : ٩٥ / ٩٠ ، ت ٩٠ / ١٤

- ٤٠٣ -

عوانة ، أبو الحكم بن الحكم بن عياض الكلبي : ت ٣/٣٨

عوف بن الأحوص : ت ٨/١٣٤

عويم بن مالك = أبو الدرداء .

عيسى بن عمر الشقفي : ت ١٣/١٢٧

عيسى بن يزيد بن دأب : ٦/٧٧ ؛ ٥/٧٦ ؛ ١/٧٧

عيسى (بدلاً من عائشة) : ١٢/٨٣

العيسى : ١٤/٨٣

العنى ، محمود بن أحمد العتاي الحنفي : ت ١٧/٥١ ؛ ٦/٧٣ ؛ ٥/١٦٣

(غ)

الغزالى ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد = أبو حامد الغزالى .

غلام خليل ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن غلاب الباهلى : ٨/٨٧

غنية ، أم الهيثم الأعرابية = أم الهيثم .

غيلان بن عقبة = ذو الرمة .

(ف)

القاسى ، أبو عمران موسى بن عيسى : ت ٥/١١٣

فان فلوتن Van Vloten : ت ٤/٤٥ ؛ ٩/٤٥ ؛ ٦/٤٥ ؛ ٩/١٢١ ؛ ٨/٦٢ ؛ ٩/٤٥

٥/٢١٣ ؛ ٢/١٣٧ ؛ ١/١٢٨ ؛ ١٢/١٢٤ ؛ ٧/١٢٤

فایل G. Weil : ت ٣/٢٣٥

الفتح بن خاقان : ١٨/١٣٦ ؛ ٧/١٣٧ ت ٥/١٣٧

الفراء ، يحيى بن زياد أبو زكريا : ١٤/٩٣ ؛ ٢١/٩٣ ؛ ١٢/١٤٧ ؛ ٤

١/١٣ ؛ ٤٢٧/١٦ ؛ ٢١/١٦ ؛ ١٧/١٦ ؛ ١٥/١٦ ت ١٣/١٤٧

فران G. Ferrand : ت ٥/٢٥

فرايتاباج Freitag : ت ٩/٨٩ ؛ ٩/١٠٠ ؛ ٩/١٠٠

٤/٤٣١ ؛ ٤/٣٠ ؛ ١٢/٣٠ ؛ ١٩/٣٠ ؛ ٤/٣٠ ؛ ٢٠/٣٠ ؛ ٤

٤/٩٩٥ ؛ ٤/٥٦ ؛ ١٠/٥٢ ؛ ١٦/٤٦ ؛ ١٠/٤٦

٤/٣/٤٦ ؛ ٤/٣٩٥ ؛ ٤/٧/٩٩ ؛ ٤/٣/٩٥ ؛ ٤/٧/٥٦ ؛ ٤/٦/٥٦ ؛ ٤/١/٢٣ ؛ ٤/٢/٢٠٣ ؛ ٤/١/١٣١

٤/١/٢٥١ ؛ ٣/١٢١ ؛ ٤/١٠/١٠٣

فرنكل Fraenkel : ت ٥/٢٠٤ ؛ ٤/٢٠٤ ؛ ٤/١/٢٠٣

- ٣٠٤ -

- فرييدلندر Friedländer : ت ١/١١٣  
 فستنفلد Wüstenfeld : ت ٢/٥٠ ؛ ٥/٦٠ ؛ ٢/١٠٨ ؛ ٥/٦٠ ؛ ٢/٥٠  
 فسخراء ، جد أبي صفرة : ت ١١/٣٤  
 الفصيحي ، علي بن أبي زيد : ت ٤/٢١٩ ؛ ٣/٢١٩  
 الفضل بن الحباب = أبو خليفة الجمحي .  
 الفضل الرقاشى : ت ٣/٧٨  
 الفضل بن سهل ، ذو الرياستين : ١/٩٢  
 الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي هب : ١٢/٣٥  
 الفضل بن محمد القصباني النحوى : ١٤/٢٢٠  
 الفضل بن مروان الكاتب وزير المعتصم : ٢/١٣٦ ؛ ١٨/١٣٥  
 فلك Fück : J. Fück  
 فلهاؤزن J. Wellhausen : ت ٥/١٩ ؛ ٤/٢٦ ؛ ٦/٢٦ ؛ ٤/٣٣ ؛ ٤/٣٤  
 فليشر Fleischer : ت ٦/٥٧ ؛ ٣/١١٧ ؛ ١٣/٨١ ؛ ٦/١٧٨ ؛ ٥/١٧٧  
 فنسنث Wensinck : ت ٥/٩٠ ؛ ٤/٢١٧ ؛ ٢/٢٠٠ ؛ ٤/١٢٧ ؛ ٣/١٠٨ ؛ ٥/٩٠  
 فولлерز K. Vollers : ت ٤/٧ ؛ ٤/١٦ ؛ ١٠/٨ ؛ ٤/٢٨  
 فون كريمر Von Krämer : ت ٣/٢٢٢  
 فيت G. Wiet : ٤/٣٢  
 فير H. Wehr : ت ٢/٢١٤  
 فيشر A. Fischer : ت ١٠/٦  
 ٤/٧/٦١ ؛ ١٢/٥٦ ؛ ٢/٥٣ ؛ ٣/٥٢ ؛ ٢/٨ ت ١٠/٦  
 ٤/٦/١٢٧ ؛ ١٢/١١٦ ؛ ٣/١١١ ؛ ٢/١٠٣ ؛ ١٠/١٠١ ؛ ٨/٨٥  
 ٤/٣/٢٠٥ ؛ ٢/١٨٥ ؛ ٣/١٧٦

- ٤٠٥ -

فیل الغز : ٣/٢٦

(ق)

القاسم القمار : ١٨/١٢٨

القاسم بن عبد الله ، وزير المعتصم : ٨/١٤٨

القاسم بن علي الحريري = الحريري .

القاسم بن عيسى بن معلق = أبو دلف العجل .

القاسم بن محمد بن أبي بكر : ٦/٣٥

القاسم بن محمد الثقفي : ت ٤/٣٩

القاسم بن محمد بن القاسم : ت ١١/٣٩

قالون ، عيسى بن مينا : ٥/٧٩

ال قالى ، أبو علي إسحاقيل بن القاسم : ت ١١/٢٦

٤/٤٣ : ٤/٤١ : ٦/٤٠ : ٩/٤٣

٤/٤٩ : ٦/٥١ : ٦/٧٦

٤/١٣٣ : ٣/١٢٧ : ٦/٧٦

٤/١٣/١٧٩ : ٢/١٧٥ : ٢/١٣٣

٤/٢٤٦ : ٦/٢٤٥ : ٥/٢٤٤

٤/١٨٣ : ٧/١٨٣

٤/٢٤٧ : ٦/٢٤٧ : ١٠/٢٤٧

٤/٢٤٨ : ١٣/٢٤٧ : ١١/٢٤٧

٤/٢٤٧ : ٦/٢٤٧ : ١٠/٢٤٧

٤/٢٥١ : ٢/٢٥١

القتال الكلابي ، عبد الله بن المضرحي : ٦/٢٤٨

قتيبة بن مسلم : ١١/٣٧

قدامة بن جعفر : ١٦/١٥١

٤/١٥٢ : ١/١٥٢ : ٢٥/١٥١

٤/١٥١ : ١٥/١٥١ : ١٦/١٥٣

٤/١٥٣ : ٧/١٥٣

٤/١٥٥ : ٨/١٥٥ : ٥/١٥٤

٤/١٥٤ : ١٦/١٥٣

٤/١٥٦ : ٤/١٥٦ : ١٣/١٥٧

٤/١٥٧ : ١٠/١٥٦

٤/١٥٥ : ١٩/١٥٥

٤/١٥٠ : ٤/٤٨

٤/١٥٤ : ١/١٥٠

٤/١٥٣ : ٢/١٥٦

٤/١٥٦ : ٢٥/١٥٤

٤/١٥٥ : ٤/٤٨

٤/١٥٤ : ١٠/١٥٤

٤/١٥٣ : ١٢/٧٦

٤/٢٥٢ : ٧/١١٢

٤/٢٥٠ : ٣/١٥٦

٤/٢٥٠ : ٦/٢٥٠

٤/٢٥٠ : ١٠/٩٤

٤/٢٥٠ : ١٣/١٨١

٤/٢٣٧ : ١/٢٢٢

٤/٢٣٧ : ٨/٨٢

٤/٢٣٧ : ٢/٢٣٧

٤/٢٣٧ : ٢٠/١٤٥

٤/٢٣٧ : ١٠/٧٦

٤/٢٣٧ : ١٢/٧٦

٤/٢٣٧ : ٥/٢٥٢

٤/٢٣٧ : ٧/١١٢

- ٣٠٦ -

قعنب بن أم صاحب : ت ١٠/٢٤٤ ، ١١/١٧٩

القلقشندى ، أبو العباس أحمد بن علي : ت ٦/٣٧ ، ١٠/٧٨

قيس بن عاصم : ت ٥/٧٥

(ك)

كاله P. Kahle : ت ٧/١٦ ، ٩/١٦ ، ١٥/١٦ ، ٨/١٧

كامل (من زعماء بدو المتنفق) : ٤/٥٣

الكتبي = ابن شاكر .

كثيير بن أبي كثيير البصري : ٢/٣٨

كثيير عزّة : ١٢/٥٨ ، ١٥/٩٠

كريتشكوفسكي Kratschkowsky : ت ١٠/٥٤

كريستنسن Christensen : ت ١/٦٤

كرينكوف Krenkow : ت ٤/٣٩ ، ٧/٤٥ ، ١١/٤٥ ، ١١/٤٧

٦/٢٥١ ، ٤/٦٩ ، ٦/٦٩ ، ١٣/٤٧

الكسائي ، أبو الحسن علي بن حمزه : ١٦/٦١ ، ١٨/٦٩ ، ٢١/٦٩

٥/٩٧ ، ١٧/٩٥ ، ٤/٩٥ ، ١٤/٩٣ ، ١٣/٩٥

٧/٧٠ ، ١٥/٩٨ ، ١٤/٩٨ ، ٨/٩٨ ، ٣/٩٨

١/٩٨ ، ١٥/٩٧ ، ٧/٩٧

كعب الأشرف : ت ٣/٣٥

كعب بن زهير : ت ١٢/١٧٨

كلر H. Keller : ت ٢/١٤٣

الكميت بن زيد : ٦/٤٧ ، ١٠/٤٧ ، ٥/٤٩ ، ٦/٤٩ ، ١٥/٤٩

٤/٣٧١ ، ١٦/٦٠ ، ٧/٥٢ ، ١٤/٥٠ ، ٨/٥٠

١٥/٤٧ ، ١٤/١٨٠ ، ١١/١٨٠

الكتورى ، السيد حسين بن السيد محمد القولى النيسابورى ( صاحب

كشف الحجب ) : ت ٩/١٨٧

كندرمان Kindermann : ت ٩/٢٠٢

كندرى : ٥/٥٣

كوفلر H. Koffler : ت ٤/٢٥٢ ، ١/١٩

- ٤٧ -

(ل)

لبید بن ربيعة العامرى : ت ٢٤٤ : ٦/٢٤٤  
 ليبرت Lippert : ت ٩٢ : ٣/٩٢  
 الحیانی علی بن المبارك : ت ١٨٥ : ٤/١٨٥  
 لدزبارسکی Lidsbarsky : ت ٢٠٢ : ١٠/٢٠٢  
 لغده الإصہانی : ت ١٣٠ : ٤/١٣٠  
 لویس شیخو : ت ١٥٥ : ١/١٥٥  
 لیمان E. Littmann : ت ٣٢ : ١/٣٢  
 الليث بن المظفر : ت ٢٢١ : ٧/٢٢١  
 لیلی العامریة : ت ٥٥ : ٤/٥٥  
 لین Lane : ت ٢٩ : ١٢/٢٩  
 لینی بروفنسال Lévy Provençal : ت ٣١ : ٦/٣١  
 لینی دلا فیدا Levi Della Vida : ت ٥٥ : ٢/٥٥

(م)

المأمون : ١٧/٦٩ ; ١٧/٦٩ ; ١٧/٦٩ ; ١٧/٦٩ ; ١٧/٦٩  
 مارکوارت Marquart : ت ٢٥ : ٦/٢٥  
 المازنی ، أبو عثمان بکر بن محمد : ت ٧٩ : ٦/٧٩  
 ماکدونالد Macdonald : ت ٢١٣ : ٦/٢١٣  
 مالک بن أسماء ، صهر الحجاج : ٩/٢٤٨ ; ٩/٢٥٣  
 مالک بن أنس التیمی القرشی : ١٢/٧٧ ; ١٢/٧٧ ; ١٥/٧٧ ; ١٥/٧٧  
 مالک بن الريب : ت ٥٦ : ١٠/٥٦  
 المبرد ، محمد بن يزید ، أبو العباس : ١٦/٤٥ ; ١٦/٤٦ ; ١٦/٤٨  
 ت ١٢٩ : ١٤/١٢٩  
 ت ٥٢٣ : ٤/٥٢٣  
 ت ١٣٤ : ١/١٣٤  
 ت ٢٢/١٣٠ : ١٤/١٢٩  
 ت ٥١ : ٤/٥١  
 ت ٣٧ : ٦/٣٧  
 ت ٤٠ : ٦/٤٠  
 ت ٣٦ : ١/٣٦  
 ت ٢٦ : ٢/٢٦  
 ت ٥٧ : ٥/٥٧

- ٤٠٨ -

٤ ١٨/١٢٢ : ٧/٩٩ : ٣/٩٥ : ٣/٨٢ : ١١/٥٧ : ١٠/٥٧ : ٨/٥٧  
٤ ٢/١٣٠ : ١٣/٢٤٥ : ٣/٢٤٣ : ١/١٨١ : ٧/١٣١ : ٤/١٣١ : ١٣/٢٤٥  
٤ ١٢/٢٥٠

المبرق = عبد الله بن الحارث السهمي .

متر Mez : ت ١٤/١٢٤ : ١٤/١٥٢ : ٩/١٧٧

المتق (صاحب كنز العمال) : ت ١٣/٣١

المتلمس ، جرير بن عبد المسيح : ت ١٠/٥١

٤ المتباي ، أحمد بن الحسين ، أبو الطيب : ٢٢/١٧٠ : ٩/١٧٥ : ٤ ١٤/١٧٦  
٤ ٩/١٧٧ : ١١/١٨١ : ١٢/١٧٨ : ٣/١٨١ : ١٠/١٧٩  
٤ ٤ ٢/١٨٤ : ١٢/١٨٢ : ٢٢/١٨٢ : ١/١٨٤ : ٢١/١٨٢  
٤ ٤ ٦/١٨٥ : ٤/١٨٥ : ٨/١٨٥ : ٤ ١٨/١٨٥  
٤ ٤ ٧/١٨٤ : ٤/١٨٥ : ٦/١٨٥ : ٤ ١٨/١٨٤  
٤ ٤ ٢/١٨٦ : ٤ ٢/١٨٨ : ١٠/١٨٧ : ٢٠/١٨٦  
٤ ٤ ١٨/١٨٦ : ٤ ٢/١٨٨ : ١٠/١٨٧ : ٢٠/١٨٦  
٤ ٤ ٣/١٧٠ : ٤ ٢/١٦٨ : ٤ ٤/٥٣ : ٧/١٩٠ : ٤ ١٤/١٨٨  
٤ ٤ ٦/١٨٧ : ٤ ٣/١٧٩ : ٤ ٧/١٨١ : ٤ ٨/١٨١ : ٤ ١٠/١٨١  
٤ ٤ ١١/١٨٧ : ٤ ٩/١٨٧

الموكل : ١٦/١٤٦ : ١٢/١٢٩

مج : ت ١٣/٧٨ : A. Meg

الجنون : ٧/٥٥ : ٦/٥٥ : ٥/٥٥

محب الدين أفندي (شارح الكشاف) : ت ١٣/٢٤٨

محمد أمين الخانجي : ت ٣/١٤٩

محمد بن إبراهيم الفزارى : ١٣/١٠٥

محمد البلعى ، أبو علي = البلعى

محمد بن أبي عون الحاجب : ٢٠/١٤٦

شحمد بن أبي مؤمل : ٩/١٢٨

محمد بن أحمد ، أبو عبد الله بن ثوابة = ابن ثوابة .

محمد بن أحمد بن فورجة = ابن فورجة .

محمد بن أحمد المقدسى ، أبو عبد الله = المقدسى .

محمد بن إسحاق بن النديم (صاحب الفهرست) = ابن النديم .

- ٤٠٩ -

محمد بن بشير : ت ١/١٠٣

محمد بن الحارث التغلبي : ت ٦/١٣٧

محمد بن حازم الباهلي : ت ٥/٢٤٦

محمد بن حبيب : ت ٢/١٣٧

محمد بن الحسن الأحوال النحوى : ١٠/١٤٩

محمد بن الحسن ، أبو بكر بن دريد = ابن دريد .

محمد بن الحسين ، أبو الفضل بن العميد = ابن العميد .

محمد بن الحسين بن موسى = الشريف الرضي .

محمد بن حميد الطوسي : ١١/١٣٢

محمد الديباجة : ١٤/١٤٤

محمد بن ذؤيب = العهانى .

محمد الروية ، المعروف بالبيدق = البيدق .

محمد بن زياد الكوف = ابن الأعرابي .

محمد بن سعد كاتب الواقدى = ابن سعد .

محمد بن سلام الجمحي = ابن سلام .

محمد بن سيرين = ابن سيرين .

محمد بن شاكر الكتبي = ابن شاكر الكتبي .

محمد بن شنب : ت ١/١٠٤

محمد صالح التكريتى : ت ٩/٢١٨

محمد بن العباس أبو بكر الخوارزمي = أبو بكر الخوارزمي .

محمد بن عبد الله الجماز = الجماز البصري .

محمد بن عبد الله جمال الدين = ابن مالك النحوى .

محمد بن عبد الله بن طاهر : ٦/١٤٧ ؛ ١٤/١٤٦

محمد بن عبد الله أبو جعفر بن قادم = ابن قادم النحوى .

محمد بن عبد الله الكاتب البصري = المفعج .

محمد بن عبد الله بن ظفر = ابن ظفر .

محمد بن عبد الملك الزيات = ابن الزيات .

محمد بن عبد الملك بن قzman = ابن قzman .

- ٢١٠ -

محمد عبد المنعم خفاجي : ت ٥/١٤٩

محمد بن عبد الوهاب الثقفي : ت ٥/٩١ ; ٣/٩١

محمد بن عبدوس الجهمي = الجهمي .

محمد بن العساف الشجري الأعرابي : ت ٦١/١٦٧

محمد علي : ٨/٢٣٩

محمد بن عمر بن واقد ، أبو عبد الله الواقدي = الواقدي .

محمد بن عمران أبو عبد الله المرزباني = المرزباني .

محمد فؤاد عبد الباقى : ت ١٢/٢٣٥

محمد بن القاسم الثقفي : ت ٦/٣٩

محمد بن القاسم بن بشار ، أبو بكر بن الأنباري = أبو بكر بن الأنباري .

محمد بن محمد بن محمد الغزالى = أبو حامد الغزالى .

محمد بن محمود المقربى الضمير : ١٤/١٩٣

محمد بن المستير ، أبو علي قطرب التحوى = قطرب .

محمد بن مناذر = ابن مناذر .

محمد بن يسir : ١/١٠٣

محمد بن يحيى بن أبان : ٧/١٣٠

محمد بن يحيى الصولى = أبو بكر الصولى .

محمود حدى البولاقى : ت ٢/١٩٧

محمود بن محمد (السلطان) : ١/٢١٦

محمود بن عمر الزمخشري = الزمخشري .

المدائى ، على بن محمد بن عبد الله ، أبو الحسن : ت ١٢/٤٠

مرداذاء ، أبو أبي صفرة : ت ١١/٣٤

مرجانة : ١٥/٢٥ ت ١٣/٢٥

مرجليوث Margoliouth : ت ٨/١٧١

المرزباني ، محمد بن عمران ، أبو عبد الله : ت ٥/٥٦ ; ٧/٥٦ ; ٦/٧٠

٥/٩٤ ; ٥/١١٢ ; ٩/١١٢ ، ٩/١٢٩ ، ٤/١٢٩

٣/٢٤٩ ; ١/١٣٤ ; ٤/٤١٨ ، ٣/٢١٨

المرزوقي ، أحمد بن محمد بن الحسن : ت ٥/٤٨

المرقش الأصغر ، ربيعة بن سفيان ، أو عمرو بن حرمة : ١٠/٧٢٦

٦/٧٢

- ٤١١ -

مروان بن أبي حفصة : ٢٠/٧٠

مروان بن الحكم : ٧/٢٤٨

مزدك : ٤/١٠٥

مساور الوراق : ٨/٧٢

مسعر بن كدام : ٣/٢٨

مسعر بن مهلهل الينبوعي = أبو دلف الخزرجي .

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين : ت ٤/٣٥ : ١٠/١٢٣ : ١٠/١٤٤ :

٤/٢٠٣ : ٣/١٤٨

مسلم بن الحجاج القشيري النسابوري : ٤/٢٣٦ ت ٨/٨٢ : ٣/٢٣٦

١/٢٣٧

مسلم بن الوليد ٥/١٠٢ ت ٣/٢٠٣

مسلمة بن عبد الملك : ١٥/٣٥ : ١٥/٣٧

المطرزى ، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد : ت ١٠/٧٥

معاوية بن أبي سفيان : ٩/٢٦ : ١٠/٢٦ : ٦/٣٤ : ٨/٢٨

معاوية بن بكر العمليق : ٧/٢٤٦

معاوية بن عبيدة الله الأشعري ، وزير المهدى : ٥/١٢٩

المعتصم : ١٠/١٣٣ : ١٨/١٣٥ : ٣/١٣٦ : ١٤/١٣٦ : ١٩/١٣٦ :

١٣/١٣٨ : ٩/١٣٨

المعتضد : ٧/١٤٨

معد بن عدنان : ١٤/٦٢

الملووط : ت ١٥/٢٤٥

المغيرة بن حَبْنَاء : ٢/٤٣

المغيرة بن سعيد الشيعي : ١١/٤٠

المغيرة بن شعبة : ت ١/٩١

المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث : ٩/٣٧ ت ٨/٣٧

المغيرة بن المهلب : ١٣/٤٣

المفجع ، محمد بن عبد الله الكاتب البصري : ١٧/١٤٩

المفضل الصبّي : ٧/٧١ ت ٦/٧١

- ٣١٢ -

المفضل بن سلمة : ت ١١/٢٣ : ٨/٣٥

المقدسى ، أبو عبد الله محمد بن أحمد : ت ١٤/١٧٤ : ٤/١٩٨ : ٢٣/١٧٥ : ١٤/١٧٤  
٩/٢٠٣ : ٢/٢٠٢ : ٩/٢٠١ : ١٨/٢٠٠ : ١١/٢٠٠ : ٢٣/١٩٩  
٤/٢٠٦ : ١/٢٠٦ : ١٧/٢٠٥ : ٦/٢٠٥ : ٩/٢٠٤ : ١٤/٢٠٣  
٦٢٥/٢٠٨ : ١٩/٢٠٨ : ١٣/٢٠٨ : ١/٢٠٧ : ١٣/٢٠٦ : ١١/٢٠٦  
٧/١١٣ : ٢/٢٠٩ : ١٨/٢١٢ : ١٦/٢١٢ : ١١/٢١٢ : ٨/٢١٢

٦/٢٠٤ : ٩/١٩٠

المقرى ، أبو العباس أحمد بن محمد : ت ١/٢٣٦

مكارتى Macartny ت ٨/٥٢ : ١/٢٤٧

مكحول الدمشقى : ١٤/٤٢

ملك شاه : ٢١/٢١٥

النصرور : ٧/٩٤ : ٨/٦٢ : ٥/٩٣ : ١٨/٦٨ : ١٦/٦٨ : ٥/٩٣

المهدى : ٥/١٢٩ : ٨/٦٢ : ٩/٦٢ : ٤/٩١ : ٢١/٦٤ : ٦/٩٣

المهدى شيخ أبي بكر بن على الصنهاجى : ت ٦/٣١

مهدى بن مهلهل : ٨/٨٤

المهلب بن أبي صفرة : ١/١٠٢ : ٢٢/٤٢ : ٢٠/٤٣

المهلاجى ، أبو محمد الحسن بن محمد ، الوزير : ٢٠/١٧٣

المهلهل ، عدى بن ربيعة : ت ١١/٥١

مورتس B. Moritz : ت ٦/٢٢

موسى بن سيار الأسوارى : ١٤/١٢٠

موسى بن ميمون : ٢/١١٣

موقن الدين عبد اللطيف بن يوسف الطيبى : ٤/١٩١

مولر A. Müller : ت ٣/٢٣٧ : ٢/١١٧ : ٢/١٦٥

موهوب بن أحمد ، أبو منصور الجواليق = الجواليق .

الميدانى ، أبو الفضل أحمد بن محمد التيسابورى : ت ٥/٥١ : ٢/٥٢

٩/٢٥٠ : ٣/٢٤٦ : ١٤/٢٤٨ : ٣/١٠١

ميك P. Mielck : ت ٥/٢٣٢

الميمنى ، عبد العزير الراجمكوى : ت ٨/٣٧ : ٦/٩٧ : ١٢/٩٧

- ٤١٣ -

ميمون بن قيس = الأعشى .

ميمون بن هارون ، كاتب إسحاق بن إبراهيم المصعي : ٥/١٣٥  
(ن)

التابغة الذبياني ، زياد بن معاوية : ١٣/٥٦ ت ١/٥٢  
بابليون : ٦/٢٣٩

ناصرى خسرو (الرحلة الفارسى) : ١٨/١٨٨  
نافع بن أبي نعيم المدى القارىء : ١٧/٤٢ ؛ ١٦/٤٢ ؛ ٦/٧٨ ؛ ٧/٧٩ ؛  
٥/٧٩ ت

نافع بن الأزرق : ت ٥/٢١٧  
نافع بن جبير : ١٠/٣٧

نافع ، أبو عبد الله مولى ابن عمر : ١٧/٤٢  
النجاد ، الفقيه الحنبلي ، أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن : ١٧/٨٦  
النجار ، عبد الخليم النجار : ٤/٣ ؛ ٥/٤ ت ١٧/١١ ؛ ١١/١٧ ؛ ٥/٢٠ ؛ ٢/٤٥ ؛  
٤/٥٧ ؛ ١٢/٥٧ ؛ ٣/٩٠ ؛ ١٢/٩٧ ؛ ٨/١٠٢ ؛ ١٢/١٠٣ ؛ ١٢/١٠٣ ؛ ٨/١٠٢  
١١/١٨١ ؛ ٣/١٦٩

نجيب الخانجى :

النحاس النحوى المصرى ، أبو جعفر أحمد محمد بن إسماعيل : ١٢/٤١  
النسائى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب : ١٦/٨٤ ت ٤/٢٣٦  
نشوان الحميرى : ت ٨/١٦٣

نصر بن سيار : ١/٤٠ ؛ ٢/٤٠ ؛ ١٢/١١١ ؛ ١٠/٤٤ ؛ ١٢/١١١  
النصر بن شميل : ١١/١١٣

نظام الملك ، الحسن بن علي الطوسي : ٢١/٢١٥  
النعمان بن ثابت = أبو حنيفة .

نقطويه ، إبراهيم بن محمد بن عرفة العتكى الأزدي : ١١/١٤٩  
نفيع بن سميه ، أبو بكرة : ٢١/٣٣

النوجختى ، أبو محمد الحسن بن موسى : ت ٤٠

- ٣١٤ -

نولدكه ٦١١/١٠ : ٨/١٠ : ١/٨ : ٣/٧ : ١/٨٩ : Th. Nöldeke  
 ٤/٣٥ : ٣/٢٧ : ١٢/٢٥ : ١/٢٥ : ٩/٢٣ : ٥/١٦  
 ٦/١٤/٧٨ : ١٥/٧٦ : ٥/٧٤ : ٤/٦٧ : ١٤/٥٧ : ٥/٥٢ : ٨/٣٨  
 ٦١١/١٣٤/٢/١١١ : ٥/١٠٣ : ٨/١٠٠ : ١/١٠٠ : ٥/٩٩ : ٧/٨٦  
 ٦١١/٢٢٦ : ١/٢٢٣ : ٩/٢١٢ : ٢/٢١٠ : ٥/٢٠٩ : ١/٢٠٥  
 ١/٢٣٢ : ٢/٢٣١

النووى ، محيى الدين يحيى بن شرف : ت ١٤/٣١ : ١/٢٣٧ : ١٤/٣١  
 (٨)

المادى : ٧/١٠٦ : ٩/٩٣ : ١/٧٧ : ٩/٩٣ : ١/٧٧ : ٩/٩٣

هارتمان ١/١٩٦ : ٢/٩٣ : ١٢/١٠ : ١/٨ : M. Hartmann

هارون الرشيد : ٥/٩١ : ٩/٩٣ : ١/٩٣ : ٢١/٩٣ : ١٠/٩٤  
 ٤/٢١/٩٣ : ١٣/١٠١ : ٨/٩٩ : ١٦/٩٨ : ٧/٩٧ : ١٩/٩٤  
 ٤/١٩/٩٤ : ٤/١١٢ : ١٤/١٠٧ : ٩/١٠٥ : ٦/١٠٤ : ١٨/١٠٤  
 ٤/١٠٤ : ٣/٣١ : ٢/١٢ : ٨/١١٩ : ٤/١١٩ : ١٠/١١٣

هبة الله بن جعفر = ابن سناء الملك .

هبة الله بن على بن محمد بن حزوة العلوى ، أبو السعادات الشجري =  
 ابن الشجري .

هرمز الفارسي ، أبو إسماعيل بن أبي خالد الكوفى : ٢/٨٤

هشام بن حسان : ٧/٨٤

هشام بن عبد الملك : ٩/٤٣ : ١١/٤٦ : ٩/٤٣ : ١٦/٨٩

هشام بن معاوية التحوى الضرير : ١٤/١٣٥

هشام بن محمد بن السائب = ابن الكلبي .

هشيم بن بشير : ٩/٨٣ : ٥/٨٣ : ٧/٨٣ : ١٢/٨٢

هلال بن العلاء الرق : ١٥/٨٦ : ١/٨٧

هل J. Hell : ت ٥/٧٠ : ٣/٥٥

الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب : ٤/١٦١ : ٦/١٦١

٤/١٦١ : ٢٠/١٦٢ : ٨/١٦٢ : ٢٣/١٦٢ : ٣/١٦٣ : ٥/١٦٣

٤/١٦٤ : ٥/٤٩ : ٩/١٦٤ : ٢٠/١٦٤ : ٨/١٦٥ : ٩/١٦٦

- ٤١٥ -

٤/١٠٧ : ٤/١٠٨ : ٤/١٦٣ : ١/١٦٤ : ١١/١٦٤ : ٢/١٦٤

٨/٢٤٦ : ٤/١٦٥ : ٣/١٦٥ : ١/١٦٥ : ٥/١٦٤

هورن Horn : ت ٨/٢٥ : ١/٢٩ : ١١/٢٩

الهيم بن عدی = ابن عدی .

(و)

الواحدی ، علی بن أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدٍ : ٧/١٨٧ : ٧/١٧٩ : ١٨/١٧٦ : ٧/١٧٩

٤/١٦٨ : ١/١٧٧ : ٤/٤ : ١/١٧٨ : ٥/١٧٨ : ٨/١٧٨ : ٤/١٧٩

٦/١٨٧ : ٢/١٨٣ : ٦/١٨١ : ٣/١٨٠ : ١٠/١٧٩

واصل بن عطاء : ٨/١٢٢

الواقدی ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد : ت ٤/٣٣ : ١/١١٠

١١/٢٥٠

ورش ، عثمان بن سعيد المصري : ٥/٧٩

ورقاء بن زهیر : ت ٤/٩٦

وكيع بن الجراح : ١١/٨٣ : ٩/٨٣

الوليد بن عبد الملك : ٥/٣٧ : ٩/٤٣ : ١٤/٤٦ : ١١/٢٤٤

الوليد بن عبيد ، أبو عبادة البحترى = البحترى .

الوليد بن عقبة : ت ٨/٤٧

الوليد بن يزيد : ٧/٣٦

وهب بن جرير : ١٣/٨١

(ي)

ياقوت بن علي الحموي الرومي : ت ٣/٢٥ : ٧/٣١ : ١٠/٣٤

٤/٥٧ : ١/٥٧ : ١٦/٦٧ : ٥/٧٧ : ١١/٨٢ : ١٠/٨١

١٣/٢٤٥ : ٨/٢٣٤ : ٢/٢١٩ : ١١/١٢٧ : ١٢/١١٣

يجي بن آدم بن سليمان : ت ٨/٣٣

يجي بن خالد البرمكي : ٢٣/٦٤ : ١٦/٦١

يجي بن زياد ، أبو زكريا القراء = القراء .

يجي بن المبارك ، أبو محمد اليزيدي = أبو محمد اليزيدي .

- ٣٦ -

يجيئ بن نوافل الحميري : ٢٦/٢٥٤ ; ١٧/٤٠ ; ٤٦/٤٠

يجيئ بن يعمر : ٦/١٢٧ ; ٣/١٢٧

يزيد بن أبي يزيد المعروف بالرشك = الرشك .

يزيد بن خالد بن عبد الله القسري : ٧/٥١

يزيد بن ربيعة بن مفرغ = ابن مفرغ .

يزيد بن عبد الملك : ٤/٣١ ; ١٧/٣٥ ; ١٠/٣١ ت

يزيد بن المهلب : ٤/٣٥ ; ١٣/٤٨ ; ٤/١٢٧

يعقوب بن إبراهيم بن حبيب = أبو يوسف القاضي .

يعقوب بن السكريت = ابن السكريت .

يعمر السعدي = أبو نحيلة .

يعيش بن علي بن يعيش = ابن يعيش النحوى .

يهودا هليفي : ٤/٢٤٥ ت ١/١٩٧

يوسف بن خالد اليماني : ٤/٨٨ ; ١/٨٨

يوسف بن عمر : ت ٧/٤٤

يونس بن حبيب الفارسي النحوى : ١/٥٨ ; ١٦/٧٠ ; ٤/١١/٧١

١٢/٧١ ت ٥/١٧٩

اليونيتى ، على بن محمد البعلى الحنبلى الحافظ : ١٤/٢٣٥

\* \* \*

## فهرى مصادر الكتاب

### (أ) المصادر العربية

(المهمزة)

- ١ - الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطى — نشر سديد الدين خان — كلكتى ١٨٥٦ م.
  - ٢ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، للمقدسى — نشر دى غويه — ليدن ١٩٠٦ م.
  - ٣ - الأحكام السلطانية ، للماوردى — نشر إنجر — بون ١٨٥٣ م.
  - ٤ - أخبار النحويين البصريين ، للسيرافى — نشر كرنكوى — بيروت ١٩٣٥ م.
  - ٥ - أدب الكاتب ، لابن قتيبة — نشر ماكس جرونرت — ليدن ١٩٠١ م.
  - ٦ - أدب الكاتب ، للصولى — القاهرة ١٣٤١ هـ.
  - ٧ - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لليقوت الحموى — نشر مرجليوث — ليدن ١٩٠٧ م.
  - ٨ - أساس البلاغة ، لزمنشوى — القاهرة ١٢٩٩ هـ.
  - ٩ - الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، لابن عبد البر — على هامش : الإصابة لابن حجر — القاهرة ١٣٢٨ هـ.
  - ١٠ - الاشتقاد لابن دريد — نشر فستنفلد — جوتينجن ١٨٥٤ م.
  - ١١ - أشعار الحماسة ، لأبي تمام ، بشرح التبريزى — نشر فرایاتچ — بون ١٨٢٨ م.
  - ١٢ - الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلانى — القاهرة ١٣٢٨ هـ.
  - ١٣ - الأصماعيات ، للأصماعى — نشر أهلورت في مجموع أشعار العرب — برلين ١٩٠٢ م.
  - ١٤ - الأضداد ، لأبي بكر بن الأنبارى — القاهرة ١٣٢٥ هـ.
  - ١٥ - إعجاز القرآن ، للباقلاني — القاهرة ١٣٤٩ هـ.
  - ١٦ - الأغانى ، لأبي الفرج الإصبهانى — بولاق ١٢٨٥ هـ . والجزء الحادى والعشرون نشر برونو — ليدن ١٨٨٨ م (طبعة القاهرة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م يشار إليها في أماكنها).
- (٢٢ - العربية)

- ٣١٨ -

- ١٧ - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، للبطليوسى - بيروت ١٩٠١ م .
- ١٨ - ألفباء ، للبلوى - القاهرة ١٢٨٧ م .
- ١٩ - الألفاظ ، لابن السكيت بتهذيب التبريزى - نشر لويس شيخو - بيروت ١٨٩٥ م .
- ٢٠ - الألفاظ الكتابية ، للهمذانى - بيروت ١٨٨٥ م .
- ٢١ - الأمالى ، لأبى على القالى - القاهرة ١٣٤٤ / ١٩٢٦ م .
- ٢٢ - أمالى الزجاجى - القاهرة ١٣٢٤ م .
- ٢٣ - أمالى ابن الشجاعى ، نشر كرنوكو - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٤٩ م .
- ٢٤ - أمالى المرتضى - نشر الشنقيطي - القاهرة ١٩٠٧ / ١٣٢٥ م .
- ٢٥ - الأمثال ، لأبى عكرمة الصبى - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤ م .
- ٢٦ - الانتصار ، للخياط - نشر نيرج - القاهرة ١٩٢٥ م .
- ٢٧ - الأنساب ، للسمعائى - نشر مرجليلوث - ليدن ١٩١٢ م .
- ٢٨ - الإنصاف في مسائل الخلاف بين التحويين البصريين والковفين : لأبى البركات بن الأنبارى - نشر فايل - ليدن ١٩١٣ م .

(ب)

- ٢٩ - البخلاء ، للباحث - نشر فان فلوتن - ليدن ١٩٠٠ م .
- ٣٠ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطى - القاهرة ١٣٢٦ م .
- ٣١ - البلدان ، لابن الفقيه المهدانى - نشر دى غويه - ليدن ١٨٨٥ م .
- ٣٢ - البيان والتبيين ، للباحث - القاهرة ١٣١١ م .

(ت)

- ٣٣ - الناج في أخلاق الملوك ، المنسوب للباحث - نشر أحمد زكي باشا - القاهرة ١٩١٤ م .
- ٣٤ - تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي - القاهرة ١٣٠٦ - ١٣٠٧ م .
- ٣٥ - تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى - القاهرة ١٩٣١ / ١٣٤٩ م .
- ٣٦ - تاريخ البلاذرى - نشر أهلورت - ليزج ١٨٨٣ م .
- ٣٧ - تاريخ الحكماء ، لابن القسطى - نشر ليبرت - ليزج ١٩٠٣ م .

- ٣٩ -

- ٣٨ - تاريخ الطبرى - نشر دى غويه - ليدن ١٨٧٩ - ١٩٠١ م.
- ٣٩ - تاريخ مكة ، للأزرقى - نشر فستفلد - ليزج ١٨٥٨ م.
- ٤٠ - تذكرة الحفاظ ، للذهبى - حيدر آباد الدكن بالمند ١٣٣٣ هـ.
- ٤١ - تمييز الطيب من التخيث ، لابن الدبيع - القاهرة ١٣٤٧ هـ.
- ٤٢ - تهذيب إصلاح المنطق ، للتبريزى - القاهرة ( بدون تاريخ ) .
- ٤٣ - تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلانى - حيدر آباد الدكن بالمند ١٣٢٥ هـ.
- ٤٤ - التيسير في القراءات السبع ، لأبى عمرو الدانى - نشر برسيل - إستانبول ١٩٣٠ م.

( ث )

- ٤٥ - ثلاث رسائل للباحث - نشر فان فلوتن - ليدن ١٩٠٣ م.
- ٤٦ - ثلاث رسائل للباحث - نشر يوش فنكل - القاهرة ١٩٢٦ م.
- ٤٧ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، للتعالى - القاهرة ١٣٢٦ هـ.

( ج )

- ٤٨ - جامع الألفاظ ، للفاسى ، نشر سكوس - نيوهاون ١٩٣٦ م.
- ٤٩ - جامع الترمذى - كاونبور ١٣٤١ - ١٣٤٣ هـ.
- ٥٠ - الجامع الصحيح ، لمسلم - على هامش القسطلاني - بولاق ١٣٠٤ هـ.
- ٥١ - الجامع الصغير للسيوطى = السراج المنير في شرح الجامع الصغير - القاهرة ١٣٢٤ هـ.
- ٥٢ - جهرة أشعار العرب ، للقرشى - القاهرة ١٩٢٦ / ٥١٣٤٥ م.
- ٥٣ - جواهر الألفاظ ، لقدامة بن جعفر - القاهرة ١٩٣٢ / ٥١٣٥٠ م.
- ٥٤ - الجواهر المصية في طبقات الحنفية ، لابن أبى الوفاء - حيدر آباد الدكن بالمند ١٣٣٢ هـ.

( ح )

- ٥٥ - حكاية أبى القاسم البغدادى - نشر آدم متز - هايدلبرج ١٩٠٢ م.
- ٥٦ - حاسة البحترى - نشر لويس شيخو - بيروت ١٩١٠ م.
- ٥٧ - حياة الحيوان ، للدميرى - القاهرة ١٣٤٧ هـ.
- ٥٨ - الحيوان ، للباحث - القاهرة ١٣٢٣ هـ.

— ٣٢٠ —

(خ)

- ٥٩ — خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادي —  
بولاق ١٢٩٩ م.
- ٦٠ — الخصائص الكبرى ، للسيوطى — حيدر آباد الدكن بالهند ١٣١٩ هـ.
- ٦١ — خربات أبي نواس ، نشر أهلورت — جريفسفالد ١٨٦١ م.

(د)

- ٦٢ — درة الغواص في أوهام الغواص ، للحريرى — نشر توربيكه —  
ليزج ١٨٧١ م.
- ٦٣ — دمية القصر ، للباخرزى — حلب ١٣٤٩ / ٥١٣٤٩ م.
- ٦٤ — ديوان أبي العناheim — نشر لويس شيخو — بيروت ١٩١٤ م.
- ٦٥ — ديوان أبي نواس — القاهرة ١٨٩٨ م.
- ٦٦ — ديوان الأعشى — نشر جاير — ليدن ١٩٢٨ م.
- ٦٧ — ديوان امرئ القيس (ضمن العقد المثين) نشر أهلورت — لندن  
١٨٧٠ م.
- ٦٨ — ديوان جرير ، نشر محمد إسماعيل الصاوي — القاهرة ١٣٥٣ هـ.
- ٦٩ — ديوان الخطيبة — نشر جولدتسپيرر في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية —  
الجلد ٤٦ — ٤٧ .
- ٧٠ — ديوان ذى الرمة — نشر مكارنى — كمبردج ١٩١٩ م.
- ٧١ — ديوان رؤبة — نشر أهلورت في مجموع أشعار العرب — برلين  
١٩٠٣ م.
- ٧٢ — ديوان الزفيان — نشر أهلورت في مجموع أشعار العرب — برلين  
١٩٠٣ م.
- ٧٣ — ديوان طفيل الغنوى والطراوح بن حكيم الطائى — نشر كرنكوف — ليدن  
١٩٢٨ م.
- ٧٤ — ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات — نشر رود و كاناكيس — فيينا ١٩٠٢ م.
- ٧٥ — ديوان العجاج والزفيان — نشر أهلورت في مجموع أشعار العرب —  
برلين ١٩٠٣ م.
- ٧٦ — ديوان عروة بن الورد — نشر نولدكه — جوتينجن ١٨٦٣ م.

- ٣٦١ -

- ٧٧ - ديوان علقة (ضمن العقد الثمين) نشر أهلورت - لندن ١٨٧٠ م .  
٧٨ - ديوان عمر بن أبي ربيعة - نشر باول شفارتس - ليزج ١٩٠٢ م .  
٧٩ - ديوان عنترة (ضمن العقد الثمين) - نشر أهلورت - لندن ١٨٧٠ م .  
٨٠ - ديوان الفرزدق - نشر محمد إسماعيل الصاوي - القاهرة ١٣٤٥ هـ / ١٩٣٦ م .  
٨١ - ديوان القطاطي - نشر بارت - ليدن ١٩٠٢ م .  
٨٢ - ديوان كثير عزة - نشر بريس - الجزائر ١٩٢٨ - ١٩٣٠ م .  
٨٣ - ديوان المتنم - نشر كارل فولر - ليزج ١٩٠٣ م .  
٨٤ - ديوان المتنبى ، بشرح الواحدى - نشر ديرتصى - برلين ١٨٦١ م .  
٨٥ - ديوان مسلم بن الوليد - نشر دى غويه - ليدن ١٨٧٥ م .  
٨٦ - ديوان المعانى ، لأبى هلال العسكرى - القاهرة ١٣٥٢ هـ .  
٨٧ - ديوان النابغة الذبيانى (ضمن العقد الثمين) نشر أهلورت - لندن ١٨٧٠ م .

(ر)

- ٨٨ - الرسالة الخاتمية ، للحاتمى - نشر البستاني - بيروت ١٩٣١ م .  
٨٩ - الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية ، للسيبى - القاهرة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .

(ز)

- ٩٠ - زينة الفضلاء في الفرق بين الصاد والطاء ، لأبى البركات بن الأنبارى - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - بيروت ١٩٧١ م .

(س)

- ٩١ - سفيحة الملك ونفيسة الفلك ، لشهاب الدين محمد بن إسماعيل بن عمر - القاهرة ١٢٨١ هـ .

- ٩٢ - سبط الآلى في شرح أمال القالى ، لأبى عبيد البكرى - تحقيق عبد العزيز الميمنى - القاهرة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م .

- ٩٣ - سنن ابن ماجة - القاهرة ١٣٤٩ هـ .

- ٩٤ - سنن أبى داود - كاونبور ١٣٤٥ هـ .

- ٩٥ - سنن النسائى - القاهرة ١٣٤٨ هـ .

- ٩٦ - سيرة رسول الله ، لابن هشام - نشر فستانفورد - جوتنجن ١٨٥٨ م .

- ٣٢٢ -

(ش)

- ٩٧ - شرح أدب الكاتب ، للجوالي - نشر مصطفى صادق الرافعي -  
القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ٩٨ - شرح درة الغواص ، لخفاجي - القدسية ١٢٩٩ هـ .
- ٩٩ - شرح سفر التكوان ، لعلى بن سليمان - نشر سكوس - فيلادلفيا  
١٩٢٨ م .
- ١٠٠ - شرح الشواهد الكبرى ، للعيني - على هامش الخزانة - بولاق ١٢٩٩ هـ .
- ١٠١ - شرح شواهد الكشاف ، لمحب الدين أفندي - بولاق ١٢٨١ هـ .
- ١٠٢ - شرح شواهد المغنى ، للسيوطى - القاهرة ١٣٢٢ هـ .
- ١٠٣ - شرح المفصل ، لابن يعيش - نشر يان - ليزج ١٨٨٦ - ١٨٨٢ م .
- ١٠٤ - شرح موطأ مالك بن أنس ، للزرقاني - بولاق ١٢٨٠ هـ .
- ١٠٥ - الشعر والشعراء ، لابن قتيبة - نشر دى غويه - ليدن ١٩٠٤ م .
- ١٠٦ - شعر المدائين - نشر كوز جارت - جريفس فالد ١٨٥٤ م .

(ص)

- ١٠٧ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندى - القاهرة ١٣٣١ -  
١٣٣٨ هـ .
- ١٠٨ - صفة جزيرة العرب ، للهمداني - نشر داود مولر - ليدن ١٨٨٤ -  
١٨٩١ م .

(ط)

- ١٠٩ - طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى - نشر أحمد عبيد - دمشق ١٣٥٠ هـ .

(ع)

- ١١٠ - العقد الفريد ، لابن عبد ربه - القاهرة ١٣١٦ هـ .
- ١١١ - العمدة في صناعة الشعر ونقده ، لابن رشيق - القاهرة ١٣٤٤ / ٥ هـ .
- ١١٢ - عيون الأخبار ، لابن قتيبة - القاهرة ١٩٢٥ - ١٩٣٠ م .
- ١١٣ - عيون الأنباء ، لابن أبي أصبيعة - القاهرة ١٨٨٢ م .

(غ)

- ١١٤ - غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري - نشر برجشتراسر -  
ليزج ١٩٣٣ م .

- ٢٤٣ -

(ف)

- ١١٥ - الفائق في غريب الحديث والأثر ، للزمخشري - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٤ هـ .
- ١١٦ - الفاخر ، للمفضل بن سلمة - نشر ستوري - ليدن ١٩١٥ م .
- ١١٧ - فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني - القاهرة ١٣٠٠ هـ .
- ١١٨ - فتوح البلدان ، للبلاذري - نشر دى غويه - ليدن ١٨٦٦ م .
- ١١٩ - فرق الشيعة ، للنبيختي - استانبول ١٩٣١ م .
- ١٢٠ - فريدة العصر في جداول يتيمة الدهر ، لأحمد الحق - كلكتا ١٩١٥ م .
- ١٢١ - فصول في فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٧٣ م .
- ١٢٢ - فهرست الطوسي ، نشر شبرنجر - كلكتا ١٨٥٣ م .
- ١٢٣ - الفهرست ، لابن النديم - نشر فلوجل - ليزج ١٨٧١ م .
- ١٢٤ - فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتببي - بولاق ١٢٩٩ هـ .

(ك)

- ١٢٥ - الكامل في التاريخ ، لعز الدين بن الأثير - نشر تورنبرج - ليدن ١٨٦٧ - ١٨٧١ م .
- ١٢٦ - الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس المبرد - نشر رايت - ليزج ١٨٩٢ - ١٨٦٤ م .
- ١٢٧ - الكتاب ، لسيبويه - بولاق ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ (الاقتباس من نشرة ديرنورج - باريس ١٨٨١ - ١٨٨٩ م يشار إليه في موضعه) .
- ١٢٨ - كتاب البديع في القراءات الشاذة - مختصر نشره برجشتراس - ليزج ١٩٣٤ م .
- ١٢٩ - كتاب الخراج ، لحيي بن آدم - نشر أحمد شاكر - القاهرة ١٣٤٧ هـ .
- ١٣٠ - كتاب الطبقات الكبير ، لابن سعد - نشر إدوارد سخاو - ليدن ١٩٤٠ - ١٩٠٥ م .
- ١٣١ - كتاب الفصيحة ، لعلب - نشر بارت - ليزج ١٨٧٨ م .
- ١٣٢ - الكشاف عن حقائق التنزيل ، للزمخشري - كلكتا ١٨٥٦ م .

- ٣٢٤ -

- ١٣٣ - كشف الحجب والأستار عن الكتب والأسفار - نشر محمد هدایت -  
كلكتا ١٩١٤ م.
- ١٣٤ - كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون ، حاجي خليفة -  
إستانبول ١٣١١ هـ.
- ١٣٥ - الكشف عن مساوى شعر المنبي ، للصاحب بن عباد - القاهرة  
. هـ ١٣٤٩
- ١٣٦ - الكشكوكول ، للعاملى - القاهرة هـ ١٢٨٨ .
- ١٣٧ - كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال ، للمتقى الكتبى - حيدر آباد  
الدکن بالهند ١٣١٢ - ١٣١٧ هـ .  
(ل)
- ١٣٨ - اللبا واللبن ، لأبى زيد الأنصارى (ضمن البلوغة فى شذور اللغة)  
نشر هفر ولويس شيخو - بيروت ١٩١٤ م.
- ١٣٩ - لحن العامة والتطور اللغوى ، للدكتور رمضان عبد التواب -  
دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٧ م.
- ١٤٠ - لسان العرب ، لابن منظور الإفريقي - القاهرة ١٢٩٩ - ١٢٩٨ هـ .
- ١٤١ - لسان الميزان ، لابن حجر العسقلانى - حيدر آباد الدکن بالهند  
. هـ ١٣٢٥
- (م)
- ١٤٢ - المثل السائر ، لضياء الدين بن الأثير - بولاق ١٢٨٢ هـ .
- ١٤٣ - المجازات النبوية ، للرضي - بغداد هـ ١٣٢٨ .
- ١٤٤ - الجتنى ، لابن دريد - حيدر آباد الدکن بالهند هـ ١٣٤٢ .
- ١٤٥ - بجمع الأمثال ، للميدانى - القاهرة هـ ١٣٤٢ .
- ١٤٦ - المحسن والأضداد ، المنسوب للحافظ - القاهرة ١٣٢٤ هـ (الاقتباس  
من نشرة فان فلوتن - ليدن ١٨٩٨ م يشار إليه في مواضعه) .
- ١٤٧ - المحسن والمساوئ ، للبيهقي - نشر شفافى - جيسن ١٩٠٢ م .
- ١٤٨ - الحتسب في القراءة الشاذة ، لابن جنى - نشر برجشتر اسر -  
ميونخ ١٩٣٣ م .
- ١٤٩ - محیط المحيط ، لبطرس البستاني - بيروت هـ ١٢٨٦ .

- ١٥٠ - المختار من شعر بشار ، اختيارات الحالدين — نشر محمد بدرا الدين العلوى — القاهرة ١٣٥٣ / ١٩٣٤ .

١٥١ - مختارات شعراء العرب ، لابن الشجري — القاهرة ١٣٠٦ .

١٥٢ - مروج الذهب ، للمسعودى — القاهرة ١٣٤٦ .

١٥٣ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطى — القاهرة ١٣٢٥ .

١٥٤ - مسالك المالك ، للإصطخرى — نشر دى غويه — ليدن ١٨٧٠ .

١٥٥ - المستطرف في كل فن مستطرف ، للإبشيرى — القاهرة ١٣٥٢ / ١٩٣٣ .

١٥٦ - مسنن أبي داود الطیالسى — حیدر آباد الدکن بالهند ١٣٢١ .

١٥٧ - مسنن أحمد بن حنبل — القاهرة ١٣١٣ .

١٥٨ - مسنن الدارى — على هامش المتنى ، لابن تيمية — دلهى ١٣٣٧ .

١٥٩ - المعارف ، لابن قتيبة — نشر فستفلد — جوتنجن ١٨٥٠ (الاقتباس من طبعة القاهرة ١٣٠٠ هـ يشار إليه في مواضعه) .

١٦٠ - معانى الشعر ، للأشناذانى — دمشق ١٣٤٠ / ١٩٢٢ .

١٦١ - المعتزلة ، مختصر من كتاب ابن المرتضى — نشر أرنولد ليزج ١٩٠٢ .

١٦٢ - معجم البلدان ، لياقوت الحموى — نشر فستفلد — ليزج ١٨٦٦ — ١٨٧٠ .

١٦٣ - المغرب للجوالى — نشر إدوارد سخاو — ليزج ١٨٦٧ .

١٦٤ - المغازى ، للواقدى — نشر فلهاوزن — برلين ١٨٩٢ .

١٦٥ - المغرب في ترتيب المغرب ، للمطرزى — حیدر آباد الدکن بالهند ١٣٢٨ .

١٦٦ - مفاتيح العلوم ، للخوارزمى — نشر فان فلوتن — ليدن ١٨٩٥ .

١٦٧ - المفصل ، للزمخشري — نشر بروخ — كريستيانيا ١٨٧٩ .

١٦٨ - المفضليات ، للمفضل الصبى — نشر تشارلس لايل — أكسفورد ١٩١٨ - ١٩٢١ .

١٦٩ - مقالات الإسلاميين ، للأشعرى — نشر هلموت ريتز — إسطنبول ١٩٣٢ - ١٩٢٩ .

١٧٠ - المقعن في رسم المصاحف ، لأبي عمرو الدانى — نشر برتسيل — إسطنبول ١٩٣٢ .

- ٣٢٦ -

- ١٧١ - الملحن ، لابن دريد - القاهرة ١٣٤٧ هـ .
- ١٧٢ - الممدود والمصور ، لأبي الطيب الوشاء - تحقيق الدكتور رمضان ، عبد التواب - القاهرة ١٩٧٩ م .
- ١٧٣ - من كتاب الديارات ، للشافعي - نشر إدوارد سخا - برلين ١٩١٩ م .
- ١٧٤ - منتخبات من كتاب شمس العلوم ، لشوان الحميري - نشر عظيم الدين أحمد - ليدن ١٩١٦ م .
- ١٧٥ - الموسوعة في مآخذ العلماء على الشعراء ، للمرزباني - القاهرة ١٣٤٣ هـ .
- ١٧٦ - الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، بشرح الزرقاني - بولاق ١٢٨٠ هـ .
- ١٧٧ - ميزان الاعتلال في نقد الرجال للذهبي - القاهرة ١٣٢٥ هـ .  
(ن)
- ١٧٨ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لأبي البركات بن الأنباري - القاهرة ١٢٩٤ هـ .
- ١٧٩ - نفح الطيب من غصن الأندرس الرطيب ، للمقرئ - نشر دوزى وكريل ورايت - ليدن ١٨٥٥ - ١٨٦١ م .
- ١٨٠ - نقاضن جرير والفرزدق - تحقيق أنطونى بيفان - ليدن ١٩٠٥ - ١٩١٢ م .
- ١٨١ - نقد الشعر ، لقديمة بن جعفر - إسطانبول ١٣٠٢ هـ .
- ١٨٢ - نقد النثر ، المنسوب لقديمة بن جعفر - نشر طه حسين والعبادي - القاهرة ١٩٣٣ / ١٣٥١ م .
- ١٨٣ - التوادر في اللغة ، لأبي زيد الانصارى - نشر سعيد الشرتوبي - بيروت ١٨٩٤ م .  
(ه)
- ١٨٤ - الهاشمييات ، للكميت - نشر يوسف هورو فيتس - ليدن ١٩٠٤ م .  
(و)
- ١٨٥ - الواقى بالوفيات ، للصفدى - نشر هلموت ريتز - إسطانبول ١٩٣١ م .
- ١٨٦ - الوزراء للبهشيارى - نشر متشك - ليزج ١٩٢٦ م .
- ١٨٧ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلkan - بولاق ١٢٩٩ هـ .  
(ى)
- ١٨٨ - يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر ، للشعالبي - دمشق ١٣٠٢ هـ .

(ب) المصادر الافرونجية

- AKM = Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes.  
Arthur Christensen, L'Iran sous les Sassanides, Kopenhagen  
1936.
- Fr. Baethgen, Fragmente syrischer und arabischer His-  
toriker, Leipzig 1884.
- BAHG = Bibliothek arabischer Historiker und Geographen,  
hg. v. H. v. Mzik, Leipzig 1926.
- BGA = Bibliotheca Geographorum arabicorum, ed. M. J.  
de Goeje, I - VIII, Leiden 1870 - 1894.
- Bibl. Isl. = Bibliotheca Islamica, hg. v. H. Ritter, Leipzig  
1929 ff.
- Bräunlich, The Well in Ancient Arabia, Leipzig 1925.
- C. Brockelmann, GLA (S) = Geschichte der arabischen  
Litteratur, Bd. I.II Leiden 1943 - 49 und Suppl.  
I - III Leiden 1937 - 42.
- Dozy, Supplément aux dictionnaires arabes, Leiden 1927.
- EI = Enzyklopädie des Islam, Leiden 1913 - 1934.
- Festschrift Ed. Sachau, hg. v. G. Weil, Berlin 1915.
- Fischer und Bräunlich, Schwâhid - Indices, Leipzig 1945.
- H.L. Fleischer, Beiträge zur arabischen Sprachkunde,  
Leipzig 1863.
- S. Fraenkel, Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen,  
Leiden 1886.
- Friedlaender, Der Sprachgebrauch des Maimonides I.,  
Frankfurt/M. 1902.
- GMS = Gibb Memorial Series.
- I. Goldziher, Abhandlungen zur arabischen Philologie,  
Leiden 1896 - 1899.

- ۲۲۸ -

- I. Goldziher, Muhammedanische Studien, Halle 1889.
- G. Graf, Der Sprachgebrauch der ältesten christlich arabischen Litteratur, Leipzig 1905.
- JNES = Journal of Near Eastern Studies.
- JRAS = Journal of the Royal Asiatic Society.
- E. Lane, An Arabic English Lexicon, London 1863 – 1893.
- E. Lévi - Provencal, Documents inédits d'histoire al-mohade, Paris 1928.
- LSS = Leipziger Semitistische Studien.
- M. Mez, Die Renaissance des Islams, Heidelberg 1932.
- MO = Le Monde Oriental.
- B. Moritz, Arabien, Hannover 1923.
- MSOS = Mitteilungen des Seminars für orientalische Sprache in Berlin.
- Th. Nöldeke, BSSW = Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1904.
- Th. Nöldeke, NBSS = Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1910.
- Th. Nöldeke, Zur Grammatik des classischen Arabisch, Wien 1896.
- OLZ = Orientalistische Literaturzeitung.
- Orientalische Studien, Theodor Nöldeke gewidmet, Giessen 1906.
- Reckendorf, Arabische Syntax, Heidelberg 1921.
- Reckendorf, Die Syntaktischen Verhältnisse des Arabischen, Leiden 1898.
- SMA = Sitzungsberichte der bayr. Akademie der Wissenschaften, philol. hist. Klasse, München.
- W. Spitta, Grammatik des arabischen Vulgärdialects von Aegypten, Leipzig 1880.
- SWA = Sitzungsberichte der Akademie der Wissenschaften zu Wien.

- ۴۱ -

Wellhausen, Das arabische Reich und seine Sturz, Berlin  
1902.

Wellhausen, Skizzen und Vorarbeiten, Berlin 1884 – 99.

A. Wensink, Concordance de la tradition musulmane  
Leiden 1936.

W. Wright, A Grammar of the Arabic Language, Com-  
bridge 1896 – 98.

F. Wüstenfeld, Genealogische Tabellen der Arabischen  
Stämme und Familien, Göttingen 1852 – 53.

WZKM = Wiener Zeitschrift für die Kunde des Mor-  
genlandes.

ZA = Zeitschrift für Assyriologie.

E. de Zambaur, Manuel de genealogie et de chronologie  
pour l'histoire de l'Islam, Hannover 1927.

ZDMG = Zeitschrift der deutschen Morgenländischen  
Gesellschaft.

ZA = Zeitschrift für Semitistik.



## كتب للمترجم

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)  
Biblioteca Alessandrina

### تأليف :

- ١ - لحن العامة والتطور اللغوي - القاهرة ١٩٦٧
- ٢ - فصول في فقه العربية - القاهرة ١٩٧٣
- ٣ - اللغة العربية: قواعد ونصوص ومقارنات باللغات السامية - القاهرة ١٩٧٧
- ٤ - نصوص من اللغات السامية، مع الشرح والتحليل والمقارنة - القاهرة ١٩٧٩
- ٥ - بحوث ومقالات في اللغة (تحت الطبع) .
- ٦ - مشكلات العربية وتحديات العصر (تحت الطبع) .
- ٧ - التطور اللغوي في عربية القرون الأولى (تحت الطبع) .

### ترجمة :

- ١ - اللغات السامية ، ليودور نولدكه - القاهرة ١٩٦٣
- ٢ - الأمثال العربية القديمة ، لرودلف زطایم - بيروت ١٩٧١
- ٣ - تاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان (الرابع والخامس) - القاهرة ١٩٧٥
- ٤ - فقه اللغات السامية ، لكارل بروكلمان - الرياض ١٩٧٧
- ٥ - العربية - دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، ليوهان فلث - القاهرة ١٩٨٠

### تحقيق :

- ١ - لحن العوام ، لأبي بكر الزبيدي - القاهرة ١٩٦٤
- ٢ - البلاغة ، لأبي العباس المبرد - القاهرة ١٩٦٥
- ٣ - قواعد الشعر ، لأبي العباس ثعلب - القاهرة ١٩٦٦

- ٣٣١ -

- ٤ - ما يذكر ويؤثر من الإنسان واللباس ، لأبي موسى الحامض - القاهرة ١٩٦٧
- ٥ - الحروف ، للخليل بن أحمد الفراهيدي - القاهرة ١٩٦٩
- ٦ - المذكر والمؤنث ، لابن فارس - القاهرة ١٩٦٩
- ٧ - الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها ، لابن السكikt - القاهرة ١٩٦٩
- ٨ - المذكر والمؤنث ، لأبي العباس المبرد (بالاشتراك) - القاهرة ١٩٧٠
- ٩ - كتاب الثلاثة ، لابن فارس اللغوي - القاهرة ١٩٧٠
- ١٠ - البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ، لابن الأنباري - القاهرة ١٩٧٠
- ١١ - كتاب البئر ، لابن الأعرابي - القاهرة ١٩٧٠
- ١٢ - كتاب الأمثال ، لمؤرخ السدوسي - القاهرة ١٩٧١
- ١٣ - زينة الفضلاء في الفرق بين الصياد والظاء ، لابن الأنباري - بيروت ١٩٧١
- ١٤ - القوافي وما اشتقت ألقابها منه ، لأبي العباس المبرد - القاهرة ١٩٧٢
- ١٥ - مختصر المذكر والمؤنث ، للمفضل بن سلمة - القاهرة ١٩٧٢
- ١٦ - كتاب الأمثال ، لأبي عكرمة الصبّي - دمشق ١٩٧٤
- ١٧ - المذكر والمؤنث ، لأبي زكريا الفراء - القاهرة ١٩٧٥
- ١٨ - الوافي بالوفيات ، للصفدي (الجزء الثاني عشر) - فيسبادن ١٩٧٩
- ١٩ - المددود والمصور ، لأبي الطيب الوشاء - القاهرة ١٩٧٩
- ٢٠ - ذم الخطأ في الشعر ، لابن فارس اللغوي - القاهرة ١٩٨٠
- ٢١ - اشتقاق الأسماء ، للأصممي (بالاشتراك) - القاهرة ١٩٨٠
- ٢٢ - الغريب المصنف ، لأبي عبيد القاسم بن سلام (تحت الطبع) .
- ٢٣ - فضائل القرآن ، لأبي عبيد القاسم بن سلام (تحت الطبع بالاشتراك) .
- ٢٤ - شرح كتاب سيبويه ، للسيرافي (تحت الطبع بالاشتراك) .

\* \* \*



رقم الإيداع ١٩٨٠/٣١٥٧

## المطبعة العربية الخديشة

٨ شارع ٧٤ بالمنطقة الصناعية بالعباسية  
تليفون : ٨٢٦٢٨٠ التسالنرة



### ● هنا الكتاب :

تتبع فيه مؤلفه حياة اللغة العربية ، منذ اقدم نصوصها . ودرس المؤامل المختلفة التي اثرت في نموها وتطورها عبر التاريخ . وتعقب الاخبار التي تروي عن وقوع اللحن في العربية من الشعراء والخلفاء والعلماء وغيرهم في جميع العصور . كما وضح جهود علماء العربية في تنقية اللغة من شوائب هذا اللحن . وأبرز السر في خلود العربية الفصحى على الزمن ، لارتباطها بالقرآن الكريم كتاب الاسلام الخالد .

### ● وهذه الترجمة الجديدة :

تمتاز بالدقة وكثرة التعليقات والتصحيحات والمناقشات لبعض القضايا المهمة في الكتاب ، كما تزدان بالمقدمة العلمية التي كتبها شيخ مستشرق العصر المستشرق الالماني انطون شبيتالر .